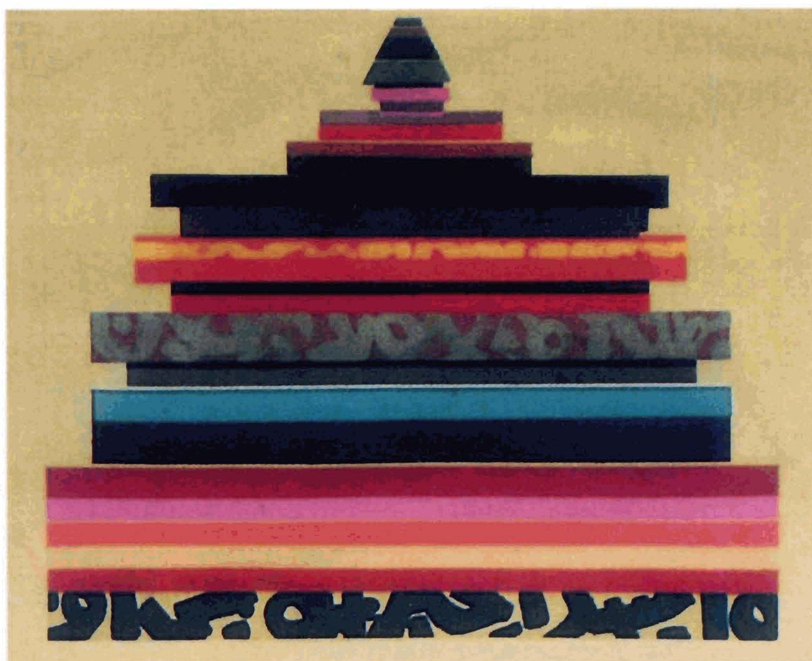
ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح



ترجمة: نعيمان عثمان



المركز الثقافي العربي

ريموند وليامز

الكلمات المفاتيح

ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح

معجم ثقافي ومجتمعي

ترجمة: نعيمان عثمان

تقديم: طلال أسد



المركز الثقافي العربي

الكتاب
الكلمات المفاتيح
معجم ثقافي ومجتمعي
تأليف
ريموند وليامز
ترجمة
نعيمان عثمان
الطبعة
الأولى، 2007
عدد الصفحات: 336
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي:
ISBN 9953-68-194-5

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ــ المغرب
ص.ب.: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 2303339 ـ 2307651
فاكس: 2305726 ـ 2 212+
Email: markaz@ wanadoo.net.ma
بيروت ــ لبنان
ص.ب.: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01750507 ـ 01352826
فاكس: 01343701 ـ 961+
www.ccaedition.com
Email: cca@ccaedition.com

صدرت الطبعة العربية الأولى
من هذا الكتاب عن:
المجلس الأعلى للثقافة في مصر

العنوان الأصلي

Keywords
A vocabulary of culture and society
By Raymond Williams
(London: HarperCollins, 1976, 1983)

المحتويات(*)

(*) في الأصل، تم ترتيب الكتاب حسب الألفباء الإنكليزية، لذلك عند البحث عن أي كلمة يجب اتباع الترتيب الألفبائي الإنكليزي.

78	COMMON	عام/ شائع/ فج/ مشترك
80	COMMUNICATION	اتصالات/ مواصلات
81	COMMUNISM	شيوعية
82	COMMUNITY	جماعة
84	CONSENSUS	إجماع
86	CONSUMER	مستهلك
87	CONVENTIONAL	تقليدي
88	COUNTRY	بلد/ ريف
89	CREATIVE	خلاق/ إبداعى
92	CRTICISM	نقد
94	CULTURE	ثقافة
100	DEMOCRACY	ديمقراطية
104	DETERMINE	يحدد/ يحتم
109	DEVELOPMENT	تنمية/ تطور
111	DIALECT	لهجة
112	DIALECTIC	جدلي/ ديالكتيكي
114	DOCTRINAIRE	نظري/ لا عملي
115	DRAMATIC	دراماتيكي
116	ECOLOGY	إيكولوجيا/ علم البيئة
117	EDUCATED	متعلم
118	ELITE	نخبة
121	EMPRICAL	امبيريقي/ تجريبى
123	EQUALITY	مساواة
125	ETHNIC	اثني
125	EVOLUTION	نشوء/ تطور/ ترقي
128	EXISTENTIAL	وجودي
131	EXPERIENCE	خبرة/ تجربة
134	EXPERT	خبير
134	EXPLOITATION	استغلال/ استثمار
135	FAMILY	عائلة

204	MEDIA	وسائل (إعلام)
205	MEDIATION	وساطة، توسط
208	MEDIEVAI	قروسطي
209	MODERN	حديث/ جديد
210	MONOPOLY	احتكار
212	MYTH	أسطورة
214	NATIONALIST	قومي/ وطني
215	NATIVE	محلي
217	NATURALISM	طبيعية
220	NATURE	الطبيعة
225	ORDINARY	عادي
227	ORGANIC	عضوي
229	ORIGINALITY	أصالة/ ابتكار/ طرافة
231	PEASANT	فلاح
232	PERSONALITY	شخصية
235	PHILOSOPHY	فلسفة
236	POPULAR	شعبي/ شائع/ مشترك
238	POSITIVIST	وضعي
239	PRAGMATIC	برجماتي/ عملي
241	PRIVATE	خاص
242	PROGRESSIVE	تقدمي
245	PSYCHOLOGICAL	سيكولوجي
247	RACIAL	جنسي/ عرقي
250	RADICAL	جذري/ متطرف/ راديكالي
251	RATIONAL	عقلاني
255	REACTIONARY	رجعي
256	REALISM	واقعية
262	REFORM	إصلاح/ يصلح
263	REGIONAL	إقليمى/ جهوى/ مناطقى/ محلى
265	REPRESENTATIVE	ممثل/ نائب/ نمطي/ رمزي

إيضاحات:

استعملت هذه الاختصارات في النص:

ام	:	انظر المادة
اق	:	لغة إنجليزية قديمة
ام م	:	انظر المواد
س ب	:	سابقة بعيدة للكلمة
س ق	:	سابقة قريبة للكلمة
ف	:	لغة فرنسية
ق	:	قرن
قروسطى	:	قرون وسطى
ل	:	لغة لاتينية
م ق	:	منتصف القرن

مصدر الاقتباسات التي تظهر في النص متبوعة باسم وتاريخ أو بتاريخ فقط هو قاموس أكسفورد المعروف OED. أما الاقتباسات الأخرى فإنها تتبع بإشارة إلى مراجعها؛ والإحالات إلى المصادر الثانوية مرتبة حسب اسم المؤلف كما هو مسجل في قائمة المراجع والببليوغرافيا المختارة.

تقديم: الدكتور طلال أسد(*)

يمكن المجادلة بأن كتاب «الكلمات المفاتيح»، الذي صدر للمرة الأولى في 1979، هو أكثر مؤلفات الناقد الثقافي الشهير ريموند وليمز صمودا في استمرار تأثيره. فرغم مرور ثلاثين عاما على نشر مراجعاته التاريخية القصيرة لمفردات تعتبر الآن محورية بالنسبة للخطاب العام في عالم الناطقين بالإنجليزية إلا أنها لا تزال تستحق القراءة بتمعن. حتى يومنا هذا كثيرا ما يقرر هذا الكتاب ضمن مواد الدراسة للطلاب الجامعات. يكتسب قارىء كل مواد الكتاب وعيا عميقا بالكيفية التي تعبر بها اللغة المتطورة عن الحياة الاجتماعية الحديثة.

يستحق الدكتور نعيمان عثمان التهنئة على إتاحة الكتاب للقراء العرب في هذه الترجمة الدقيقة. هناك أمل بأن هذا سيزيد من وعيهم أكثر من أي وقت مضى بالصلات المعقدة بين اللغة والحياة الحديثة، وسيزيد من إحساسهم بالطبيعة الخلافية للأفكار العامة في الحداثة. ربما يؤدي ذلك في النهاية إلى القيام بجهد مماثل عن تطور «كلمات مفاتيح» في اللغة العربية نفسها ولها. لابد وأن يكون مشروع من هذا القبيل أكثر من مجرد تاريخ للكلمات إذ يتوجب أن يكون أيضا تاريخا للمفاهيم المركزية وللحياة السياسية والأخلاقية والاقتصادية التي تنظمها جزئيا هذه المفاهيم وتمثل فيها.

(*) الدكتور طلال أسد هو أستاذ مميز Distinguished Professor للأنثربولوجيا في مركز الدراسات العليا في جامعة مدينة نيويورك وله باع طويل في مجالى التنظير السياسي والديني. أحدث كتابين له هما:

- Genelogies of Religion الذي أصدرته مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1993 .
- Formation of the Secular الذي أصدرته مطبعة جامعة ستانفورد، 2003 .

وقد ترجم الكتابان إلى عدة لغات آخرها اليابانية. وأخيرا هناك كتاب يتناول بالنقاش أفكاره:

Power of the Secular Modern: Talal Asad And His Interlocutors (Cultural Memory in the Present) by David Scott (Editor), Charles Hirschkind(Editor)

الذي أصدرته مطبعة جامعة ستانفورد، 2006.

يتحدث ريموند وليمز في مقدمته عن استحالة القيام بعمله هذا لولا توفر قاموس أكسفورد New English Dictionary on Historical Principles المعروف بحروف كلماته الأول .O.E.D. هذا القاموس متعدد المجلدات، الذي يرصد الاستعمالات العامة للكلمات في تسلسل تاريخي معززة باقتباسات من مصادر مكتوبة، ليس هو بالتأكيد الصورة التامة للطريقة التي تطورت بها اللغة. في أية لغة ثرية لاتغيب عن أذهان المصنفين تنوعات أخرى كثيرة فحسب وإنما كذلك بالضرورة لن يحظى جانب الكلام المحكي بتمثيل مناسب في قاموس يكاد يكون اعتماده كليا على مصادر أدبية. مع ذلك فإن قامس أكسفورد منطلق لاغنى عنه لفهم الطبيعة التاريخية للغة الإنجليزية، وبالتالي الطبيعة التاريخية لكل الحياة الاجتماعية التي ندركها ونحياها في تلك اللغة. إنه لمبعث للحسرة أن لا يكون لدينا قاموس كهذا للعربية الحديثة. لا شك أن قاموسا عربيا يرتكز على قواعد تاريخية هو أمر جوهري لتتبع كثير من التحولات الأساسية في حياتنا وتفكيرنا الجمعيين: تغييرات بنيوية في الطرق التي نتفاعل فيها مع بعضنا ومع أنفسنا. يتوجب على من يكون لديه اهتمام بمسائل تاريخية مثل هذه أن يبدأ بالعودة إلى سلسة متعاقبة من القواميس ـ على سبيل المثال، لسان العرب وتاج العروس ـ التي تشكل نقطة انطلاق للتحرى، فما من مرجع هناك يعوّل عليه في معرفة الاستعمالات اللغوية الدقيقة عبر عدة قرون. من الطبيعي أن القواميس الكلاسيكية اعتبرت في المقام الأول معيارية وليس وصفية، أي أنها اعتبرت السلطة النهائية للاستعمال «الصحيح». لكن بالنسبة للبحث التاريخي عن تحول المجتمع والسياسة فإن هذا الزعم نفسه هو حقيقة اجتماعية وصفية، والثبات اللغوي الذي تفترضه هو نفسه موضع شك.

بشكل أساسي يعتمد كتاب ريموند وليمز الرائع على قاموس أكسفورد لكنه لا يقف عنده. إنه يسعى إلى وصف السياق الذي تتشكل فيه الكلمات، رغم أن المرء يتمنى أحيانا لو تسنى له أن يتوسع أكثر في ذلك. لا شك أن كل من اشتغل بهذه المسائل يعرف حق المعرفة أن «الكلمات» ترتبط بكل من «المفاهيم» و«الأشياء»، لكن هذه ليست البتة علاقة بسيطة: كلمة مقابل «مفهوم» أو مقابل «شيء». علاوة على ذلك، ترتبط الكلمات بعضها ببعض في شبكة من المعاني. تستدعى الضرورة سك كلمات جديدة أو استعارتها للتعامل مع صيغة حياة جديدة بينما في المقابل تفقد كلمات قديمة معانيها. ويجعل هذا كتابة المواد أمرا صعبا لأن المرء يحتاج معرفة نوعية العلاقات بين الكلمات والمفاهيم وصيغ الحياة. كان وليمز دونما شك على وعي بهذا التعقيد لكنه لم يفسح المجال كثيرا لنفسه ليتسنى له استكشاف العلاقات بشكل تام. بالمقارنة مع تصنيف أخر هو التاريخ المفاهيمي الألماني

المعنون: Geschtliche Grundbegriffe. Historisches Lexikon zur Politisch-sozialen Sprache in Deutschland (مفاهيم أساسية في التاريخ: قاموس يعتمد على المبادىء التاريخية للغة الاجتماعية والسياسية في ألمانيا) فإن مجاله يبدو محدودا. على سبيل المثال، بينما نجد عند وليمز صفحة واحدة عن «Anarchism الفوضوية» فإن القاموس الألماني يخصص ستين صفحة لهذه المادة. بالطبع القاموس الأخير يتكون من ستة مجلدات وشارك في كتابته فريق من الباحثين (صدر المجلد الأول في 1971). بالرغم من عنوانه فإنه لا يقتصر على الاستعمال في الألمانية بل يشمل لغات أخرى وفترات تسبق العصر الحديث. ويسعى هذا القاموس بطريقة منهجية إلى ربط تاريخ المفاهيم بالتاريخ الاجتماعي. لكننا عندما نتذكر أن «الكلمات المفاتيح» هو جهد مؤلف واحد ونتاج سنين عديدة من التجميع الصبور وتسجيل الملاحظات بطول أناة فإن الكتاب لا بد وأن ينال منا كل الاعجاب.

بخلاف مسألة طول أو قصر المواد هناك السؤال المهم عن الكلمات التي اختيرت على أنها مركزية والأسباب وراء ذلك. في «الكلمات المفاتيح» لا تشير المواد إلى الطريقة التي نعيش بها وكيف نتجادل حولها فحسب، بل تنبئنا أيضا عن ما يعتبره المؤلف هاما. لذا لا تحظى لا الكلمة «دين» ولا «علمانية» بأي اهتمام. بالنسبة لوليمز، لا أهمية لأي منهما في الحياة الحديثة، فالأولى تدل على طريقة حياة تسبق العصر الحديث (حسب الفرضية العلماتية، لابد وأن يذوي الدين كلما تطور المجتمع) والأخرى، لذات السبب المذكور توا، لأنها الأساس الفعلي للحياة الحديثة. لست من هذا الرأي. لكن حتى لو افترضنا صحته فإني أعتقد بأنه من الأهمية بمكان التعمق في الكلمات الموجودة فعلا ولكن مع ذلك تعتبر مهجورة، أو تلك التي درجنا عليها وأصبح مسلما بها لدرجة أنها لا تلاحظ بسهولة في حياتنا الاجتماعية.

للسبب ذاته أعتقد أن مدخل وليمز عن «Tradition تقاليد(تراث)»(*) ليس مرضيا. يميل الكاتب إلى اعتبار التقاليد «زعما باستمرارية القديم» و«عملية انتقاء من الماضي» تخفي الأساس الذي بني عليه هذا الانتقاء. بعبارة أخرى، تعتبر «التقاليد» وسيلة للاحتفاظ بهيمنة الطبقة الحاكمة. لكن حتى في عالم الناطقين بالإنجليزية ثمة كتابات كثيرة عن

(*) يعترض الدكتور طلال أسد على استعمال كلمة «تراث» مقابل «tradition» ويرى أن المقابل المتاح وليس الأفضل هو «تقاليد». لذا يجب أخذ هذا التحفظ الهام في الاعتبار كلما ترد كلمة «tradition» في هذا الكتاب، وبالذات في المادة المخصصة لهذا المصطلح التي أبقت على كلمة «تراث» واسعة الانتشار.

«التقاليد» فبها مراجعة لأشياء مثل «الزمن» و«التجسّد» و«السلطة». أشير هنا إلى كتّاب مثل حنا أرندت ومايكل أوكشوت وألاسدير ماكنتاير. ليس غرضي هنا القول إن كل ما كتبه هؤلاء الأشخاص يتفوق على آراء وليمز. ما أقوله ببساطة هو أن مفهوم «تقاليد»، وليس مجرد الفحوى الإمبيريقية لتقاليد معينة، هو موضوع خلافات معقدة حول جوانب من المجتمع والثقافة الحديثتين، وليس ثمة حس كاف بذلك في هذا المدخل من الكتاب. فبالرغم من أنه تحت غطاء «احترام التقاليد» كثيرا ما استعملت أفكار «الاستمرار التاريخى» و«الاستقرار(التاريخى)» كوسيلة لإضفاء الشرعية على حكم غير عادل، فإنه على نفس الدرجة من الصحة كثيرا ما استخدمت بنفس الطريقة أفكار حول «القطيعة مع الماضي» و«التغيير الجذري». إن «التقاليد» مفهوم معقد له تاريخ معقد وليس له مقابل عربى بسيط. تعبر عن هذا التعقيد ملاحظة ليدفج فتنجشتين: «ليست التقاليد شيئا يمكن للمرء تعلمه، وليست خيطا يمكن التقاطه متى شاء، تماما مثلما لا يستطيع اختيار أسلافه. من يفتقد التقاليد ويود الحصول عليها مثله مثل رجل غير سعيد في حبه».

في النهاية يجب القول بوضوح تام إن كتاب ريموند وليمز «الكلمات المفاتيح» إنجاز لافت، ولا يستطيع أي فرد يسعى إلى فهم العالم الحديث الاستغناء عن وعي تام لما يحاول الكاتب إيضاحه. فالتغيرات في مفرداتنا الاجتماعية - والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتبدلة التي تندمج فيها تلك المفردات - تفتح احتمالات جديدة أمامنا وتستبعد طرق التفكير والحياة القديمتين. يبقى السؤال: ماذا يمكن أن يفيدنا تطور «الكلمات العربية المفاتيح» التي نستعملها في عالمنا عن الحدود وحياتنا الجمعية وفرصها؟ بماذا يبوح كتاب مثل هذا عن العالم الذي فقدناه والعالم الذي كسبناه الآن؟ ذلك هو ما أرجو أن يكون مشروعا قادما للدكتور نعيمان عثمان.

مقدمة المترجم

ليس لريموند وليمز حضور في الثقافة العربية يوازي أو حتى يقترب من الأسماء التي لمعت مثل بارت أو فوكو ودريدا في فرنسا وإلى حد أقل بول دي مان وستانلي فش في أمريكا ولم يترجم له حسب علمي إلا كتابان من كتبه التي فاقت العشرين: أحدهما The Politics of Modernism طرائق الحداثة[1] تجميع لمقالات نشرت معا بعد وفاته والآخر- كما يشير غلاف الكتاب المترجم- «الدراما من إبسن إلى برخت». نشر له بعد وفاته كتابان آخران سوى الطرائق الذي يحوي مقالات مهمة إلا أن قارئه العربي لن يفتقد فقط عظم تأثير وليمز ولكن سيعتبره، كما يذكر التعريف بالمؤلف، مجرد «أحد أهم النقاد الإنجليز المعاصرين» «مختصرا نشاطه في «أستاذ للدراما بجامعة كمبردج حتى تقاعده في 1983». دور وليمز كان حاسما في مجالات مختلفة من الكتابة والتنظير إلى جانب العمل السياسي وتجاوز الحدود الضيقة لبعض المعارف إذ أنه من أهم مؤسسي ما يعرف الآن بـ «الدراسات الثقافية» التي لها صلات بكل الحركات الفكرية التي اكتسحت أوربا وأمريكا من بنيوية وتفكيكية وسيميائية ونسيوية ودراسات المهمشين والتابعين والثقافة الشعبية والإعلام والإيكولوجيا. كذلك كان لوليمز دور سياسى واجتماعى أساسي في صياغة بيانات سياسية وفى إصدار المجلة التي لاتزال مؤثرة The New Left Review. أما في مجالات المعرفة فقد شملت اهتماماته بالإضافة إلى الأدب والمسرح علوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة والتاريخ والإعلام والتعليم. لذا ليس بالمستغرب أن يرتبط اسمه حسب الاهتمام بكل من هوجارت وتومبسون وإريك هوبسبوم و- في مرحلة لاحقة - إدوارد سعيد كزملاء ورفاق كما يرتبط بستيوارت هول وريشارد جونسون وبمدرسة فرانكفورت النقدية وببارت وبورديو ومارشال مكلوهان وفريدريك جيمسون وربما روبرت ميرتون.

حظيت اللغة في الدراسات الحديثة بالإهتمام الأكبر، وما مقولة فتنجشتين بأن حدود

---

(1) طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة 246، يونيو 1999

اللغة هي حدود العالم إلا تبيانا لمدى هذه الأهمية وكان لوليمز- في تمييز له عن اللسانيين- اهتمام خاص بدور اللغة في الثقافة والمجتمع إلا أنه اختلف جذريا عن المقولة السائدة عن تدهور اللغة والشكوى الدائبة من ذلك والقاء اللائمة على تدهور القيم والأخلاق. ما يفعله هو نظرة جذرية للتفاعل بين الكلمات والمجتمع والدور الفعال - وليس فقط المنفعل- للكلمات. في مقدمته لهذا الكتاب يذكر بداية اهتمامه بذلك ويفنّد دورّ كلمات معينة تستعمل في النقاش العام لكنها قد تحجب أكثر مما توضح وجهات النظر ويذهب إلى ما هو أبعد من ذلك متجاوزا مقولات مثل شكوى أورويل من انحدار أو انحطاط اللغة وفقدان الكلمات لمعانيها الراقية أو حتى مقالة فاتسلاف هافل التي سبق وأن قمت بترجمتها إلى العربية عن تلوث بعض الكلمات مثل «اشتراكية» بل حتى «سلام»[1].

قد يستولي على البعض ولع بالكلمات ومن ثم حرص على معرفة أصولها وقد يجدون ضالتهم في قواميس تعريف وتحديد الكلمات وتقصّى أصولها لكن ليس هذا ما يسعى إليه وليمز. هو أقرب إلى سوسيولوجيا علم المعاني الذي استحوذ على روبرت ميرتون وإلى رولان بارت في قوله عن كلمات القاموس: «كل كلمة في القاموس هي عبارة عن سفينة فضائية: تبدو أنها مغلقة على نفسها محكمة جيدا في سدتها لكنها تصبح بسهولة بالغة نقطة انطلاق، تهرب نحو كلمات أخرى وصور أخرى ورغبات أخرى»[2]. كما أن القاموس يسعى إلى تقييد الكلمات فإن السوسيولوجي المهتم يسير في الطريق المخالف نحو معرفة وتقصى تلك الجهات التي «تهرب» إليها الكلمات وكيفية الهروب. لكن نقطة الانطلاق دائما هي القاموس.

في إحدى المصادفات السارة المفاجئة ـ السرينديبية serendipity ـ يكتشف روبرت ميرتون هذه الكلمة (serendipity) في قاموس أكسفورد الضخم الكامل الذي كان أول استثمار معرفي له. نفس حب الاستطلاع قاد وليمز إلى الولع والتعلق بنفس القاموس وفى المقدمة التالية نجد مدى ارتباطه به. لكن رغم عظمه وعظمته فلم يكن بالنسبة له إلا نقطة انطلاق بل حتى مجال دراسة ونقد لدوره عبر الكلمات في إعطاء صورة معينة للواقع الفكري والاجتماعي والسياسي. تأتي كل كلمة محملة بمعاني وتضمينات واشارات يقوم محررو القاموس بتوكيد بعضها على حساب البقية. يضع وليمز هذا نصب عينيه بدءا باختيار الكلمات إلى اعترافه بالمشكلات الأساسية التي تكمن في الكتابة عن أية مفردة، إلا أنه يميز بين كتابه

(1) «كلمات عن الكلمات»، مجلة سطور، يونيو1999

(2) «القاموس»، ترجمة حامد طاهر، الأهرام.

هذا والقاموس المعتاد الذي يصعب في العادة إدخال تعديلات على مواده في مدة قصيرة لكنه لا يتستر خلف الاكليشهات المعتادة عن قصور المؤلف والاعتذار عن أخطاء وتحريفات محتملة ولكن يضع في صلب المشروع أهمية النقاش والجدل في مقالاته وتعليقاته.

كلمتان أساسيتان بالنسبة لوليمز: النقاش العام. أحد أهم دوافعه لتأليف هذا الكتاب هو الإسهام في تحليل كلمات أساسية يستخدمها الناس في نقاشهم العام وفى هذا المجهود التعليمى الذي يسعى إلى زيادة رأس المال الثقافى- مثله في ذلك مثل بورديو- ليكسر حاجز الخاصة ويصل إلى الجمهور الأوسع. يهدف هذا الاشراك الواعي في النقاش إلى تغيير في المجتمع ومكوناته وتطلعاته. لكل من نشأة وليمز وبيرديو في الريف وانتقالهما جغرافيا ومهنيا إلى مراكز سياسية وفكرية دور في هذا الحماس الرسولي الذي ينطبع به عملهما.

الثقافة: هذه الكلمة التي انطلق منها وليمز هي إحدى الكلمات التي لاتزال محور النقاش الفكري، وما اختيار تيرى إيجلتون لها كإحدى الأفكار الثمانية الكبرى المعاصرة لمجلةNew Statesman[1] إلا تأكيدا على أن الكتاب - رغم مرور سنوات على تأليفه- لايزال يناقش قضايا جوهرية. كذلك بما أن غرض الكتاب الأساسى ليس تعريف الكلمات ولا البحث في أصولها فإن دوره لايزال حيويا يؤكده رجوع كثير من المؤلفين إليه ويبينه الحضور المكثف لمفردات منه على الإنترنت (بحث عن طريق جوجل تحت كلمتى ثقافة ووليمز، مثلا، ينتج ما يفوق ثلاثين ألف مادة بعضها متكرر لكن عددا وافرا منها مقررات جامعية). كذلك يؤدي البحث عن اسم الكتاب إلى مجلة هامة مرتبطة بجمعية ريموند وليمز اسمها Key Words.

قد يجد البعض ممن تعودوا على «ثبات» كلمات معينة ومركزيتها وبقائها الأبدي كثيرا من الغرابة في إبعاد كلمة هامة REALISM واقعية من دليل واسع الانتشار مثل « Critical Terms for Literary Studies مصطلحات نقدية للدراسات الأدبية»[2] لتأثرها بشكوك ما بعد الحداثة في أية مزاعم لتمثيل الواقع. مقابل هذا نجد روبرت سكولز يتبنى مصطلح «SEMIOTICS سيميوطيقيا»- مستندا على أسس أوربية مشابهة- لبرنامجه الأكاديمى الحديث في جامعة براون الأمريكية لأن الكلمة لم تحمل أي معنى بعد. يتذكر سكولز ذلك: «كانت دالا شبه غفل»[3].

---

(1) عدد 26 ـ 7 ـ 2004

(2) جامعة شيكاغو، 1995

(3) بوسطن جلوب، 16، 5، 2004

ينصب الاهتمام الكبير لدينا على المصطلحات المتخصصة في المجالات العلمية والمعرفية وظهرت كتب كثيرة في العربية اعتمدت إما الترجمة والتعريب أو التأليف، طغت فيها المصطلحات الأدبية أو تلك التي ارتبطت بمدارس فكرية حديثة. قد تكون هناك اعتراضات أو تحفظات على انتزاع مصطلحات من سياقها وإقحامها في ثقافة تنقصها مقومات المعرفة الأساسية، مما يضفي على الكتابة والنقاش صفة السحر والتمويه وليس مجرد الحجب والتوكيد التي خشيها وليمز بالنسبة لمجتمعه، وفى كثير من الأحوال تفقد الكلمات المنتزعة بهذه الطريقة النشاط الفكري الذي يحورها ويعدلها وربما يسقطها لكن في سياقها الجديد قد تتحجر وربما «تتقدس». ما يفعله في هذا الكتاب هو اختيار كلمات أساسية يستعملها الناس في نقاشهم العام: كلمات ليست متخصصة ولكنها عميقة ومتشعبة، كلمات في مجال الاستعمال العام لكنها نفسها فعالة.

قد تكون الكلمات العامة أهم عامل في النقاش العام في الوضع الحاضر. في الوقت الذي يتحدث فيه وليمز مجازيا بعد رجوعه من الحرب بأن "هذه ليست لغتنا» فإننا غرباء تماما ليس فقط بسبب اللغة والكلمات الأجنبية وليس لأنه جرى عليها تحويل وتبديل في نطاقها الأصلي وإنما لأنها تأتي مثقلة بتراكمات متنوعة. قد يكون من الضروري إيلاء كلمات وعبارات فكرية أو أدبية مثل تلك التي تمتلىء بها الأدلة الأدبية أهمية مستحقة لكن يبقى أثرها محدودا وقد تكون مخلة أو نخبوية كما هي في لغاتها الأصلية وتأتي في الغالب على حساب كلمات تبرز في كل الأحاديث العامة لكن دون سند مفهومي يجعل استعمالها فعالا في النقاش العام. أضرب مثالا من مقالة في صحيفة في متناول الجميع يذكر فيها محمد عابد الجابري كلمة تشغل الرأي العام: الإصلاح.

فى مقالة ضمن مقالات هي أقرب إلى البحوث منها إلى كتابات صحفية بعنوان «مفهوم الإصلاح»[1] يراجع الجابري كلمة الإصلاح في الثقافة العربية ويقارنها بمقابلتها الأوروبية ومرجعيتها اليونانية ويتساءل عن عدم وجود تعريف إيجابي للكلمة في اللغة العربية. وبعد تفكيك الكلمة اللاتينية الأصل إلى «إعادة تشكيل» يرجح أن الكلمة العربية «إصلاح» يقابلها في الإنجليزية ليس reform ولكن repair إصلاح العطل الذي يحدث لآلة، سيارة في مثاله. لا تسند هذا التحليل العودة إلى المراجع الإنجليزية وربما تبين عدم دقته. مع ذلك كم مفيد مطالعة المادة المختصرة في هذا الكتاب عن: « REFORM تغيير

(1) الاتحاد الإماراتية، 26، 7، 2004

شيء إلى الأفضل، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا»، وهو ما يؤكد إلى حد ما قول الجابري عن معنى الكلمة السلبي كمقابل لفساد، لكن هذا المعنى الإنجليزى كان معنى مبكرا. وافق كلام الجابري رأى ولي عهد دبي الذي قال في ندوة في عمّان بشأن المطالبة (الخارجية؟) بالإصلاح: «هل لدينا شيء مكسور حتى يصلح؟». هذه كلمة واحدة وهناك كلمات أخرى يتم تداولها على مستويات متفاوتة من الخلل والتوتر: ديمقراطية، مجتمع مدني، حداثة، علمانية، حضارة، تراث وبالطبع ثقافة والكلمات المتفرعة منها مثل تنوع ثقافي ودراسات ثقافية.

تطغى كلمات معينة في «النقاش العام» في فترات معينة، وكان ذلك يقتصر في الماضى على إما مجال معين أو مجتمع معين لكن في ظل تداخل المعارف والعولمة انتشر كثير من المفردات انتشارا أسهم في إثراء - وتشويش- النقاشات المحلية السائدة. بعض هذه الكلمات العامة يفقد تأثيره وبريقه مثل «paradigm»، نموذج أو إمام كما يترجمها جاك بيرك، التي تبنّاها توماس كوهن، أو تخضع لشكوك كما رأينا بالنسبة لـ REALISM وقد تحدث ردة فعل ضد بعض الكلمات التي تعرف ب «الميتات metas، ما وراء» أو «البوستات posts، ما بعد» أو «رطانة التنظير theorese». هكذا نجد أنفسنا مضطرين في أحايين كثيرة إلى وضع بعض هذه الكلمات بين مزدوجين مثل «ثقافة» الكلمة الأولى التي تتبع وليمز تقلباتها وكذلك كلمة «حداثة» التي أولاها اهتماما كبيرا لكنها كانت بالنسبة لفريدريك جيمسون كلمته الأولى: «باختصار لنقل إن هذا سيكون تحليلا شكلانيا لاستعمالات الكلمة «modernity» ينفى كل افتراض بوجود معنى صحيح للكلمة يمكن اكتشافه وتصوره وتبنيه». حسب كريستوفر بندرجراست، «يذكرنا هذا بمحاولة ريموند وليمز- في كتابه Keywords الذي يضم مادة «modern» حديث- دراسة التاريخ الثقافي والاجتماعي عن طريق علم المعاني التاريخي»[1]. كانت كل من هاتين الكلمتين جزءا من ثنائي: حداثة/ تقليد أو تراث وثقافة/ مجتمع. الثنائي الأول عام لكن الثاني طوره وليمز بشكل موسع. كثير من الثنائيات تكون متقابلة أو متعارضة أو متداخلة لكنها تشكل محاور أساسية للنقاش العام المستمر: ثقافة/ طبيعة، تقدم/ محافظة أو رجعية، ذاتي/ موضوعي. قد تكون دراسة الثنائيات معا مفيدة كما هو في حالة «action/reaction فعل/ رد فعل» واسعة

(1) Christopher Pendergrast, "Codeword Modernity," New Left Review 24, Nov/Dec 2003

الانتشار. في مراجعة لكتاب جين ستاروبنسكى «حياة ومغامرات زوج: فعل/ رد فعل» تشير إميلي جروشولز إلى أن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان اليوم وكأنهما متلازمتان لم تكونا أبدا كذلك، وبأسلوب مشابه لأسلوب وليمز يتتبع ستاروبنسكي الكلمتين من العصور القديمة وعبر عدة علوم: من أصليهما المختلفين نجد عدم مساواة الاثنين. في الكيمياء نجد «reaction تفاعل» تعني عملية كيميائية لها بداية ونهاية؛ وفي الفيزياء النيوتونية «المساواة بين الفعل وردة الفعل»؛ وفي علم النفس الفرويدي كانت «reaction» أساسية. أما بلزاك فاستعمل الفعل «to react» والإسم «reaction» وكلمات أخرى ليظهر «مفعول الحداثة» في الرواية؛ ثم استعملت «reaction» في الخطاب السياسي بمعنى «معارضة الإيمان بحرية الفرد وكرامته» و«معارضة التقدمية progressivism»، لكنه يعود في النهاية، بطريقة تبين مسار الكلمة الملتوي، إلى الجزم بأن عمله كمؤرخ «reactionary» رجعي بمعنى العودة إلى الماضى(1).

يتوسع ريموند وليمز أكثر من «الثنائيات» ويفضل دراسة الكلمات ضمن «مجموعات» أو كما يسميها «عناقيد» وذلك لترابطها الشديد، ويؤثر ترتيب مواد الكتاب بهذه الطريقة، لولا المشاكل التي تنجم عن ذلك. بالنسبة له كانت «ثقافة ومجتمع» و«ريف وحاضرة» عنوانين لإثنين من أهم كتبه، لكنه قدَّر أهمية الصلة بين كلمات «مترابطة جوهريا» مثل أدب وفن وواقعية. مجموعة أخرى قد لاتكون بنفس الوضوح لكن بينها ترابط كبير: عائلة وجماعة ومجتمع وطبقة وديمقراطية. في هذه التجمعات تعقيد كبير إلا أن بعض مفردات الكتاب التي قد تبدو معروفة هي من أكثر الكلمات تعقيدا. يشير وليمز في مقدمته إلى صعوبة «COMMUNITY جماعة»، لكن يمكن إضافة « FAMILY عائلة» أو «STRUCTURE بنية» إلى قائمة الكلمات الصعبة والتي تشكل الأساس لكلمات أخرى.

تعرض وليمز لنقد من كل من اليمين (وصفته مجلة Foreign Affairs ـ خريف 1984 - بأنه أحد أهم مفكري بريطانيا الراديكاليين إثارة، وهاجمته مجلة New Criterion ـ في عدد صيف 2003 في موقعهاعلى الإنترنت وقبل ذلك في عدد فبراير، 1990 - هجوما كاسحا ومتجنيا) ومن اليسار حيث انتقد نقدا شديدا لرفضه الربط الماركسى بين «القاعدة» و«البنية الفوقية»، وكذلك تعرض مفهومه الأساسى «المادية الثقافية» لبعض النقد. أما بالنسبة لكلمته الأولى «الثقافة» فقد اتهم بالعودة إلى مفهوم الكلمة النخبوي كما هو لدى ماثيو آرنولد وت إس إليوت.

---

(1) www.hudsonreview.comlGrosholzWio4.html

يمكن للقاريء ملاحظة تفاوت مستوى المواد، فالقليل لايرقى إلى مستوى الأغلبية. كما يجب التنبه إلى أن بعض الكلمات أثرت وتأثرت بدون شك منذ صدور الكتاب، آخذين في الاعتبار انخراط ثقافات كثيرة في هذا النقاش وهذه الكلمات، وليس فقط في بريطانيا أو الغرب. كلمات أخرى كثيرة استجدّت ولابد أن تدخل في هذا النقاش وتكوّن هي بدورها ثنائياتها وعناقيدها.

كتب وليمز كتابه للمتعلم غير المتخصص لكن من يسعى ليعرف أكثر مما تحويه القواميس المعرِّفة أو المسارد. أما بالنسبة للقارىء العربى - الذي تزيد فائدته لو كان ملما بمبادىء اللغة الإنجليزية - فإن الكتاب يوفر له بعض الأسس للإسهام في النقاش العام الذي عادة ما يفتقد إلى معرفة ولو بسيطة بالمفردات أو - وهذا هو الأسوأ والأكثر شيوعا- يعطي بعض الكلمات رسوخا وثباتا ومن ثم تقديسا. في لحظة سيرنديبية (؟) وقعت على قصاصة قديمة إلى حد ما من جريدة الأهرام فيها تعريف لكلمة Mass(es) (هكذا) بدأ بالإشارة إلى أن هذا «المصطلح نشأ في اللاهوت المسيحى (والصلاة المسيحية) حيث يعني القداس والاحتفال بالقربان المقدس مع احتشاد الشعب في كتلة واحدة!» بالعودة إلى أصل الكلمة تتضح عدم الدقة الإتيمولوجية وتزاح عن الكلمة «القداسة». ويورد وليمز في هذا السياق ملاحظة ثاقبة ودالة: «في الحقيقة لاتوجد هناك جماهير masses؛ هناك فقط طرق للنظر إلى الناس على أنهم جماهير». يكتمل طموح الكتاب وترجمته لو كان للمفردات هنا دور أساسي في النقاش العام، حول «الإصلاح» مثلا، من قبل «الجماهير» عن طريق ادراك للمفاهيم الأساسية ووعي بتقلب الكلمات مما يمكننا من القول بأننا «نتكلم نفس اللغة».

بمناسبة صدور الطبعة الثانية أجدها فرصة، لم تتحقق في الأولى، لذكر شخصين كان لهما أعظم الأثر على هذا الكتاب: الدكتور أحمد مستجير عالم الوراثة وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي كان له الفضل في النصح في جوانب مهمة من الترجمة، بالإضافة إلى سعيه الدؤوب في متابعة نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب؛ الرحيل المفاجىء والفاجع لهذا العالم الجليل والشخصية العظيمة في تواضعه ولطفه هو خسارة كبرى على المستويات العلمية والثقافية والشخصية. أما الدكتور طلال أسد، عالم الأنثروبولوجيا البارز والمنظّر في الأديان المعروف، فيتجلى دوره في تحمسه لهذا الكتاب بناء على معرفة معمقة، وهو ما يظهر في مقدمته الشاملة حيث يضع الكتاب في إطار معرفى عالمي: مقارنته بما يتوفر في الألمانية وأمله في أن تتوفر دراسة مماثلة في الغة العربية ولها.

إهـــداء

إلى كريستي، أنيكا،
ديفد وروزالند

ريمونـد وليمـز

ولد ريموند وليمز في 1921 في قرية باندى الويلزية الواقعة على الحدود مع إنجلترا. درس في ثانوية أبرجافيني وكلية ترينيتي في جامعة كمبردج وشارك في الحرب العالمية الثانية كقائد مضادة مدرعات في كتيبة الحرس المدرّعة . بعد الحرب عمل كمدرس للكبار في برنامج جامعة أكسفورد للدراسات غير الجامعية . في 1961 انتخب كزميل في كلية جيسس في جامعة كمبردج.

تشمل كتبه المنشورة:

Culture and Society,
The Long Revolution,
The Country and the City;
Drama in Performance,
Drama from Ibsen to Brecht,
Modern Tragedy;
Communications;
Border Country,
Second Generation,
The Fight for Manod,
The Volunteers;
Marxism and Literature,
The English Novel from Dickens to Lawrence;
Politics and Letters. (مقابلات)

ونشرت له «فونتانا»

Orwell (1961, a Modern Master) ,
Television: Technology and Cultural Form (1974),
Culture (1981),
Marx: The First Hundred Years (1983) : ومقال عن الثقافة في

مقدمة الطبعة الثانية

الاحتفاء بهذا الكتاب في طبعته الأولى كان أقصى من كل توقعات المؤلف. شجعني هذا على مراجعته حسب الطرق الموضحة في المقدمة الأصلية لكن مع استمرار الشعور بأن العمل بالضرورة غير مكتمل وقاصر. في هذه الطبعة الجديدة تمكنت من إدراج واحد عشرين كلمة إضافية :

anarchism, anthropology, development, dialect, ecology, ethnic, experience, expert, exploitation, folk, generation, genius, jargon, liberation, ordinary, racial, regional, sex, technology, underprivileged, western .

بعضها أعدت إدراجها من قائمتي الأصلية؛ كلمات أخرى أصبحت أهم في الفترة الواقعة بين القائمة الأصلية والوقت الراهن. كذلك قمت بمراجعات في النص الأصلي شملت تصحيحات وإضافات.

أود تسجيل جزيل شكري لأشخاص كثيرين كتبوا إلي أو تحدثوا إلي عن الكتاب. بعض المواد الجديدة هي من اقتراحهم وكذلك كثير من الإضافات والتصحيحات في النص الأصلي. لا يمكنني تحميل أي منهم مسؤولية عن أفكاري أو أخطائي لكن أنا مدين بشكل خاص لـ Aidan Foster-Carter لمجموعة الملاحظات خاصة عن development؛ ولـ Micae Mckeon لنقاط كثيرة لكن على الخصوص revolution؛ لـ Peter Burke لمجموعة ملاحظات فائقة الفائدة؛ لـ Carl Gersuny لمجموعة ملاحظات خاصة عن interest و work. مدين بشكل خاص لـ Daniel Bell على generation؛ لـ Gerald Fowler على scientist؛ لـ Alan Hall على history ؛ لـ P.B. Home على native؛ لـ R.D. Hull على industrial؛ لـ G. Millington وH.S. Pickering وN. Pitterger على education؛ لـ Darko Suvin على communist وsocial؛ لـ René Wellek على literature. كذلك أنا مدين لعدد من الأشخاص لاقتراحاتهم واشاراتهم: Perry Anderson, Jonathan Benthall, Andrew Daw, Simon Duncan, Howard Erskine-hill, Fred Gray, Christopher Hill, Denis L. Johnston, A. D. King, Michael Lane, Colin

Maccabe, Graham Martin, Ian mordant, Benjamin Nelson, Malcolm Pittock, Vivien Pixner, Vito Signorile, Philip Tait, Gay Weber, Stephen White, David Wise, Dave Wootton, Ivor Wymer , Stephen Yeo.

ريموند وليمز: كمبردج، مايو 1983

مقدمــة

في عام 1945 بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا واليابان سُرحت من الجيش وعدت إلى كمبردج. كان الفصل الدراسي في الجامعة قد بدأ وتكونت علاقات ومجموعات كثيرة. في كل الأحوال كان هناك شيء من الغرابة في الانتقال من «فوج مدفعية» على قناة «كيل» إلى كلية من كليات كمبردج. لم يكن قد انقضى على غيابي سوى أربع سنوات ونصف لكن بسبب التحركات خلال الحرب فقدت الاتصال بكل أصدقاء الجامعة . مرت عليّ فترة غريبة قبل أن التقي بشخص كنت قد عملت معه في السنة الأولي من الحرب عندما كانت تحولات العقد الرابع من القرن العشرين على الرغم من تأثرها بالضغوط في طور التشكيل. تحدثنا بشغف لكن لم يكن الحديث عن الماضي . كنا مثقلين إلى حد كبير بهذا العالم الجديد والغريب حولنا . عندها قلنا في آن واحد: «في الواقع، إنهم لا يتكلمون نفس اللغة».

إنها جملة شائعة وتستخدم في الغالب بين الأجيال المتعاقبة بل حتى بين الآباء والأطفال . استخدمتها أنا نفسي من قبل، بالتحديد قبل ست سنوات عندما حضرت إلى كمبردج من أسرة تنتمى إلى الطبقة العاملة في ويلز. القول بأننا لا نستخدم اللغة نفسها في المجالات المختلفة قول غير دقيق، فيمكن من خلال لغة مشتركة لبلد معين أن نتبين الفروق الاجتماعية والعمرية بين أفراده. فالكلمات هي هي نستخدمها في التعبير عن أنشطة وأشياء مختلفة مع تنوع واضح في النبرة واللكنة والوقع. بعض الكلمات المتقلبة، مثل lunch غذاء وsupper عشاء و dinner وجبة رئيسية، يمكن التركيز عليها لكن الفروق ليست على قدر كبير من الأهمية. عندما نصل إلى قول «إننا لا نتحدث نفس اللغة» فإننا نعني شيئاً أعم : لدينا قيم مباشرة مختلفة أو طرق مختلفة للتقويم أو أننا على وعي، في الغالب بطريقة غير ملموسة، بتشكيلات وتصنيفات مختلفة للنشاط والإهتمام . في مثل هذه الحالة تتحدث كل مجموعة لغتها المحلية لكن استعمالاتها تختلف كثيرا خاصة إذا كان للأمر علاقة بأفكار هامة أو أحاسيس جياشة. ليس لدينا في الحقيقة معيار لغوي يبيح لنا وصف مجموعة لغوية بأنها على «خطأ» أو «صواب»، لكن قد تحاول مجموعة ذات سلطة لغوية مؤقتة أن تهيمن وتفرض طريقها في استخدام اللغة بوصفها الطريقة الصحيحة «correct» . ما يحدث فعلاً خلال هذه المواجهات الحاسمة التي قد تدرك فقط كغرابة واضطراب هو عملية أساسية في تطور اللغة عندما يتم في كلمات ونبرات ونغمات معينة إقتراح معاني أو اعتمادها، اختيارها أو توكيدها

والجزم بها أو تعديلها وتغييرها . من المؤكد أن هذه العملية تتطلب في بعض الحالات مرور زمن طويل، يمتد إلى قرون أحيانا، حتى تستقر ويكون بإمكاننا، عن طريق استقراء النتائج، إعطاؤها قدرها الذي تستحق. في حالات أخري قد تكون العملية سريعة، خاصة في بعض المجالات الرئيسية. في جامعة كبري ونشطة وفي فترة تغير مهمة مثلما هي الحرب فإن العملية قد تبدو سريعة وواعية بشكل غير معتاد .

لكن الفترة، كما قلنا معاً، في مجملها لم تتجاوز أربع أو خمس سنين. هل كان التغيير فعلاً بهذا القدر؟ بعد بحث عن أمثلة وجدنا تحولاً في بعض الاتجاهات العامة في السياسة والدين. لكني وجدت نفسي مشغولاً بكلمة واحدة culture ثقافة التي بدا أني كنت أسمعها أكثر بكثير من السابق: ليس فقط، كما هو واضح، بالمقارنة مع حديث فوج المدفعية أو كلام عائلتي، ولكن بالمقارنة المباشرة داخل الجامعة عبر هذه السنوات القليلة. سمعت الكلمة في الماضي بمعنيين: أحدهما على أطراف المدينة، في المقاهي teashops وأماكن مشابهة حيث بدت أنها الكلمة المفضلة لنوع من التفوق الاجتماعي ليس في الأفكار أو المعرفة، وليس فقط في المال أو الموقع ولكن في مجال غامض يتعلق بالسلوك؛ لكن أيضاً، بالمعنى الآخر، كانت «ثقافة» هي الكلمة المحورية في حديث الأصدقاء، يرددونها في معرض كلامهم عن كتابة الشعر والرواية وصناعة الأفلام والرسوم والعمل في المسرح. ما كنت أسمعه الآن هو معنيان مختلفان لم أتمكن فعلاً أن أستبينهما: أولاً، في دراسة الأدب، استعمال يوضح، بطريقة فعالة وإن تكن غير صريحة، نوعاً من تشكيل القيم (ولقد كان للكلمة literature أدب ذاتها نفس التوكيد)؛ ثانياً، في النقاش الأكثر عمومية وما بدا لي أن له تضمينات مختلفة هناك استعمال جعل من الكلمة معادلاً لـ society مجتمع: «أسلوب حياة» معين - « American culture ثقافة أمريكية»، «Japanese culture ثقافة يابانية».

يمكنني الآن شرح ما أعتقد أنه قد حدث. من الواضح أن اتجاهين هامين أخذا يتشكلان تشكلا فعليا في إنجلترا: ففي مجال الدراسات الأدبية تحققت سيادة حاسمة لفكرة في النقد ظلت - من آرنولد إلى ليفيز - تعتمد على «الثقافة culture» باعتبارها أحد مصطلحاتها المركزية؛ أما في النقاش حول المجتمع فقد حدث التوسع إلى الحديث العام لمعني أنثروبولوجي كان واضحاً كتعبير متخصص، لكن تم الآن تبنيه، تحت تأثير أمريكي متزايد وكذلك تحت تأثير مواز من قبل مفكرين مثل مانهايم. ضعف بوضوح المعنيان السابقان: المعني المتداول في المقاهى الذي، رغم استمرار وجوده، أصبح مقصيا أكثر وفي طريقه إلى أن يصبح هزلياً؛ ومعنى النشاط في الفنون الذي بدا، رغم احتفاظه بمكانه على مستوى الوطن، أكثر فأكثر عزلة عن طريق توكيد النقد وعن طريق الإشارة الأهم والمبددة إلى أسلوب حياة تام. لكني لم أكن أدرك شيئاً من هذا في حينه. كانت فقط كلمة صعبة، كلمة جعلتني أفكر فيها كمثال للتغيير الذي كنا نحاول، بطرق مختلفة، فهمه.

انقضت سنتي في كمبردج. ذهبت إلى العمل في تعليم الكبار. خلال سنتين نشر ت. إس.

إليوت Notes Towards the Definition of Culture (1948) - وهذا كتاب فهمته لكن لم أستطع تقبله - وعادت إليَ بقوة تلك الغرابة المحيرة التي عشتها في الأسابيع الأولى في كمبردج. بدأت أسبر الكلمة في فصول تعليم الكبار . الكلمات التي ربطتها بها، بسبب المشاكل التي أثارتها استعمالاتها في ذهني، كانت class طبقة و art فن، ثم industryجهد/ صناعة و democracy ديمقراطية . شعرت بأن هذه الكلمات الخمس تشكل معا بنية ما، كلما أمعنت في دراستها صارت العلاقات بينها أكثر تعقيداً. بدأت أكثف قراءاتي في محاولة لمعرفة أوضح في مغازيها. ثم في ذات يوم وكنت في الجزء تحت الأرضي من المكتبة العامة في سيفورد، حيث انتقلنا للسكن، بحثت عن كلمة culture بطريقة تكاد تكون عرضية في أحد المجلدات الثلاثة عشر لما نسميه الآن في العادة The Oxford New English Dictionary on Historical Principles: OED قاموس أكسفورد . كانت بمثابة صدمة معرفية. يبدو أن التحولات في المعنى التي كنت أحاول فهمها قد بدأت في اللغة الإنجليزية في أوائل القرن التاسع عشر. اتخذت الصلات التي لمستها في اللغة بين class طبقة و art فن، وبين industry جهد/ صناعة و democracy ديمقراطية ليس فقط شكلاً فكرياً ولكن أيضاً تاريخياً. ويمكنني أن أرى الآن تلك التحولات بطرق أكثر تداخلا وتعقيدا؛ فكلمة «ثقافة culture» نفسها لها الآن تاريخ - رغم اتصاله - مختلف. كانت هذه هي اللحظة التي اكتسب فيها بحث بدأ بمحاولة فهم عدة مشاكل معاصرة ملحة - مشاكل تتعلق فعلياً بفهم عالمي المباشر - شكلاً معيناً في محاولة فهم تراث . كان هذا هو العمل الذي اكتمل في 1956 وصار كتابا لي بعنوان *Culture and Society* الثقافة والمجتمع.

لم يكن من السهل عندئذ، وليس سهلا الآن، وصف هذا العمل وتصنيفه ضمن موضوع أكاديمي معين؛ صنف الكتاب تحت مسميات متنوِّعة تنوع تاريخ ثقافي، وعلم دلالات تاريخي، وتاريخ أفكار، ونقد اجتماعي وتاريخ أدبي، وعلم اجتماع. قد يكون هذا في بعض الأحيان محرجا أو حتى صعبا لكن المواضيع الأكاديمية ليست تصنيفات أزلية، والحقيقة أني، أملاً في طرح أسئلة عامة معينة بطرق محددة، وجدت أن الصلات التي أنشأتها، وأن مجال الاهتمام الذي حاولت تحديده كان قد خبرها وشارك فيها كثير من الناس الذين توجهت إليهم تلك الدراسة. ثمة معلم رئيسي في هذا المجال من الاهتمام كان هو: المفردات التي لم تكن المفردات المتخصصة لفرع معرفة متخصص وإن تداخلت كثيرا مع عدد منها، وإنما هي مفردات عامة تمتد من كلمات صريحة، صعبة ومقنعة متوفرة في الاستعمال اليومي، إلى كلمات أصبحت بعد نشوئها في سياقات متخصصة شائعة لوصف مجالات أوسع من الفكر والتجربة. من المهم ملاحظة أن هذه المفردات هي التي نتقاسمها مع الآخرين، في الغالب بطريقة منقوصة، عندما نرغب في مناقشة كثير من القضايا المركزية في حياتنا العامة. خير مثال هو الكلمة الصعبة الأولى: culture ثقافة. للكلمة معاني متخصصة في حقول دراسة معينة وقد يبدو أن الأمر يستحق فرزها. لكن ماجذب انتباهي في البداية كانت أهمية استعمالها العام والمتقلب: ليس في فروع المعرفة المختلفة ولكن في النقاش

العام. إن مجرد كونها مهمة في مجالين يعتبران منفصلين - الفن والمجتمع - أثار أسئلة جديدة وأوحي بأنواع جديدة من العلاقة. في متابعة هذا الأمر وجدت أن هذا ينطبق على مجموعة من الكلمات الهامة - بداية من aesthetic (a) جمالي إلى work (w) شغل - فبدأت في تجميعها ومحاولة فهمها. ويمكن القول أن الأهمية هنا تكمن في الإختيار. أدرك كم تبدو للآخرين إعتباطية بعض الكلمات التي ضُمّت وتلك المبعدة . لكن من حوالي مائتي كلمة اخترتها، لأني شاهدت أو سمعت استعمالها في نقاش عام بطرق بدت لي لافتة أو صعبة، انتقيت خمسين، وكتبت عنها ملاحظات ومقالات قصيرة بقصد إلحاقها بكتابي Culture and Society الذي تناول في نصه الرئيسي عدداً محدداً من الكتاب والمفكرين. لكنى عندما أنجزت الكتاب أشار إلى ناشري بضرورة اختصاره: إحدى المواد التي يمكن حذفها كانت هذا «الملحق». لم يكن لي مجال للإختيار. وافقت على مضض. حررت ملاحظة فيها وعد بأن تكون هذه المادة بحثاً مستقلا. لكن ملف الملحق ظل على الرف. لمدة تفوق عشرين عاماً كنت أضيف إليه: أجمع أمثلة أكثر، اكتشف نقاط تحليل جديدة وأضم كلمات أخرى. بدأت أشعر أن هذه المادة قد تكون كتاباً مستقلاً. فحصت كامل الملف مرة أخرى وأعدت كتابة كل التعليقات والمقالات القصيرة واستثنيت بعض الكلمات وأضفت أخرى. المؤلَّف الحالي هو النتيجة.

ركزت على هذه العملية لتكوين كتاب Keywords الكلمات المفاتيح لأن ذلك كما يبدو لي يوضح هدفه وحجمه. ليس هو قاموس أو مسرد لموضوع أكاديمي معين. ولا هو بمجموعة هوامش لتعريفات أو تواريخ قاموسية لعدد من الكلمات. إنه بالأحرى سجل لبحث في المفردات: مجموعة كلمات ومعاني مشتركة تستعمل في نقاشاتنا العامة جداً في الإنجليزية عن الممارسات والمؤسسات التي نصنفها على أنها culture ثقافة و society مجتمع. كل كلمة مختارة فرضت نفسها على انتباهي تقريباً، في وقت من الأوقات خلال نقاش ما، إذ بدا لي أن مشاكل معانيها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاكل التي استعملت لمناقشتها. غالباً ما نهضت من كتابة تعليق معين لأسمع الكلمة نفسها مرة أخرى بنفس الشعور بالأهمية والصعوبة: غالباً بالطبع في نقاش وجدل يتجهان إلى غاية مختلفة. بدأت أرى هذه التجربة كمشكلة مفردات وفقاً لمعنيين: معاني الكلمات المعروفة المتوفرة والمتطورة التي يجب تسجيلها؛ والعلاقات الواضحة، أو الضمنية في أحيان كثيرة، التي يقيمها الناس والتي يبدو لي مرة تلو الأخرى أنها صياغات خاصة للمعني - طرق ليست فقط للنقاش، وإنما على مستوى آخر لرؤية الكثير من تجاربنا الأساسية. ما توجب عليَ عمله عندئذ لم يكن مجرد تجميع أمثلة والبحث عن سجل استعمال معين أو مراجعته، لكن قدر استطاعتي تحليل بعض القضايا والمشاكل التي كانت تقبع هناك داخل المفردات، سواء ككلمات مستقلة أو في مجموعات معتادة. أطلقت على هذه اسم الكلمات المفاتيح Keywords بمعنيين مترابطين: هي كلمات هامة ملزمة في نشاطات معينة وشرحها؛ وهي كلمات دلالية هامة في صيغ معينة من الفكر. ثم استعمالات معينة ربطت معاً طرقاً معينة للنظر إلى الثقافة والمجتمع، ليس أقلها في هاتين الكلمتين

بالغتي العمومية. ثمة استعمالات أخرى بدا لي أنها تفتح قضايا ومشاكل، في نفس المجال العام، نحن في أشد الحاجة إلى أن نكون على وعي بها. إن التعليقات على قائمة كلمات، وتحليل تشكيلات معينة: هذان هما عنصرا المفردات الفعالة - طريقة تسجيل وتحري وعرض مشاكل المعني في المجال الذي تشكلت فيه معاني كلمتى ثقافة culture ومجتمع society.

بالطبع لا يمكن فهم كل القضايا فقط بتحليل الكلمات. على العكس، معظم القضايا الاجتماعية والفكرية، بما فيها كل من التطورات المتدرجة والخلافات والنزاعات الحاسمة، استمرت ضمن التحليل اللغوي أو أبعد منه. مع ذلك وجدت أن الكثير من هذه القضايا لا يمكن فعلياً التفكير فيها وحلها، بل إن بعضها فيما اعتقد لا يمكن تبلوره إلا إذا أدركنا أن الكلمات هي من صلب المشاكل. تجد وجهة النظر هذه قبولاً على شكل واسع. عندما أثرت أسئلتي الأولى عن الاستعمالات المختلفة لكلمة ثقافة culture أُعطيت الانطباع، بطرق لطيفة أو غير لطيفة، بأنها قد نشأت أساسا عن تعليم قاصر، ولما كان هذا صحيحاً (والحق أنه صحيح وينطبق على الجميع) فلقد ألقي ظلالاً على النقطة المثارة. إن الثقة الفائقة لأي استعمال معين لكلمة، ضمن مجموعة أو في فترة محددة، هي أمر يصعب الشك فيه. أتذكر خطاباً من القرن الثامن عشر:

> ما هو في رأيك معنى الكلمة sentimental عاطفي، التي هي موضة عند الطبقة الراقية...؟ شملت هذه الكلمة كل ما هو مقبول ورشيق ... أدهش كلما أسمع أن فلاناً رجل sentimental وجداني؛ كنا مجموعة sentimental وجدانية؛ كنت أقوم بنزهة sentimental رقيقة.

حسناً، إنتهت تلك الموضة. تغير معنى sentimental وتدهور. لم يعد السائل عن معنى هذه الكلمة يواجه بنظرة التحديق المألوفة المهذبة والباردة. يمكننا جميعا، عندما يكتمل السجل، أن نكون على بينة وفي ارتياح. أما بالنسبة للكلمات literature أدب وaesthetic جمالي و representative ممثل/مندوب و unconscious لاواع و liberal ليبرالي، وغيرها كثير، التي تبدو لي مثيرة للمشاكل ستبدو، في الدوائر المناسبة، واضحة تماماً واستعمالها الصحيح أمر مرتبط فقط بالتعليم. أو بالنسبة لـ class طبقة و democracy ديمقراطية و equality مساواة و evolution نشوء/تطور و materialism مادية: فهذه كلمات يجب أن نتجادل حولها لكننا نستطيع أن نربط استعمالات معينة بطوائف sects ثم نصف كل الفرق سوى فرقتنا بأنها طائفية sectarian. يمكن القول إن اللغة تعتمد على هذا النوع من الثقة، لكن نعرف أنه في أية لغة رئيسية، خاصة في فترات تغيير، يمكن وبسرعة أن تغدو هذه الثقة الضرورية هشة، وكذا الحرص على الوضوح إذا لم نواجه الأسئلة الملازمة.

لا تقتصر الأسئلة على المعني وحده؛ هي بالضرورة وفي معظم الحالات تدور حول المعاني. إن أول ما يفعله بعض الناس عند رؤية كلمة هو أن يقوموا بتعريفها. تصدر القواميس مدعية سلطة

مرجعية تتمثل في منحها ما يسمى «المعنى الدقيق» للكلمة، ولا يقلل من الثقة بها كونها محدودة بالزمان والمكان. مستخدما المراسلات في الصحف ونقاشات أخرى عامة، بدأت مرة تجميع تنويعات للعبارتين: «أرى من وبستري my Webster» أو «أجد من قاموس أكسفورد الخاص بي my Oxford». في العادة كان موضع النزاع عبارة صعبة في النقاش. لكن النبرة الفعلية لهاتين العبارتين، مع التأكيد اللافت المتعلق بالملكية (وبستري «my Webster») كان لاستحواذ معنى يلائم النقاش ويستثني تلك المعاني المزعجة التي كان شخص جاهل من الغباء بحيث يستعملها. طبيعي لو كنا نرغب معرفة معنى banxring أو boabab أو borilla، أو بنفس المقدار barbell أو basilica أو batik، أو بشكل أكثر وضوحا عن الكلمات barber أو barley أو barn فإن هذا النوع من التعريف مجزي. لكن هذه الطريقة بالنسبة لكلمات من نوع آخر، خاصة تلك التي ترتبط بأفكار وقيم، لن تكون فقط متعذرة وإنما ستكون أيضا غير ملائمة. تدرج القواميس التي يستعملها معظمنا، قواميس التعريف، وحسب قيمتها كقواميس، سلسلة range من المعاني كلها سائدة، وسيكون المهم هنا هو هذه السلسلة. ثم إذا ما مضينا إلى القواميس التاريخية، وإلى مقالات في علم الدلالات التاريخي والمعاصر، سنكون قد تجاوزنا تماما مدى «المعنى الصحيح». نجد تعقيداً وتاريخاً للمعاني؛ تغييرات واعية أو استعمالات مختلفة مقصودة؛ ابتكاراً، وإهمالاً، وتخصصاً، وتوسعاً، وتداخلاً، وتحولاً؛ أو تغييرات متنكرة وكأنها استمرار بحيث أن كلمات بدت وكأنها موجودة منذ قرون أصبحت تدل على معاني وتضمينات مختلفة جذرياً أو متفاوتة جذرياً وإن كان ذلك قد يصعب ملاحظته. من مثل تلك المصادر قد تقفز إلى انتباهنا كلمات مثل industry وfamily وnature؛ بعد سنين من الدراسة قد تظل موضع شك كلمات مثل class وrational وsubjective. في كل هذه الحالات، وفي مجال اهتمام معين نشأ بالطريقة التي وصفتها، استحوذت على فكري مشاكل المعنى وأدت إلى الإدراك العميق بصعوبة التعريف أيا كان نوعه.

الجهد الذي يضمه هذا الكتاب تم القيام به في مساحة تتجمع فيها عدة حقول معرفة لكنها بشكل عام لا تلتقي. اعتمد على مجالات عدة من المعرفة المتخصصة لكن هدفه هو جعل هذه، في الأمثلة المختارة، في متناول الجميع. ليس هذا مدعاة للإعتذار لكنه يتطلب شرحاً لبعض التعقيدات التي تنطوي عليها محاولة مثل هذه. يمكن تصنيف هذه تحت عنوانين عريضين : مشاكل معلومات ومشاكل نظرية.

مشاكل المعلومات حادة. مع ذلك فلكل من يبحث في بنية وتطور المعنى في اللغة الإنجليزية الميزة الفائقة لقاموس أكسفورد العظيم. إنه ليس فقط معلماً على التفوق البحثي لمحرريه Murray وBradley ومن تبعهما، لكنه أيضاً سجلّ لمجهود تعاوني استثنائي من العمل الأصلي للجمعية الفيلولوجية إلى مئات المراسلين اللاحقين. قليلة هي البحوث التي تجرى على كلمات معينة والتي تنتهي بمادة هذا القاموس العظيم، لكن بحوثا أقل يمكن أن تبدأ بثقة لو لم يكن موجوداً. أوافق وليام إمبسون Empson الذي عثر - في كتابه The Structure of Complex Words ـ على

أخطاء كثيرة في القاموس في قوله إن «عملاً على كلمات مفردة مثل ما استطعت القيام به قد اعتمد بشكل يكاد يكون تاماً على استعمال ذلك المؤلِّف المهيب كما هو». لكن ما وجدته في عملي عن قاموس اكسفورد OED، بعد تقديم الاعتراف بالفضل الضروري، يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط. كنت على وعي تام بالفترة التي أُلِّف فيها القاموس: في الواقع من ثمانينات القرن التاسع عشر إلى عشرينات القرن العشرين (يقدم أول مثال من سلسلة الملاحق Supplements الحالية إضافة بدلاً من تعديل). لهذا عيبان: بالنسبة لبعض الكلمات المهمة لا يتوفر عملياً دليل لاستعمال القرن العشرين المتطور؛ وفي حالات كثيرة، خاصة بالنسبة لعبارات سياسية واجتماعية حساسة، تبرز افتراضات الرأي السائد (الأرثودوكسي) في تلك الفترة أو تكون قريبة من السطح. كل من يقرأ قاموس دكتور جونسون العظيم يشعر حالاً بعقله المحازب والمؤثر بالإضافة إلى معرفته الفذة. أنا على وعي في تعليقاتي ومقالاتي بأنه بالرغم من أني أقدّم مجموعة المعاني إلا أن مواقفي وخياراتي ليست خافية تماما. أعتقد أن هذا أمر لا مفر منه وكل ما أقوله هو أن الانطباع العام بالموضوعية (لا شخصية) الهائلة الذي يبثه قاموس أكسفورد ليس على تلك الدرجة من الموضوعية أو كونه بحثاً تام التجرد، أو أنه بريء من القيم السياسية والاجتماعية المؤثرة كما قد يفترض من إستعماله من حين لآخر. في الواقع عندما تبحث فيه عن كثب فإنك أحياناً تحصل على نظرة ثاقبة آسرة على مايمكن تسميته إيديولوجية محرريه وأعتقد أنه يتوجب تقبل ذلك وأخذه بعين الإعتبار دون ذلك النمط من المراوغة الذي تنشره فكرة شائعة عن البحث. ثانياً، بالرغم من إهتمامه العميق بالمعاني فإن القاموس هو في الأساس فيلولوجي وإتيمولوجي؛ أحد آثار ذلك أنه أفضل بالنسبة لمجموعة المعاني وتنويعاتها من العلاقة والتفاعل. ولقد وجدت في حالات كثيرة وأنا أعمل بشكل رئيسي على معان وسياقاتها أن الدليل التاريخي فائق القيمة لكنى توصلت منه إلى نتائج مختلفة بل وأحياناً مناقضة. ثالثاً، في حالات معينة نُبهت بطريقة حادة جداً بما حدث مؤخرا في دراسات اللغة من تغيير في المنظور: لأسباب واضحة (على الأقل من التدريب الأرثودوكسي الأساسي في اللغات الميتة) اعتبرت اللغة المكتوبة هي مصدر المرجعية الحقيقي وأن اللغة المحكية في الواقع مشتقة منها؛ بينما نعرف الآن بوضوح أن الوضع الصائب هو عكس ذلك. النتائج معقدة. في عدد من الكلمات الفكرية بشكل رئيسي تشكّل اللغة المكتوبة المرجع الأقرب إلى الحقيقة. لو أردنا تتبع كلمة psychology السجل كاف على الأرجح حتى أواخر القرن التاسع عشر. أما إذا شئنا تتبع كلمة job فإننا نلاحظ حالاً أن تطورات المعنى في كل مرحلة لا بد وأن حدثت في الكلام اليومي زمناً قبل إدراجها في السجل المكتوب. هذا قصور يجب أخذه في الاعتبار ليس فقط بالنسبة للقاموس ولكن في أي تدوين تاريخي. في الواقع بعض التقصير أو الانحياز في بعض المجالات لا مفر منه. يجب دوماً قراءة الإشارات الزمنية للأصل والتحوّل بهذا التحفّظ والشرط. يمكنني إعطاء مثال من تجربة شخصية. في مراجعتي الملحق Supplement الأخير أبحث عن الاستعمال

المعاصر العام للكلمة communications وجدت مثالاً وتاريخاً تصادف أن كانا من أحد مقالاتي. والآن لقد اتضح أن في الامكان ليس فقط العثور على أمثلة مكتوبة من تاريخ أسبق وإنما أن هذا المعنى كان مستعملاً في الحديث وفي النقاش - وفي اللغة الإنجليزية الأمريكية - قبل ذلك بكثير. لا أبين ذلك من أجل الانتقاد. بالعكس، هذه الحقيقة عن القاموس هي حقيقة عن كل عمل من هذا النوع ويجب تذكرها خاصة عند قراءة ما دونته هنا.

أضفت، بالنسبة لكلمات معينة، عدداً من أمثلتي الخاصة وذلك من قراءاتي العامة أو المحددة. لكن كل تدوين لا بد بالطبع وأن يكون قاصراً بصورة خطيرة، كما ولا بد أيضا أن يكون إنتقائياً. إن مشاكل المعلومات الكافية حادة بل قد تكون معطِّلة، لكن ليس في الإمكان دائماً الإشارة إليها بطريقة مناسبة أثناء التحليل. مع ذلك يجب تذكرها دوماً. هناك قصور معين كنت على وعي كبير به. معظم الكلمات الأهم التي عملت عليها طورت معاني رئيسية في لغات سوى الإنجليزية، أو مرت عبر تطور معقد ومتفاعل في عدد من اللغات الرئيسية. وحيث تمكنت جزئياً من القيام بذلك، كما هو الحال مع alienation أو culture، فالأهمية من الوضوح حتى لنفتقدها إذا ما تعذر مثل ذلك التقصي. إن القيام بدراسات مقارنة مماثلة بطريقة مرضية سيكون جهداً تعاونياً دولياً عظيماً، وصعوبة ذلك تقدم التبرير الكافي. واجه بحث في معاني كلمة democracy ديمقراطية رعته اليونسكو، وكان الهدف منه أن يكون شاملاً ومقارناً، صعوبات كثيرة من هذا النوع، على الرغم من أن التقرير المحدود الذي لجأ إليه نيس Naess وزملاؤه كان مفيداً للغاية. لدي تجربة كافية في محاولتي مناقشة تعبيرين ماركسيين رئيسيين base - قاعدة و superstructure بنية فوقية - ليس فقط بسبب علاقتهما بأصولهما الألمانية وإنما كذلك بحديثي مع أصدقاء من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا والسويد حول صيغ هاتين الكلمتين في هذه اللغات الأخرى، إذ تبين لي كم هي النتائج صعبة وآسرة، كما تيقنت من أن مثل هذا التحليل المقارن حاسم في أهميته ليس فقط فيلولوجيا ولكن أيضا كقضية مركزية في الوضوح الفكري. إن الأمل عظيم في توفر سبل لتشجيع ودعم مثل هذه البحوث المقارنة، لكن في الوقت الراهن يجب ملاحظة أنه بينما حدثت بعض التطورات الرئيسية التي لها أهمية عالمية الآن في الإنجليزية أولاً، هناك تطورات كثيرة تمت في لغات أخرى، وبالتالي لا يمكن فهمها في نهاية المطاف إلا بالمقارنة المنتظمة بين هذه اللغات. على القراء ملاحظة هذا وتذكر هذا التقييد في تعليقاتي ومقالاتي. هذا التقييد يبرز بشكل خاص في التطورات المبكرة جدا في اللغات الكلاسيكية وفي لاتينية القرون الوسطي، حيث اعتمدت ببساطة بشكل يكاد يكون كاملا بانتظام على المراجع المتوفرة، بالرغم من بقاء كثير من الأسئلة مثارة في ذهني. هذا صحيح حقا على مستوى الأصول من كل ضرب ويجب اعتباره تحفظاً مهماً .

يثير هذا إحدى المشاكل النظرية. من المعتاد التحدث عن معنى «صحيح» أو «دقيق» لكلمة، وذلك بالرجوع إلى الأصل. أحد آثار هذا النوع من التعليم الكلاسيكي، خاصة بالتضافر مع نظرة محددة لوظيفة القواميس كمعرِّفة، هو إنتاج ما يمكن تسميته موقفاً خاشعا «sacral» تجاه الكلمات وما يقابله من شكاوى عن سوء فهم أوسوء استعمال فج في الوقت الحاضر. إن المعاني الأصلية للكلمات دائماً ما تحظى بالاهتمام، لكن ما هو في الغالب أكثر إثارة للانتباه هو التنويعات اللاحقة. التذمر الذي تنشره الصحف حول سوء استعمال الكلمات الفج يكون دائما حول تطورات حديثة جداً. سيبين أي اختيار عشوائي من التطورات الفعلية للمعنى أن ما يعتبر إنجليزية «فصيحة correct»، والذى غالبا مايتضمن الكثيرمن الكلمات التي تستعملها مثل هذه الشكاوى، إنما هو نتيجة لمثل هذا النوع من التغيير. الأمثلة من الكثرة بحيث لا يمكن إيرادها هنا، لكن القارئ مدعو ليتأمل عددا محدودا فقط: interest أو determine أو improve، وربما كانت الكلمات organic وevolution وindividual أمثلة أكثر وضوحا. في الغالب قدم لي اكتشاف أصل مفتاحاً للتحليل، لكن لا مجال، سواء على مستوى الممارسة أو التنظير، للتسليم بأن المعنى الأصلي هو الحاسم (وإلا فأين موقعنا من aesthetic؟) أو التسليم بمصدر مشترك على أنه الموجِّه (وإلا فأين سنكون بالنسبة لكلمات peasant وpagan، أو idiot وidiom، أو employ وimply ؟). تشمل حيوية أية لغة كل نوع من التوسع والتنويع والتحور، ينطبق هذا على التغيير في زمننا (مهما قد نأسي لأمثلة معينة) مثلما ينطبق على التغييرات في الماضي التي يمكن الآن إعطاؤها مظهراً sacral. (كلمة sacral نفسها هي خير مثال؛ فإن التوسع من معناها البدني الذي دل على «عجز/شرج» إلى معناها المضمن الازدرائي الدال على موقف من the sacred المقدس ليس دعابة من عندي وإنما هو دعابة هادفة ومن ثم فهو إستعمال هادف.)

المشاكل النظرية الأخري أشد تعقيداً. هناك مشاكل أساسية ومعقدة جداً في أي تحليل لعمليات المعنى. يمكن بطريقة مفيدة فرز بعضها بصفتها مشاكل دلالة عامة: العلاقات الصعبة بين الكلمات والمفاهيم؛ أو العمليات العامة للمعنى والإشارة؛ بل وإلى أبعد من هذه، هناك القواعد العامة في المعايير الاجتماعية وفي نظام اللغة نفسها، التي تمكن من توليد المعنى والإشارة وتمكن كذلك، ولحد كبير من ضبطها. فحصت هذه المشاكل بانتظام وبطريقة مجدية في فلسفة اللغة وفى اللغويات النظرية ولا شك في أنها كمشاكل أساسية تؤثر كثيرا في تحليل معين.

لكن، ولأن كلمة «معنى meaning» بأي مفهوم فعال هي أكثر من عملية الدلالة «signification» العامة، ولأن «المعايير» و«القواعد» هي أكثر من خصائص أي نظام أو عملية مجردة فإن أنواعاً أخرى من التحليل تظل ضرورية. إن تركيز تحليلي هو بطريقة مدروسة اجتماعي وتاريخي. أما بالنسبة لأمور المرجعية والادراك التي تشكل تحليلياً الأساس لأي استعمال فإنه من الضروري الإصرار على أن مشاكل المعنى الأكثر تأثيراً دائماً تكمن داخل علاقات فعلية وأن كلاً

من المعاني والعلاقات بطريقة نمطية متنوع ومتقلب ضمن بنيات نظم اجتماعية معينة وعمليات التغيير الاجتماعي والتاريخي.

لا يعني هذا أن اللغة تعكس فقط عمليات المجتمع والتاريخ. على العكس، هدف جوهري لهذا الكتاب هو إثبات أن بعض العمليات التاريخية والاجتماعية تحدث «داخل» اللغة بطرق تبين إلى أي مدى تتكامل فعلاً مشاكل المعاني ومشاكل العلاقات. أنواع جديدة من العلاقة بالإضافة إلى طرق جديدة لرؤية علاقات قائمة تظهر في اللغة في أشكال مختلفة: في سك كلمات جديدة (capitalism)؛ في تبني وتحوير (في الواقع أحياناً قلب) تعابير قديمة (society أو individual)؛ في توسع (interest) أو نقل (exploitation). لكن كما يجب أن تذكرنا هذه الأمثلة فإن التغييرات ليست دائماً بسيطة أو نهائية. تتعايش معاني سابقة ولاحقة أو تصبح فعلاً بدائل تتم فيها منازعة ونقاش مسائل الاعتقاد أو الانتماء المعاصرة. من المؤكد ضرورة تحليل هذه المشاكل وأخرى لاحقة على أنها مشاكل دلالة عامة لكن تركيزي هنا يقع على مفردات المعاني في مجال جدل واهتمام تم اختياره بطريقة مدروسة.

كان منطلقي، كما ذكرت، ما يمكن تسميته بالعنقود، مجموعة معينة لما أصبح يبدو كلمات ومراجع مترابطة والتي منها تطور فيما بعد اختياري الأشمل. لذا فإن الهدف الجوهري للكتاب هو التوكيد على الترابطات التي يبدو لي أن بعضها منهجية بطرق جديدة على الرغم من مشاكل العرض التي سأناقشها. يمكن الجدل بالطبع حول ضرورة عدم فصل الكلمات المفردة حيث أنها تعتمد في معانيها على سياقها الفعلي. على مستوى معين يمكن التسليم بذلك بسهولة. في الواقع كثير من المعاني المتغيرة التي حلّلتها حددها السياق. لذا أوضح بشكل رئيسي المعاني المختلفة عن طريق أمثلة فعلية من استعمال مسجل.

لكن لا يمكن أبداً إلغاء مشكلة المعنى تماماً في السياق. صحيح إنه في النهاية لا تقوم أبداً كلمة بمفردها حيث أنها دائماً جزء من العملية الاجتماعية للغة وتعتمد استعمالاتها على الخصائص المنهجية المعقدة (لكن المتغيرة) للغة نفسها. مع ذلك يظل مفيداً اختيار كلمات معينة، من النوع الإشكالي، ومؤقتا دراسة بنياتها وتطوراتها الداخلية. هذا هو الوضع حتى عندما يهمل التقييد «مؤقتاً» من قبل صنف قارئ مقتنع بالإصرار على حقائق العلاقة والتفاعل التي منها نشأ البحث ككل. في أنواع اختزالية من التحليل فقط يمكن دراسة عمليات العلاقة والتفاعل كما لو كانت علاقات بين وحدات بسيطة. في الواقع نشأ كثير من هذه العمليات ضمن المعنى المعقد والمتغير لكلمات معينة والطريقة الوحيدة لإيضاح ذلك، كأمثلة على كيف تتطور شبكات من الاستعمال والإسناد والمتطور، هي في التركيز «مؤقتاً» على ما يمكن عندئذ ملاحظته على وجه الدقة كبنيات داخلية. هذا ليس للإعاقة ولكن ليصبح في الإمكان مفهوم مفردات متوسعة ومعقدة تكون ضمنها كل من الكلمات المتغيرة وعلاقاتها المتغيرة والمتنوعة في الواقع فعالة.

إذاً دراسة كل من المعاني المعينة والمترابطة عند كتاب ومتحدثين مختلفين وفي الزمن التاريخي وعبره هي اختيار مدروس. القيود واضحة ومسلم بها. التركيز بنفس المقدار واضح وواع. أحد أنواع علم المعاني دراسة المعنى كما هو؛ نوع آخر هو دراسة نظم الدلالة الرسمية. نوع علم المعاني الذي تنتمي إليه هذه التعليقات والمقالات هو أحد الاتجاهات ضمن علم المعاني التاريخي: اتجاه يمكن بطريقة دقيقة تحديده عندما نضيف بأن التركيز ليس فقط على الأصول والتطورات التاريخية ولكن أيضاً على الحاضر - المعاني والعلاقات والتضمينات في الزمن الحاضر - كتاريخ. يعترف هذا، كما يتوجب على أية دراسة لغة، بأن هناك جماعة/اتحاد community بين الماضي والحاضر لكن كذلك بأن community ـ تلك الكلمة الصعبة ـ ليست هي المسمى الوحيد الممكن لتلك العلاقات بين الماضي والحاضر؛ وبأن هناك أيضاً نزاع وانقطاع وتغيير جذري وأن كل هذه ما زالت مجال خلاف وأنها فعلاً مستمرة الحدوث. المفردات التي اخترتها هي تلك التي يبدو لي تشمل الكلمات الأساسية التي يستخدم فيها في هذا المجال كل من الاستمرار والانقطاع وكذلك نزاعات شديدة في القيم والاعتقاد. كذلك يجب بالطبع وصف عمليات مثل هذه بطريقة مباشرة في تحليل نظم المفاهيم وقيم المجتمع المختلفة. ما تسعى هذه التعليقات والمقالات إلى الإسهام به هو نوع إضافي من المقاربة وذلك عن طريق المفردات ذاتها.

ذلك لأني أعتقد أنه ممكن الإسهام بأنواع معينة من الإدراك وأنواع معينة أكثر محدودية من الإيضاح عن طريق تناول كلمات معينة في المستوى الذي تستخدم فيه عادة وهذا كان، لأسباب على الأرجح توضحها أو لها صلة بأعمالي الأخرى، هدفي الأسمى. لدي مادة أكثر من كافية عن كلمات معينة (مثلاً class وculture) وعن تشكيلات معينة (مثلاً art و aesthetic وsubjective وpsychological وunconscious) لكتابة - كبديل - دراسات متخصصة موسعة بعضها في حجم كتاب. قد أفعل ذلك في النهاية، لكن اختيار شكل عام ومدى أوسع كان مقصوداً. لا أؤيد نظرة التفاؤل - أو النظريات التي تدعمها - بالنسبة لذلك النوع من علم المعاني من فترة ما بين الحربين وما بعدها، والذي افترض فيه أن إيضاح الكلمات الصعبة سيسهم في حل الخلافات التي تنشأ بسببها لكنها كثيرا ما تتسبب في الفوضى والإرباك. أعتقد أن فهم تعقيدات معاني كلمة class لا يسهم الا بالقليل جدا في حل الخلافات الفعلية للطبقة والنضال الطبقي. ليس الأمر فقط أن لا أحد بوسعه «تصفية لهجة القبيلة»، وأن لا أحد ممن يرى أنه حقا عضو في مجتمع، يعرف أكثر من أن المحاولة بهذه الصيغة عديمة الجدوى. كذلك فالتنوعات والاضطراب في المعنى ليست فقط أخطاء في النظام أو غلطات في الاسترجاع feedback، أو قصوراً في التعليم. إنما هي حسب رأيي ذات تكوين تاريخي ومعاصر في الكثير من الحالات. والحق أنه كثيرا ما كان يصر عليها كتنويعات، لا لسبب إلا لأنها تجسد خبرات مختلفة وقراءات، وسيستمر ذلك قائماً في العلاقات الفعلية وفي النزاعات، رغم محاولات الإيضاح من قبل الباحثين واللجان. إن ما يمكن فعلاً

الإسهام به ليس فض النزاع، وإنما ربما، في بعض الأحيان، فقط تلك «الحافة» من الوعي. في تاريخ اجتماعي تشكلت فيه كثير من المعاني الحاسمة من قبل الطبقة المهيمنة ومن قبل مهن معينة تعمل إلى حد كبير حسب شروطها، فإن معنى «حافة» دقيق. هذه ليست مراجعة محايدة للمعاني. إنها فحص لمفردات مجال هام من النقاش الثقافي والاجتماعي، نقاش ورث داخل ظروف اجتماعية وتاريخية دقيقة وأصبح من الضروري جعله في نفس الوقت واعياً وحاسماً - عرضة للتغيير كما هو عرضة للاستمرار - إذا كان للملايين من الناس الذين تنبض فيهم أن يعتبروها فعالة: هي ليست تراثاً يلقن، ولا هي إجماعاً يسلم به، ولا مجموعة من المعاني لها سلطة طبيعية لأنها «لغتنا»؛ وإنما كتشكيل وإعادة تشكيل في ظروف واقعية، ومن وجهات نظر بالغة الأهمية وعميقة الاختلاف: مفردات للاستعمال، نغيرها عندما نجد ضرورة لتغييرها بينما نشق طريقنا ونحن نستمر في صنع لغتنا وتاريخنا.

في الكتابة عن حقل المعاني غالباً ما تمنيت أن تبتكر صيغة للتقديم توضح كيف ترتبط تحليلات كلمات معينة، جوهريا، بطرق أحياناً ما تكون معقدة. يبدو أن التدوين الأبجدي الذي استقريت عليه يحجب هذا في أحوال كثيرة، وإن كان استعمال الإحالات المتقاطعة cross-references لابد أن يذكر بالعلاقات الضرورية الكثيرة. تكمن الصعوبة في أن أي ترتيب آخر، حسب المجال أو الموضوع، سيقيم مجموعة علاقات بينما يطمس أخرى. لو وضعت مثلاً representative في مجموعة من كلمات سياسية ربما تتمركز حول democracy، فقد نغفل عن نقطة مهمة في التداخل بين حكومة نيابية representative government وفن تمثيلي representative art. أو لو وضعت كلمة realism في مجموعة كلمات أدبية مركزها literature أو art فقد نلاحظ بسهولة تداخلاً من نوع آخر، له إيحاءات فلسفية عند وصف مواقف في الأعمال والسياسة. من السهل جداً كتابة وتصنيف مفردات متخصصة لمواضيع أكاديمية معروفة ومستقلة ولمجالات اهتمام واضحة ولكل هذه بالطبع فوائدها. يمكن لقوائم الكلمات أن تكون أشمل ويمكن تجنب مشاكل التداخل عن طريق الاقتصار المدروس على معاني التخصص. لكن، ولما كان بحثي كله داخل مجال المعاني العامة وعلاقات المعاني، فإنني لم أتمكن من الكمال ولا من التقييد الواعي لمجالات متخصصة مقصودة. في تناولي نقاشاً عاماً للثقافة والمجتمع فقدت دعائم التصنيف التقليدي حسب الموضوع ومن ثم اضطررت للاحتفاظ بالتصنيف التقليدي الأبسط: الترتيب الأبجدي. ومع ذلك، وبما أن الكتاب لا يكتمل إلا بقراءاته فإني آمل أن يسهل الترتيب الأبجدي الاستعمال المباشر، ثم يوحي للقارئ بأنواع أخرى من العلاقة والمقارنة وقد يشجع على المواصلة عن طريق اختيار وترتيب مختلف تماماً.

في هذا، كما في نواحي أخرى، فإننى على وعي فائق بكمّ القراءة والتفكير الذي يتطلب لإنجازه. ومعظمه في الواقع لا يتم إلا من خلال النقاش، الذي هو من بين أغراض هذا الكتاب. ولقد توجب علي كثيرا أن أتوقف عندما يلزم نوع آخر من التحليل - نقاش نظري موسع أو بحث

تاريخي واجتماعي مفصل. السير في هذه الاتجاهات الأخرى كان يعني حصر عدد الكلمات المدروسة ونطاقها ولقد كان لهذا المجال المقام الأول في هذا الكتاب على الأقل. لكن يمكن أيضاً القول بأن هذا كتاب يرحب فيه المؤلف، بكل تأكيد، بالتعديل والتصحيح والإضافة علاوة على الرسائل والتعليقات المعتادة. إن طبيعة المشروع ككل هي من هذا النوع. هنا مجال هام من المفردات. إن مايمكن عمله في القواميس محدود بالضرورة بشموليتها التامة وبالمقياس الزمني الطويل للمراجعة التي يفرضها ذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى.

البحث الحالي أكثر محدودية - فهو ليس قاموساً ولكن مفردات - ممايجعله أكثر مرونة. كان ناشر الكتاب من اللطف بحيث ترك صفحات بيضاء، ليس فقط لتسجيل ملاحظات وإنما كإشارة إلى أن البحث لم يكتمل بعد وأن المؤلف يرحب بكل التعديلات والتصحيحات والإضافات. في استعمال لغتنا المشتركة، في مجال بهذه الأهمية، هذه هي الروح التي يمكن فيها لهذا العمل أن ينجز بدقة.

يتوجب علي شكر أشخاص أكثر مما أستطيع أن أذكرهم أسهموا في هذه التحليلات عبر السنين في أنواع كثيرة من النقاش الرسمي وغير الرسمي. يجب كذلك بصفة خاصة أن أشكر محرري Mr. R.B Woodings الذي لم يكن فقط مساعداً فائقاً بالنسبة للكتاب وإنما كزميل سابق زارني في اللحظة التي كنت أقرر فيها ما إذا كان الملف سيصبح كتاباً وكان تشجيعه عندئذ حاسما. ساعدتني زوجتي عن قرب في كل مراحل الكتاب. عليّ أيضا أن أسجل مساعدة Mr. W.G. Heyman العملية الذي أخبرني كطالب عندي في فصل تعليم كبار بعد مناقشة إحدى الكلمات أنه قد بدأ وهو شاب في شراء الأجزاء الورقية لقاموس اكسفورد العظيم، ثم فاجأني فيما بعد بحضوره الفصل ومعه ثلاثة صناديق كرتونية مليئة بها، وألح علي أن أقبلها. أكن شعوراً خاصاً لذكراه، وعبرها للأجزاء الورقية هذه نفسها - وهي تختلف تماماً عن المجلدات والورق المصقول في نسخ المكتبات؛ الورق الخشن غير المقصوص المصفر والمفتت، العناوين الباقية في الذاكرة التي استعملتها عبر السنين: من Deject إلى Deprevation، منHeel إلى Hod، من R إلى Reactive وهكذا. هذا كتاب صغير أقدمه مقابل هذا المقدار من الاهتمام واللطف.

ريموند وليمز

كمبردج، 1975، 1983

جمالي (الجمالية) AESTHETIC

ظهر التعبير أول ما ظهر في اللغة الإنجليزية في بداية القرن التاسع عشر ولم ينتشر قبل منتصفه، وعلى الرغم من صيغته اليونانية فإنه مستعار من الألمانية بعد تطور خلافي ونقدي في تلك اللغة. في البداية استخدم في صيغته اللاتينية كعنوان لمؤلف من جزأين: الجماليات (1750-1758) Aesthetica لمؤلفه الكسندر باومجارتن Alexander Baumgarten (1714 - 1762). عرّف باومجارتن الجمال «beauty» بالكمال المدرك بالحواس، وتكمن أهمية ذلك، بالنسبة للفن، وضع هذا التعريف كثيراً من التركيز على الإدراك من خلال الحواس، وهو ما يفسر كلمة باومجارتن الجديدة في جوهرها والمشتقة في الأساس من «aisthesis» اليونانية التي تعني الإدراك الحسي. في اليونانية كانت الإشارة الأساسية إلى أشياء مادية، أي أشياء يتم إدراكها عن طريق الحواس تمييزا لها عن أشياء غير مادية أو تلك التي لا تدرك إلا من خلال إعمال الفكر. كان استعمال باومجارتن الجديد جزءاً من التركيز على النشاط الذاتي للحواس وعلى الإبداع الإنساني المتخصص للفن الذي أصبح سائدا في هذه الحقول، والذي ورث هذه الكلمة - العنوان، على الرغم من أن الكتاب لم يترجم وكان محدود التوزيع. لدى كانت Kant أيضاً كان الجمال يعتبر في الأساس وبشكل حصري ظاهرة حسّية لكنه اعترض على استعمال باومجارتن وعرّف علم الجمال «aesthetics» بالمعنى اليوناني الأصلي والأشمل لعلم «حالات الإدراك الحسّي». ولقد وجد كلا الاستعمالين في أمثلة إنجليزية متفرقة (أوائل القرن 19)، لكن عند منتصف القرن التاسع عشر تصبح الإشارة إلى «الجمال» «the beautiful» مسيطرة، وهناك ارتباط قوي منتظم بالفن. في 1879 استعمل لويز Lewes تهجية اشتقاقية مختلفة «aesthesics» في تعريفه لـ «العلم المجرّد للشعور». لكن «anaesthesia»، وهي قصور في الإحساس البدني، كانت تستخدم من أوائل ق 18 ومن منتصف ق 19، ومع تقدم الطب استعملت «anaesthetic» ـ صيغة النفي للصفة المتزايدة في شعبيتها - بشكل واسع بالمعنى الأساسي الشامل لتدل على الحرمان من الشعور أو العامل المسبّب لهذا الحرمان. قاد هذا الاستعمال المباشر لصيغة النفي في النهاية إلى صيغ نفي أخرى مثل «unaesthetic» و«nonaesthetic»، اللتان لهما صلة بالاستعمال السائد الذي يدلّ على الجمال أو الفن.

تمنّى كولردج «Coleridge» في 1821 أن يستطيع العثور على كلمة مألوفة أكثر من «aesthetics» لأعمال «الذوق» «TASTE» و«النقد» CRITICISM (أنظر المصطلح: 31)، وحتى 1842 كان يشار إلى «aesthetics» على أنها «عبارة سخيفة متحذلقة». في 1859،

ورغم فهم السير وليام هاملتون لها «كفلسفة الذوق» و«نظرية الفنون الجميلة»، و«علم الأشياء الجميلة»، الخ، ورغم اعترافه بتقبلها العام «ليس فقط في ألمانيا ولكن أيضاً في كل بقية دول أوربا»، فإنه ظل يعتقد أن «apolaustic» كانت أكثر ملاءمة. لكن الكلمة ترسّخت وأصبحت على نحو متزايد شائعة مع التباس مستمر (هذا الالتباس كان ضمن النظرية نفسها التي أدت إلى سنّ هذه الكلمة) بين الإحالة إلى الفن والإشارة الأعم إلى الأشياء الجميلة. بحلول 1880 أصبح الإسم «محب الجمال» «aesthete» منتشر الاستعمال وفي أغلب الحالات بشكل ازدرائي. نمت مهاجمة مبادئ وممارسات «الحركة الجمالية» التي تكونت حول ولتر باتر Walter Pater والاستهزاء بها (أفضل مثال لا يزال في الذاكرة هو عمل جلبرت Gilbert : Patience (1880). يتزامن هذا مع رد فعل مشابه حول استعمال ماثيو آرنولد وآخرين لكلمة «ثقافة» «culture». لم تستعد «aesthete» إيجابيتها بعد هذا الاستعمال، والاسم الحيادي المتعلق بالجمالية كدراسة نظامية هو الكلمة الأقدم (م ق 19) aesthetician. بعيداً عن استعمالاتها المتخصصة في نقاش الأدب والفن فإن الصفة «aesthetic» تشير الآن في استعمالها العام إلى مسائل المظهر والتأثير النظري.

واضح من هذا السرد التاريخي أن كلمة «aesthetic» بدلالاتها المتخصصة للفن ART (ا م)، للمظهر النظري، وإلى صنف ما هو «جميل» و«بديع»، هي تشكيل رئيسي في مجموعة من المعاني، وهي في نفس الوقت تؤكد وتعزل نشاط الحس الذاتي SUBJECTIVE (ا م) كأساس للفن والجمال في تمييز له عن، مثلاً، التفسيرات الاجتماعية والثقافية. إنها تشكل عنصرا في التفكير الحديث المنقسم في نظرته إلى الفن والمجتمع. إنها دلالة بعيدة عن الاستعمال الاجتماعي والتقييم الاجتماعي، يقصد بها، مثل معنى خاص للثقافة، التعبير عن بعد إنساني يبدو أن التفسير الطاغي لـ«مجتمع» يقصيها. يمكن فهم التوكيد لكن العزل قد يكون مضرّاً، فهناك الآن نظرة تهميشية وإقصائية بشكل عارم في العبارة الشاملة والمقيدة: «اعتبارات جمالية»، خاصة عند مقارنتها باعتبارات عملية practical أو نفعية UTILITARIAN (ا م) التي هي عناصر من نفس التقسيم الأساسي.

استلاب ALIENATION

هذه الآن واحدة من أصعب الكلمات في اللغة. بمعزل تام عن استعمالها الشائع في سياقات عامة، فإنها تحمل معاني محدّدة مختلف عليها في نطاق من المعرفة يمتد من

النظرية الاجتماعية والاقتصادية إلى الفلسفة وعلم النفس. إضافة إلى ذلك، منذ منتصف القرن العشرين، انتقلت من مجالات مختلفة في هذه المعارف إلى استعمالات عامة جديدة تكون فيها الكلمة عادة مشوشة بسبب التداخل والالتباس لكل من المعاني المحّددة المختلفة والمعاني القديمة الأعم.

على الرغم من أن لها مظهر المصطلح المعاصر فإنها كلمة موجودة في اللغة الإنجليزية منذ قرون بمدى واسع من المعاني لا يزال سارياً. سابقتها المباشرة هي aliénacion، فرنسية قروسطية، من alienationem، لاتينية، من (س ب) :alienare يجعل غريبا أو يجعل غيريا؛ هذه لها صلة بـ alienus، لاتينية: تخص أو تنتمي إلى شخص أو مكان آخر، من (س ب) : alius آخر، غير. استخدمت في الإنجليزية من ق 14 لوصف فعل الإقصاء أو حالة الإبعاد، (1): في المعتاد بخصوص القطيعة مع الإله أو كون المرء محروما من الإله، أو انهيار العلاقات بين رجل أو مجموعة وسلطة سياسية ما معترف بها. من ثم استعمالها من ق 15 لوصف عملية نقل ملكية أي شيء من طرف إلى آخر، (2): خاصة نقل حقوق أو ممتلكات أو أموال. في البداية كانت هناك معاني ثانوية إضافية لمعنى (2) حيث يكون النقل بحيلة من المستفيد (اختلاس) أو حيث يعتبر النقل تحولا عن المالك الأصلي أو الغرض الملائم. طغت في النهاية هذه المعاني السلبية لـ (2) واستمر المعنى القانوني لنقل طوعي ومقصود، لكن أصبح النقل غير الملائم، غير الطوعي أو حتى القسري، هو المفهوم الطاغي. ثم زاد التوسع ليشمل، إضافة إلى ذلك، نتائج مثل هذا النقل، حالة كون شيء تم استلابه (3). بالقياس، استعملت الكلمة، كما حدث في اللاتينية، بشكل أوسع (من ق 15) لتعني فقدان، تراجع أو تعطيل المقدرات الذهنية وبالتالي الجنون(4).

بشكل أو آخر تم الرجوع إلى كل هذه الدلالات السابقة في نطاق المعاني المحدّدة المعاصرة وفي معظم الاستعمالات الناجمة عن ذلك. بحلول أوائل ق 20 استعملت الكلمة استعمالاً شائعاً بطريقة رئيسية في سياقين محدّدين: نقل ممتلكات رسمية alienation، وفي العبارة: «استلاب العاطفة» «alienation of affection» (من م ق 19) بمعنى التدخل المقصود والمدبر في العلاقة العائلية المعتادة، خاصة تلك التي بين الزوج والزوجة. لكن أصبحت الكلمة فعلاً مهمة، بل أصبحت في بعض الأحيان مفهوماً أساسياً، في نظم ذهنية قوية ومتطوّرة.

هناك عدة صيغ معاصرة لمعنى (1). هناك المعنى الديني المتبقي الذي عادة ما يدل

على حالة بدلاً من فعل العزل أو الإقصاء عن معرفة الله أو عن رحمته أو عبادته. في بعض الأحيان يتداخل هذا مع استعمال أعمّ له أصل أكيد عند روسّو، حيث يعتبر المرء معزولاً أو مقصيا عن طبيعته الأساسية. هناك عدة صيغ لذلك بين الوضعين الأقْصيين المحدّدين للإنسان وهو مبعد عن طبيعته «الأصلية» (غالباً تاريخياً بدائية) والإنسان وهو مبعد عن طبيعته «الجوهرية» (متأصلة ودائمة). تختلف الأسباب المقدمة اختلافاً كبيراً. هناك شعور ملح بفقدان الطبيعة الإنسانية الأصلية من خلال تطوّر حضارة CIVILIZATION (ا م) «مصطنعة»؛ يكون عندئذ التغلّب على الاستلاب إمّا عن طريق بدائية فعلية أوغرس شعور وممارسة إنسانية ضمن إكراهات الحضارة. في حالة الاغتراب عن الطبيعة الجوهرية الصيغتان الأكثر شيوعاً هما المعنى الديني للاغتراب عن الإلهي في الإنسان، والمعنى السائد لدى فرويد والسيكولوجيا الواقعة تحت تأثيره، حيث الإنسان يغترب (أيضاً عن طريق الحضارة أو أطوار وممارسات الحضارة) عن طاقته الرئيسية وهي إما شهوة جنسية كامنة أو ظاهرة. هنا التغلّب على الاستلاب يكون إما عن طريق استعادة شعور بالمقدّس أو، كما في تقليد بديل، استعادة كاملة أو جزئية للشهوة أو النشاط الجنسي، وهذه إمكانية تعتبر صعبة أو متعذّرة (الاستلاب بهذا المعنى هو جزء من الثمن المدفوع في سبيل الحضارة) أو تعتبر من منظور آخر جذرية ومنظّمة (نهاية أشكال معينة من الكبْت - الرأسمالية CAPITALISM، العائلة البرجوازية BOURGEOIS FAMILY (ا م م) - التي تخلق هذا الاستلاب الجوهري).

هناك تعديل مهم لمعنى (1) عن طريق إضافة صيغ من معنى (2) عند هيجل أو، كبديل له، ماركس. ما يتم استلابه هنا هو طبيعة جوهرية، «روح ذاتية الاستلاب»، لكن تعتبر عملية الاستلاب تاريخية. في الحقيقة يصنع الإنسان طبيعته، وفي ذلك تعارض مع مفاهيم الطبيعة البشرية الأصلية. إنه يصنع طبيعته عن طريق موضعة (لدى هيجل هذه عملية روحية، لدى ماركس هي عملية مجهود) وتتم إزالة هذا الاستلاب الذي كان محتوماً في السابق عن طريق تجاوزه بالتسامي. النقاش صعب وتزيده صعوبة العلاقة بين الكلمات الأساسية الإنجليزية والألمانية. تقابل الكلمة الألمانية entäussern بشكل رئيسي معنى (2) الإنجليزي: يتخلى عن، يحوّل، يفقد لصالح آخر، ولها كذلك المعنى الإضافي الذي له أهمية قصوى في هذا السياق: «جعل شيء ما خارجاً عن الذات». الكلمة الألمانية entfremden أقرب إلى المعنى الإنجليزي (1) خاصة بمعنى فعل أو حالة استلاب بين أشخاص (أنظر شاخت Schacht بخصوص تاريخ Entfremdung). كلمة ثالثة استخدمها

ماركس vergegenstandlichung تمت ترجمتها كاستلاب لكنها الآن تفهم بشكل شائع كـ «تشيؤ reification» ـ بشكل عام، تحويل العملية الإنسانية إلى شيء «موضوعي»). على الرغم من أنه تم شرح الصعوبات بوضوح في بعض الترجمات إلا أن الجدل النقدي الإنجليزي شوّشه الالتباس بين المعاني وفقدان التمايز بين معنى (1) ومعنى (2): وهذا أمر حيوي في تطور المفهوم عندما تكون العلاقة التفاعلية بين المعنيين (1) و(2) حاسمة، كما هو الحال بشكل خاص عند ماركس. لدى هيجل تعتبر العملية كتطوّر روحي تاريخي عالمي في علاقة جدلية بين فاعل ومفعول حيث يتم التغلب على الاستلاب عن طريق اتحاد أعلى. في نقد تالٍ للدين وصف فويرباخ Feuerbach الإله كاستلاب - بمعنى إسقاط أو تحويل - للمقدرات الإنسانية العليا؛ تكرر ذلك في النقاش الإنساني الحديث وفي الدفاع الثيولوجي. لدى ماركس تعتبر العملية تاريخاً للعمل حيث يخلق الإنسان نفسه عن طريق خلق عالمه، لكن في المجتمع الطبقي يستلب الإنسان من هذه الطبيعة الأساسية عن طريق أشكال استلاب محدّدة تتمثّل في تقسيم العمل والملكية الخاصة وأسلوب الإنتاج الرأسمالي حيث يفقد العامل كلاً من نتيجة جهده وشعوره بقدرته الإنتاجية، وذلك نتيجة لمصادرة كليهما من قبل رأس المال. يجابه الإنسان العالم الذي صنعه كغريب وعدو، ولدى هذا العالم سلطة عليه لكنه هو الذي في الأساس حوّل قدرته إليه. لذلك صلة بالمعنى التجاري والقانوني المفصّل للاستلاب (2) أو Entäuserung رغم وصفه بطرق جديدة عن طريق تمركزه في عملية الإنتاج الحديثة. هكذا يتم إنتاج استلاب (1) بالمعنى الأعم كحالة اغتراب عن طريق العمليات المتراكمة والمفصّلة تاريخياً لاستلاب (2). تعتبر معاني ثانوية لاستلاب (1) مقابلة لـ - Entfremdung اغتراب أشخاص في إنتاج وعمل تنافسي، ظاهرة الاغتراب العام في مصنع أو مدينة صناعية / رأسمالية - كنتائج لهذه العملية الشاملة.

أدت كل هذه المعاني المحدّدة، التي كانت بالطبع موضوع جدل وخلاف مطوّلين من داخل وخارج كل نظام، إلى استعمال معاصر متزايد، وإلى تلك الاتهامات المعتادة «بعدم دقة» أو «سوء فهم»، بينما هي في الحقيقة استعمالات بديلة للكلمة. على الأرجح الاستعمال المعاصر الأكثر انتشاراً هو المشتق من أحد أشكال السيكولوجيا: فقدان الاتصال بحاجات وشعور الذات العميقة. لكن هناك توافقا عاما لذلك مع الرأي القائل إننا نعيش في مجتمع «استلابي» مع إشارات محدّدة إلى طبيعة العمل الحديث والتربية الحديثة ونوع الجماعات الحديث. وهناك تصنيف حديث Seeman)، 1959) يعرّف (أ) العجز powerlessness: عدم القدرة أو الشعور بعدم القدرة للتأثير في المجتمع الذي نعيش فيه؛

(ب) فقدان المعنى meaninglessness: الشعور بفقدان موجِّه هادٍ للسلوك والإيمان؛ (ج) فقدان النموذج normlessness: شعور بأن الوسائل غير المشروعة ضرورية للتوصل للأهداف المرجوة؛ (د) انعزال isolation: ابتعاد عن المعايير والأهداف السائدة؛ (هـ) اغتراب ذاتي self-estrangement: العجز عن العثور على نشاطات مرضية بشكل فعلي. هذا التصنيف المجرد، الذي يُختزل بطريقة دالّة إلى حالات سيكولوجية دون إشارة إلى عمليات اجتماعية محدّدة، مفيد في توضيح المدى الواسع جداً الذي يتضمنه الاستعمال الشائع للمصطلح. يتداخل مصطلح دوركهايم anomie الذي تم تبنيه كذلك في الإنجليزية مع استلاب alienation خاصة فيما يتعلق بمعنيي (ب) و(ج): غياب - أو الفشل في الحصول على - نماذج مناسبة كافية ومقنعة للعلاقات الاجتماعية وتحقيق الذات.

واضح من مدى وكثافة استعمال «استلاب» في الحاضر أن هناك بهذه الطرق المتفاوتة تجربة مهمة وشاملة تستطيع هذه الكلمة ومفاهيمها المحدّدة المختلفة وصفها وتفسيرها. كان هناك تبرم من صعوباتها ونزعة لرفضها بحجة أنها ليست إلا مسايرة للنمط السائد. لكن يبدو من الأفضل مجابهة صعوبات الكلمة ومن خلالها الصعوبات التي يبينها ويسجلّها تاريخها الاستثنائي وتنوع استعمالها. في إبرازها للشعور العميق بانقسام بين الإنسان والمجتمع هي عنصر حاسم في بنية عامة جداً للمعاني.

الفوضوية ANARCHISM

دخلت الكلمة anarchy الإنجليزية في م ق 16 من (س م) anarchie (فرنسية)، (س ب) anarchia (يونانية قديمة) - دولة دون قائد. لم تبتعد استعمالاتها الأولى كثيراً عن الاستعمالات الأولى المعادية لـ«ديمقراطية» DEMOCRACY (ا م): «هذه الحرية أو الرخصة المخالفة للقانون التي يتصف بها العامة تسمى «Anarchie» (1539). لكنها برزت بشكل رئيسي كوصف لأي نوع من الاضطراب والشواش chaos (يونانية تعني هوة أو فراغ). مع ذلك بقيت « anarchism الفوضوية»، من م ق 17 و« anarchist فوضوي» من أواخر ق 17 أكثر قربا إلى المعني السياسي: «فوضوية»، هي مبدأ ومواقف أو فن الذين يلقنون الفوضى؛ كذلك هي كون الشعب دون أمير أو حاكم (1656). ويكون الفوضويون، وهم موصوفون بهذه الطريقة، قريبون جداً من ديمقراطيين democrats وجمهوريين republicans في معنييهما القديمين؛ كذلك كان هناك ربط بين فوضويين وملحدين aetheists (Cudworth، 1678). من اللافت أنه حتى وقت متأخر - 1862 ـ كتب

سبنسر: «ينكر ... الفوضوي حق أي حكومة في المساس بحريته الشخصية»؛ هذه الآن في الغالب، عبارات ليبرالية جديدة معيّنة أو، والحق يقال، محافظة متطرفة.

لكن بدأت المصطلحات في التزحزح في سياق الثورة الفرنسية الخاص عندما هاجم الجيروندیون أعداءهم المتطرفين على أنهم فوضويون، بالمعنى العام القديم. كان هذا سبباً في تماهي «فوضوية» مع سلسلة اتجاهات سياسية متطرفة، ويبدو أنه تم تبني عبارة الشتم بشكل لا يقبل الجدل من قبل برودون Proudhon في 1840. من هذه الفترة تبدأ «فوضوية» في تكوين اتجاه رئيسي داخل الحركات الاشتراكية والعمال، غالباً في خلاف مع الصيغ المركزية للماركسية MARXISM والأشكال الأخرى للاشتراكية SOCIALISM (ا م م). بناء على اقتناع، تبنت مجموعات من سبعينات ق 19، عرّفت نفسها في الماضي كتبادلية تعاونية mutualists، فيدراليين federalists، معارضي التسلط، «فوضويين» كهوية لها، وتطورت هذه الحركة العريضة إلى منظمات ثورية أصبحت مناوئة لـ «اشتراكية الدولة» ولـ «دكتاتورية البروليتاريا». أسست حركة نقابة الفوضويين anarcho ـ syndicalist المهمة تنظيماً اجتماعياً على مبدأ تجمعات ذاتية الإدارة معتمدة على اتحادات العمال، وسعت إلى أن تحل هذه محل كل أشكال تنظيم الدولة.

مع ذلك، تبنى اتجاه أقلية في «الفوضوية»، بشكل رئيسي بين 1817 و1914، وسائل عنف واغتيال فردية ضد الحكام السياسيين. لم يفقد معنى متبقٍ من anarchist فوضوي صلته «بإرهابي» «terrorist» (وجدت في اللغة هي وإرهاب terrorism من ق 18) رغم أنه منفصل تماماً عن حركة الفوضوية الرئيسية.

ما زالت «الفوضوية» المتعمدة والمنتحلة حركة سياسية مهمة لكن من اللافت أنه تم تبني أفكار ومقترحات فوضوية كثيرة في مراحل لاحقة من الفكر الماركسي والفكر الاشتراكي الثوري الآخر، بالرغم من العناية بإبقاء بعد كاف في العادة عن الكلمة بكل إيحاءاتها القديمة.

أنثروبولوجيا - علم الإناسة ANTHROPOLOGY

دخلت أنثروبولوجيا الإنجليزية في أوائل ق 16. يظهر أول استعمال موثّق لها عند R. Harvey. في 1593 وله نبرة حديثة: «شجر أنسابهم ونسلهم، فنونهم التي درسوها، الأعمال التي قاموا بها. هذا الجزء من التاريخ يسمى أنثروبولوجيا. لكن يطغى معنى مختلف في الثلاثة قرون التالية. استخدم ارسطو Anthropologos (يونانية) ـ خطاب ودراسة

الإنسان - ومعها الصيغة الاسمية المتضمنة anthropologia، ثم في 1594 ـ 1595 أحيا الكلمة كاسمان Casmann: Psychologica Anthropologica، Animae Humanae Doctrina Anthropologica: II sive وAnthropologia: II, hoc est de fabrica Humani Corporis. المصطلحان الحديثان لجزأي مؤلّف Casmann هما سيكولوجيا PSYCHOLOGY (ا م) وفيسيولوجيا، لكن الغرض كان الربط بينهما بمفهوم كان لا يزال ساريا في تعريف ق 18 المعتمد: «تشمل الأنثروبولوجيا اعتبارات كل من الجسد والروح وقوانين اعتمادهما ونتائج ذلك الاتحاد مثل الإحساس، الحركة الخ..) ما نجم عن ذلك كان تخصص الدراسات البدنية إما (1) فيما يتعلق بالحواس - «تحليل حواسنا في أكثر كتب الأنثروبولوجيا انتشاراً» (كوليردج، 1810) وإما (2) في تطبيق ذلك على مسائل التنوع الجسدي للبشر (قارن «عرقي» RACIAL) والنشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م) البشرى. هكذا حتى أواخر ق 19 كان المعنى السائد هو فرع من العلوم نميّزه الآن ك «أنثروبولوجيا طبيعية».

إن ظهور (أو، ربما متذكّرين Harvey، إعادة ظهور) معنى أكثر شمولاً، ما نميّزه الآن كأنثروبولوجيا «اجتماعية» و«ثقافية»، هو تطوّر في ق 19 مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوّر أفكار كل من حضارة CIVILIZATION (ا م) وثقافة «Culture» (ا م)، خاصة الأخيرة. عموما يعتبر مؤلف تايلور Tylor: الثقافة البدائية *Primitive Culture* النص المؤسس للعلم الجديد في العالم الناطق بالانجليزية. من ناحية يعود ذلك إلى تمييز هيردر Herder في أوائل ق 18 لثقافات متعددة - سبل حياة متباينة يجب دراستها ككل بدلاً من دراستها على أنها مراحل للتطور DEVELOPMENT (ا م) في الطريق إلى حضارة أوربية. من ناحية أخرى يرجع إلى مفاهيم مستمّدة من: «مراحل» التطور نفسها (الشائعة لدى مفكرى عصر التنوير في ق 18)، وبشكل ملحوظ ترجع كذلك إلى كتابي «كلم»: التاريخ الثقافي العام للبشرية G.F Klemm: Allegmeine Kulturgeschichte der Menschheit (1843-1852)، وعلم الثقافة العام Allgemeine Kulturwissenschaft (1854-1855). ميّز «كلم» ثلاثة مراحل للتطور البشرى: الوحشية، التدجين، والحرية. في 1871، حدّد بطريقة عميقة الأثر الأمريكي لويس مورجان، وهو رائد في الدراسات اللغوية للقرابة، ثلاثة مراحل في كتابه المجتمع القديم *Ancient Society*، وعنوانه الفرعي «بحوث في مسار التطور البشري من الوحشية عبر البربرية إلى الحضارة». من خلال إنجلز كان لهذا أثر عظيم في بداية الماركسية، لكن تكمن أهمية هذا التوجّه لمفهوم الأنثروبولوجيا في تركيزه على الثقافات

البدائية (أو «الوحشية») سواء كان ذلك أم لم يكن من وجهة نظر «التطوّر». في فترة الاستعمار والإمبريالية الأوربية وفي المرحلة المقاربة في علاقات الأمريكيين بالقبائل الهندية المندحرة كانت هناك وفرة من المواد لكل من الدراسات العلمية واهتمامات أخرى أكثر عمومية. (بعض هذه الاهتمامات نظّمت فيما بعد كأنثروبولوجيا «علمية» أو «تطبيقية»، واضعة المعرفة العلمية في خدمة السياسات الإدارية والحكومية.) لكن التأثر الأهم كان التخصّص النسبي للأنثروبولوجيا في الثقافات «البدائية»، رغم أن هذا المجهود قدَّم، عندما تم انجازه، نماذج دراسات لـ "طرق حياة كاملة ومتميّزة"، مما كان له أثر في دراسة «البنيات البشرية» structures، ومن ثم عمّمت هذه في أحد الاتجاهات كـ «بنيوية» structuralism (ا م) في المجالين المتقاربين: اللغويات والأنثروبولوجيا؛ وعممت في اتجاه آخر كـ "وظيفية» functionalism التي تكون فيها المؤسسات الاجتماعية استجابات ثقافية (متفاوتة) لحاجات إنسانية أساسية؛ وساهم هذا التخصص لأنثروبولوجيا كذلك في تجميعها أدلّة مقارنة شاملة، شجعت بشكل عام فكرة ثقافات وسبل تطور بشري بديلة في تمييز حاد لها عن فكرة المراحل المنتظمة في عملية أحادية المسار تجاه «الحضارة».

هكذا كان لا يزال هناك في منتصف ق 20 «الأنثروبولوجيا الطبيعية» المعمّرة، أنثروبولوجيا الشعوب «البدائية» المتشعبة؛ وفي مساحة ليست محددة تتعدى ذلك هناك معنى انثروبولوجيا كأسلوب دراسة ومصدر أدلّة لمجال أفسح يضم طرق الحياة البشرية الحديثة. بالطبع بحلول هذه الفترة توطدت «السوسيولوجيا»، علم الاجتماع SOCIOLOGY (ا م) في أشكال مختلفة كفرع من فروع الدراسة تدرس فيه المجتمعات الحديثة (وفي بعض المدارس، «الثقافات» الحديثة)، وكنتيجة لذلك كان هناك تداخل معقّد لها بما سمي الآن (بشكل رئيسي لتمييزها عن الأنثروبولوجيا الطبيعية) أنثروبولوجيا «اجتماعية» و«ثقافية» (أصبحت «اجتماعية» أكثر شيوعاً في بريطانيا، «ثقافية» في أمريكا)، رغم أن أنثروبولوجيا ثقافية في العادة تدل في أمريكا على دراسة المنتجات الحرفية المادية artifacts.

يبين في بعض الأحيان تاريخ الكلمات المعقد القضايا الثقافية الرئيسية المرتبطة بهذا التكتّل من المصطلحات وفروع المعرفة لكنه ربما يخفيها في أحيان أكثر. من اللافت أن تجميعاً جديداً لهذه الاهتمامات والمعارف المتقاربة والمتشابكة يعرف بشكل متزايد منذ أواسط ق 20 كـ «علوم إنسانية» (خصوصاً في فرنسا) الذي يعيد فعلياً، في لغة حديثة وفي صيغة الجمع، البدء مرة أخرى لما كان المعنى الحرفي ثم المتخصّص بطرق متعددة لأنثروبولوجيا.

انـظـر: CIVILIZATION حـضـارة، CULTURE ثـقـافـة، DEVELOPMENT تـنـمـيـة، EVOLUTION نـشـوء/تـطـور، PSYCHOLOGY سيـكـولـوجـيـا، SOCIOLOGY علـم اجـتـمـاع، STRUCTURAL بنائي

فـن ART

لا يزال المعنى الأصلي العام لفن art الذي يشير إلى أي نوع من المهارات موجوداً في الإنجليزية. لكنه أصبح معنى شائعاً أكثر تخصّصاً، وفي حالة «الفنون» «the arts» وبشكل أدق «فنان» «artist» أصبح المعنى الأكثر تخصصاً سائداً.

استعملت «art» في الإنجليزية منذ ق 13، (س م) art، فرنسية قديمة، (س ب) artem، لاتينية - مهارة. استعملت دون تخصص طاغ حتى أوائل ق 17 في مواضيع متعددة مثل الرياضيات والطب وصيد الأسماك. في منهج الدراسة الجامعي في القرون الوسطى كانت الفنون arts («السبعة فنون» وفيما بعد الفنون الليبرالية LIBERAL (ا م)) هي القواعد، المنطق، البلاغة، الحساب، الهندسة، الموسيقى والفلك، واستعملت «فنان» «artist»، من ق 16، أولاً في هذا السياق، لكن مع تطورات، معاصرة تقريباً، لوصف أي شخص ماهر (وهي بذلك مطابقة فعلاً لحرفي «artisan» حتى أوائل ق 16) أو ممارس، في تصنيف آخر، لأحد الفنون التي تترأسها الآلهة السبعة: تاريخ، شعر، كوميديا، تراجيديا، موسيقى، رقص وفلك. ثم من أوائل ق 17 كان هناك بشكل متزايد استعمال شائع متخصّص لمجموعة مهارات لم تتمثل رسميا حتى ذلك الوقت: رسم painting، رسم بالرصاص drawing، نقش engraving، ونحت sculpture. لم يتوطّد تماماً المعنى السائد الآن لفن «art» وفنان artist الذي يشير إلى هذه المهارات حتى أواخر ق 19، لكن، ومن ضمن هذا التصنيف أنه في أواخر ق 18 وبإلماع خاص لاستثناء النقّاشين من الأكاديمية الملكية الجديدة، تعزّز الآن تمييز عام بين «فنان» artist و«حرفي» artisan ـ الأخيرة مخصصة للعامل اليدوي الماهر دون أغراض «ثقافية» أو «خيالية» أو «إبداعية». سمح هذا التطور لتعريف حرفي artisan وتعريف منتصف ق 19 لعالم scientist بتخصيص «فنان» artist، وليس التمييز الآن بين الفنون الليبرالية وإنما بين «الفنون الجميلة» fine arts.

من الصعب تحديد ظهور « Art فن» المجردة والبادئة بالحرف الكبير، بقوانينها الداخلية لكن العامة. هناك استعمالات عديدة مقبولة من ق 18، لكن لم يصبح المفهوم شائعاً إلا في ق 19. بهذا المعنى، ترتبط تاريخياً بتطور «ثقافة» CULTURE و«جمالية»

AESTHETICS (ا م م) . في 1815 كتب وردزورث للرسام هايدون :Haydon «أيها الصديق : سامية هي مهنتنا، الفن الإبداعي Creative Art». يؤرخ فعليا من نهاية ق18 وبداية ق19 للربط المعتاد الآن بين فن وابداعي creative وتخيلي imaginative كشأن تصنيفي. ويؤرخ للصفة فني artistic من منتصف ق 19. ويعود تاريخ «مزاج فني» «artistic temperament» «وحساسية فنية» «artistic sensibility» إلى نفس الفترة. وينطبق نفس القول على artiste التي هي تخصيص فيه تمييز إضافي لوصف المؤدّين performers مثل الممثلين أو المغنيين، وبهذه الطريقة يحتفظ بفنان artist للرسام والمثال وفي النهاية (من منتصف ق 19) للكاتب ومؤلف الموسيقى.

من المثير للاهتمام ملاحظة كلمات في فترات مختلفة تتميّز في العادة عن فن art أو تتعارض معها. قبل وسط ق 17 عنت artless دون تكلف - «غير ماهر» unskilled أو «خال من المهارة» «devoid of skill» وتبقي هذا المعنى. لكن كان هناك تعارضا مبكرا معتادا بين «فن» art و«طبيعة» nature: أي بين ناتج مهارة الإنسان وناتج ميزة متأصلة. ثم اكتسبت «artless من منتصف ق 17، وخصوصاً من أواخر ق 18، معنى إيجابيا يوضح التلقائية حتى في الفن. بينما ما زالت art تعني مهارة ومثابرة وINDUSTRY (ا م) تعني مهارة مضنية، فإن الكلمتين كانتا وثيقتا الارتباط، لكن عندما أصبحت كل منهما مجردة ومتخصّصة، فإنهما كانتا في الغالب، من أوائل ق 19، متعارضتين كمجالين منفصلين للخيال والمنفعة. حتى ق 18 كانت معظم العلوم فنوناً؛ فعلياً يؤرخ من منتصف ق 19 للتمييز الحديث بين علم science و«فن art» كمجالين متعارضين للمهارة والجهد البشريين بمناهج وأهداف مختلفة جذرياً، رغم أن نفس الكلمتين تعارضتا أحياناً في مرحلة أسبق بمعنى «نظرية» theory و«ممارسة» practice (انظر THEORY و SCIENCE).

بوضوح، ترتبط هذه المجموعة من التمييزات التاريخية المعقدة بين أنواع مختلفة من المهارات البشرية وبين أغراض أساسية متنوعة في استعمال هذه المهارات بكل من التغيرات في التقسيم الفعلي للعمل ولتغيرات أساسية في تعريفات عملية لأهداف ممارسة المهارة. يمكن ارتباطها بشكل رئيسي بالتغيرات المتأصلة في إنتاج السلع الرأسمالي بما في ذلك من تخصيص وتحويل قيم الاستعمال إلى قيم تبادل. بالمقابل، نجم هناك تخصص دفاعي لمهارات وأغراض معينة لـ «الفنون» the arts أو الإنسانيات humanities حيث يمكن، على الأقل لصيغ الاستعمال والهدف العام التي لا يحدّدها التبادل المباشر، أن تتجرد ذهنياً. هذا الأساس الرسمي للتمييز بين «فن» art وصناعة industry وبين الفنون

الجميلة والفنون النفعية «useful arts» (في النهاية، اكتسبت هذه الأخيرة مصطلحاً جديداً متخصصاً : TECHNOLOGY) (ا م).

يتميز «الفنان» artist إذن، ضمن وجهة النظر الأساسية هذه، ليس فقط عن «العالم» scientist و«التكنولوجي» technologist ـ وكل منهما في أوقات سابقة كان ينطبق عليه وصف «فنان» - ولكن أيضاً عن حرفي وصانع يدوي craftsman وعامل ماهر «skilled worker» الذين هم الآن عمال operatives حسب تعريف وتنظيم العمل WORK (ا م) المحدد. بينما يتم التوكيد على هذه الفروقات العملية ضمن طريقة الإنتاج المفترضة، تكتسب «فن» art و«فنان» artist تداعيات أكثر عمومية (وأكثر غموضاً)، عارضة التعبير عن اهتمام إنساني (أي غير نفعي) عام، في الوقت الذي، للمفارقة، تعامل فيه معظم أعمال الفن «works of art» كسلع ويعامل معظم الفنانين artists فعلياً كفئة من الحرفيين أو العمال المهرة تنتج نوعاً معيناً من السلع الهامشية، حتى عندما يدعون عن حق أهدافاً مختلفة تماما.

انظر : **AESTHETIC جمالي، CREATIVE خلّاق، CULTURE ثقافة، GENIUS عبقري، INDUSTRY صناعة، SCIENCE علم، TECHNOLOGY تكنولوجيا**

سلوك BEHAVIOUR

لا تزال behave كلمة لافتة جداً وتشكل بعض الصعوبات. كانت هناك behabban (ا ق) وتعني يحتوى to contain، من (س م) be ـ حول، habban ـ يمسك hold. لكن يبدو أن الكلمة الحديثة دخلت اللغة الإنجليزية للمرة الأولى في ق 15 كنوع من التقييد للفعل have (قارن sich behaben في الألمانية)، وخاصة في المعنى الانعكاسي لـ «أن يمسك المرء (يتحمل) نفسه» «to have (bear) oneself». في أمثلة من ق 16 استعمل الفعل الماضي behad. المعنى الرئيسي الذي برز هو سلوك أو تصرف عام: ربما يكون التحديد الحديث الأقرب لذلك هو deportment أو المعنى الخاص (من ق 16) لتقاليد manners (قارن mannerly من ق 14). في الفعل لا يزال هذا هو المعنى السائد ولا تزال «behave (yourself)» تعني في العامية «أن تتصرف تصرفاً حسناً»، بيد أن «behave badly» تعني أن تتصرف بشكل سيئ. في مسار تطور الكلمة من معناها الأصلي المحدد نسبياً والمبجّل كسلوك عام (الذي لاحظه جونسون Johnson مع تركيز على ما هو خارجي) إلى مصطلح يلخّص، في معنى أخلاقي عام، سلسلة كاملة من النشاطات. اكتسبت behave

غموضاً معيناً وأصبح هذا مهما بشكل خاص في تطوّر سلوك behaviour المصاحب لذلك. لا يزال استعمال الاسم للإشارة إلى السلوك العام أو، بمعنى أخلاقي، إلى سلسلة عامة من النشاطات شائعاً بقدر كاف؛ المثال الكلاسيكي هو: When we are sick in fortune، often the surfeits of our own behaviour «إذا ما اعتل الدهر بنا، غالبا لإفراط منا في سلوكنا» (الملك لير الفصل1، المشهد2). لكن التطوّر الحاسم هو الاستعمال الحيادي للتعبير دونما أية تضمينات أخلاقية لوصف الطرق التي يقوم بها شخص أو شيء بفعل أو (رد فعل) في حالة محددة. بدأ هذا في الوصف العلمي في ق 13 لكنه لم ينتشر قبل ق 19. يبدو أن التحول الحاسم حدث في أوصاف الأشياء المادية التي حملت مفهوماً واضحاً لفكرة الملاحظة observation التي ترتبط على الأرجح بالمعنى الرئيسي السابق الذي يدل على سلوك عام تحت المراقبة observable. بالتالي: «النشاهد ... سلوك الماء الذي يجف من ساحل منبسط من الوحل» (هكسلي Huxley، 1878). استعمل التعبير بالنسبة النباتات والكائنات الحية الدنيا والحيوانات، وبحلول ق 19 كانت شائعة الاستعمال بمعناها الحالي: «النشاط الواضح خارجياً للكائن الحي ككل». (قارن سلوك الحيوانات «animal behaviour» ومرادفتها المتخصّصة ethology علم سلوك الحيوانات؛ كانت الأثولوجيا قد عرّفت في السابق كـ«قيام الحيوانات بالتقليد mimicry»، ق 17؛ علم الأخلاق ethics، ق 18؛ علم الشخصية character (مل Mill، 1843). واضح هنا التسلسل من تعاريف أخلاقية إلى حيادية كما هو كذلك بالنسبة لسلوك behaviour، ويمكن بالطبع ملاحظته أيضاً في شخصية character.)

نجم معنى معيّن من التوسّع في منهج العلوم البيولوجية والطبيعية واستعمل في مدرسة ذات نفوذ في علم النفس وصفت نفسها (واتسون Watson، 1913) بـ«السلوكية» behaviourist و(بعد فترة وجيزة) المدرسة السلوكية behaviourism. اعتبر علم النفس «فرعاً من العلوم الطبيعية : موضوعياً وتجريبياً» (واتسون)، واستثنيت المعطيات ذات الصبغة «الذهنية أو التجريبية» على أنها غير علمية. النقطة الأساسية في هذا التعريف كانت مفهوم «قابل للملاحظة» التي كانت محصورة في البداية على «قابل للقياس بطريقة فيزيائية موضوعياً»، لكن عدلتها تطورات لاحقة كانت لا تزال تسمي سلوكية أو سلوكية حديثة neo-behaviorist (سجل استعمال neo، يونانية - جديد new لتوضيح صيغة جديدة أو مراجعة لمبدأ منذ ق 13 لكن أصبحت شائعة جداً من أواخر ق 19) إلى «ممكن قياسه بطريقة تجريبية»، وفي ذلك اعتراف بأنواع مختلفة من المعطيات «الذهنية» و«التجريبية»

(قارن SUBJECTIVE ذاتية) تحت شروط ملاحظة حاكمة». ربما كان أكثر أهمية من النقاش المنهجي داخل علم النفس التوسّع، من هذه المدرسة ومن عدة اتجاهات اجتماعية وثقافية تمت لها، في معنى سلوك في دلالته الجديدة الشاملة لكل نشاط (ملحوظ)، وعلى الخصوص النشاط الإنساني، باعتباره «تفاعلا» interaction بين «متعضي» (organism) وبيئته environment، وكان عادة ما يحدّد كحافز stimulus واستجابة response. في عدد من المجالات لم يكن لهذا أثر في حصر دراسة النشاط البشري فقط، وإنما كذلك طبيعته في تفاعلات تحدّدها DETERMINED (ا م) البيئة، ومفاهيم أخرى مثل «النية» أو «الغرض» إما رفضت أو عوملت في أحسن الأحوال كثانوية، والتركيز الطاغي دائماً هو على النتيجة (الملحوظة): السلوك. في العلوم الإنسانية وفي حقول اجتماعية تطبيقية (بعيدة عن الحيادية) كثيرة مثل الاتصالات COMMUNICATIONS (ا م) والإعلان advertising (التي تطورت من معناها العام كإشعار notification، من ق 15، إلى نظام تأثير منظم في سلوك المستهلك CONSUMER (ا م)، خصوصاً من أواخر ق 19)، تطور معنيا «الحافز» و«الاستجابة» اللذين يتسمان نسبياً بالحيادية الفيزيائية إلى نظام اختزالي من السلوك المحكوم كملخّص لكل النشاط الإنساني المهمcontrolled) . حاكمة، مضبوطة، هي كلمة لافتة بسبب التداخلات بين شروط تجربة قابلة للملاحظة - تطورت من مفهوم ونظام مراجعة في المحاسبة التجارية، من ق 15 - وظروف ممارسة كبح أو سلطة على آخرين، أيضاً من ق 15. يبقي المعنيان منفصلان لكن كان هناك تنقل فعلي بينهما.) النتيجة الأهم هي وصف ممارسات وأنظمة إنسانية معينة فيها «قصد» وغرض وكأنها حوافز «طبيعية» أو «موضوعية» ممكن تصنيف الاستجابات عليها على أنها « normal سويّة»، «شاذة» abnormal أو «منحرفة» deviant. هكذا يمكن إضعاف معنى استجابة «ذاتية» أو «مستقلة» independent (إما بشكل عام أو كونها خارج شروط نظام مفترض) بما لذلك من نتائج هامة في السياسة وعلم الاجتماع (قارن «مجموعات منحرفة»، «سلوك سياسي منحرف»)، في علم النفس (قارن RATIONALIZATION تسويغ) وفي فهم الذكاء أو اللغة (سلوك لغوي) حيث يجري هناك الآن جدال هام بين مفهوم أوسع للتفسيرات السلوكية وتفسيرات مبنية على تعابير مثل توليدية generative وإبداعية CREATIVE (ا م).

بمعزل عن هذه المحاولات المحورية والمحدّدة فإنه يبقى مهماً أن تعبيراً للسلوك العام أمكن تطوره إلى تعبير هو الأكثر استعمالاً والأكثر حيادياً في الظاهر لكل أنواع النشاطات.

برجوازي BOURGEOIS

كلمة Bourgeois صعبة جداً في الإنجليزية: أولاً رغم أنها شائعة الاستعمال فهي لا زالت كلمة فرنسية بشكل واضح، «أنجلزتها» السابقة كانت إلى burgess، من burgeis (فرنسية قديمة ومن burgeis إنجليزية وسطى)، burges، (borges) ـ ساكن قصبة، وظلت ثابتة بمعناها الأصلي المحدود؛ ثانيا، لأنها ترتبط بشكل خاص بالطرح الماركسي الذي قد يجذب عداءاً ونبذاً (ومن المناسب هنا أنه في هذا السياق لا يمكن ترجمة bourgeois ترجمة دقيقة إلى الصفة الإنجليزية المألوفة: وسطيّ الطبقة «middle-class»)؛ ثالثاً، لأنها توسّعت، خاصة في الإنجليزية في السنوات العشرين الأخيرة، جزئياً من هذا المعنى الماركسي لكن بشكل رئيسي من المعاني الفرنسية الأسبق، إلى تعبير عام وغالباً مبهم للازدراء الاجتماعي. لفهم هذا المدى من المعاني من الضروري تتبّع تطور الكلمة في الفرنسية وملاحظة صعوبة خاصة في ترجمة الكلمة الألمانية bürgeslich إلى كل من الفرنسية والإنجليزية.

في ظل النظام الإقطاعي في فرنسا كان bourgeois تصنيفاً قضائياً في المجتمع يتحدّد بشروط مثل مدة الإقامة. كان التعريف الأساسي هو لمواطن ثقة، طريقة حياته في آن مستقرة وغير مدين. تصدر المعاني المبكرة المناوئة من رتبة اجتماعية أعلى: ازدراء أرستقراطي لتوسط mediocrity البرجوازي توسع، خاصة في ق 18، إلى ازدراء فلسفي وثقافي للحياة والأفكار المحدودة وإن كانت مستقرّة لهذه الطبقة «الوسطى» (كان هناك استعمال إنجليزي موازٍ في ق 17 وق 18 «المواطن» citizen واختصارها «cit»). كان هناك ربط مستمر للبرجوازي بالتجارة، لكن للنجاح كبرجوازي وللعيش حياة برجوازية bourgeoisement كان الأفضل بشكل نموذجي التقاعد والعيش على الدخل المستثمر. كان المنزل البرجوازي هو المنزل الذي لا تدار فيه تجارة أو مهنة (استثني فيما بعد المحامون والأطباء).

كان للنمو المستمر في الحجم والأهمية لهذه الطبقة البرجوازية في قرون التوسع التجاري نتائج عظيمة في الفكر السياسي، والتي بدورها كان لها تأثير مهم ومعقد على الكلمة. تم التعبير عن مفهوم جديد للمجتمع SOCIETY (ا م) وترجم ذلك في الإنجليزية، خاصة في ق 17، كمجتمع «مدني» «civil»، لكن مرادفات هذه الصفة كانت، وفي بعض النواحي لا تزال، هي الفرنسية bourgeois والألمانية bürgerlich. في استعمالات إنجليزية لاحقة تمت ترجمة هاتين كبرجوازي بمعني ق 19 الأكثر تحديداً مما أدى في الغالب إلى تشويش.

قبل المعنى الماركسي المحدّد، أصبحت برجوازي تعبير ازدراء إلا أنها كانت أيضاً تعبير احترام ممن هم دون ذلك. العامل النازح أو الجندي اعتبر البرجوازي الراسخ نقيضه؛ العامل العادي اعتبر البرجوازي الرأسمالي موظّفا. هكذا توطد تماماً البعد الاجتماعي للاستعمال اللاحق بحلول أواخر ق 18، بالرغم من أن الازدراء الأرستقراطي والفلسفي المختلفين جوهرياً كان لا يزال مفهوماً فعّالاً.

كان تعريف المجتمع البرجوازي مفهوماً مركزياً لدي ماركس، لكن كان التعبير خاصة في بعض أعماله المبكرة غامضا؛ حيث أنه بالنسبة لهيجل كان «مجتمع مدني» تعبيراً هاماً يجب تمييزه عن الدولة STATE (ا م)، بينما استعمل ماركس - وفي النهاية زاوج - المعاني الأولى واللاحقة. يتبع مفهوم ماركس الجديد للمجتمع البرجوازي الاستعمال التاريخي الأسبق، من مواطنين مستقرين وغير مدينين إلى طبقة متنامية من التجّار وأصحاب المشاريع entrepreneurs وأرباب العمل. ارتكز هجومه على ما أسماه النظرية السياسية البرجوازية (نظرية المجتمع المدني) على ما اعتبره مفاهيم ومؤسسات لها توصف زيفا بأنها شاملة بينما هي في الحقيقة مفاهيم ومؤسسات مجتمع برجوازي معين: أي مجتمع أصبحت فيه البرجوازية bourgeoisie (اسم الطبقة الآن هو أكثر أهمية) أو في طورها أن تصبح سائدة. أدّت مراحل مختلفة من المجتمع البرجوازي إلى مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الاقتصادي الرأسمالي CAITALIST (ا م) أو، كما صيغت فيما بعد بطريقة أدق، أدت مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الرأسمالي إلى مراحل مختلفة في المجتمع البرجوازي ومن ثم أفكار برجوازية، شعور برجوازي، أيديولوجيا برجوازية، فن برجوازي. بمفهوم ماركس دخلت الكلمة الاستعمال العام، لكن في الغالب يصعب فصلها في بعض النواحي عن الازدراء الأرستقراطي والفلسفي المتبقي، ومن شكل لاحق سائد بشكل خاص بين الفنانين والكتّاب والمفكّرين خارج المؤسسة الذين قد لا يؤيدون - وفي الغالب لا يؤيدون - تعريف ماركس المركزي ولكنهم يحتفظون بمعنى المناوأة القديم ضد المحترمين والراسخين (من المتوسطين mediocre).

تعقيد الكلمة إذن واضح. هناك مشكلة حتى في الاستعمال الماركسي الدقيق كون الكلمة نفسها «برجوازي» استعملت لوصف مراحل وفترات من التطور الاجتماعي والثقافي متميزة تاريخياً. في بعض السياقات لا بد وأن يكون هذا على وجه الخصوص مشوشاً: بوضوح الأيدولوجيا البرجوازية لمواطنين مستقرين مستقلين ليست مثل الايدولوجيا البرجوازية لعمال مؤسسة شبه قومية كثيري التنقّل. تمييز «برجوازي صغير» petit bourgeois

هو محاولة لإبقاء الخواص التاريخية السابقة، لكن يستعمل التعبير أيضاً لتصنيف محدّد ضمن مجتمع أكثر تعقيداً وحركة. كذلك هناك مشاكل في العلاقة بين برجوازي ورأسمالي capitalist اللذان يستعملان دونما تمييز لكن لدي ماركس، يتم التفريق بينهما بشكل رئيسي على أنهما تعبيران أحدهما اجتماعي والآخر اقتصادي. هناك صعوبة محدّدة في وصف الرأسماليين ممن هم ليسوا من أهل المدن (مثلا، أرباب العمل الزراعيين الرأسماليين) كبرجوازيين، لما لهذه الكلمة من آثار المفهوم المديني، رغم أن العلاقات التي يقيمونها تجرى حسب مفهوم ق 19 المتطور. هناك أيضاً صعوبة في العلاقة بين وصف المجتمع البرجوازي ووصف البرجوازية كطبقة. طبقاً لماركس، المجتمع البرجوازي هو مجتمع تكون فيه الطبقة البرجوازية سائدة، لكن قد تكون هناك صعوبات في الاستعمال، مرتبطة ببعض خلافات التحليل الأكثر حدّة، عندما تستعمل نفس الكلمة لكل المجتمع الذي تسود فيه طبقة واحدة (لكن الذي توجد فيه بالضرورة طبقات أخرى) وتستعمل كذلك لطبقة محددة ضمن هذا المجتمع. نلاحظ الصعوبة بشكل خاص في استعمالات «برجوازي» كصفة لممارسة لم يتم تصنيفها داخل المضامين الاجتماعية والاقتصادية الواصفة للبرجوازية.

هكذا فليس من المدهش أن هناك مقاومة لاستعمال الكلمة في الإنجليزية لكن يجب القول إنه ليس هناك بديل فعلي في الإنجليزية لمعانيها الدقيقة في الطرح الماركسي أو التاريخي أو السياسي. تفي ترجمة طبقة متوسطة middle-class بمعظم معاني ما قبل ق 19 في الإشارة إلى نفس النوع من الناس وطرق حياتهم وأفكارهم كما كان يفهم من برجوازي ومن مواطن، ومن مدني؛ كانت استعمالات «citizen» و«cit» العامة شائعة حتى أواخر ق 18، لكن تقلّصت بعد ظهور middle-class في أواخر ق 18. رغم أن طبقة وسطي middle-class (انظر CLASS) تعبير حديث، إلا أنها تستند إلى تقسيم ثلاثي قديم للمجتمع - عالي، متوسط، أدني - كان له أهمية قصوى في المجتمع الإقطاعي وما بعد الإقطاع مباشرة والتي حسب الاستعمالات اللاحقة لم تكن ملائمة أو ملائمة لكن بشكل قاصر كوصف لمجتمع برجوازي متطوّر أو كامل التكوين. الطبقة الحاكمة ruling class التي هي المفهوم الاشتراكي للبرجوازية في سياق الوصف التاريخي للمجتمع الرأسمالي المتطور لا تمثلها بسهولة أو وضوح الطبقة الوسطى، المختلفة جوهرياً. لهذا السبب، خاصة في هذا السياق ورغم الصعوبات، ستستمر الحاجة إلى استعمالها.

انظر : **CAPITALIST رأسمالي، CIVILIZATION حضارة، CLASS طبقة، SOCIETY مجتمع**

بيروقراطية BUREAUCRACY

تظهر بيروقراطية في الإنجليزية من وسط ق 19. كتب كارلايلCarlyle في Latter-Day Pamphlets (1850) عن «الإزعاج الأوربي المسمى «بيروقراطية»، وكتب ملْ Mill في 1848 عن عدم المصلحة في تركيز كل سلطة العمل المنظم في «بيروقراطية مهيمنة». في 1818 كتبت السيدة مورجان Morgan مستخدمة صيغة أقدم، عن «البيروقراطية (bureaucratie) أو طغيان المكتب، التي عن طريقها حُكمت ايرلندا لأمد طويل». اشتقت الكلمة من (س م) «bureaucratie»، فرنسية، من (س ب) «bureau» - منضدة كتابة ثم مكتب. كان المعنى الأصلي لـ bureau هو «بيز» «baize» نسيج أخضر مخملي تكسى به الطاولات. يرجع الاستعمال الإنجليزي لـ bureau كمكتب إلى أوائل ق 18؛ أصبحت أكثر شيوعاً في الاستعمال الأمريكي، خاصة فيما يتعلق بالفروع الخارجية، حيث التأثير الفرنسي سائد. أنتج الحجم المتزايد للتنظيم التجاري، والذي جاراه ازدياد في التدخل الحكومي والضبط القانوني وكذلك ازدياد أهمية الحكومة المركزية المنظمة والمهنية، حقائق سياسية يدل عليها التعبير الجديد. لكن كان هناك عندئذ تفاوت كبير في تقويم تلك الحقائق. في التناول الإنجليزي والشمال أمريكي استعمل التعبير الأجنبي «بيروقراطية» لإيضاح جمود أو سلطة الإدارة العامة المفرطة، بينما استعملت خدمة عامة public service وخدمة مدنية civil service لإيضاح النزاهة والمهنية المتجردة. في ألمانيا كان لـ bureaucratie في الغالب معنى إيجابياً كما ورد عند شمولر Schmoller («بمعزل عن الحكومة الملكية، العنصر الحيادي الوحيد في حرب الطبقات»)، ومنحها فيبر Weber معنى إضافياً: العقلانية المؤسسة قانونياً. لا يزال يمكن لتباين التعبيرات أن يشوش تفاوتات التقويم وكذلك التمييزات بين النظم السياسية المتعددة في الغالب التي يمكن أن يخدمها جهاز من الموظفين العامين public servants أو بيروقراطية. علاوة على ذلك، كان هناك استعمال أعم لبيروقراطية لا يوضح بطريقة سلبية طبقة الموظفين فحسب وإنما أيضا أنماطاً معينة من الترتيب الاجتماعي الممرْكز الذي هو من نوع حديث منظّم، في تمييز له ليس فقط عن المجتمعات الأرستقراطية القديمة ولكن أيضاً عن الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) الشعبية. هذا مهم في الفكر الاشتراكي حيث مفهوم «مصلحة عامة» public interest معّرض بشكل خاص للتفاوت بين «خدمة عامة» public service و«بيروقراطية» .

بطريقة أقرب إلى الواقع المحلي، تستعمل بيروقراطية للإشارة إلى الرسميات المعقدة للإجراءات المكتبية حسب وصف جريدة Daily News في 1871 : «الوزارة ... بكل

روتينها من أشرطة، شمع، أختام ومكتبية «bureauism». هناك أيضاً حيّز من الالتباس بين نوعين من الدلالة كما يلاحظ من سك تعابير أكثر حيادية مثل طرق عمل business methods ونظام مكتبي office organization للاستعمال التجاري، والاحتفاظ ببيروقراطية في الغالب لإجراءات مطابقة أو مشابهة في الحكومة.

انظر : **MANAGEMENT إدارة، DEMOCRACY ديمقراطية**

رأسمالية CAPITALISM

بدأت تظهر capitalism رأسمالية ككلمة تصف نظاماً اقتصاديا معيناً في الإنجليزية من أوائل ق 19؛ وتقريباً في نفس الوقت في الفرنسية والألمانية. رأسمالي capitalist أقدم قليلاً؛ استعملها آرثر ينج Arthur Young في يومياته Travels in France (1792) لكن بشكل فضفاض نسبياً: «رجال المال أو الرأسماليون». استعملها كولردج بالمعنى المتطوّر - «الرأسماليون ... ينالون العمالة عند الطلب» - في Tabletalk (1823). كتب توماس هوجْسكن Hodgskin في London Defended Against the Claims of Capital (1825): «كل رأسماليي أوربا ومعهم كل رأسمالهم المتداول لا يستطيعون معتمدين على أنفسهم تموين طعام وملابس أسبوع واحد»، ومرة أخرى: «بين من ينتج الطعام ومن ينتج الملابس، بين من يصنع الآلات ومن يستعملها يتدخّل الرأسمالي الذي لا يصنعها ولا يستعملها ويستولي على إنتاج كل منهم». هذا بوضوح وصف "نظام» اقتصادي.

كان المعنى الاقتصادي لـ «capital رأسمال» موجوداً في الإنجليزية من ق 17 وفي شكل متطور تماماً من ق 18. تذكر دائرة معارف Chambers تشامبرز: Cyclopedia (1727-51): «أعطى البرلمان لشركة بحر الجنوب South-Sea صلاحية زيادة رأسمالها»، وتعريف «رأسمال متداول» circulating capital موجود عند آدم سميث (1776). اكتسبت الكلمة هذا المعنى المتخصص من المفهوم العام لـ «رئيس» أو زعيم: chief (س م) capital، فرنسية، capitalis، لاتينية، (س ب) «caput»، لاتينية - رأس. كانت هناك معاني متخصّصة كثيرة مشتقّة؛ تطوّر المعنى الاقتصادي من اختصار للعبارة «رأسمال الشركة» capital stock: ممتلكات مادية أو اعتماد مالي. في الاقتصاد الكلاسيكي عُرفت ووُصفت وظائف رأس المال وحددت أنواع مختلفة من رأس المال.

تمثل رأسمالية capitalism تطوّرا للمعنى في أنها كانت تستعمل باضطراد للدلالة على نظام اقتصادي تاريخي ومعيّن بدلاً من مجرد أي نظام اقتصادي. كانت « capital رأسمال»

وفي البداية capitalist (رأسمالي) مصطلحين تقنيين في أي نظام اقتصادي. اتجهت استعمالات capitalist رأسمالي المتأخرة (أوائل ق 19) نحو وظائف محدّدة في مرحلة معينة من التطور التاريخي؛ إن هذا الاستعمال هو الذي تبلور في «رأسمالية» capitalism. كان هناك مفهوم الرأسمالي كوسيط متحكّم لكن عديم الجدوى بين المنتجين، أو كمستخدم للعمالة، أو في النهاية كمالك لوسائل الإنتاج. أخيرا تضمن ذلك، خاصة عند ماركس، تمييزا بين «رأسمالية» كتصنيف اقتصادي رسمي وبين «رأسمالية» كنوع معين من الملكية المركزية لوسائل الإنتاج إضافة إلى احتفاظها بنظام العمالة المأجورة wage-labour. في هذا المفهوم، الرأسمالية هي نتاج مجتمع برجوازي في تطور؛ هناك أنواع مبكرة للإنتاج الرأسمالي لكن الرأسمالية كنظام - ما يسميه ماركس «الحقبة الرأسمالية» ـ لا تبدأ إلا من ق 16 ولم تصل مرحلة الرأسمالية الصناعية حتى أواخر ق 18 وأوائل ق 19.

هناك جدل كبير حول تفاصيل هذا الوصف وبالطبع حول مزايا النظام وطريقة عمله، لكن من أوائل ق 20 كان لرأسمالية capitalism في الإنجليزية وفي معظم اللغات مفهوم نظام اقتصادي مميز يمكن مقارنته بنظم أخرى : كمصطلح لا يبدو أن «رأسمالية» كانت أقدم من 1880 عندما بدأت تستعمل في الكتابات الاشتراكية الألمانية، وتوسعت من ثم إلى كتابات أخرى غير اشتراكية. يبدو أن استعمالاتها الإنجليزية والفرنسية الأولى لا ترجع إلا إلى السنوات الأولى من ق 20. في منتصف ق 20 وفي ردة فعل ضدّ الطرح الاشتراكي استبدل المدافعون عن النظام الكلمتين «رأسمالية» و«رأسمالي» بتعابير مثل «مشاريع خاصة» private enterprise ومشاريع حرة، غير خاضعة لضبط حكومي free enterprise. في استعادة لبعض ظروف الرأسمالية الأولى طبق هذان التعبيران دون تردد على مؤسسات كبيرة جداً أو شبه حكومية (عامة)، أو على نظام اقتصادي تتحكم فيه هذه المؤسسات. في أحيان أخرى، يتم الدفاع عن الرأسمالية تحت مسمّاها الشائع الآن. كذلك تطوّر استعمال «ما بعد رأسمالي post-capitalist وما بعد رأسمالية post-capitalism» لوصف تعديلات في النظام مثل نقل التحكم المفترض من حاملي الأسهم إلى الإدارة المهنية، أو الوجود الإضافي في نفس الوقت لصناعات معينة مؤممة NATIONALIZED (ا م) أو «مملوكة للدولة». تعتمد جدارة هذه الأوصاف بالتصديق على تعريف «رأسمالية» التي اختيرت لتعديله. رغم أنها تعدل أنواعا معينة من الرأسمالية إلا أنها هامشية فيما يتعلق بالمفهوم المركزي للنظام. في وسط ق 20 استعملت بشكل واسع عبارة جديدة «رأسمالية الدولة state-capitalism»، ولها سوابق من أوائل ق 20، لوصف أنواع من ملكية الدولة لم تتغير فيها الشروط الأصلية للتعريف - ملكية مركزية لوسائل الإنتاج موصلة إلى نظام عمالة مأجورة.

من الضروري أيضاً ملاحظة توسع الصفة «رأسمالي» capitalist لتشمل المجتمع ككل أو جوانب منه يسود فيها الاقتصاد الرأسمالي. يوجد هنا تشابك شديد وتشويش من وقت لآخر بين «رأسمالي» capitalist و«برجوازي» BOURGEOIS (ا م). في الاستعمال الماركسي الدقيق «رأسمالي» هو وصف لأسلوب الإنتاج و«برجوازي» وصف لنوع من المجتمع. في الجدال حول العلاقة بين وسيلة الإنتاج ونوع المجتمع تنشأ ظروف التشابك في المعنى.

انظر: **BOURGEOIS برجوازي، INDUSTRY صناعة/جهد، SOCIETY مجتمع**

مهنة/سيرة CAREER

تستعمل كلمة career الآن بانتظام لوصف تقدم الإنسان في الحياة أو، اشتقاقاً من ذلك، مهنته profession أو وظيفته vocation لدرجة أنه من الصعوبة، في نفس السياق، تذكّر معنييها الأصليين: مضمار سباق racecourse وعدو gallop رغم بقاء أثرهما في بعض السياقات كما في عبارة careering about (عدو، انطلاق، لكن مع about في ذلك تباطؤ).

ظهرت كلمة career في الإنجليزية من أوائل ق 16، من (س م) carriere، فرنسية، مضمار سباق، (س ب) carraria لاتينية - طريق عربات، من carrus، لاتينية - عربة. استعملت من ق 16 للمضمار والعدو وتوسع مدلولها إلى أي نشاط سريع متواصل، رغم أنها استعملت بطريقة حيادية كما في مسار الشمس، إلا أن لها معنى سائداً في ق 17 و ق 18 ليس لنشاط سريع فقط ولكن أيضاً غير مقيّد. كمثال، ليس من السهل التأكد من تغيّر الفحوى بين استعمال في 1767 - «فاتنة ... في سيرها الحثيث لتحقيق انتصاراتها» «... a beauty... in the career of her conquests» واستعمال ماكولي Macaulay في 1848: «في انطلاقة النجاح التامة in the full career of success». لكن الأرجح أنه من أوائل ق 19 بدأ الاستعمال الذي لا يتضمن انتقاصاً، خاصة فيما يتعلق بالدبلوماسيين ورجال الدولة. بحلول منتصف ق 19 أصبحت الكلمة شائعة كدالّ على التقدم في المهنة ومن ثم المهنة نفسها.

عند هذه النقطة، خاصة خلال ق 20، يصعب فصل career عن مجموعة كلمات صعبة أوضح أمثلة لها عمل WORK، شغل LABOUR (ام م) ومهمة job، خاصة الأخيرة. لا تزال career تستعمل بمفهوم السياسيين والمرفهين المجرّد والمثير، لكن في

الأعم تستعمل، مع بعض التمييز الطبقي المقصود أو غير المقصود، بمعنى عمل work أو مهمة job الذي يتضمّن شيئاً من الأمل في التقدم. استعملت بشكل عام للمهن jobs التي تتضمن تطوّراً داخلياً واضحاً - «عمل career في الخدمة المدنية» - لكن تم توسيع مدلولها ليشمل أية وظيفة مرغوبة أو مفضّلة أو ممتدحة - «مهنة career في استخراج الفحم». تتضمّن career في العادة الاستمرارية وإن لم يكن بالضرورة الترقية أو التقدم، ومع ذلك فإن التمييز بين career وjob يعتمد جزئياً فقط على ذلك ويرتبط غالباً بالتمايز الطبقي بين أنواع مختلفة من العمل. من ناحية أخرى يلغي أحياناً هذا الارتباط، توسيع مدلول التعبير، كما في «إرشاد وظائف careers advice»، وهناك وصف أمريكي لـ «العمال workers شبه المهرة» بأن لهم «مسار مهنة ثابت flat career trajectory».

من اللافت أن شيئاً مشابهاً للاستعارة الأصلية بمفهومها الانتقاصي المرتبط بـ ق 17 وق 18 عاود الظهور في وصف مجالات العمل والترفيه كسباق جرذان. لكن بالطبع يظل المعنى الانتقاصي حاضراً فعلاً في الكلمتين المشتقّتين careerism التعلق بالمهنة وcareerist اللاهث وراء المهنة اللتين يتم إبقاؤهما بعيداً عن مدلولات career الإيجابية. سجلت careerist من 1917 و careerism من 1933؛ أشارت الاستعمالات الأولى للسياسة البرلمانية.

انظر: **LABOUR شغل، WORK عمل**

إحسان/بر CHARITY

دخلت كلمة charity الإنجليزية في ق 12 من (س م) charité، فرنسية قديمة، caritas، لاتينية، (س ب) - carus عزيز. اكتسبت الصيغ اللاتينية للكلمة مفهوم ارتفاع الثمن (dearness) بالإضافة إلى العطف (وهو ارتباط تكرر واستمر في dear عزيز نفسها من الفرنسية القديمة فصاعداً). لكن الاستعمال السائد لاحسان كان في سياق الإنجيل. (تم تمييز اليونانية agape المحبة إلي dilectio وcaritas في الترجمة اللاتينية للإنجيل Vulgate، وترجم وكليف Wycliff الكلمتين كمحبة وإحسان. ترجم تنديل Tyndale «caritas» كمحبة، وفي النزاع العقائدي العنيف في ق 16 انتقدت هذه الترجمة واختيرت «إحسان» الكنسية كترجمة أفضل في إنجيل بيشوب Bishop ثم في النسخة المعتمدة The Authorized Version. كانت «محبة» هي إحدى الكلمات الأساسية للنسخة المعدّلة للإنجيل Revised Version في ق 19). كان الإحسان إذن حباً مسيحياً بين الإنسان والإله وبين الناس وجيرانهم. كان مفهوم البر بالجيران وبشكل خاص العطايا للمحتاجين مبكراً أيضاً لكن كان

ذلك يتعلق مباشرة بمفهوم المحبة المسيحي كما في الاستعمال البوليني (نسبة إلى الرسول بولص Paul): «رغم أني أمنح كل ممتلكاتي لإطعام الفقراء ... ولا أمتلك النزعة لعمل الخير فإن ذلك لا يفيدني شيئاً» (1 Corinthians 13 «الرسالة الأولى إلى الكورنثيين»)، حيث لا قيمة للفعل دونما إحساس به. مع ذلك فإن إحسان، في مفهومها السائد كمعونة للمحتاجين، برزت بشكل مضطرد؛ كانت على الأرجح سائدة فعلاً في ق 16 وتم استعمالها بمفهوم تجريدي جديد من أواخر ق 17 وأوائل ق 18. أنشئت أول «مبرة» charity كمؤسسة بحلول أواخر ق 17. استمرت بالطبع هذه المفاهيم.

لكن هناك توجها آخر للكلمة. كانت العبارة «charity begins at home ينشأ الإحسان في البيت» مقولة شعبية في أوائل ق 17 ولها سوابق من ق 14. أكثر أهمية هي عبارة «بارد مثل الإحسان» cold as charity التي هي عكس لافت لما كان على الأرجح الاستعمال الأصلي (إنجيل متى، الإصحاح 24)، حيث التنبؤ بـ «حروب وإشاعات عنها» وبظهور أنبياء كثير «أدعياء»، ثم يتوج ذلك : «لأن الجور سيعم» فإن حب الكثيرين سيزداد برودة». هذا هو المفهوم المسيحي العام. استُعملت ترجمات أسبق (مثلاً، ريميش Rhemish، 1852) : «إحسان الكثير سيزداد برودا». كتب براون Brown (1642) عن «الشكوى العامة هذه الأيام أن الإحسان يزيد برودة». بحلول أواخر ق 18 انعكس المعنى. ليس هو الآن مفهوم نضوب أو جمود الحب أو البر؛ إنه المفهوم الأكثر تشويقاً المرتبط بماهية شعور متلقي عمل الإحسان من الخبرة المطولة مع تقاليد وأساليب معظم المؤسسات الخيرية. ظل هذا المفهوم مهما جداً ولا يزال بعض الناس يعلنون أنهم «لا يتلقون إحساناً take charity»، حتى من صناديق الأموال العامة public funds التي أسهموا هم أنفسهم فيها. صحيح أن هذا يتضمن شعوراً مستقلاً ضد تقبل عون الآخرين، لكن المقت الذي يتخلل الإحسان في هذا السياق ينبع من شعور جريح بالكبرياء واحترام الذات، ويرجع تاريخياً إلى تداخل الإحسان مع الشعور الطبقي من كلا جانبي عمل الإحسان. علامات حاسمة لهذا التداخل هي حصر الإحسان على الفقراء المستحقين (ليس حب الجيران، لكن مكافأة على سلوك اجتماعي مستحسن) والحسابات في الاقتصاد السياسي البرجوازي التي لخصها جافونز Javouns (1878) كما يلي: «كل ما يصرّ عليه الاقتصاد السياسي هو أن يكون الإحسان، فعلاً، إحساناً وأنه لن يسيء إلى الذين يقصد مساعدتهم» (ليس التفريج عن ضائقة، لكن استعمالها الانتقائي للإبقاء على حافز للعمل المأجور). ليس مدهشاً أن الكلمة التي كانت في وقت من الأوقات التعبير السائد لحب ورعاية الآخرين أصبحت (عدا سياقات خاصة،

تبعاً للتعريف القانوني القائم للمؤسسات الخيرية) عرضة للشبهة لدرجة أنه يتوجب على الحكومات الحديثة إعلان مزايا الرفاهية welfare benefits (وفي الذهن تاريخ اجتماعي غني خلف التمييز) على أنها «ليست إحساناً ولكن حقاً not a charity but a right».

مدينة CITY

وجدت كلمة city في الإنجليزية منذ ق 13 لكن يرجع تاريخ استعمالها الحديث المتميز للدلالة على بلدة town كبيرة جداً، وبدأ الاستعمال اللاحق للتفريق بين المناطق المدنية والمناطق القروية أو الريفية في ق 16. بوضوح ترتبط الدلالة والتمييز اللاحقين بالاهتمام المضطرد للحياة الحضرية من ق 16 فصاعداً، لكن حتى ق 19 انحصر هذا في الغالب على العاصمة (المدينة الرئيسية capital city)، لندن. يتوافق الاستعمال العام مع التطور السريع في الحياة الحضرية خلال الثورة الصناعية التي جعلت إنجلترا بحلول منتصف ق 19 أول مجتمع يعيش غالبيته في towns بلدات.

اشتقّت city من (س م) cité، فرنسية قديمة، (س ب) civitas، لاتينية لكن لم تكن civitas مدينة بالمعنى الحديث؛ الكلمة التي كانت تؤدى هذا المعنى هي urbs، لاتينية. كانت civitas الاسم العام المشتق من civis، لاتينية تعنى مواطن citizen، التي هي أقرب إلى مفهومنا الحديث لمواطن «national». كانت civitas إذن هي مجموع المواطنين بدلاً من مستوطنة معينة أو نوع من مستوطنة. بهذه الطريقة استعملها الكتّاب الرومانيون للإشارة إلى قبائل غال Gaul. في تطوّر طويل ومعقّد أصبحت civitas والكلمات المشتقة منها محصورة على البلدة الرئيسية للدولة وفي الاستعمال الكنسي وصفت المدينة التي تضم كاتدرائية. في الإنجليزية كان هناك borough، (س م) burh، إنجليزية قديمة و town، (س م) tun، إنجليزية قديمة. تطورتtown من استعمالها الأصلي كمنطقة ضرب حولها سياج، أو ساحة لمجموعة مباني في هذه المنطقة (تبقى كذلك في الأسماء الحديثة لبعض القرى أو أجزاء منها) إلى بدايات معناها الحديث في ق 13. أصبحت borough وcity مترادفتان إلا أن هناك تمييزات قانونية متعدّدة بينهما في الفترات والأنواع المختلفة للحكومة القروسطية وما بعد القروسطية. من ق 16 كان وجود كاتدرائية أحد مميزات city ولا يزال هناك إصرار متبق من ذلك لكنه خاطئ. عندما بدأت city تتميز عن town فيما يتعلق بالمساحة، وذلك بشكل رئيسي من ق 19، رغم وجود سوابق بخصوص مدينة لندن من ق 16، كان لا يزال كل منهما يعتبر إدارياً borough، وأصبحت هذه الكلمة مرتبطة بنوع معين من الحكومة أو الإدارة المحلّية. على أية حال، من ق 13 أصبحت city أعلى منزلة

من town؛ هكذا استعملت في الغالب بخصوص القرى الإنجيلية أو للإشارة إلى مستوطنة مثالية أو هامّة. بشكل أعـم، بحلول ق 16 استعملت بشكل منتظم بالنسبة للندن وفي ق 17 شاع جداً التضاد بين مدَينة city والريف country. بشكل عام استعملت City بمعناها المحدّد كمركز مالي وتجاري بناء على موقع فعلي داخل مدينة لندن من أوائل ق 18 عندما توسع بطريقة ملحوظة النشاط المالي والتجاري.

لم تتوطد تماماً city مدينة، بمفاهيمها الحديثة كتنظيم استيطاني متميز فعلا ودالّ على طريقة حياة مختلفة تماماً إلا أوائل ق 19، رغم أن للفكرة تاريخ طويل من عصر النهضة، بل حتى من الفكر الكلاسيكي. يمكن تعقب التركيز الحديث في الكلمة في تجريد مدينة city المضطرد كصفة من أماكن محدّدة أو أساليب إدارية معينة، وكذلك في التعميمات المتزايدة لوصف حياة حضرية على مستوي كبير. هكذا تتميّز عموماً مدينة ملايين السّكان الحديثة، وإن بشكل غير دقيق عن أصناف عديدة من city ـ قارن مدينة كاتدرائية، مدينة جامعية، مدينة إقليمية - وهو تمييز يرجع إلى فترات وأنواع استيطان سابقة. في نفس الوقت، قسمت المدينة الحديثة ذاتها، كما في الاستعمال المعاصر للمدينة الداخلية inner city، وهو تعبير أصبح ضرورياً تبعاً للوضع المتغير لضاحية suburb. كانت هذه الأخيرة من منتصف ق 13 منطقة خارجية ووضيعة، ويبقى هذا المفهوم في بعض استعمالات suburban الصفة للدلالة على ضيق الأفق. لكن من أواخر ق 19 كان هناك تحّول طبقي في مجالات الأفضلية؛ جذبت الضواحي مقيمين وتركت المدينة الداخلية، في الغالب، للمكاتب والحوانيت والفقراء.

انظر: **COUNTRY ريف، CIVILIZATION حضارة**

حضارة CIVILIZATION

تستعمل حضارة civilization الآن لوصف حالة أو وضع منجز من الحياة الاجتماعية المنظمّة. دلّت في الأصل على «عملية»، وفي بعض السياقات لا يزال هذا المفهوم حاضراً كما هو في ثقافة CULTURE (ا م) التي يربطها معها تفاعل طويل ومعقد حتى الآن.

تلت civilization في الإنجليزية civilize، يحضّر، التي ظهرت في أوائل ق 17، من ق 16 civilizer، فرنسية، (س م) civilizare، لاتينية وسيطة : جعل الأمور الجنائية مدنية ومن ثم، استطراداً من ذلك، إدراجها ضمن شكل من التنظيم الاجتماعي. الأصل الأساسي (س ب) civil من civilis، لاتينية : ينتمي إلى أو يخص مواطنين citizens، من civis، لاتينية : مواطن. هكذا استعملت civil في الإنجليزية من ق 14، وبحلول ق 16 اكتسبت

مفاهيم «منظّم» و«حسن التربية». في 1594 كتب هوكر Hooker عن «مجتمع مدني «civil society» - عبارة ستصبح أساسية في ق 17 وبشكل أهم في ق 18 - لكن التطور الرئيسي نحو وصف مجتمع منظّم كان civility ـ (س م) civilitas، لاتينية ـ وسطي: جماعة community. في الغالب استعملت civility كياسة/لطف في ق 17 وق 18 في نفس المكان الذي تستعمل فيه الآن civilization حضارة. وحتى وقت متأخر عندما زار بوزول Boswell جونسون Johnson في 1772 «وجدته وحده مشغولاً بتحضير طبعة رابعة من قاموسه ... رافضاً إدراج civilization، مبقياً فقط على civility. مع تقديري العظيم له شعرت أن civilization، مِن «يمدّن» civilize، أفضل في مقابلة كلمة «بربرية» من civility». حدّد بوزول بدقة الاستعمال الرئيسي الذي كان على وشك التغلّب والذي أكّد حالة التنظيم والتهذيب أكثر من العملية، خاصة في تضاد ثقافي وتاريخي مقصود مع بربرية. ظهرت civilization في قاموس آش Ash في 1775 للدلالة على الحالة والعملية. أصبحت شائعة بحلول أواخر ق 18 ثم بشكل ملحوظ في ق 19.

من ناحية، مفهوم حضارة الجديدة هو جمع معيّن بين أفكار التقدم وحالات منجزة. وهو فهم كانت تدعمه روح عصر التنوير العامة بتركيزها على التطوير البشري العلماني والتقدمي. عبّرت civilization عن هذا المفهوم للعملية التاريخية بالإضافة إلى الاحتفاء بمفهوم الحداثة المصاحب: حالة منجزة من التهذيب والتنظيم. في رد فعل الرومانسيين ضد هذه الادعاءات للحضارة استحدثت كلمات بديلة للتعبير عن أنواع أخرى من التطوير البشرى ومعايير أخرى للرفاهية الإنسانية، وأهم هذه الكلمات هي ثقافة CULTURE (ا م). في أواخر ق 18 كان الربط بين حضارة civilization وتهذيب السلوك طبيعياً في كل من الإنجليزية والفرنسية. كتب بيرك Burke في Reflections on the French Revolution: «سلوكنا manners، حضارتنا وكل الأمور الصالحة التي تتعلق بالسلوك وبالحضارة». هنا الكلمتان مترادفتان لكن يجب ملاحظة أن manners لها معنى أشمل من الاستعمال الحديث المعتاد. من أوائل ق 19 تطورت civilization نحو معناها الحديث الذي فيه توكيد على كل من التنظيم الاجتماعي والمعرفة المنظمة (فيما بعد علم SCIENCE (ا م)) وبنفس الدرجة توكيد مماثل على تهذيب السلوك والتصرّف، وكان هذا التطور على العموم أسرع في الفرنسية من الإنجليزية. لكن كانت هناك لحظة حاسمة في الإنجليزية في ثلاثينات ق 19 عندما كتب مل«Mill» في مقالة عن كوليردج:

خذ مثلاً مسألة مدى استفادة الإنسانية من الحضارة civilization. يستوقف المشاهد

بشكل واضح تعدد أسباب الراحة الجسدية؛ تقدم وانتشار المعرفة؛ تلاشي الخرافات، وسائل الاتصال بين الأفراد، تهذيب السلوك؛ انحسار الحروب والنزاعات الشخصية؛ الحد بشكل متزايد من هيمنة القوي على الضعيف؛ الأعمال العظيمة التي أنجزت حول العالم عن طريق تعاون الجماهير ....

هذه سلسلة من الأمثلة الإيجابية للحضارة وهي سلسلة حديثة تماماً. استمر مِل ليصف نتائج سلبية: فقدان الاستقلال، خلق احتياجات مصطنعة؛ رتابة؛ فهم ميكانيكي ضيّق؛ تفاوت اجتماعي وفقر لا أمل في تخفيفه. كان هناك تعارض قدّمه كوليردج وآخرون بين حضارة civilization وثقافة culture أو تهذيب cultivation:

> التمييز الدائم والتعارض من حين لآخر قائم بين تهذيب cultivation وحضارة civilization .. يعتمد استمرار الأمة ... وتقدمها والحرية الشخصية على حضارة مستمرة وفي تقدم. لكن civilization نفسها ليست كلها حسنات، إن لم تكن ذات تأثير أكثر إفساداً: تورّد المرضي وليس رواء الصحة. وأمة هذه خصالها يمكن بطريقة أفضل وصفها بالمجمّلة بدلاً من المصقولة، حيث أن هذه حضارة ليست مؤسسة على التهذيب والتنمية المتناغمة لتلك الميزات والقدرات الدّالة على إنسانيتنا، (On the Constitution of Church and State,V).

بوضوح كان كوليردج على علم في هذه الفقرة بارتباط الحضارة بصقل polishing السلوك؛ هذا هو مغزى الملاحظة عن التجميل، ويذكّر هذا التمييز بالتداخل اللافت في إنجليزية وفرنسية ق 18 بين مصقول polished ومؤدب polite اللتان لهما نفس الأصل. لكن وصف حضارة بأنها «ليست كلها حسنات»، مثل وصف «مِل» الأكثر إسهابا للآثار الإيجابية والسلبية، يحدّد النقطة التي أصبحت فيها الكلمة تمثّل كل العملية الاجتماعية الحديثة. من هنا فصاعداً ساد هذا المفهوم سواء اعتبرت الآثار إيجابية أو سلبية أو خليطاً منهما.

مع ذلك اعتبرت بشكل رئيسي عملية عامة بل عالمية. كانت هناك لحظة حرجة عندما استعملت في الجمع. حصل هذا في حضارات civilizations بعد حصوله في ثقافات cultures؛ استعمالها الواضح الأول كان في الفرنسية (Ballanche) في 1819. سبقت ذلك في الإنجليزية استعمالات ضمنية للدلالة على حضارة مبكّرة، لكنها لم تصبح شائعة في أي مكان حتى ستينات ق 19 .في الإنجليزية الحديثة لا تزال حضارة تشير إلى حالة أو وضع ولا تزال تتم معارضتها مع وحشية savagery أو بربرية barbarism. لكن النسبية المتضمّنة

في الدراسات المقارنة والتي تنعكس في استعمال الجمع - حضارات - أثّرت على هذا المفهوم الرئيسي وتربط الكلمة الآن بانتظام بوصف محدد : حضارة غربية، حضارة حديثة، حضارة صناعية، حضارة علوم وتكنولوجيا. بهذا أصبحت نمطاً حيادياً نسبياً لأي تنظيم اجتماعي منجز أو طريقة حياة. وفي هذا المعنى لها علاقة معقدة ومثيرة جداً للجدل مع المفهوم الاجتماعي الحديث لثقافة. لكن لا يزال مفهومها كوضع منجز قوي بدرجة كافية لمنحه صفة معيارية؛ بهذا المعنى يمكن فقدان أو اكتساب حضارة civilization، طريقة حياة متحضرة أو شروط مجتمع متحضر .

انظر : **CITY مدينة، DEVLOPMENT تطور، MODERN حديث، SOCIETY مجتمع، WESTERN غربي**

طبقة CLASS

من الواضح أن class كلمة صعبة سواء في نطاق المعاني التي تشملها أو في تعقيدات معناها المحدّد الذي يصف فئة اجتماعية. دخلت الكلمة اللاتينية classis ـ «تقسيم اجتماعي» بناءً على ممتلكات سكان روما - الإنجليزية في أواخر ق 16 في صيغتها اللاتينية، والجمع هو إما classes أو classies. هناك مفهوم من أواخر ق 16 (King، 1594) له نبرة حديثة تقريباً : «كل تقسيمات classies وتصنيفات الغرور والزهو». لكن استعملت classis بشكل رئيسي في إشارة واضحة إلى التاريخ الروماني ومن ثم توسعت أولاً كمصطلح في تنظيم الكنيسة (التجمعات إما أن تكون طبقات classes أو مجمعات كنسية synods، 1593) وفيما بعد كمصطلح عام لفئة أو مجموعة («أصناف classis النباتات»، 1664). جدير بالملاحظة أن الكلمة اللاتينية المشتقة classicus، التي دخلت الإنجليزية في أوائل ق 17 بصيغة classic من (س م) classique، فرنسية، كان لها مفهوم اجتماعي ضمني قبل أن تكتسب معناها العام كسلطة معيارية ومن ثم معناها المحدد : انتماء إلى العصور اليونانية والرومانية العتيقة (الآن تتميز عادة في صيغة كلاسيكي classical التي كانت في البداية بديلاً لكلاسيك classic). كتب Gellius جليس : «classicus ... scriptor، non proletarius» [الكتابة الكلاسيكية ليست هي البرولتارية]. لكن الصيغة class التي دخلت الإنجليزية في ق 17 اكتسبت ارتباطا خاصا بالتربية education. في شرحه لـ classe، شمل بلاونت Blount المفهوم الذي لا يزال رومانيا بشكل رئيسي كتصنيف وتوزيع الناس حسب درجاتهم المختلفة لكنه أضاف : «في المدارس (حيث تستعمل الكلمة أكثر من أي مكان آخر) صف أو محاضرة تقتصر على مجموعة معينة من الدارسين» وهذا الاستعمال لا يزال شائعاً في

التعليم. تأثر بشدة تطور كلاسيك classic وكلاسيكي classical بهذا الارتباط مع الأعمال الرسمية المقررة للدراسة.

من أواخر ق 17 زاد باضطراد شيوع استعمال class طبقة كتعبير عام لمجموعة أو فئة. لكن ما فاقم الصعوبة إذ ذاك هو أن class أصبحت تستعمل بهذه الطريقة مع الناس وكذلك مع النباتات والحيوانات، لكن دونما المفاهيم الاجتماعية المتضمنة في النوع الحديث. (قارن ستيل Steele، 1709 : «هذه الطبقة من الأذكياء»). ينتمي في الأساس تطور class في مفهومها الاجتماعي الحديث، بما فيه المسميات الثابتة نسبيا لطبقات معينة (الطبقة الدنيا، الطبقة الوسطي، الطبقة العليا، طبقة العمال ... الخ)، إلى الفترة بين 1770 و1840 التي هي أيضاً فترة الثورة الصناعية وإعادة تنظيمها الحاسم للمجتمع. في حديها الأقصيين لا توجد صعوبة في التمييز بين (1) طبقة كتعبير عام لأي تجمّع و(2) طبقة كوصف دقيق لتشكيل اجتماعي. ليست هناك صعوبة في التفريق بين قول Steele طبقة من الأذكياء» و، مثلا، بيان اتحاد برمنجهام السياسي (1830) : «بأن حقوق ومصالح الطبقتين الوسطي والدنيا من الشعب ليست ممثلة بشكل كاف في مجلس العموم من البرلمان». لكن في فترة الانتقال العصيبة بل حتى لوقت قبلها كانت هناك صعوبة حقيقية في التأكد من أن استعمالاً معينا يتبع (1) أو (2). حسب علمي أول استعمال - والذي يمكن قراءته بالمعنى الحديث - هو قول ديفو Defoe : «واضح أن ارتفاع الأجور يصنف شعبنا إلى طبقات أكثر مما يظهر لدى أمم أخرى» (Review، 14 أبريل، 1705). كذلك لا بد وأن يكون هناك بعض الشك حول عنوان هانواي Hanway في 1772 : «ملاحظات حول أسباب الفسق الذي يسود بين الطبقات الدنيا من الشعب». يمكننا أن نقرأ هذه كما نقرأ ديفو بالمفهوم الاجتماعي الدقيق، لكن هناك تداخلاً كبيراً بين معنى (1) ومعنى (2) يجعلنا نتأنى. السبب الحاسم لهذا التطور هو المفردات البديلة للتقسيم الاجتماعي؛ في الحقيقة أنه حتى أواخر ق 18 - بل وبطريقة أقل حتى وقت متأخر من ق 19 وق 20 - كانت الكلمات الأكثر انتشاراً هي rank مرتبة وorder رتبة، بينما كانت estate منزلة و degree درجة لا تزال أكثر شيوعاً من طبقة class. كانت منزلة estate ودرجة degree، ورتبة order تستعمل بشكل واسع لوصف الوضع الاجتماعي منذ القرون الوسطى. كانت order شائعة منذ أواخر ق 16. كانت هذه الكلمات هي المعتادة تقريبا في كل المجالات التي تستعمل فيها الآن طبقة. وأصبحت رتبة دنيا lower order ومراتب دنيا lower orders شائعتين بشكل خاص في ق 18.

يتعلق التاريخ الأساسي لدخول طبقة class ككلمة تنسخ الأسماء الأقدم للتصنيف الاجتماعي بالشعور المضطرد بأن الوضع الاجتماعي يُصنع بدلاً من أن يكون مجرد ميراث. كل الكلمات القديمة باستعاراتها الأساسية بالوقوف والتدرج والترتيب في صفوف ترجع إلى مجتمع يتحدد فيه الوضع بالولادة. ينظر إلى الحراك الفردي كانتقال من منزلة، درجة، أو رتبة إلى أخرى. لم يكن سبب تغيّر الشعور هو مجرّد الحراك الفردي المتزايد الذي يمكن استيعابه ضمن التعابير السابقة، لكن السبب هو المفهوم الجديد للمجتمع SOCIETY (ا م) أو نظام اجتماعي social system معين خلق فعلاً فئات اجتماعية، بما في ذلك أنواعا جديدة من الفئات. يظهر هذا جليا في أحد الاستعمالات الأولي الواضحة: استعمال ماديسون في الفدرالي The Federalist (امريكا، حوالي 1787): المصالح المالية والصناعية «تنمو بالضرورة في الأمم المتحضرة وتصنفهم إلى طبقات مختلفة تحرّكها مشاعر وآراء مختلفة». تحت ضغط هذا الشعور الذي ازداد حدة إلى درجة كبيرة بالتغيّرات الاقتصادية التي أحدثتها الثورة الصناعية والنزاعات السياسية للثورتين الأمريكية والفرنسية بدأت كلمة طبقة في السيطرة. لكن هذه كانت عملية بطيئة ومتفاوتة ليس فقط بسبب الألفة المتبقية للكلمات السابقة وليس فقط لأن المفكرين المحافظين كمسألة مبدأ استمروا في تجنب «طبقة» كلما أمكن ذلك وفي تفضيل التعبيرات السابقة. كانت عملية بطيئة ومتفاوتة وظلت صعبة وذلك بشكل رئيسي بسبب التداخل المحتوم بين استعمال طبقة، ليس كفئة اجتماعية محددة، ولكن كعبارة متوفرة عموماً وفي الغالب لأي غرض تصنيفي.

بمعرفة ذلك يمكن تتبع تكوين مفردة طبقة class المحدّدة مؤخراً. استعملت lower classes طبقات دنيا في 1772 وكانت lowest classes الطبقات الأدنى وlowest class الطبقة الأدنى شائعة من تسعينات ق 18. تحمل هذه الكلمات بعض آثار الانتقال لكنها لم تكمل بعد التحول التام. من اللافت وصف طبقات وسطى middle classes الجديد الذي هو بشكل متزايد ذاتي الوعي وذاتي الاستعمال لأنه أقل اعتمادا على مفهوم قديم عام، حيث لا تختلف كثيراً طبقات دنيا عن عامة الناس COMMON (ا م). لهذا التعبير سوابق في «رجال من حالة متوسطة» men of a middle condition (1796) و«المحطة الوسطى للحياة» The middle Station of life، (Defoe، 1719) و«أهل إنجلترا المتوسطون .. عموماً طيّبون وشجعان»، The Middling People of England ... generally Good-natured and Stout-hearted (1718) و«الطبقات الدنيا والوسطى» (1789). في 1795 كتب جيسبورن Gisborne «بحث في واجبات رجال من المرتبة العليا وطبقات المجتمع المتوسطة في بريطانيا الكبرى Enquiry into the Duties of Men in the Higher Rank

وفي 1796 كتب مور Hannah «and Middle Classes of Society in Great Britain. More عن «الطبقات المتوسطة» middling classes. في 1809، هناك عبارة يلقي «عبء الضريبة» بثقله «على الطبقات الوسطى» (Monthly Repository، 501)، وفي 1812 هناك اشارة إلى أناس من الطبقة الوسطى للمجتمع عصفت بهم الأيام (Examiner، أغسطس)؛ ظلت rank مرتبة تستعمل على الأقل بنسبة متساوية، كما هو عند مل James Mill (1820) «الطبقة التي توصف عموما بأنها الجزء الأحصف والأعف من المجتمع: المرتبة الوسطى middle rank» (Essay on Government)، لكن في هذه الفترة اكتسبت طبقة بالفعل مفهوماً اجتماعياً عاماً عندما استعملت بمفردها. وصل تضخّم التمجيد الذاتي ذروة مؤقتة في خطبة بروهام Brougham في 1831 : «بالشعب أعنى الطبقات الوسطى، ثروة وعقل البلد، مجد الاسم البريطاني».

هناك غرابة مستمرة في هذا التطور. تنتمي وسطى middle إلى حيّز بين دنيا وعليا؛ في الواقع كإقحام بين دنيا وعليا اللتين فقدتا بشكل متزايد أسباب وجودهما. في 1791 استعمل بيرك Burke (Thoughts on French Affairs) طبقات عليا higher classes وسجلت طبقات أعلى upper classes من عشرينات ق 19. في هذا النموذج لا يزال واضحاً التصنيف الهرمي القديم؛ «طبقة وسطى» هي تدخّل ذاتي الوعي يشغل حيزاً بين أفراد ذوي «مرتبة» و«العامة». هذه كانت دائماً، حسب التعريف، غير محددة : هذا هو أحد الأسباب التي جعلت في النهاية الكلمة التجميعية «طبقة» class بدلاً من الكلمة المحددة مرتبة rank تسود. لكن بوضوح عند Brougham وغالباً منذ ذلك الوقت اختفت تقريباً من التصنيف البادئة «عليا» higher أو upper أو بالأحرى أعطيت بعداً مختلفاً: تم حصرها على الأرستقراطية المتبقية والمحترمة لكن التي أزيحت بشكل أساسي.

هذه هي خلفية التعقيدات اللاحقة. في الجدل العنيف حول الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الفترة بين تسعينات ق 18 وثلاثينات ق 19 استعملت «طبقة» في نموذج آخر يبيّن تمييزاً بسيطاً : طبقات منتجة ومفيدة productive or useful classes - تعبير قوى ضد الأرستقراطية. في ترجمة واسعة الانتشار لكتاب فولني Voleny: (The Ruins, or A Survey of the Revolutions of Empires جزآن، 1795) هناك حوار بين الذين عن طريق «عملهم المفيد يسهمون في دعم المجتمع والمحافظة عليه» (معظم الناس: «العمال، الحرفيون، التجار وكل المهن المفيدة للمجتمع»، من ثم يسمّون الشعب People) والطبقات الموسرة («القساوسة، رجال البلاط، المسئولون العامّون، قادة الجند، باختصار

موظفو الحكومة المدنيين والعسكريين والدينيين»). هذا وصف ينطوي على مفهوم فرنسي للشعب the people يتعارض مع حكومة أرستقراطية، لكن تم تبنى هذا المفهوم بشكل واسع في عبارات إنجليزية مما نجم عنه نتيجة محدّدة تتوافق مع الوضع السياسي الفعلي لحركة الإصلاح بين تسعينات ق 18 وثلاثينات ق 19 : كل من الطبقات الوسطي الواعية لذاتها والناس المختلفين عنهم تماماً الذين يصفون أنفسهم بحلول نهاية الفترة كطبقات عاملة working classes تبنوا وصف «طبقات مفيدة ومنتجة» في تمييز وتضاد مع الطبقة الموسرة أو العاطلة. استمر هذا الاستعمال الذي لا ينسجم مع النموذج الآخر (دنيا، وسطى، عليا) مهماً ومشوّشاً.

تمت تسمية «طبقات عاملة working classes لأول مرة عن طريق الانتقال من مفهوم طبقات مفيدة ومنتجة. هناك تشابك كبير في ذلك : قارن «طبقات وسطى وكادّة «middle and industrious classes» (Monthly Magazine، 1797) و«طبقات فقيرة وعاملة» poor and working classes، (1813, Owen) - الأخيرة على الأرجح هي أول استعمال إنجليزي لطبقات عاملة working classes، لكنها كانت عامة. نشر أوين Owen في 1818 Two Memmorisls on Behalf of the Working Classesوفي نفس العام استعملت The Gorgon (28 نوفمبر) «طبقات عاملة» working classes في سياق واضح ومحدّد للعلاقات بين «عمال» workmen و«موظّفيهم» their employers. تطور الاستعمال بعد ذلك بسرعة وبحلول 1831 حدّدت نشرة The National Union of the Working Classes كعدو لها ليس الامتياز بالدرجة الأولى بل «القوانين التي وضعت لتحمي ... الممتلكات أو رأس المال». (ميزوا مثل هذه القوانين عن تلك التي لم توضع لتحمي الصناعة INDUSTRY (ا م) التي ما زالت على مفهومها القديم كعمل فعلي applied labour). كتب أوبراين O'Brian في The Poor Mans Guardian (19 أكتوبر، 1833) عن تكوين «سيطرة تامة للطبقات المنتجة على ثمرة عملها» واستمر يصف مثل هذا التغيير «كما تتصوره الطبقات العاملة»؛ العبارتان ـ «طبقات منتجة» و«طبقات عمال» - يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى في هذا السياق. هناك تعقيدات في تعبيرات مثل الطبقات الكادحة labouring classes وطبقات عمال operative classes التي يبدو أنها وضعت للتمييز بين مجموعة وأخرى من الطبقات المفيدة تتماشى مع التمييز بين عمال وأرباب عمل، رجال وسادة : وهو تمييز كان محتوما اقتصاديا وكان فعّالاً من ثلاثينات ق 19 على الأقل. تبنوا تعبير «طبقات عاملة» الذي سماهم به آخرون واستعملوه بفخر، تماما كما حصل بالنسبة للطبقات الوسطي: «صنعت الطبقات العاملة working classes كل الثروة»

(نشرة رولز Rulez . لجمعية ريبوندن Ripponden التعاونية؛ ذكرها بريستلي J.H. Priestly في History of RCS؛ يرجع تاريخها إلى 1833أو 1839).

بحلول أربعينات ق 19، إذن، كانت «طبقات وسطى» middle classes و«طبقات عاملة» working classes تعبيرين شائعين. في البداية أصبحت الأولى مفردة؛ ومن أربعينات ق 19 أصبحت الأخيرة في صيغة المفرد، لكن لا تزال حتى اليوم تتراوح بين الجمع والمفرد وغالباً بأهمية أيديولوجية، المفرد مألوف في الاستعمالات الاشتراكية والجمع أكثر شيوعاً في الوصف المحافظ. لكن كان الأثر الأهم لهذا التاريخ المعقد هو توفر تعبيرين شائعين الآن، يستعملان للمقارنة والتميز أو التعارض، نشآ ضمن نموذجين مختلفين. من ناحية، دلت وسط middle على هرمية ومن ثم تضمنت وجود «طبقة دنيا lower class»: ليس فقط نظرياً ولكن في ممارسة متكررة. من ناحية أخرى، تضمنت عاملة working نشاطاً منتجاً أو مفيداً وبالتالي جعلت كل من هم ليسوا في الطبقة العاملة غير منتجين أو عديمي الفائدة (سهل بدرجة كافية بالنسبة للأرستقراطية لكنه صعب التقبل من الطبقة الوسطى). حتى اليوم هناك صدى لهذا التشويش. في وقت مبكر، 1844، أشار كوكبرن Cockburn إلى «ما يعبر عنه بالطبقات العاملة كما لو أن العاملين الوحيدين هم الذين يصنعون بأيديهم». مع ذلك فإن «رجل عامل» working man أو workman تشير باستمرار إلى العمل اليدوي. في تشريع 1875 أعطيت هذه تعريفاً قانونياً : «يعني التعبير عامل .. workman أي شخص بصفته شغيلاً، خادماً في الزراعة، عاملاً يومياً، صانعاً، حرفياً، عامل منجم ،عاملاً في أي مجال بيديه ... يكون قد دخل في عقد أو يعمل حسب عقد مع صاحب عمل employer». هكذا كان الربط بين «عامل» و»طبقة عاملة» وثيقاً جداً، لكن من الملاحظ أن التعريف يشمل عقداً مع صاحب العمل بالإضافة إلى كونه عملاً يدوياً. ينص تشريع 1890 على أن «شروط فقرة 11 من تشريع إسكان الطبقات العاملة، 1885 ... سيكون لها مفعولها كما لو أن تعبير «طبقات عاملة» شمل كل طبقات الناس الذين يكسبون معيشتهم عن طريق الأجور أو الرواتب». سمح هذا بتمييز عن أولئك الذين اعتمدت معيشتهم على أتعاب fees (الطبقة المهنية professional class)، أرباح profits (طبقة التجار) وممتلكات property (المستقلون independent). مع ذلك وخصوصاً مع تطور المهن المكتبية والخدمية كان هناك التباس خطير حول الوضع الطبقي للذين يعملون مقابل راتب أو حتى أجر ولكن لم يقوموا بأي عمل يدوي. (ترجع راتب salary كجزاء ثابت إلى ق 14؛ «أجور ورواتب» wages and salaries هو تعبير مألوف من ق 19؛ لكن في 1868 «قيل إن مدير بنك أو سكة حديد - أو حتى مراقباً أو كاتبا في مصنع - يستلم راتباً»، وواضح هنا محاولة

التمييز الطبقي بين رواتب وأجور؛ بحلول أوائل ق 20 تم التمييز بين مستلمي الرواتب salariat والبروليتاريا proletariat). مرة أخرى هنا وفي لحظة حاسمة واضح أثر نموذجي «طبقي». الطبقة الوسطى التي ينحاز إليها أصحاب الرواتب هي تعبير عن وضع اجتماعي نسبي، وبالتالي تمييز اجتماعي. الطبقة العاملة، وهي محدّدة بناءً على مفهوم مختلف للطبقات المفيدة أو المنتجة، هي تعبير عن علاقات اقتصادية. هكذا يرتكز تعبيرا الطبقة الحديثة الشائعين على نموذجين مختلفين، ووضع أولئك الذين هم على علم بالموقع الاجتماعي النسبي وبالتالي التميز الاجتماعي ولكن، مع ذلك، يبيعون عملهم ويعتمدون عليه، ضمن علاقات اقتصادية، هو نقطة تداخل حاسمة بين النموذجين والتعبيرين. من العبث الاستنتاج بأن الطبقات العاملة هي الوحيدة التي تعمل WORK (ا م) لكن إذا وصف الذين يعملون في عمل غير يدوي أنفسهم بعبارات موقع اجتماعي نسبي («طبقة وسطي») فإن التشويش محتوم. أحد الآثار الجانبية لهذه الصعوبة كان التفصيل الإضافي لتصنيف حسب الطبقة classing ذاتها (الفترة من أواخر ق 19 إلى أواخر ق 19 زاخرة بهذه الكلمات المشتقة : «classify»، «classification»، «classifier»). من ستينات ق 19 بدأت الطبقة الوسطى تنقسم إلى قسمين دنيا lower وعليا upper وفيما بعد انقسمت الطبقة العاملة إلى مهرة skilled وشبه مهرة «semi-skilled» وعمالة labouring. تبعت ذلك نظم تصنيف أخرى مختلفة برزت منها «مجموعة اقتصادية اجتماعية» socio-economic group، التي يجب اعتبارها محاولة لمزاوجة نموذجي الطبقة والمنزلة STATUS (ام).

في الختام من الضروري دراسة صيغ «طبقة» كفكرة مجردة. في أحد الاستعمالات الأولى للتعبير الاجتماعي المفرد تكاد تكون «طبقة» في قول كراب Crabbe :

To every class we have a school assign'd — لكل طبقة اخترنا مدرسة

Rules for all ranks and food for every mind — وقواعد لكل مرتبة، وقوت لكل ذهن

معادلة لمرتبة «rank» وهكذا استعملت في تعريف طبقة وسطي «middle». لكن تأثير مفهوم (1) لطبقة كتعبير عام للتجميع كان لا يزال قويا بدرجة مساوية ونجم عن ذلك بشكل رئيسي طبقات «مفيدة أو منتجة». لكن تمييز «المنتجة» كإدراك لنظام اقتصادي فعّال أدى إلى مفهوم لطبقة ليس هو بالمرادف لمرتبة ولا هو طريقة تجميع وصفي، وإنما هو وصف علاقات اقتصادية سياسية. في الاستعمال الحديث، لا يزال مفهوم مرتبة، رغم أنه ضئيل، فعالاً؛ في استعمال من الاستعمالات، لا تزال «طبقة» تتحدد بشكل أساسي بالولادة. لكن تتوزع

الاستعمالات الجادّة بين تجميع وصفي وعلاقات اقتصادية. من الواضح أن مصطلح علاقات اقتصادية أساسية (كما هي بين أصحاب العمل والمستخدمين أو الملاك وعديمي الأملاك) سيعتبر غير دقيق وعاماً بالنسبة لغرض التجميع الوصفي الدقيق الذي هو مختلف تماماً. من ثم النقاش المستمر بين الذين يقترحون، مستعملين «طبقة» بمفهوم العلاقات الأساسية، اثنين أو ثلاث «طبقات» أساسية والذين يجدون، مستعملين «طبقة» للتجميع الوصفي، ضرورة تقسيم هذه التصنيفات إلى فئات أصغر وأصغر. يضم تاريخ الكلمة هذا الالتباس الأساسي.

يمكن ملاحظة كل النزعات عندما كانت تتطور تعابير «طبقة» في أوائل ق 19. أشارت The Gorgon 21 نوفمبر 1818) بطريقة طبيعية تماماً إلى طبقة صغرى من التجار تسمى عمال العليّات garretmasters. لكن في 1825 عرف كوبيت Cobett المفهوم الأحدث: «حتى تكون هناك طبقة من المجتمع متحدة لمعارضة طبقة أخرى». في 1805 جادل هول Charles Hall بأنه:

> «يمكن تقسيم الشعب في دولة متحضّرة إلى رتب orders مختلفة؛ لكن لغرض البحث في الطريقة التي يتمتعون فيها أو يحرمون من المتطلبات التي تسهم في صحة أبدانهم وعقولهم فإنه يجب تقسيمهم فقط إلى طبقتين: الأثرياء والفقراء».
> .(The Effects of Civilization on the People in European States)

هنا يوجد تمييز بين رتب orders (مراتب ranks) وتجمعات اقتصادية فعالة (طبقات). في 1818 وصف غازل قطن (وردت في The Making of the English Working Class لمؤلفه E.P. Thompson، ص 199) أصحاب العمل والعمال «بطبقتين متميزتين من الناس». بطرق مختلفة أصبح هذا التصنيف الثنائي تقليدياً رغم أنه وجد بمحاذاة تجمعين ثلاثيين: «تجمع اجتماعي (عليا، وسطي، دنيا) وتجمع اقتصادي مستحدث: «ثلاث طبقات» جون ستيوارت مل J.S. Mill»: ملاك أراضي، رأسماليون وعمال» (Monthly Repository، 1834، 320) أو قول ماركس «ثلاث طبقات اجتماعية كبرى... عمال بالأجر، رأسماليون وملاك أراض (Capital، III). في التطور الفعلي للمجتمع الرأسمالي حل تقسيم ثنائي جديد محل التقسيم الثلاثي : في لغة ماركسية، البرجوازية، والبروليتارية (لتعقيدات التقسيم الثلاثي وبسبب التعريف الاجتماعي بشكل رئيسي للتعبير الإنجليزي «طبقة وسطى»، فإن برجوازي وحتى بروليتاري غالباً ما تكون صعبة الترجمة). تبرز بعد ذلك صعوبة إضافية: تكرار على مستوى آخر للاختلاف بين تجميع وصفي وعلاقة

اقتصادية. يمكن أن تكون «طبقة» تصنيفاً (كاسبي الأجر wage-earners) أو تشكيلاً (الطبقة العاملة) لو نظر إليها حسب العلاقات الاقتصادية. كان وصف ماركس للطبقات ينحو في اتجاه التشكيلات:

«يشكل الأفراد المستقلون طبقة فقط لأنه يتوجب عليهم مواصلة المجابهة ضد طبقة أخرى؛ عدا ذلك فهم في نزاع بينهم كمتنافسين. من ناحية أخرى، تكتسب الطبقة بدورها وجوداً مستقلا في مواجهة الأفراد بحيث أنهم يجدون ظروف معيشتهم مقررة مسبقاً ومن ثم يكون قد تم تحديد وضعهم في الحياة ونموهم الشخصي عن طريق طبقتهم ...»(German Ideology) .

يشمل هذا النقاش الصعب مرة أخرى تشويشاً. في بعض الأحيان «طبقة» هي تصنيف اقتصادي يضم كل الذين هم بطريقة موضوعية في ذلك الوضع الاقتصادي. لكن «طبقة» في أحيان أخرى (ولدى ماركس غالباً) هي تشكيل تطور فيه لأسباب تاريخية شعور بهذا الوضع وتنظيم للتعامل معه. هكذا نقرأ:

«بقدر ما يعيش ملايين من الأسر تحت ظروف معيشة اقتصادية تفصل أسلوب حياتهم واهتماماتهم وثقافاتهم عن تلك التي تخص طبقات أخرى وتضعهم في معارضة عدائية معها، فإنهم يكونون طبقة. بقدر ما يوجد مجرد تواصل محلي بين هؤلاء الفلاحين من صغار المستأجرين ولا يؤدى تطابق اهتماماتهم إلى تكوين مجتمع، أو رابطة وطنية ولا تنظيم سياسي بينهم فإنهم لا يشكلون طبقة (Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte).

هذا هو التمييز بين تصنيف وتشكيل، لكن حيث أن طبقة تستعمل لكليهما فقد نجم عن ذلك كثير من التشويش. لا تزال المسألة حرجة كونها تشكل أساس جدال متكرر حول علاقة وعي طبقي class consciousness مفترض بطبقة محددة موضوعياً وحول تقلبات وصف الذات وتحديدها بناءاً على مقياس طبقي. تعيد كثير من التعبيرات المشتقة هذا الالتباس. بوضوح لا يمكن أن يرتبط وعي طبقي إلا بالتشكيل. تعتمد صراع طبقي class struggle، ونزاع طبقي class conflict، حرب طبقية class war وتشريع طبقيclass legislation، وتحيز طبقي class bias على وجود تشكيلات (رغم أن هذا قد يكون متفاوتاً أو جزئياً بين الطبقات). من ناحية أخرى، يمكن لثقافة وطنية أن تتأرجح بين معنيين: ثقافة طبقة عاملة working-class culture يمكن أن تكون معاني وقيم ومؤسسات التشكيل، أو

ذوق وأسلوب حياة هذا التصنيف (انظر أيضاً ثقافة CULTURE). في نطاق واسع من الجدل والنقاش المعاصر يمكن ملاحظة كل هذه المعاني المتقلّبة لطبقة class مستعملة دونما أي تمييز واضح. لذا من المفيد تكرار المدى الأساسي (خارج نطاق المعاني غير الخلافية في التصنيف العام classification والتعليم):

(1) مجموعة group (موضوعي): تصنيف اجتماعي أو اقتصادي على مستويات متفاوتة.

(2) مرتبة rank: وضع اجتماعي نسبي، بسبب الولادة أو الحراك الاجتماعي.

(3) تشكيل «formation»: علاقة اقتصادية مدركة؛ تنظيم اجتماعي وسياسي وثقافي.

انظر: CULTURE ثقافة، INDUSTRY صناعة، MASSES جماهير، ORDINARY عادي، POPULAR شعبي، SOCIETY مجتمع، UNDERPREVILEDGED غير ميسور

تجمع COLLECTIVE

ظهرت كلمة تجمع collective في الإنجليزية كصفة من ق 16 وكاسم من ق 17. بشكل رئيسي كانت تطوراً خاصّاً من collect يجمّع (س م)، collectus، لاتينية: يضّم معاً (هناك أيضاً (س م) collecter، فرنسية قديمة: يجبي ضرائب أو أموالاً أخرى). استعملت collective كصفة منذ ظهورها المبكر لوصف أشخاص يعملون معاً ووجدت كذلك في تعابير مشابهة مثل «collective body» «هيئة متجمعة» (Hooker: Ecclesiastical Polity, VII, IV, 1600) كان أول استعمالات الاسم في النحو أو في الوصف الفيزيائي. يرتبط المفهوم الاجتماعي والسياسي لوحدة معينة - «إخوتكم في التجمّع Rural «your brethren of the Collective (Cobbett: Rides, II, 337, 1830)، - بالشعور الديمقراطي DEMOCRATIC (ا م) الجديد. أحيى هذا الاستعمال في فترات عدة لاحقة بما فيها وسط ق 20 لكنه ليس شائعاً بعد. أصبحت « collectivism جماعية»، التي استعملت بشكل رئيسي لوصف النظرية الاقتصادية الاشتراكية وبشكل اشتقاقي فقط بالمفهوم السياسي لتجمّعي collective، شائعة في أواخر ق 19؛ وصفت في ثمانينات ق 19 بأنها كلمة جديدة رغم أن استعمالها سجل من خمسينات ق 19. في فرنسا استعمل التعبير في 1869 كطريقة لمعارضة «اشتراكية الدولة».

انظر COMMON عام، DEMOCRACY ديمقراطية، MASSES جماهير، SOCIETY مجتمع

تجارية COMMERCIALISM

كانت commerce كلمة إنجليزية عادية للتجارة من ق 16؛ من (س م) commerce، فرنسية، commercium، لاتينية، (س ب) com، لاتينية: سويا، merx، لاتينية: سلعة أو بضاعة. توسعت commerce أيضاً من ق 16 لتشمل كل أنواع «التعاملات» dealings - اجتماعات، تفاعلات بين الرجال. ظهرت commercial تجاري من أواخر ق 17 في المفهوم الأكثر تحديداً: نشاطات ترتبط بالتجارة في تمييز لها عن النشاطات الأخرى. كانت في البداية وصفية بالدرجة الأولى لكن اكتسبت من وسط ق 18 معاني إضافية حاسمة. لكن الكلمة الحاسمة تماماً هي تجارية، من وسط ق 19، التي تدل على نظام يقدم الربح المالي على أية اعتبارات أخرى. في الوقت نفسه احتفظت commerce بمعناها الحيادي، ويمكن استعمال commercial إيجابياً أو سلبياً.

هناك استعمال معاصر لافت لتجاري commercial لوصف إعلان مذاع، وفي بعض الترفيه الشعبي المرتبط بذلك كان هناك من ستينات ق 20 استعمال لتجاري commercial يعني ليس فقط عملاً ناجحاً وإنما أيضاً مؤثراً ونافذاً كما في تعبير الموسيقى الشعبية الإيجابي: صوت تجاري commercial sound. لكن في الوقت نفسه، فضّلت الإذاعة التجارية «commercial broadcasting» وصف نفسها بالمستقلّة (قارن CAPITALISM رأسمالية ومشاريع خاصة أو حرة «free or private enterprise»).

عام/شائع/فج/مشترك COMMON

للكلمة common مجال شاسع من المعاني في الإنجليزية ولا يمكن عزل أي عدد من معانيها المحدّدة عن التاريخ الاجتماعي الذي ما زال فعالا. سابقتها المباشرة (س م) هي communis لاتينية، اشتقت إما من com لاتينية: سويا وmunis لاتينية: ملزم، أو من com و unus لاتينية: واحد. يمكن ملاحظة اندماج هذه المعاني في الاستعمالات الأولى بدء بـ commonو community (من ق 14: جماعة منظمة)، الى مجموعة محددة ومن ثم عموم البشر. هناك تمييزات في هذه الاستعمالات لكن أيضا هناك تداخلات كبيرة ومتشبثة. اللافت إذن هو استعمال « common» المبكر كصفة واسم لتصنيف اجتماعي - common و the common وcommons (العموم) - معارض للوردات والنبالة. استمر هذا التوتر بين المعنيين. يمكن أن تدل common على مجموعة كاملة أو مصلحة شاملة أو مجموعة كبيرة محددة وتابعة. (قارن محاجّة إليوت Elyot Governor ، I، 153) ضد commune weale،

فيما بعد commonwealth: «يبدو أن هناك تنوعا مماثلا في الإنجليزية بين publike weale وcommune weale كما في اللاتينية بين Res puplica وres plebeia»).

يظهر نفس التوتر في استعمالات معنى المجموعة الكاملة: أي التعميم. يمكن استعمال common لتأكيد شيئ مشترك أو لوصف شيء معتاد ordinary (نفسها ملتبسة فهي تنتمي إلى order (رتبة) كسلسلة أو تتابع ومن ثم ordinary ـ مجرى الأمور المعتاد، لكن أيضا تنتمي إلى order كمرتبة اجتماعية وعسكرية ومن ثم ordinary (لنوع لا يمكن تمييزه)؛ أو لوصف شيء وضيع أو فج vulgar (التي تحدّد معناها من أصل مشابه، vulgus، لاتينية : عامة الناس common people). من الصعب تحديد تاريخ المعنى الازدرائي العام common. في المجتمع الإقطاعي كان الوصف منهجيا ولم يتضمن أية معاني إضافية. من المهم ان أعضاء في الجيش البرلماني في الحرب الأهلية في وسط ق 17 رفضوا التسمية بجنود عاميين « common soldiers» وأصرّوا على جنود خاصين « private soldiers». لابد وأن يدل هذا على مفهوم ازدرائي مهم كان للكلمة، رغم أن هذا الجيش نفسه كان يحارب من أجل العامة «the common» وواصل الحرب حتى انشأ كومنولث « commonwealth». لافت البديل الذي اختاروه حيث إنه أكد، تبعا للروح الحقيقية لثورتهم، أنهم هم القائمون على أمورهم. هناك عمق من التاريخ الاجتماعي في هذا الانتقال عبر سلسلة الوصف المعتاد من common إلى private: بطريقة ما كان التناقل بين معان كانت توّا متعارضة: كونهم جنوداً خاصين في قضية عامة. في الجيوش البريطانية اللاحقة فقدت private أهميتها وخفّضت الى مصطلح تقني عمّن هم في المرتبة الدنيا.

من أواخر ق 16 فصاعداً يتعذر تمييز استعمالات حيادية نسبيا للكلمة كما في «common ware» (سلع عامة) عن استعمالات مقصودة ولكن أكثر إبهاما تدل على فج «vulgar» أو غير مهذب unrefined وفي النهاية «low class» وضيع المنزلة. بالتأكيد يبدو أن الاستعمال الازدرائي الواضح يزداد من أوائل ق 19 في فترة يتعاظم فيها التمايز الطبقي لكن حتى ذلك الحين دونما تحديد (قارن CLASS طبقة). بحلول أواخر ق 19 كان لعبارة مثل «حديثهما common عادي تماما» وقع لا مجال فيه للخطأ واستمر هذا الاستعمال ليشمل نطاقا واسعا من السلوك. في الوقت نفسه كان هناك استعمال شائع لمعاني أخرى سواء حيادية أو إيجابية. يقول الناس إنه من غير الدماثة common أكل الآيس كريم في الشارع (وفي الواقع هذه في دورها أن تصبح common بمعنى آخر)؛ لكن أيضا من الشائع common التحدث عن حاجة الى مجهود مشترك common (الذي قد يكون صعب التحقيق لو اعتبر الناس المرجو مساهمتهم أفجاجاً common).

انظر: CLASS طبقة، FOLK شعب، MASSES جماهير، POPULAR شعبي، PRIVATE خاص

اتصالات/مواصلات COMMUNICATION

بمعناها الحديث الشامل وجدت كلمة communication في اللغة الإنجليزية منذ ق15. كانت سابقتها المباشرة communicacion، فرنسية قديمة من communcationem، لاتينية، اسم فعل من جذر من اسم المفعول لـ communicare، لاتينية، من (س ب) communis، لاتينية: عام common؛ ومن ثم «communicate»: يجعل مشاعاً لكثيرين، يبث. في البداية كانت communication هي هذا العمل ومن ثم من أواخر ق 15 الشيء الذي جعل عاما: a communication: اتصال، رسالة. استمر هذا كمجال أساسي لاستعمالها. لكن من أواخر القرن 17 كان هناك انتشار هام لوسائط means الاتصال، خاصة في عبارات مثل خطوط مواصلات «lines of communication». في فترة التطور الرئيسية للطرق والقنوات والسكك الحديدية كانت communications (مواصلات) التعبير العام المجرد لهذه الوسائل الفعلية. لم تصبح communications تدل وبشكل طاغ على وسائل اتصال MEDIA (ا م) مثل الصحافة والإذاعة إلا في ق20 مع تطور وسائل أخرى لنقل المعلومات والحفاظ على الاتصال الاجتماعي، رغم أن هذا الاستعمال (الذي كان أسبق في أمريكا من بريطانيا) لم يستقر قبل منتصف ق 20. هكذا تميزت عادة صناعة الاتصالات «communications industry» عن صناعة النقل «transport industry» communication: اتصالات للمعلومات والأفكار مطبوعة أو مذاعة؛ transport نقل لانتقال الناس والبضائع الفعلي.

من المفيد غالبا في الجدل حول نظم الاتصالات ونظرية الاتصال تذكر اسم الفعل الأصلي غير المحدد والذي يمثله في طرفيه الأقصيين (trasmit يرسل) وهي عملية أحادية الاتجاه وshare يشارك (قارن communion العشاء الرباني وخاصة communicant متناول هذا العشاء)، عملية مشتركة أو متبادلة. يمكن فهم المعاني الوسيطة - يجعل مشاعا لكثيرين، يبث - في أي من الاتجاهين، واختيار الاتجاه عادة ما يكون حاسما. من ثم هناك محاولة تعميم التمييز في عبارات متعارضة مثل «mainipulative communications» اتصالات موجّهة واتصالات مشاركة «participatory communications».

أنظر COMMON عام / مشترك

شيوعية COMMUNISM

ظهرت كلمة communism شيوعية و communist شيوعي في وسط ق19. أصولهما المعروفة على نطاق أوروبا هي البيان الشيوعي (Communist Manifesto) لماركس وإنجلز الصادر في 1848 والعصبة الشيوعية (Communist League) المرتبطة بذلك. لكن الكلمة كانت متداولة قبل ذلك. أسس بارمبي Goodwyn Barmby جمعية لندن للدعاية الشيوعية «The London Communist Propaganda Society» في1841 وهناك ارتباط واضح لهذا الاستعمال بالعشاء الرباني «communion يعطي الشيوعي مائدة العشاء Communion Table أهمية بالغة عن طريق اعتبارها نمطا من تلك الحياة الجماعية الألفية المقدسة». حيث أن هناك تشابهات وتداخلات للكلمات المشتقة من COMMON (ا م) فإنه من المتوقع وجود هذا النطاق الواسع من المعاني، وقد تبنّى اشتراكيون طوبائيون مسيحيون بعض هذه الدلالات. واضح كذلك التداخل مع اصطلاحات علمانية وجمهورية مستمدة بشكل أساسي من الثورة الفرنسية. زعم بارمبي Barmby أنه «أول من نطق اسم communism شيوعية التي اكتسبت من ذلك الوقت سمعة عالمية». كان هذا في1840، وقد تم «في حديث مع أكثر العقول تقدما في الحاضرة الفرنسية» وبشكل خاص «في صحبة طلاب Babeoeuf (هكذا وردت) الذين كانوا يسمون بمناصري المساواة Equalitarians. سجل استعمال كابيه Cabet للكلمة communiste أيضاً في1840 وتبعتها على وجه السرعة في نفس العقد communisme وcommunism (في الإنجليزية إضافة إلى ذلك كانت هناك communionism). في كل من فرنسا وألمانيا ولكن ليس في بريطانيا أصبحت communist كلمة أصعب من اشتراكي «SOCIALIST» (ا م). شرح انجلز فيما بعد كيف انه لم يكن في إمكانه وماركس تسمية البيان الشيوعي «مانيفستو اشتراكي» وذلك لأن إحداهما كانت حركة طبقة عاملة والأخرى كانت حركة طبقة وسطى: «كانت الاشتراكية محترمة، على الأقل في القارة الأوروبية وكانت الشيوعية عكس ذلك تماماً». يرجع التمييز الحديث بين شيوعي واشتراكي في الغالب لهذه الفترة لكن هذا مضلل ليس فقط لأن اشتراكية واشتراكي كانتا أكثر انتشاراً في الأحزاب الشيوعية ولكن أيضا لأن شيوعية كانت لا تزال تفهم بشكل واسع في إطار صلتها بجماعة community وبالتالي بتجارب في الملكية المشاعة. في ثمانينات ق19 كانت اشتراكية في الانجليزية هي الأصعب حيث أنها ارتبطت دون مواربة، مع كل نزاعاتها المختلفة، بإعادة تنظيم المجتمع ككل. استعملت communistفي مفهومها الحديث بعد تجربة كميون باريس Paris Commune في1870

لكن اعترض عليها البعض لعدم دقتها؛ كانت الكلمة الأدق هي communard. في تسعينات ق19 عبر وليام موريس William Morris عن معارضته للاشتراكية الفابية Fabian Socialism بتعبيري شيوعية Communism وشيوعيCommunist الصريحين.

ظل التعبير العام السائد socialism اشتراكية حتى قيام الثورة الروسية. في1918 غيّر حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي الروسي اسمه من قبل القسم البلشفي المهيمن عندئذ إلى الحزب الشيوعي لكل روسيا (بلاشفة) وأصبحت كل الاستعمالات الحديثة تتبع ذلك. استرجعت إعادة التسمية التمييز الذي شعر به كل من ماركس وإنجلز، وذكرت بكميون باريس، لكنها كانت إعادة تكوين تاريخية للكلمة بدلا من استمرارية تدل على التواصل. ضمن هذا التراث أصبحت شيوعية عندئذ في مرحلة أعلى من اشتراكية التي يجب على الأولى أن تمر عبرها. كان لذلك أثر أدنى على المعاني العامة من التمييز الذي تلا عام 1918 (لكن مع سوابق مبكرة كثيرة وهامة وإن لم تكن تحمل أسماءً) بين اشتراكين ثوريين وديمقراطيين ثوريين Revolutionary and Democratic Socialists (ا م م). أنتجت الانشقاقات التالية في الشيوعية صيغا إضافية رغم أن «شيوعي» تستعمل غالبا للأحزاب المرتبطة بالتعريفات السوفيتية، وتشيع استعمالات ثوري وماركسي ـ لينيني -Marxist Leninst لوصف أحزاب شيوعية بديلة أو منشقة. في هذا التاريخ المعقد والحاد الجدل هناك استعمال ذو صعوبة معينة: ماركسي Marxist. تكاد تزعم كل الأحزاب والمجموعات الاشتراكية، بما فيها الأحزاب الشيوعية، أنها ماركسية Marxist رغم أنها في الغالب تنفي في الجدل هذه الصفة عن أحزاب أخرى منافسة مع أنها كلها تنضوي تحت نفس التصنيف العام. خارج الحركة الاشتراكية استعملت marxist أيضاً بشكل واسع؛ جزئيا كوصف شامل للأحزاب والمجموعات الاشتراكية والشيوعية والثورية المختلفة؛ جزئيا كطريقة لوصف اتجاهات وأعمال ثقافية ونظرية على وجه الخصوص، وذلك دونما معاني سياسية أو سياسية بشكل مباشر. (في هذا الاستعمال الأخير تكون ماركسي marxist تعبيرا مهذباً لشيوعي أو اشتراكي ثوري رغم أن المبدأ الماركسي لإقران النظرية والتطبيق يعطي انتشار استعمال marxist المعاصر شيئاً من الأهمية).

انظر: SOCIALISM **اشتراكية**

جماعة COMMUNITY

كانت كلمة community في اللغة الإنجليزية منذ القرن 14، من (س م) comuneté،

فرنسية قديمة، communitatem، لاتينية: اتحاد علاقات ومشاعر، من (س ب) communis، لاتينية: عام COMMON (ا م). توطدت في الانجليزية بمعاني متعددة : (1) العموم أو عامة الناس the common people أو the commons في تمييز لهم عن أصحاب المراتب (ق14 ـ ق17)؛ (2) دولة أو مجتمع منظم ـ في استعمالاتها اللاحقة كان هذا المعنى محدودا نسبيا (ق14 فما بعد)؛ (3) أهل منطقة (ق18 ـ)؛ (4) حالة ملكية مشتركة كما في اتحاد مصالح community of interests، جماعة مالكي سلع community of goods (ق 16 ـ)؛ (5) شعور بالهوية والخصال المشتركة (ق16 ـ). سنرى أن معاني (1) الى (3) تدل على مجموعات اجتماعية فعلية و(4) إلى (5) على طبيعة معينة لعلاقة كما في communitas. من (ق17) كانت هناك علامات على التمييز الذي أصبح هاما خصوصا من (ق19) والذي ظهر فيه أن جماعة community تدل على قرب ومباشرة أكثر من (مجتمع SOCIETY ا م)، رغم أنه يجب تذكر أن «مجتمع» نفسها كان لها هذا المفهوم المباشر حتى ق 18، وكذلك كانت في الأصل «مجتمع مدني civil society، (راجع CIVILIZATION)، مثلها مثل مجتمع وجماعة، محاولة لتمييز مجموعة العلاقات المباشرة عن المؤسسة المنظمة المتمثلة في مملكة realm أو دولة state. من ق 19 تطور مفهوم المباشرة أو المحلية في ظل المجتمعات الصناعية الأكبر والأكثر تعقيداً. كانت جماعة community هي الكلمة المحبذة عادة للتجارب في أي نوع بديل من الحياة المشتركة. لاتزال تستعمل كذلك وألحق بها، بمفهوم أكثر تحديدا، كميون commune (الفرنسية :commune أصغر الوحدات الإدارية، والألمانية Gemeinde: تقسيم مدني وكنسي. تفاعلت هاتان الكلمتان مع بعضهما ومع جماعة community وتسربت هذه الكلمات إلى الفكر الاشتراكي (خاصة commune) وإلى علم الاجتماع (خاصة Gemeinde) لتعبر عن أنواع معينة من العلاقات الاجتماعية). أضفى تونيز Tönnies في1887 بطرق فعالة شكلا رسميا على التعارض الذي تم الإفصاح عنه بشكل متزايد في ق 19، بين العلاقات الأكثر شمولية والأكثر مباشرة وبالتالي أكثر أهمية للجماعة، وبين العلاقات الأكثر رسمية والأكثر تجردا والأكثر نفعية للدولة state أو المجتمع society في مفهومها الجديد، ووسمه كتعارض بين Gemeinschaft وGesellschaft، ويستعمل هذان التعبيران اليوم أحيانا دون ترجمة في لغات أخرى. يتضح تمييز مشابه في استعمالات منتصف ق20 لجماعة community. في بعض الاستعمالات كان لها جانب جدلي، كما في سياسة الجماعة community politics التي تتميز ليس فقط عن السياسة الوطنية national politcs ولكن أيضاً عن السياسة المحلية local politcs الرسمية، والتي تتطلب

عادة أنواعاً مختلفة من العمل المباشر والتنظيم المحلي المباشر، «العمل مباشرة مع الناس»، وفي هذه الصيغة هي تختلف عن «خدمة الجماعة» service to the community التي لها مفهوم قديم كعمل طوعي يسند الدعم الرسمي أو الخدمة المأجورة.

هكذا يرتبط تعقيد community بالتفاعل المعقد بين نزعات تميزت أصلا في التطور التاريخي: من جانب، هناك مفهوم الاهتمام المشترك المباشر؛ ومن جانب آخر هناك تجسيد الأشكال المختلفة للتنظيم المشترك الذي قد يعبّر أو لا يعبر عن ذلك. قد تكون community كلمة مقنعة بشكل فعال لوصف مجموعة علاقات موجودة أو قد تكون كلمة مقنعة بشكل فعال لوصف مجموعة بديلة لتلك العلاقات. ربما الأكثر أهمية هو أنه، في مغايرة لكل تعابير التنظيم الاجتماعي (دولة، أمة nation، مجتمع ... إلخ)، يبدو أنها لا تستعمل أبداً بطريقة سلبية ولم يكن لها أبدا تعبير مقابل أو مميّز إيجابي.

انظر : CIVILIZATION حضارة، COMMON عام، COMMUNISM شيوعية، NATIONALIST قومي، SOCIETY مجتمع

إجماع CONSENSUS

دخلت consensus الإنجليزية في وسط ق19، في الأصل بمفهوم سيكولوجي ثم من ق 16 أصبح لها معنى محددا: (س م) consensus، لاتينية: اتفاق أو شعور مشترك: (س ب) con، لاتينية :سوياً، sentire: شعور. هكذا تستعمل في1861: «هناك علاقة عامة بين الأجزاء المختلفة في حضارة أمة؛ سمّها إن شئت اجماعاً consensus شريطة ألا يتسرب مفهوم مجموعة أعضاء بشرية إلى هذا التعبير». كانت consensual إجماعي أسبق، من وسط (ق 18)، في سياقيين خاصّين: قانوني (consensual contract) عقد بالتراضي في القانون الروماني؛ فسيولوجي: يرتبط بأفعال غير طوعية (سمباتية sympathetic) أو انعكاس لا إرادي للجهاز العصبي. تطورت consensus وتبعتها consensual باضطراد عن طريق التحول لتدل على اتفاق عام: «إجماع consensus المبشرين البروتستانت» (1861). هناك استعمالات ثانوية مساندة في صيغ أكثر تحديدا مثل consensus of evidence إجماع البينة، وهو من نفس الفترة.

شاعت الكلمة أكثر في (ق 20) وأصبحت منذ وسط القرن تعبيرا سياسيا مهما. في الغالب يتم بطريقة دقيقة تحوير الاستعمال العام، في مفهومه كاتفاق قائم في الرأي، عند تطبيقه في مجال السياسة. يمكن أن تعني « consensus politics سياسة الإجماع»، حسب

المعنى العام، سياسات يتم اتخاذها بناء على توافر جملة آراء متفق عليها. ويمكن أن تعني أيضا، وبالفعل عنت ذلك في الغالب، سياسة تجنب أو تهرب من اختلافات أو انقسامات الرأي في محاولة للاحتفاظ بالمركز أو احتلال الأرضية الوسطى. في الواقع، يختلف هذا كثيرا عن coalition تحالف (في الأساس، نمو متضافر للأجزاء، من ق 17؛ (س م) coalitionem، لاتينية من coalescere: نمو متضافر، وهو مفهوم لا يزال حاضرا في coalesce التئام، اندماج؛ لكن من ق 17، اتحاد أو تضافر الأجزاء، ومن ق 18 تضافر عن طريق الاتفاق المقصود وغالبا الرسمي). دلّ المفهوم السلبي لسياسة الإجماع consensus politics على التمّلص المقصود من النزاعات التي تبنى على مبادئ أساسية، لكنه دل كذلك على العملية التي تقصى فيها بطريقة فعلية مواضيع معينة عن النقاش السياسي ـ ليس لوجود اتفاق عليها أو لأن تحالف الأطراف توصل إلى حل وسط، ولكن في التنافس على أرضية وسطى middle ground للاستيلاء عليها لا يوجد هناك حيز لمواضيع على قدر كبير من الأهمية (لأن هذه المواضيع بعيدة فعليا عن الحياة اليومية المألوفة ـ نائية أو أجنبية أو لأن أثرها طويل الأجل، أو لأنها لا تمس إلا الأقليات). إذن بينما تحتفظ consensus بمفهوم إيجابي عن الاتفاق العام فإنها اكتسبت أيضاً مفاهيم سلبية في التجنب اللامبالي والجائر لمواضيع أو مناقشات ضرورية. هي كلمة صعبة جداً في الاستعمال لأن نطاق مفهومها الفعلي يمتد من مفهوم ايجابي يدل على البحث عن اتفاق عام عبر مفهوم موافقة خاملة نسبيا أو حتى لاواعية UNCONSCIOUS (ا م) (قارن، رأي قويم محافظ orthodox opinion ومعرفة تقليدية conventional wisdom) إلى معنى نوع من السياسة الموجِّهة «manipulative» التي تسعى إلى خلق أغلبية صامتة «silent majority» كمركز قوة يمكن كبت أو إقصاء أفكار أو حركات منشقة عنه. من اللافت أن تجذب كلمة في ظاهرها معتدلة مثل هذا الشعور العنيف، لكن يمكن أن تفسر ذلك تفسيراً واضحاً نسبياً عمليات سياسة الانتخابات الحديثة وسياسة الرأي العام «public opinion».

من الجدير بالملاحظة أن الكلمة تتم في الغالب تهجيتها الآن كالتالي «concensus» في مواضع مثيرة للدهشة، مثل كتابات بعض الذين يشكون عموما من عدم القدرة في الحاضر على التهجية الصحيحة. من الراجح أن هذا نشأ من ترابط الكلمة مع «census» إحصاء، ولو صح هذا الافتراض فإن ذلك لافت لأنه يدل على علاقة مألوفة الآن، إن لم تكن لاشعورية، تكمن في ممارسة إحصاء الآراء كما في استفتاءات أراء الجمهور. لكن هناك التباس منذ مدة طويلة بين الحرفين (s وc) في كلمات من هذا النوع (قارن البريطانية defence والأمريكية defense اللتين ترجعان إلى اختلافات تهجية من الانجليزية الوسطى).

تمت تهجية الكلمة consent نفسها في معظم الأحيان كـ concent حتى ق 16.

انظر: CONVENTIONAL تقليدي

مستهلك CONSUMER

في الإنجليزية الحديثة الكلمتان consumer وconsumption استهلاك هما اسما الوصف السائدان في كل أنواع التعامل مع السلع والخدمات. هذا الانتشار مهم كونه يتعلق بنوع معين من النشاط الاقتصادي الذي ينشأ من طبيعة نظام اقتصادي معين كما يبين تاريخ الكلمة.

كانت consume يستهلك في الإنجليزية منذ ق 14، من (س م) consumer، فرنسية، والتهجية الأخرى consommer، فرنسية (لهذه الصيغ المختلفة تاريخ معقد لكن في النهاية مميز في الفرنسية)، (س ب) consumere، لاتينية: يستنفد، يلتهم، يتلف، يبدد. تقريبا في كل استعمالاتها الإنجليزية الأولى كان معنى consume سلبيا؛ عنت تدمير، استنفاد، إتلاف، استنزاف. لا يزال هذا المعنى حاضراً في consumed by fireأتلفته النار، وفي التسمية الشعبية للمرض الرئوي pulmonary phthisis: سل consumption. لاستعمالات consumer الأولى من ق 16 نفس معنى الدمار والتلف العام.

بدأت consumer من أواسط ق 18 تظهر كمفهوم حيادي في وصف الاقتصاد السياسي البرجوازي. في الهيمنة الجديدة لسوق منظم تم توا تعريف أعمال صنع واستعمال السلع والخدمات في ثنائية منتج producer ومستهلك consumer وإنتاج production واستهلاك consumption، ذات الطابع التجريدي باضطراد. لكن استمرت إيحاءات consumer السلبية على الأقل حتى أواخر ق 19، وفي الواقع لم تنتقل الكلمة حتى منتصف ق 20 من الاستعمال المحدد في الاقتصاد السياسي إلى الاستعمال الشعبي والعام. من هنا نلاحظ أفول customer زبون النسبي التي كانت مستعملة منذ ق 15 للدلالة على مشتر «buyer» و«purchaser»، حيث أنها أشارت دائما إلى قدر ما من العلاقة المنتظمة والمستمرة بالمموّن (supplier)، بينما توضح consumer الشكل الأكثر تجريداً في سوق أكثر تجريداً.

التطور الحديث أمريكي بشكل رئيسي لكنه انتشر بسرعة كبيرة. هيمنة التعبير كبيرة جدا لدرجة أن مجموعات مشترين ذوي معرفة وحصافة أنشأوا جمعيات مستهلكين ’Consumers Associations). يرتبط التطور بشكل رئيسي بتنظيم الأسواق ومحاولة التحكم فيها، وهذا

يقع في صلب الإنتاج الرأسمالي (بما في ذلك الإنتاج الرأسمالي للدولة) الصناعي كبير الحجم حيث يرتبط التصنيع manufacture، خاصة منذ كساد أواخر ق 19، ليس فقط بتزويد الاحتياجات المعروفة (التي تصفها وصفاً مرض كلمة زبون consumer أو user مستعمل) وإنما أيضا بالتخطيط لأنواع وكميات إنتاج معينة تتطلب استثماراً كبيرا في مرحلة مبكرة وغالباً قراءة للمستقبل. يرتبط تطور الدعاية advertising (إقناع أو اقتحام وتغلغل في سوق) التجارية الحديثة إلى نفس المرحلة من الرأسمالية: خلق احتياجات ورغبات وطرق معينة لإشباعها في إضافة وتمييز لذلك عن الإشعار والإحاطة والتعريف notification بالمؤن المتوفرة الذي كان هو العمل الرئيسي السابق للدعاية (حيث يعتبر هذا النوع من الإقناع إطراء مسرفاً puff ومديحاً مبالغ فيه puffery). كتعبير مهيمن كانت consumer من اختراع مثل هؤلاء الصناع ووكلائهم. تعني الكلمة ضمنياً، والمفارقة هنا كما هو في المعاني السابقة، استنفاد ما سيتم إنتاجه رغم أنه أعطى، وقت توطد التعبير، مظهر الاستقلال (كما في العبارة اللافتة «اختيار المستهلك» consumer choice). من الملائم فيما يتعلق بتاريخ الكلمة أن نقد مجتمع مبذّر ومبدّد عبّر عنه في وقت لاحق الوصف consumer society مجتمع الاستهلاك. لكن هيمنة النموذج الرأسمالي كفلت انتشاره الواسع وغالباً الساحق إلى مجالات مثل السياسة والتعليم والصحة. في أي من هذه الحقول بالإضافة إلى المجال المعتاد في السلع والخدمات لا يزال استخدام user، مستعملا بدلا من consumer مستهلك، يعبر عن تميز ملائم.

انظر: WEALTH ثروة

CONVENTIONAL تقليدي

في الأصل عنت الكلمة conventional تقليدا اجتماعيا أو تجمعا، من (س م) convention، فرنسية، conventionem، لاتينية: اجتماع، (س ب) convenire، لاتينية : تجمع. استعملت كذلك في الانجليزية منذ ق 16 ولا تزال في الغالب تستعمل بهذا المعنى. هناك توسع طبيعي في الاستعمال يعني «اتفاق»، وهذا شائع في الانجليزية منذ ق 15 .

ترتبط استعمالات convention الأكثر تعقيدا وبشكل أكبر استعمالات conventional بتوسع في معنى «اتفاق» إلى شيء يعنى ضمنيا «معتاد» أو «متفق عليه»، وبنوع آخر من التوسع خاصة في الأدب والفن إلى طريقة متفق عليها ضمنيا. يرجع التوسع إلى معنى «العادة» إلى أواخر ق 18. كان هذا مهما في الجدل السياسي حول الحقوق «rights» التي كانت للمفارقة تحدد في أماكن أخرى (الولايات المتحدة وفرنسا) بواسطة مواثيق

conventions. لكن الاستعمال الأكثر شيوعا كان في مواضيع التقاليد والسلوك وبرز في الحال مفهوم سلبي عنت فيه كلمة conventional مصطنع أو رسمي واستطراداً «مجرد محافظ»، old-fashioned عفي عليه الزمن. يمكن بسهولة من وسط ق 19 فصاعدا العثور على اعتراضات على conventional ideas أفكار بالية. معظم الاستعمالات المحددة المبكرة في الفن والأدب تأتي بنفس المفهوم كجانب من التفضيل الرومانسي ROMANTIC (ا م) المألوف للعفوية والابتداع. لكن يتضح أيضا منذ ق19 مفهوم أكثر تقنية تعتبر فيه جميع أنماط الفن محتوية تقاليد conventional جوهرية، غالبا ما تكون ضمنية، للمنهج والهدف، ومنذ ذلك الحين استمر هذا المفهوم مهما في النقاش المتخصص. تكاد تكون نسبة الرسمية التي كانت مهمة قد زالت تماما، إلا في هذا الاستعمال المحدد. في الاستعمال المعتاد تقابل convention اتفاق رسمي formal agreement، ويمكن استعمالها حياديا تماما. لكن الصفة conventional تقليدي تعطي عادة المفهوم السلبي. من ناحية أخرى، بعد اختراع القنابل الذرية والهيدروجينية، تعارضت (من 1950 تقريباً) بطريقة ايجابية «conventional weapons» أسلحة تقليدية مع «nuclear weapons» أسلحة نووية.

انظر: **CONSENSUS إجماع**

بلد/ريف COUNTRY

في الإنجليزية الحديثة هناك معنيان مختلفان لكلمة country: بشكل رئيسي أرض الوطن أو الأجزاء الريفية والزراعية منه. تاريخيا الكلمة لافتة جدا حيث إنها مشتقة من الصفة المؤنثة contrata، لاتينية وسيطة، (س ب) contra، لاتينية : ضد كما في عبارة «contra terra» التي تعني أرضا «تقع في المقابل، تجاه أو في مواجهة». في أول استعمال مستقل لها كانت تعني قطعة أرض تمتد أمام المشاهد. (قارن الاستعمال اللاحق «landskip»، ق 16، «landscape»، ق 18؛ في الإنجليزية القديمة landscipe بقعة أو قطعة أرض؛ تم تبنى الكلمة لاحقاً من landschap الهولندية كتعبير في الرسم.) دخلت «contrata» الإنجليزية عبر الكلمتين cuntrée وcontrée من الفرنسية القديمة. كان لها مفهوم أرض الوطن من ق13 والمساحات الريفية المتميزة من أواخر ق16. ترجم تينديل (Tyndale 1526) قسما من إنجيل مرقص (Marks 5:14) على أنه تم «ذكره في المدينة وفي الريف countre».

بدأ الاستعمال المتخصص الشائع لريف country كمضاد لمدينة city في أواخر ق

16 مع ازدياد التحضّر وخاصة نمو العاصمة لندن. في ذلك الحين تم تمييز التعبير country people أهل الريف و country house منزل أو مقر ريفي. من ناحية أخرى، كانت تريّف countryfied وcountry bumpkin عبيط من عامية (متروبول) حاضرة ق 17. في ق 19 أصبحت countryside، التي هي في الأصل تعبير اسكتلندي يدل على منطقة محددة، تعبيرا عاما لا يصف فقط المناطق الريفية وإنما جميع نواحي الحياة والاقتصاد الريفي .

في استعمالها العام بمعنى أرض الوطن للكلمة country (بلد) تداعيات أكثر ايجابية من أمة nation أو دولة state؛ قارن العبارة «يعمل شيئا من أجل الدولة» بـ «يعمل شيئاً من أجل الأمة» أو الدولة. في المعتاد تشمل country وطن الناس الذين يعيشون فيه، بينما أمة nation أكثر تجريداً، وتحمل state دولة مفهوم بنية السلطة. في الواقع يمكن لوطن country أن تحل محل شعب people في السياقات السياسية: قارن السيدة الانجليزية التي قالت في 1945 : «انتخبوا حكومة اشتراكية لكن country الوطن لن يؤيدها». في بعض الاستعمالات يتم بانتظام تمييز country وطن عن government حكومة : قارن «الرجوع للوطن country»: أي الدعوة لانتخابات. هناك أيضاً استعمال متروبولي محدد، كما في الخدمة البريدية، حيث تعتبر كل المناطق خارج العاصمة country ريف.

تحمل countryman معنيين أحدهما سياسي والآخر قروي لكن الأخير أقوى، ويتوسع الأول ليشمل التعبير fellow countryman، من أبناء الوطن.

انظر: **CITY مدينة، DIALECT لهجة، PEASANT فلاح، REGIONAL إقليمي.**

خلاق/إبداعي CREATIVE

في الإنجليزية الحديثة للكلمة creative معنى عام كأصيل ومبتدع ومعنى خاص إضافي هو منتج. تستعمل أيضا لتمييز أنواع معينة من العمل، كما في كتابة إبداعية creative writing والفنون الإبداعية the creative arts. من الجدير بالاهتمام تتبع الكيفية التي أصبحت تستعمل فيها هذه الكلمة العادية الآن والمدهشة عند تأملها، وارتباط ذلك ببعض صعوباتها الحالية.

دخلت creative الانجليزية من جذر اسم المفعول لكلمة (س ب) creare، لاتينية: يصنع أو ينتج. هذه الصلة الضمنية بمفهوم شيء تم عمله وبالتالي حدث ماض كان دقيقا لأن الكلمة استعملت في الأساس في السياق الدقيق للخلق الرباني الأول للعالم : للكلمتين Creation الخلق وcreative نفس الجذر. ضمن هذا التفكير الإيماني وكما أصر

أوغسطين، «creative non protest creare»: المخلوق the creature ـ الذي خُلق - لا يمكنه نفسه أن يخلق. ظل هذا التفكير حاسما حتى ق16 على الأقل، وتوسع الكلمة لتدل على صنع في الحاضر أو المستقبل ـ أي نوع من الصنع يقوم به الناس - هو جزء من التحول الفكري الرئيسي الذي نصفه الآن بإنسانية humanism عصر النهضة. كتب تورجواتو تاسو Torguato Tasso (1544 ـ 95): «هناك مبدعان creators: الله والشاعر». هذا المفهوم للإبداع الإنساني خاصة في الأعمال الخيالية، هو المصدر الحاسم للمعنى الحديث. في «دفاع عن الشعر Apologies for Poetrie» اعتبر فيليب سدني Sidney (86 ـ 1454) أن الله خلق الطبيعة لكن خلق أيضاً الإنسان في صورته معطيا إياه المقدرة «بقوة الروح الإلهية» أن يتخيل ويخلق أشياء سوى الطبيعة».

لكن استمر استعمال الكلمة صعبا بسبب السياق الأصلي. أشار دون Donne إلى الشعر كخلق زائف «counterfeit Creation» ولا يجب اعتبار counterfeit هنا بمعناها المتطرف كـ «زيف" وإنما يجب هنا تذكر مفهوم الفن القديم كمحاكاة imitation. لدى الكتاب اليزابيثيين Elizabethan عدة استعمالات ازدرائية لخلق creation ويخلق create:

Or art thou but	ما أنت إلا
A Dagger of the Mind, a false Creation	خنجر في العقل، مخلوق زائف
Proceeding from the heat-oppressed Brain. (Macbeth)	ينبع من مخ صهرته الحرارة
This is the very coinage of your Brain	ما هذا إلا اختلاق من ذهنك
This bodiless Creation extasie.	فالجنون جد بارع
Is very cunnying in. (Hamlet).	في تجسيد ما لا جسد له
Are you a God? Would you create me new	هل أنت إله؟ هل تعيد خلقي من جديد

(Comedy of Errors)

Translated thus from poor creature to a creator; for now must I Create intolerable sort of lies. *(Every Man in his Humour)*

حولت من مخلوق معدم إلى خالق؛ فالآن يجب أن أخلق (أختلق) كل أنواع الكذب الممجوج.

في الواقع كان التوسع الأوضح للكلمة «create» دونما ظلال سلبية إلى المنزلة الاجتماعية التي تمنح بسلطة الملك: «جلالة الملك جعله created دوقا» (1495)؛ «جعلتكم create أصدقاء لشخصي» (Cymbeline). لا يزال هذا ليس تماما خلقا إنسانيا.

لكن بحلول أواخر ق 17 انتشرت كل من «create» و«creation» بالمعنى الحديث

وخلال ق18 اكتسبت الكلمتان ارتباطا بالفن Art (ا م)، وكانت هذه الأخيرة نفسها كلمة تتحور في اتجاه متمم. ضمن هذه العلاقة تم سك كلمة creative خلاق/إبداعي. وحيث أن الكلمة كما هو بين تدل على قدرة فإنه كان لا بد وأن تنتظر تقبل الناس عموما لخلق creation ويخلق create كأفعال بشرية دونما الرجوع بالضرورة إلى حدث إلهي سابق. بحلول 1815 استطاع وردزورث Wordsworth أن يكتب بثقة إلى الرسام Hayden : مهنتنا سامية، يا صديقي، الفن الإبداعي Creative art». هذا يرجعنا إلى الإشارة الخاصة الأولى التي صادفتها: «رفيق آلهة الفن، القوة الإبداعية Creative Power، الخيال Imagination Mallet، (1728). هناك استعمال اسبق (1678) للكلمة creative عند كدورث Cudworth وإن كان في جملة لم تزل تحمل جزئيا المعنى القديم : «هذه القدرة الإبداعية creative power الإلهية الخارقة». كان التطور الحاسم هو الارتباط المقصود ثم المألوف لخلاق creative مع فن art وفكر. بحلول أوائل ق 19 كان ذلك مقصودا وفعالاً. تبعت ذلك في ق 20 إبداع creativity، كاسم عام للقدرة.

بوضوح هذا تاريخ مهم جدا، وفي توكيده على المقدرة البشرية أصبح التعبير باضطراد أكثر أهمية لكن هناك صعوبات واضحة. تضع الكلمة تركيزاً ضرورياً على الأصالة والتجديد وعندما نتذكر التاريخ يمكننا أن نلاحظ أن هذه ليست ادعاءات تافهة. في الواقع نحاول أن نوضح ذلك عن طريق التمييز بين innovation تجديد و novelty جدة، رغم أن للأخيرة معنيين، أحدهما تافه والآخر جاد. تنشأ الصعوبة عندما يقصد من كلمة أن تجسد فكرا جادا وساميا لكنها تصبح تقليدية جدا، كصفة لأنواع معينة من النشاط، لدرجة أنها تستعمل لممارسات لا يمكن لأحد في غياب هذا التقليد أن يدعى لها مثل هذا الادعاء. هكذا يمكن تسمية عمل أدبي مقلِّد أو نمطي، حسب التقليد، كتابة إبداعية creative writing، ويصف كتاب الإعلانات أنفسهم رسميا كمبدعين creative. مع وجود عناصر كبيرة من عملية بسيطة لإعادة الإنتاج الايدولوجية والمهيمنة IDEOLOGICAL وHEGOMONIC (ا م م) في معظم الأعمال الفنية المكتوبة والمرئية فإن وصف كل شيء من هذا النوع بأنه خلاق creative يمكن أن يكون مشوشا وفي بعض الأحيان مضللا تماما. إضافة إلى ذلك حين تصبح creative كلمة نفاق مبتذلة يكون من الصعب التفكير بوضوح عن التركيز الذي قصد من الكلمة أن ترسخه: ما يصنعه الإنسان ويبتدعه. لا يمكن عزل هذه الصعوبة عن الصعوبة المرتبطة بمعاني imagination خيال التي يمكن أن تتجه نحو حلم dreaming وفنتازيا fantasy دونما صلة ضرورية بالممارسات المحددة التي تسمى «فنون خيالية» imaginative أو إبداعية creative أو، من ناحية أخرى، نحو extension بسط وانطلاق،

innovation تجديد و foresight بصيرة التي ليس لها فقط آثار ونتائج عملية وإنما يمكن أن تكون أيضا ملموسة في بعض النشاطات والأعمال الإبداعية. تكون الصعوبة واضحة بشكل خاص عندما تتوسع creative لتشمل، بطريقة صحيحة حسب التطور التاريخي، نشاطات في الفكر واللغة والممارسة الاجتماعية لا يكون فيها معنى imagination خيال المحدد تعبيراً مناسباً. مع ذلك فإن مثل هذه الصعوبات محتومة عندما ندرك حجم وتعقيد تفسير نشاط الإنسان الذي تجسده الآن بطريقة لا بديل لها كلمة creative.

انظر: **ART فن، IMAGE صورة، FICTION عمل خيالي**

نقد CRTICISM

أصبحت criticism كلمة صعبة جدا لأنه بالرغم من أن معناها العام هو تصيد الأخطاء إلا أن لها مفهوما ضمنيا كحكم، ومعنى مشوشا جدا فيما يتعلق بالفن والأدب يعتمد على افتراضات قد تكون الآن في طور التفكك. دخلت الكلمة الإنجليزية في أوائل ق 17 من critic ناقد وcritical نقدي/ حاسم، منتصف ق 16، (س م) criticus لاتينية، kritikos يونانية، من (س ب) krités يونانية: قاض. كان معناها السائد السابق ترصد الأخطاء: «قف عند العلامة .. criticisme. لتتلقى التصويبات» (Dekker، 1607). كذلك استعملت في التعليق على الأدب وخصوصاً من أواخر ق17 كمفهوم لعملية الحكم على الأدب وكذلك الكتابة التي جسدت هذه العملية. إن الأكثر إثارة للاهتمام هو أن المعنى العام كترصد أخطاء أو على الأقل تقييم سلبي استمر كمفهوم رئيسي. أدى ذلك إلى اختيار appreciation تذوق، ككلمة ألطف لتقييم الأدب. لكن المهم في تطور criticism وcritic وcritical هو افتراض الحكم كاستجابة سائدة بل حتى طبيعية. (هناك استعمال آخر محدد لكنه مهم ومستمر للكلمة critical لا يصف الحكم لكنه يدل، بناء على استعمال محدد في الطب، على نقطة تحول؛ ومن ثم حاسم. بالطبع توسعت الكلمة القريبة crisis أزمة لتشمل أية صعوبة، بالإضافة إلى معناها كنقطة تحول.)

بينما تطورت criticism في مفهومها العام نحو censure لوم/ استهجان (التي اكتسبت نفسها من ق17 معنى معاديا بدلا من حيادي) تطورت criticism في معناها المحدد نحو TASTE ذوق (ا م) و cultivationتهذيب، وفيما بعد CULTURE ثقافة (ا م) وتمييز discrimination (وهذه نفسها كلمة منفصمة بمعنى ايجابي للتنظيم الجيد أو الحكم المبني على معرفة، لكن أيضاً بمعنى سلبي للغاية للعزل غير العقلاني أو المعاملة الجائرة لمجموعة غيرية ـ قارن RACIAL عرقي). من الصعب جداً فهم التشكيل الذي كان خلف

التطور العام لأنه استولى بشدة على عقولنا. في المرحلة الأولى كان المعنى متعلقا بقدرة مكتسبة أو مبنية على معرفة. لاتزال تحاول في الغالب الاحتفاظ بهذا المعنى. لكن اعتمد تطورها الحاسم من منتصف ق17 على عزل تلقي الانطباعات : قد يجوز القول الآن أن القارئ مستهلك CONSUMER (ا م) لسلسة من الأعمال. اعتمد تعميمها ضمن مهنة وطبقة معينة على افتراضات أحسن ممثل لها هو taste ذوق وcultivation تهذيب: نوع من التطور الاجتماعي والاستجابات الشخصية يصل إلى الدرجة التي يمكن فيها تقديم هذه الانطباعات والاستجابات على أنها STANDARDS (ا م) معايير الحكم. يبدو أن هذا الاستعمال استقر بحلول زمن كتاب Kames : Elements of Criticism (1762). بالطبع اعتمدت فكرة كون الاستجابة تقييما على الثقة الاجتماعية لطبقة وفيما بعد لمهنة. تحددت الثقة بطرق مختلفة: في الأصل كتعلم learning أو بحث وفيما بعد كتهذيب وذوق وبعد ذلك كحساسية SENSIBILITY (ا م). تحطمت أنواع من هذه الثقة في مراحل معينة وبشكل خاص في ق 20 كانت هناك محاولات لاستبدالها بطرق بحث موضوعية objective (قارن SUBJECTIVE)، مقدمة بذلك نوعا آخر من ركائز التقييم. ما لم يوضع موضع المساءلة هو افتراض «الحكم الموثوق authoritative judgment». بالطبع تم الاعتراض باستمرار على زعمها بالسلطة، واكتسبت ناقد critic في أكثر صيغها الشائعة لهذا المفهوم المحدد ـ كمراجع reviewer مسرحيات، أفلام، كتب ... الخ ـ معنى ملتبساً يمكن إدراك أسبابه. لكن هذا لا يمكن حسمه بالتمييز بين منزلتي ناقد critic ومراجع reviewr. ليس موضوع النقاش مجرد الارتباط بين criticism وترصد الأخطاء وإنما أيضا الارتباط الأكثر التصاقا بين criticism والحكم «الموثوق»، واعتبار هذه الارتباطات وكأنها عمليات عامة وطبيعية. أصبحت criticism أيديولوجية كتعبير للتعميم الاجتماعي أو المهني لعمليات التلقي لأي نوع من الاتصال COMMUNICATION (ا م)، لكن خاصة للأنواع الرسمية جداً، ليس فقط عندما تأخذ دور المستهلك consumer ولكن أيضا عندما تحجب هذا الدور عن طريق سلسلة من تجريدات لعبارة الاستجابة الفعلية (مثل حكم، ذوق، تهذيب، تمييز، حساسية؛ نزيه، كفؤ، صارم ... الخ). إن معنى نقد criticism كترصد للأخطاء هو المؤثر اللغوي الأكثر إفادة ضد وثوقية هذه العادة، لكن هناك أيضا علامات، من خلال رفض criticism من حين لآخر كتعريف للاستجابة المقصودة، على رفض أكثر أهمية للعادة نفسها. الهدف يكون إذن ليس الحصول على تعبير آخر يحل محلها بينما يستمر نفس النشاط ولكن التخلص من العادة التي تعتمد في الأساس على تجريد الاستجابة من وضعها وظروفها الفعلية: الارتفاع إلى «حكم» وإلى عملية في ظاهرها عامة في الوقت الذي ما

يتوجب إدراكه هو خصوصية الاستجابة التي هي ليست «حكما مجردا» بل حتى عندما تشتمل، كما هو ضروري في الغالب، استجابات ايجابية أو سلبية فإنها لا تزال ممارسة محددة في علاقات فعالة ومعقدة مع الوضع والمحيط ككل.

انظر: AESTHETIC **جمالية**، CONSUMER **مستهلك**، SENSIBILITY **حساسية**، TASTE **ذوق**

ثقافة CULTURE

هذه كلمة من اثنين أو ثلاث كلمات هي الأعقد في اللغة الإنجليزية. يرجع ذلك جزئيا إلى تطورها في التاريخ الشائك في عدة لغات أوربية لكن السبب الرئيسي هو أنها أصبحت تستعمل لمفاهيم هامة في مجالات ثقافية عديدة وفي نظم تفكير مختلفة بل حتى متضاربة.

الكلمة السابقة مباشرة لها (س م) هي cultura، لاتينية، من (س ب) colere، لاتينية. كان لهذه الأخيرة عدد من المعاني: يسكن، يهذب، يحمي، يقدّر لدرجة العبادة. في النهاية استقل بعض هذه المعاني في الأسماء المشتقة لكن مع تداخل من حين لآخر. هكذا تطورت يسكن inhabit عبر colonus، لاتينية، إلى colony، مستعمرة. تطورت «يقدّر لدرجة العبادة» عبر cultus، لاتينية إلى cult، جماعة المعجبين. اكتسبت culture معنى رئيسيا هو حراثة / رعاية أو عناية بما في ذلك كما لدى شيشرون cultura animi، لكن مع معاني ثانوية قروسطية متعلقة بالعبادة والاحترام (قارن culture في الإنجليزية «كعبادة» عند Caxton (1483). كانت الصيغتان الفرنسيتان للكلمة cultura هي couture، فرنسية قديمة، التي طوّرت منذ ذلك الحين معنى خاصا، وفيما بعد culture التي بحلول أوائل ق15 عبرت إلى الإنجليزية. كان المعنى الرئيسي إذن في رعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي.

في جميع استعمالاتها الأولى كانت culture اسم عملية: العناية بشيء ما وبشكل أساسي محصولات وحيوانات. انتقل الاسم الثانوي coulter شفرة المحراث عبر طريق لغوي مختلف، من culter، لاتينية : شفرة محراث إلى culter، إنجليزية قديمة ثم إلى تهجيات إنجليزية مختلفة : culter، colter، coulter وحتى وقت متأخر في أوائل ق17 - culter - شفرة محراث حارقة hot burning culture وردت في مسرحية Webster: Duchess of Malfi III,ii. قدمت هذه قاعدة إضافية للمرحلة التالية المهمة للمعنى وذلك عن طريق المجاز. من أوائل ق16 توسع مفهوم العناية بالنمو الطبيعي ليشمل عملية التطور

البشري وكان هذا، بمحاذاة المعنى الأساسي في رعاية النباتات والحيوانات، هو المعنى الرئيسي حتى أواخر ق18 وأوائل ق19. هكذا كتب مور More: لرعاية وفائدة عقولهم «to the culture and profit of their minds» وبيكون Bacon: رعاية وإخصاب العقول «the culture and manurance of minds» (1605) وهوبز Hobbes: رعاية عقولهم «a culture of their minds» (1651)، وجونسون Johnson: أهملت العناية بإدراكها she neglected the culture of her understanding (1759). عند نقاط مختلفة في هذا التطور حدث تحولان حاسمان: أولا، جعل قدر من التعّود على الاستعارة مفهوم الرعاية البشرية مباشرا. ثانيا، توسع عمليات معينة إلى عملية عامة مما مكن الكلمة من حملها بطريقة مجردة. بدأ بالطبع من هذا التطور الأخير الاسم المستقل culture تاريخه الحديث المعقد، لكن عملية التحوّل صعبة جدا والمعاني الكامنة في أحيان متشابهة جدا لدرجة أنه لا يمكن وضع أي تاريخ محدد لتلك البداية. لم تكن culture كاسم مستقل وعملية مجرّدة أو نتيجة مثل هذه العملية مهمة قبل أواخر ق18 ولم تصبح منتشرة قبل منتصف ق19. لكن مراحل هذا التطور المبكر لم تكن مفاجئة. هناك استعمال لافت عند ملتون، في الطبعة الثانية (المعدلة) لمنشوره (1660) The Readie and Easie Way to Establish a Free Commonwealth «انشر معرفة وكياسة أكثر، ليس هذا فحسب بل ديناً كذلك عبر كل أجزاء البلاد عن طريق إيصال حرارة الحكومة والثقافة الطبيعية بطريقة عادلة لكل الأطراف القاصية التي تقبع الآن مهملة ومتبلدة». يبدو هنا أن المعنى المجازي «حرارة طبيعية» لا يزال حاضرا ولاتزال كياسة civility (قارن حضارة CIVILIZATION) تستعمل بينما في ق19 نتوقع مكانها في العادة «ثقافة» culture. لكن يمكن أيضا قراءة «حكومة» و«ثقافة» بمفهوم حديث جدا. من فحوى نقاشه يكتب ملتون عن عملية اجتماعية عامة وهذه بالتأكيد مرحلة من التطور. في ق18 اكتسبت هذه العملية العامة في إنجلترا ارتباطاً طبقياً واضحاً رغم أن تهذيب cultivation ومهذب cultivated كانتا تستعملان بشكل واسع. لكن هناك خطاب من 1730 (قسيس Killala إلى Mrs Clayton أورده Plumb في England in the Eighteenth Century فيه هذا المفهوم الواضح: «لم يكن من المعتاد لأشخاص من محتد كريم أو ثقافة أن يهيؤا أطفالهم للكنيسة». كتب أكنسايد Akenside سنة1744 Pleasures of Imagination «. . . لا الحالة الأرجوانية (أي الكنيسة) ولا الثقافة يمكن أن تمنحه». كتب وردزورث: «حيث لم تكن معروفة أبدا لا الرشاقة ولا الثقافة» (1805)، وكتبت جين اوستن (Emma، 1816) «كل ميزة من ميزات التهذيب والثقافة».

هكذا واضح أن culture كانت تتطور في الإنجليزية نحو بعض معانيها الحديثة قبل

الآثار الحاسمة لحركة ثقافية واجتماعية جديدة. لكن لمتابعة هذا التطور خلال هذه الحركة حتى أواخر ق 18 وأوائل ق 19 يجب اعتبار التطورات في لغات أخرى وفي الألمانية على وجه الخصوص.

حتى ق 18 كانت culture في الفرنسية دائما مصحوبة بصيغة نحوية توضح موضوع التهذيب، كما لوحظ توّا في الاستعمال الإنجليزي. يرجع استعمالها من حين لاخر كاسم مستقل إلى منتصف ق 18، متأخرا نوعا ما عن الاستعمالات المشابهة في الإنجليزية. كذلك يظهر في وسط ق 18 الاسم المستقل civilization حضارة، وصلته بثقافة culture معقدة جدا. (قارن CIVILIZATION والنقاش الذي يلي هنا.) عند هذه النقطة كان هناك تطور مهم في الألمانية: استعيرت الكلمة من الفرنسية وتهجيتها في البداية (أواخر ق18) هي CULTUR ومن ق19 KULTUR. مازال استعمالها كمرادفة لحضارة: أولاً، في المفهوم المجرد لعملية صيرورة الإنسان متحضراً «civlized» أو مهذبا «cultivated»؛ ثانياً، في المفهوم الذي تم ترسيخه لحضارة civilization من قبل مؤرخي عصر الأنوار، في صيغة ق 18 الشعبية للتواريخ الشاملة كوصف للعملية العلمانية للتطور البشري. ثم كان هناك تطور حاسم في استعمال هيردر Herder. في كتابه الذي لم يكتمل Ideas on the Philosophy of the History of Mankind (1784 ـ 91) كتب عن ثقافة culture: «لا شيء أكثر غموضا من هذه الكلمة ولا شيء أكثر تضليلا من استعمالها لكل الأمم والفترات». هاجم فرضية التواريخ الشاملة في قولها بأن «حضارة civilization» أو ثقافة ـ culture - التطور الذاتي التاريخي للبشرية ـ كانت ما نسميه الآن عملية أحادية الاتجاه تؤدي إلى الموقع السامي والمهيمن الذي يتمثل في ثقافة أوروبا في ق 18. في الحقيقة هاجم ما أسماه هيمنة واستعبادا أوربيا للعالم، وكتب: «يا رجال المعمورة الذين هلكوا عبر العصور لم تعيشوا فقط لتخصبوا الأرض برماد كم حتى تجبر ذريتكم في نهاية الزمن على أن تكون سعيدة بالثقافة الأوربية. مجرد فكرة ثقافة أوربية متفوقة هي إهانة سمجة لعظمة الطبيعة». جادل بأنه من الضروري، وكان هذا تجديد حاسم، التحدث عن ثقافات «cultures» بصيغة الجمع: ثقافات معينة ومتغيرة لأمم وفترات مختلفة، لكن أيضا ثقافات معينة ومتغيرة لفئات اجتماعية واقتصادية ضمن الأمة الواحدة. تطور هذا المفهوم بشكل واسع في الحركة الرومانسية كبديل لحضارة civilization المهيمنة والمألوفة. استعملت أولا لتأكيد الثقافات الوطنية والتقليدية بما في ذلك المفهوم الجديد «folkculture» (قارن Folk) ثقافة الفولك/الشعب. استعملت لاحقا لمهاجمة ما اعتبر طبيعية ميكانيكية MECHANICAL (ا م) للحضارة الجديدة التي هي في طور الظهور: لعقلانيتها التجريدية

ولعدم «إنسانية» التطور الصناعي الحالي. استعملت للتمييز بين التطور«الإنساني» و«المادي». سياسيا تأرجحت، كما هو الحال غالبا في هذه الفترة، بين الاشتراكية والرجعية وغالبا مادمجت، في خضم التغيير الاجتماعي الكبير، عناصر من الإثنين. (رغم أن هذا يضيف إلى التعقيد الفعلي، فإنه يجب كذلك ملاحظة أن نفس النوع من التمييز خاصة بين تطور «روحاني spiritual» ومادي «material» قام به von Humboldt وآخرون في وقت متأخر ـ 1900 ـ مع عكس للتعبيرين حيث أصبحت ثقافة مادية وحضارة روحانية. لكن بشكل عام كان التمييز الأصلي هو السائد.)

من ناحية أخرى كانت Kultur، من أربعينيات ق19 في ألمانيا، تستعمل إلى حد كبير بنفس مفهوم civilization الذي كان يستعمل في التواريخ الشاملة في ق 18. كان التجديد الحاسم هو كتاب G.F.Klemm كلم Allgemeine Kulturgeschichte der Menscheit: «التاريخ الثقافي للبشرية» (1843 ـ 52) الذي تتبع التطور الانساني من الهمجية إلى التمدن ثم الحرية. رغم أن الأنثروبولوجي الأمريكي مورجان Morgan في تعقبه المراحل المشابهة استعمل «المجتمع القديم» الذي يبلغ أوجه في civilzation حضارة، فإن مفهوم كلم استمر وتبعه في الإنجليزية مباشرة تايلور Tylor في Primitive Culture (1870). من خلال هذه السلسلة من الإسناد يجب تتبع المفهوم السائد في العلوم الاجتماعية الحديثة .

عندئذ يمكن تقدير التطور الحديث للكلمة واستعمالها الحديث. بسهولة يمكننا تمييز المعنى الذي يعتمد على الاستمرار الحرفي للعملية الطبيعية كما هو الآن في «حراثة الشمندر«culture sugar-beet» أو كما في الاستعمال الطبيعي المتخصص في علم البكتيريا منذ ثمانينات ق 19، مزرعة ميكروب (germ culture). لكن حينما نتخطى العلاقة الطبيعية علينا أن ندرك ثلاثة أصناف عريضة من الاستعمال: (1) الاسم المستقل والمجرد الذي يصف عملية عامة للتطور الثقافي والروحي والجمالي، من ق18؛ (2) الاسم المستقل، سواء استعمل بشكل عام أو محدد، الدال على طريقة حياة معينة سواء لشعب أو لحقبة أو لمجموعة أو للبشرية ككل، من هردر وكلم. لكن يجب علينا أيضا إدراك (3) الاسم المستقل والمجرد الذي يصف أعمال وممارسات النشاط الفكري والفني وخاصة الأخيرة. يبدو أن هذا (3) في الغالب هو الاستعمال الأكثر انتشاراً: الثقافة هي الموسيقى، الأدب، الرسم، النحت، المسرح والسينما. تشير «وزارة الثقافة» إلى هذه النشاطات التي تشمل أحيانا الفلسفة والمعرفة scholarship والتاريخ. هذا الاستعمال الأخير (3) في الحقيقة جاء متأخراً نسبياً. من الصعب تأريخه بدقة لأنه في الأصل أحد الاستعمالات التطبيقية

لمعنى(1) : استعملت بطريقة فعالة ونقلت فكرة عملية عامة للتطور الثقافي والروحي والجمالي إلى أعمال وممارسات تمثلها وتدعمها. لكن أيضا تطورت من معنى أسبق للعملية. قارن ثقافة الفنون الجميلة التقدمية «progressive culture of fine art» عند ميللر Millar (Historical View of English Government، iv، 314، 1812). في الإنجليزية لا يزال معنيا (1) و(2) متشابهين؛ ولا يمكن تمييزهما أحيانا، لأسباب داخلية، كما عند آرنولد Culture and Anarchy (Arnold 1867)، بينما قدم تايلر Tylor بطريقة حاسمة معنى (3) في كتابه Primitive Culture مقتفياً أثر كلم. أتى التطور الحاسم لمعنى(3) في الإنجليزية في أواخر ق19 وأوائل ق20 .

في مواجهة هذا التاريخ المعقد والذي لا يزال نشطا للكلمة فإنه من السهل القيام باختيار مفهوم واحد «صحيح» أو «ملائم» أو «علمي» ورفض المفاهيم الأخرى على أنها مشوشة وغير دقيقة. هناك دليل على هذا الاختيار حتى في الدراسة المتميزة التي قام بها كروبر Kroeber وكلكهون Kluckhon: Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions، حيث يعطى فعلياً الاستعمال في أنثروبولوجيا شمال أمريكا كمعيار. من البين أنه ضمن أي حقل لابد من إيضاح الاستعمال المفهومي. لكن المهم عموما هو نطاق المعاني وتداخلها. يوضح تعقيد المفاهيم جدلاً معقداً حول العلاقة بين التطور البشري العام وطريقة حياة معينة وبين كل منهما وأعمال وممارسات الفن والفكر. من اللافت بشكل خاص أنه في الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية تعني الإشارة إلى ثقافة culture أو a culture ثقافة ما (ثقافة مادية)، بينما في التاريخ والدراسات الثقافية تكون الإشارة بشكل رئيسي إلى نظم رمزية أو دلالية. كثيراً ما يشوش هذا بل حتى كثيرا ما يحجب السؤال الرئيسي عن العلاقة بين الإنتاج«المادي» «material» أو الرمزي «symbolic» الذي يجب أن يتّصلا دائما، كما في بعض الكتابات الحديثة (قارن كتاب المؤلف Culture)، بدلا من أن يتضادا. ضمن هذا الجدل المعقد هناك مواقف متعارضة بشكل جذري بالإضافة إلى مواقف فعليا متداخلة؛ كذلك هناك، كما يمكن تقديره، أسئلة كثيرة لم تحل وأجوبة مشوشة. لكن لا يمكن حل هذه الأسئلة والجدل عن طريق تخفيف حدة تعقيد الاستعمال الفعلي. هذه الملاحظة ملائمة كذلك بالنسبة لاستعمالات صيغ من الكلمة في لغات أخرى غير الإنجليزية حيث هناك تفاوتات كبيرة. يشيع الاستعمال الأنثروبولجي في مجموعات اللغات الألمانية والاسكندينافية والسلافونية، لكنه بالتأكيد ثانوي بالنسبة لمفاهيم الفن والمعرفة أو العملية العامة للتطور البشرى في الإيطالية والفرنسية. بين اللغات كما هو ضمن اللغة الواحدة يبرز نطاق وتعقيد المعنى والإسناد اختلافا في الموقع الفكري وبعض الضبابية

أو التداخل. بالضرورة تنطوي هذه التفاوتات، أيا كان نوعها، على آراء بديلة للنشاطات والعلاقات والعمليات التي تدل عليها هذه الكلمة المعقدة. بعبارة أخرى، في النهاية التعقيد ليس في الكلمة ولكن في المشاكل التي تدل عليها بشكل ذا مغزى تفاوتات استعمالها.

من الضروري أيضا اعتبار بعض الكلمات المشتقة والقريبة. مرت كل منcultization وcultivated عبر نفس التوسع المجازي من مفهوم طبيعي إلى مفهوم اجتماعي وتعليمي في ق17 وأصبحتا كلمتين هامتين بشكل خاص في ق18. كتب كولريدج في تمييز كلاسيكي معبر عن فترة أوائل ق19 بين حضارة وثقافة (1830): «التمييز الدائم والتعارض الظرفي بين cultivation تهذيب وحضارة civilization». اندثر فعليا الإسم في هذا المفهوم لكن الصفة cultivated ما زالت شائعة جدا خاصة بالنسبة للسلوك والأذواق. يبدو أن الصفة المهمة cultural ثقافي، التي ترجع إلى سبعينات ق 19، لم تصبح سائدة إلا في تسعينات ذلك القرن. لم تكن الكلمة موجودة في مفهومها الحديث إلا عندما أصبح الاسم المستقل بمعانيه الفنية والفكرية والأنثروبولوجية مألوفا. يبدو أن العداء للكلمة culture في الإنجليزية يرجع إلى فترة الجدل حول آراء آرنولد. اشتدت قوته في أواخر ق19 وأوائل ق20 بالتعاضد مع عداء مشابه ضد aesthete (محبّ أو مدّعي الفن) و AESTHETIC جمالي (ا م). أنتج ارتباطها بالتمييز الطبقي الكلمة المقلّدة «culchah» نطق متهكم للكلمة الإنجليزية ثقافة. كذلك كان هناك مجال عداء مرتبط بالشعور المناوئ لألمانيا خلال وبعد حرب 1914 ـ 1918، مرتبط بالدعاية المبالغة عن «Kultur». استمر المجال الرئيسي للعداء وتؤكد أحد عناصره العبارة الأمريكية الحديثة [«culture-vulture» نهاش الثقافة، متلهف لبديق الثقافة]. إنه لذو دلالة أن كل العداء تقريباً (مع الاستثناء الوحيد فيما يتعلق بالشعور المعاصر المعارض لألمانيا) ارتبط باستعمالات تتصل بادعاءات معرفة أسمي (قارن INTELLECTUAL فكري)، أو (صقل culchah)، أو تمييز بين فن «سام» «high culture)» من ناحية وترفيه وفن شعبي من الناحية الأخرى. هكذا تسجل الكلمة تاريخا اجتماعيا فعليا ومرحلة صعبة جدا ومشوشة في التطور الثقافي والاجتماعي.

من اللافت أن الاستعمال الاجتماعي والأنثروبولجي المتزايد لكل من culture وcultural وصيغ مثل sub-culture ثقافة أقلية (ثقافة مجموعة صغيرة مختلفة) إما تجاهل أو بطريقة فعلية قلّص، عدا في مجالات معينة (بطريقة ملحوظة الترفيه الشعبي)، العداء وعدم الارتياح المصاحب والارتباك. يحتفظ الاستعمال الحديث للكلمة culturalism (ثقافية) للدلالة على تعارض منهجي مع بنيوية structuralism في التحليل الاجتماعي بكثير من الصعوبات السابقة ولا يتجنب دائما العداء.

انـظـر : AESTHETIC جـمـالـي، ANTHEOPOLOGY أنـثـروبـولـجـيـا، ART فـن، CIVILGATION حضارة، FOLK شعب، DEVELOPMENTتطور، SCIENCE علم، WESTERN غربي

ديمقراطية DEMOCRACY

هذه كلمة قديمة لكن معانيها كانت دائما معقدة. دخلت الانجليزية في ق 16 من (س م) démocratie، فرنسية، democratia، لاتينية وسيطة: ترجمة للكلمة democratia، يونانية، من (س ب) demos، شعب، kratos، حكم. في 1531 عرفها إليوت Elyot في إشارة خاصة إلى المثال اليوناني: «مجتمع عام آخر كان بين الأثينيين حيث مساواة الوضع بين الناس ... سميت طريقة الحكم هذه في اليونانية ديمقراطية Democratia وفي اللاتينية حكم عام Popularis potentia وفي الإنجليزية حكم شعبي «rule of the comminaltie». واضح مباشرة من الاستعمالات اليونانية أن كل شئ يعتمد على المعاني المعطاة لناس people وحكم rule. تتفاوت الأمثلة السابقة سواء مشكوكة الأصل أو معروفة المصدر من طاعة «القانون ولا حاكم سواه» (صولون؟ ?Solon) إلى «من الشعب، بالشعب، للشعب (كليون؟ ?Cleon). تقارن أمثلة أحدث بين «غطرسة الطاغية» و«وقاحة العامة الجامحة» (اقتبسها هيرودوتس) أو تعرّف الحكومة بأنها ديمقراطية «لأن إدارتها في أيدي الأكثرية وليس الأقلية»؛ كذلك «كل ما يعارض السلطة المستبدة يسمى ديمقراطية (أوردها ثيوسيددس Thucydides). كتب أرسطو (الشعر، ج4) : «الديمقراطية هي وضع يمنح فيه الأحرار والفقراء الذين لهم الأغلبية السلطة في الدولة». لكن الكثير هنا يعتمد على معنى «منحت لهم السلطة»: عما إذا كانت سيادة مطلقة أو، في الطرف الآخر، الحكم الفعلي الذي لا مشاركة فيه. قال أفلاطون على لسان سقراط (في الجمهورية، ج 8) إن «الديمقراطية تنشأ بعدما يدحر الفقراء خصومهم، يقتلون وينفون البعض، بينما في الوقت نفسه يمنحون المتبقيين قدرا مساويا من الحرية والسلطة».

هذا النطاق من الاستعمالات القريبة من أصول التعبير يجعل من المتعذر صياغة أية اشتقاقات بسيطة. لكن يمكن القول حالا إن عددا من هذه الاستعمالات ـ خاصة تلك التي تشير إلى حكم طبقة شعبية - بعيد عن أي تعريف«غربي» WESTERN (ا م) مألوف للديمقراطية. في الواقع ما يجب تتبعه هو ظهور هذا التعريف التقليدي، الذي له غموضه أيضا. في الغالب ما يتم الآن هو تقفي «ديمقراطية» إلى سوابقها القروسطية وتعطى مرجعية يونانية. لكن الحقيقة هي أنه في الوثائق التي لدينا كانت الكلمة «ديمقراطية»، مع استثناءات

ظرفية، تعبيرا سلبيا للغاية حتى ق 19 وأنه فقط من أواخر ق 19 وأوائل ق 20 توحدت الأحزاب والأهواء السياسية في إعلان الإيمان بها. هذه هي أهم الحقائق التاريخية اللافتة .

عرّف توماس الأكويني Aquainas الديمقراطية بالسلطة الشعبية حيث حكم - اضطهد ـ الناس العاديون بسبب كثرة عددهم الأغنياء، فعل الناس مجتمعين فعل طاغية. ظل هذا المفهوم الطبقي القوي مهيمنا حتى أواخر ق 18 وأوائل ق 19 واستمر فعالا في النقاش حتى منتصف ق 19. هكذا نجد «الديمقراطية هي عندما تكون الحكومة للعامة»، فلمنج Fleming (1576) (للمفهوم الطبقي لحشد multitude انظر MASSES)؛ «الديمقراطية هي حيث يكون الرجال الأحرار والفقراء الذين هم أكثر عددا سادة الأرض، (1586)؛ «الديمقراطية ليست سوى سلطة العامة»، فِلْمر Filmer في Patriarcha) (1680). أضيف إلى هذا التعريف لـ«ناس» people كعامة multitude مفهوم عام للنوع الناجم عن هذا الحكم rule: الديمقراطية هي الدولة التي كان للكل فيها الحق في الحكم وبالفعل حكموا؛ تمت معارضتها (كما فعل سبينوزا Spinoza، مثلا) مع دولة يكون فيها الحكم من قبل ممثلين، بمن فيهم المنتخبين. بهذا المعنى فهِم الدستور السياسي الأول تعبير ديمقراطية ـ دستور رود آيلاند «Rhode Island» في (1641) : «الحكومة الشعبية» «popular government»؛ أي أنه في سلطة هيئة المجتمعين بطريقة منظمة أو معظمهم وضع أو صياغة قوانين عادلة، تلك التي عن طريقها يتم تنظيمهم وأن ينتدبوا من بينهم ممثلين يكون لهم متابعة تنفيذها بأمانة بين الأفراد» .

يجب التركيز على هذه الفقرة الأخيرة حيث أنه تم التوصل في النهاية إلى معنى آخر للديمقراطية عن طريق تحوير الممارسة التي أوضحت هنا. في حالة رود آيلاند صاغ الشعب أو معظمه قوانين في تجمّع منظم؛ قام الممثلون بـ «تطبيقها بأمانة». هذه ليست شبيهة بالديمقراطية التمثيلية representative democracy التي عرّفها هاملتون Hamilton في 1777. كان يشير إلى مفهوم أسبق للديمقراطية عندما لاحظ أنه «عندما تُمنح السلطات القضائية judicial والتشاورية deliberative كليا أو جزئيا للهيئة الجماعية collective للشعب فلا بد أن نتوقع أخطاء والتباسا وزعزعة. لكن الديمقراطية التمثيلية هي حيث يكون حق الانتخاب مضمون ومنظّم وحيث تمنح ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لأشخاص مختارين... الخ». من هذا الاستعمال الأمريكي المعدّل تطور مفهوم حديث سائد. صاغ بنثام Bentham مفهوماً عاماً للديمقراطية كحكم أغلبية الشعب وميّز بعد ذلك بين «ديمقراطية مباشرة direct democracy» و«ديمقراطية تمثيلية representative democracy»

موصيا بالأخيرة لأنها توفر الاستمرارية ويمكن تطبيقها في مجتمعات كبيرة. تم منذ ذلك الوقت التسليم بصحة هذه الأسباب العملية المهمة كما تم أيضا التخلي عنها بحيث أنه في وسط ق20 يمكن وصف أي إصرار على الديمقراطية حسب مفهوم رود آيلاند أو مفهوم بنثام «المباشر» بأنه معارض للديمقراطية anti-democracy حيث أن الحكم من قبل ممثلين منتخبين يعتبر أول مبادئ الديمقراطية. المناقشات العملية جادة بالطبع وفي بعض الأحيان حاسمة لكن أحد أهم التغيرين في معنى ديمقراطية هو الارتباط الحصري بأحد أشكالها المشتقة ومحاولة استبعاد أحد صيغها الأصلية؛ في إحدى الفترات كانت هذه هي الصيغة الوحيدة.

يتعلق التغيير الكبير بتفسير«الشعب» the people . هناك سجل مهم لمحاولات مختلفة لقصر «الشعب» على مجموعات معينة مؤهلة: أحرار، أصحاب ممتلكات، العقلاء، رجال ذو بشرة بيضاء، رجال، وهكذا. حيث تتحدد الديمقراطية بعملية الانتخاب فإنه يمكن الادعاء بأن هذه الدساتير المقيدة كاملة الديمقراطية: تعتبر طريقة اختيار الممثلين أكثر أهمية من نسبة «الشعب» الذي يشارك في ذلك. يتم تتبع تطور الديمقراطية عبر مؤسسات تستعمل هذه الأسلوب بدلا من العلاقات بين كل الناس ونظام الحكم. هذا هو التفسير المعتمد في معظم التقارير عن تطور الديمقراطية الانجليزية. في الواقع يُدعى أن الديمقراطية «توسعت» extended تدريجيا بينما المقصود بوضوح هو التصويت لممثلين بدلا من المفهوم القديم لسلطة الشعب والذي كان حتى أوائل ق19 هو المفهوم الانجليزي المعتاد. أصبح التمييز حاسما في فترة الثورة الفرنسية. كان بيرك Burke يعبر عن وجهة النظر التقليدية عندما كتب: «الديمقراطية الكاملة كانت أكثر شيء مخز في العالم» Reflections on the Revolution in France، (1790) لأن «ديمقراطية» كانت تعتبر سلطة شعبية «هائجة» يتم فيها، ضمن أشياء أخرى، اضطهاد أو قمع الأقليات (خاصة الأقلية التي لديها ممتلكات كبيرة). كانت «ديمقراطية» لا تزال حتى منتصف ق 19 تعبيراً ثورياً أو على الأقل متطرفا وكان التطور المتخصص لديمقراطية تمثيلية representative democracy، على الأقل جزئيا، ردة فعل مقصودة لذلك علاوة على أسباب الاستمرار ومدى شموليتها العملية. من هذه النقطة في النقاش يمكن ملاحظة تشعب المعنيين الحديثين لديمقراطية. في التراث الاشتراكي استمرت ديمقراطية تعني سلطة شعبية popular power: دولة تكون فيها مصالح أغلبية الشعب هي الأعلى وتقوم الأغلبية فيها بشكل يكاد تاما بالاستفادة من هذه المصالح وتتحكم فيها. في التراث الليبرالي، عنت ديمقراطية انتخابات عامة لممثلين وشروطا معينة (حقوق ديمقراطية democratic rights مثل حرية التعبير) حافظت على انفتاح الانتخابات

والنقاش السياسي. هذان المفهومان في شكليهما المتطرفين يواجه أحدهما الآخر كعدوين. لو كان المعيار هو سلطة الشعب في المصلحة الشعبية فالمعايير الأخرى تعتبر ثانوية (كما في الديمقراطيات الشعبية People's Democracies) ويكون تركيز هذه المعايير محصوراً في «ديمقراطية رأسمالية» أو «ديمقراطية برجوازية». لو كان المعيار هو انتخابات وحرية تعبير فان المعايير الأخرى تكون ثانوية أو مرفوضة؛ فمحاولة ممارسة سلطة شعبية من أجل مصلحة شعبية عن طريق إضراب عام، مثلا، توصف بأنها معادية للديمقراطية حيث أن الديمقراطية قد تحققت بطرق أخرى؛ اعتبار الادعاء بأن المساواة EQUALITY (ا م) الاقتصادية جوهر الديمقراطية، هو الطريق المؤدي إلى اضطراب أو ديمقراطية شمولية totalitarian democracy أو حكومة اتحاد عمال. يشمل هذان الموقفان، مع تفاوتات كثيرة لهما، معاني ديمقراطية الحديثة، لكن لا يعتبر هذا عادة تنوعاً تاريخيا للكلمة: كل موقف في العادة يوصف بأنه «المعنى الصحيح الوحيد»، والاستعمال البديل يعتبر دعاية مبالغة أو نفاقا.

ديمقراطي democratic (من أوائل ق 19) هي الصفة المعتادة لأي من نوعى الاعتقاد أو أي من هاتين المؤسستين. لكن يجب ملاحظة معنيين إضافيين. هناك استعمال ملحوظ لديمقراطي democratic لوصف ظروف النقاش المفتوح دونما الإشارة بالضرورة إلى انتخابات أو سلطة. في الواقع، في استعمال مميز تعتبر حرية التعبير والتجمع حقوقاً ديمقراطية كافية بذاتها دونما إشارة إلى مؤسسة أو طبيعة السلطة السياسية. هذا مفهوم مقيّد مستمد من التركيز الليبرالي الذي يتوجب في صيغته الكاملة وجود انتخابات وسيادة شعبية (وليس حكماً شعبياً)، لكن الذي يعارض غالباً نشاطاً ديمقراطياً مستمراً مثل اعتراضات على انتخابات قائد أو سياسته في ظروف غير رسمية أو«مناسبة». هناك أيضاً مفهوم مشتق من الإشارة الطبقية السابقة للعامة multitude: أن يكون لك أسلوب «ديمقراطي» يعني أن تكون في شعورك غير واع بالتميز الطبقي أو عن قصد تهمل هذا الشعور أو تتغلب عليه في السلوك اليومي: تتصرف كما لو أن كل الناس متساويين ويستحقون تقديرا متساويا سواء كان هذا صحيحاً أم لا. هكذا يمكن للإنسان أن يكون في علاقات «بسيطة وطبيعية» مع كل من يلاقى ويمكنه أيضاً أن يؤمن بحرية التعبير وحرية التجمع لكن، في انصياعه لهذا الشعور، يمكنه أن يعارض حق الاقتراع الشامل ويقف ضد حكومة تتوجه كلية لمصالح الأغلبية. توسعت جزئياً المفاهيم، وجزئياً بعدت عن هذا المفهوم السابق والذي لا يزال على الأرجح هو المفهوم الرئيسي لطبيعة السلطة السياسية. في الوقت نفسه، حملت «demagogy» و «demoagogie» ـ (س م) «demagogás»، يونانية، (س ب) demos

ناس/شعب، agogós قائد، agein يقود ـ من اليونانية المعنى السلبي السائد: المهيّج اللامسئول، بدلا من «قائد شعبي» في صيغة مألوفة من التحيز السياسي. استعملت الكلمة بشكل مشابه في الانجليزية من ق17 واستعملت مهيج/مؤجج «agitator» في البداية بمعنى «agent» وكيل، موظف من قبل مندوبي الجنود في برلمان 1647 ـ 1649، لكن أعطيت المفهوم الازدرائي بشكل رئيسي من ق 18.

لا توجد مسائل أكثر صعوبة من تلك التي تتعلق بديمقراطية في أي من معانيها الأساسية. تحليل التفاوتات لن يحلها لكن قد يوضحها أحيانا. في قرن لا مثيل له تدّعي فيه تقريبا كل الحركات السياسية تمثيل «ديمقراطية» أو «ديمقراطية صحيحة» يجب أن نضيف للمعاني الايجابية المتعارضة في التراثين الاشتراكي والليبرالي تحريفات مقصودة لا حصر لها: اختزال مفاهيم انتخاب وتمثيل وتفويض mandate إلى شكليات مقصودة أو مجرد صيغ موجهة؛ اختزال مفهوم سلطة شعبية أو حكومة مصلحة شعبية إلى شعارات اسمية تحجب حكم بيروقراطية أو حكم أقلية. أحياناً قد يكون من السهل الإيمان بالديموقراطية أو مؤازرتها لو أن تغيير ق 19 لم يحدث وأنها مازالت تعبيراً سلبياً وحزبياً. لكن سلك التاريخ طريقه ومعانيها المعاصرة هي السجل المشوش الذي لا يزال فعالاً .

انظر : Anarchism **فوضوية**، Class **طبقة**، Equality **مساواة**، Liberal **ليبرالي**، Masses **جماهير**، Popular **شعبي**، Representative **ممثل**، Revolution **ثورة**، Socialist **اشتراكي**، Society **مجتمع**

يحدد/يحتم DETERMINE

للكلمة determine نطاق معقد من المعاني في الإنجليزية الحديثة وضمن هذا النطاق هناك صعوبة خاصة عندما يرتبط الفعل بكل من determinant محدِّد وdeterminism حتمية واستعمال معين لمحدَّد determined. هذه الصعوبة الخاصة هامة لأنها تتصل باتجاهات مهمة مختلفة في الفكر الحديث.

دخلت determine الإنجليزية في ق 14 من (س م) determiner، فرنسية قديمة، determinare، لاتينية، (س ب) terminare، لاتينية: «يضع حدودا». هناك صيغ عدة تتقدمها البادئة اللاتينية de معقدة في معانيها، لكن في هذه الحالة معنى «وضع حدود» هو السائد في كل الاستعمالات الأولى. برزت الصعوبة والالتباس اللاحق عندما اكتسب أحد المفاهيم المستعملة، الذي يتعلق بوضع حد وبالتالي نهاية لعملية ما، أهمية نهاية مطلقة.

هناك عمليات كثيرة لها حد أو نهاية معتادة كانت تستعمل بالنسبة لها determine ومشتقاتها بانتظام : تحدد determined مشكلة أو خلاف من قبل سلطة، ومن هذا الاستعمال والاستعمال القانوني المرتبط به، في أمور مثل عقود الإيجار، هناك مفهوم أكثر عمومية معادل لـ«يقرر» decide: مثلا، «في تاريخ سيحدد to be determined». يرتبط بهذا معنى يعادل «يحسم مسألة» settle؛ يعطى شكلا ثابتا عن طريق الملاحظة أو الحساب أو التعريف definition. ما يميز كل هذه الاستعمالات هو أن determining تحديد هي نقطة أو عمل ثابت عند نهاية العملية وأن هذا المفهوم لا يحمل أي معاني ضمنية ضرورية وفي العادة ليست هناك معاني ضمنية البتة، وأن الطبيعة الخاصة للقرار أو الحسم أو الحكم النهائي هي في صلب طبيعة العملية. تحسم أو تتمم determination عملية ما؛ لكنها لا تتحكم فيها أو تتنبأ بها.

لكن كما هو واضح هناك احتمال تداخل مع معنى عملية مهيأة بطريقة تجعل من الممكن اعتبار أن تحديدها determination النهائي أو المنظور هو الذي يعرفها. من هذا التداخل تنبع كل المعاني الحديثة الصعبة. المصدر الرئيسي لهذا التوكيد ثيولوجي: يمكن اعتبار أن الإله (في مفهوم توسع من قرار معين لسلطة) حدّد determined ظروف الحياة البشرية بما فيها استحالة تجنب الموت، وبهذا المفهوم يكون حدد مصير الإنسان. من أوائل ق 16، عند تنديل Tyndale مثلا، لدينا العبارة الإنجيلية «علم الله بالغيب وقصده المحدد determinat counsell and foreknowledge of God». بالطبع هناك جدل طويل ومعقد حول مدى وطبيعة مثل هذه النهايات المقررة preordained وحول مضامينها ونتائجها. عموماً في هذه النقاش استعملت بشكل أكبر كثيراً الكلمة predistination قضاء وقدر (ومعها الكلمة المخففة حرية الإرادة free-will) من determination تحديد لكن بوضوح في أحيان كثيرة ارتبطت الكلمتان. هذا هو المصدر الرئيسي لتحديد/حد determination كأمر تم حسمه وتثبيته بطريقة قطعية، لكن لم يسيطر المفهوم القطعي تماماً أبداً حتى في هذا المجال من الاستعمال. لكن بوضوح كان هناك مجال كبير للتشويش عندما تنقل النقاش بين مفهومي ظروف تحدّد عملية، وعملية تتحكم فيها نهاية متطورة أو معروفة.

عندما بدأ استعمال determination تحديد/حد في العلوم منذ منتصف ق17 نشأ نطاق مقابل من المعاني. كانت determination حد من حين لآخر الحالة النهائية أو الأساسية لمادة ما، لكن في علم الطبيعة المبكر (Boyle بويل، 1660) كانت تعني فعلياً

ميولاً واضحة: «أخرى حركتها لها اتجاه معاكس opposite determination». كتب كلارك Clarke في 1710: «عندما يتحرك جسم بطريقة معينة، هذا هو ما نسميه اتجاه determination». هنا النزعة الواضحة هي في صلب طبيعة الجسم وبالتالي لا تزال العوامل المحدِّدة determinants لأية عملية لها صبغة معينة. في الفترة اللاحقة التي تمت فيها صياغة القوانين العامة، سواء في العلم science أو، كما في السابق، في أصناف من قوانين الله أو الطبيعة، توسع المفهوم وامتد إلى المبدأ المجرد: من فكرة أسباب ونتائج معينة إلى فكرة عملية «مستحيلة التجنب inevitable ومحدَّدة «determined». لكن من الصعب جدا عند الوصول إلى هذا المفهوم المجرد أن نميز بوضوح بين أنواع من عمليات يحكمها قانون أو قوانين عامة وأنواع من النتائج، التي - سواء استنبطت من عنصر جوهري أو، كما هو محتمل، عرضي - تعتبر مستحيلة التجنب. تزيد الصعوبة تعقيدا عندما ندرك أن يحدد determine تستعمل بنفس القدر في النظر إلى المستقبل كما هي في النظر إلى الماضي prospect/retrospect؛ يصبح مفهوم استحالة التجنب الذي يمكن أن يكون نتيجة ملحوظة لاستعادة الماضي شيئاً مختلفاً عندما يُسقط على أحداث مستقبلية.

لعدة قرون دارت أنواع مختلفة من النقاش، في الغالب بصعوبة، حول هذه المعاني ليحدد determine: في الثيولوجيا، والأخلاق ethics، وفي الفيزياء وختاماً في النظرية theory الاجتماعية والاقتصادية. أعطت صياغة determinism حتمية/جبرية في منتصف ق19 تحريفاً خاصاً لكل النقاش. في معناها الأكثر استعمالا تفترض «حتمية» ظروفاً سابقة الوجود، عموماً «خارجية»، تقرر عملية أو حدثاً ما. غالباً تعني «خارجية» مجرد خارجة عن رغبة أو مشيئة الأفراد المرتبطين بعملية كهذه؛ لا تزال الشروط المحدِّدة determining في صلب العملية العامة نفسها. لكن هناك أيضاً استعمال مستمد من حجم بعض هذه العمليات التي يتم فيها، بطريقة واضحة في الغالب، توكيد الطبيعة الخارجية المحدِّدة determining. لا يتحكم الناس في عمليات محدَّدة determinate مثل النظام الشمسي في طرف، أو عمليات النشوء والارتقاء والتوريث البيولوجي في مرحلة وسطى، وفي الطرف الآخر نظام اقتصادي. استعملت حتمية/ جبرية determinism، التي كانت في السابق (رغم أنها لم تعط هذا الاسم) مذهباً ثيولوجيا أو مبدأ فلسفياً، خصوصاً من منتصف ق19 في البيولوجيا والاقتصاد رغم أن استعمالها الأوثق كان لا يزال في الفيزياء. في حالة الفيزياء، أصبح المعنى الأكثر تقييدا لحتمية - determinism أحداث تم التنبؤ بها تماماً بناء على الأسباب المعروفة - مألوفا لدرجة أن مشاهدة الأحداث التي لا يمكن ضمنياً التنبؤ بها أو أنها مجرد مرجحة حثت على سك تعبير سلبي جديد: indeterminism لا حتمية الذي توسع استعماله

فيما بعد منتصف ق20 بطريقة متلاحقة إلى حقول أخرى بطريقة مماثلة لما حدث للتعبير السابق البسيط determinism. بحلول هذه الفترة كان واضحاً في الاستعمال العام أن حتمية لم تحمل فقط معنى السبب الذي لا يمكن تجنبه وإنما أيضاً السبب الخارجي في جوهره. لهذا كان توسع لا حتمية indeterminism من عمليات مشاهدة معينة إلى ظروف الحياة الأشمل متهور ومثير للاهتمام في نفس الوقت.

أصبحت determinism في مفهومها العام مرتبطة بظروف الحياة العامة، سواء البيولوجية أو الاقتصادية. هذه العمليات قد تكون ضمن المعرفة الإنسانية لكن خارج تحكم البشر؛ لقد ترسخت أساليبها. في الواقع في كل المناقشات ذات العلاقة كانت هناك محاولات تمييز دقيقة بين determination تحديد، مهما كانت مطلقة، والمفهوم اللاعقلاني irrational القديم المتجسد في fate قدر(في الأصل حكم الآلهة، (س ب) fari أتكلم؛ لاحقاً عملية محدِّدة، لا شخصانية ومن ق14 نهاية محدَّدة؛ اكتسبت من ق17 مفهوم كارثة في fatal مهلك بينما نهايات أخرى مقرّرة تم وصفها بالحظ fortune ـ صدفة تنحصر في الحظ الطيب ـ أو providence: التحكم العطوف والحاني. تشير طروحات من أجل حتمية عقلانية «rational determinism» إلى مقدرة فهم العمليات العامة وعبر هذا الفهم اكتساب بعض السيطرة عليها، مهما كان ذلك محدودا. المفهوم، إذن، أكثر تمييزا كونه يسمح بالتفريق ضمن العمليات العامة بين ظروف محدِّدة determining أو محدِّدات determinants ـ عوامل أساسية تضع، كما في استعمالات سابقة، حدودا معينة أو تمارس ضغوطا معينة ـ وعوامل أخرى عرضية أو لا يمكن التنبؤ بها أو طوعية. يعتمد معظم النقاش العقلاني لظروف محددة أو محددات على إيضاح هذا التمييز. خلاف ذلك، يمكن لمشاهدة عوامل فعلية محدِّدة ـ قوى تضع حدودا أو تمارس ضغوطا ـ أن تتضخم بسرعة إلى fatalism قدرية (determinism حتمية/ جبرية) يكون فيها كل شيء قد تقرر ـ قُرّر مسبقاً predetermined كما تصاغ في العادة بغرض التوكيد ـ وليس علينا إلا ترقب حدوثها. بطريقة بديلة، يمكن أن يوهننا شعور بالصعوبات إلى حالة غموض ولا مبالاة لا يمكن فيها الاعتراف بوجود عوامل ضرورية، ليس فقط افتراضيا ولكن عمليا. في الواقع، هذا ضرب من الجنون؛ لا يجعل من الممكن تجنب التعرف على تلك الطريقة إلا الوصف الواثق المتخصص لوجهات نظر أخرى على أنها حتمية. كان هذا الطرح مهما بشكل خاص في الماركسية حيث تم في الغالب تشجيع الحد determination الاقتصادي المطلق، سويا مع العواقب السياسية والاجتماعية والثقافية التابعة ـ قوانين التاريخ وقانون القاعدة «base»

(بنية المجتمع الاقتصادي) والبنية الفوقية «superstructure» (كل الحياة الاجتماعية الأخرى) ـ بينما في طروحات ماركسية أخرى كان هناك مفهوم محددات معينة يتصرف الناس ضمنها أو في علاقة معها لصنع تاريخهم. أنتجت الأنواع الوضعية POSITIVIST (ا م) الأكثر تطرفا لعمليات تم التنبؤ بها تماما أو بشكل عام أنواعاً مقابلة مختزلة لتلاعب الأحداث«play of events» (سير الأمور) تسمى (بتخصص شعبي مقابل للمعاني الدقيقة) امبريقية EMPRICICISM وبراجمتية PRAGMATISM (ا م م) .

لا يمكن حسم أمور على هذه الدرجة من الجدية والتعقيد عن طريق تعريف الكلمات، لكن يمكن أن يكون النقاش حول هذه الأمور مشوشاً تماماً باستعمال ملح وشبه جازم لمعنى ثابت لهذه الكلمة شديدة التقلب ومشتقاتها. في النهاية، يشمل تاريخ الكلمة كذلك مسارا آخر من المعاني ترتبط فيه determination وdetermined وdetermine، ليس بحدود أو نهايات وليس بأسباب خارجية ولكن بشكل معين بقرارات أو أفعال الإرادة «acts of will» كما في «قررت أن أحقق ذلك I am determined to». في البداية يبدو أن هذا المعنى استنبط من المعنى السابق المذكور أعلاه : الوصول إلى قرار «come to a decision»؛ هناك عدة استعمالات سابقة في صيغة يقرر مع نفسه determine with oneself، كما هو الحال في تطور مشابه ليحسم resolve وحسم resolution. ربما لم يقل أحد بعد «قررت ألا أتحدد I'm determined not to be determined»، لكن هذا يبين نطاق المعاني الفعلي. منذ أوائل ق 16 تستعمل determined وdetermine بشكل عام بمعنى قرار ثابت أو حاسم اتخذه شخص بناء على رغبته. على الأقل بحلول ق 19 نشأ مفهوم اشتقاقي عام لا يتطلب عادة تعريفاً إضافيا للفعل ـ قررت determined فعل أو عدم فعل شيء ـ في صيغته صفة عامة تدل على «مستمر بتشبث persistent» أو غير متردد unwavering: مفهوم يرتبط بالتأكيد بمعنى عملية محسومة settled ومتعذر تجنبها inevitable، لكن كذلك يعطى في الاستعمال الفعلي نوعا معاكسا من التفسير للأفعال والأحداث البشرية. للأغراض العامة الكثيرة يبقي التمييز الفعلي الحديث بين determinism وdetermination، بدرجة كافية من الوضوح، على هذا المدى من التفاوت والتعارض، لكن يصعب إدراك التمييز الأكثر صعوبة في استعمالات determine وdetermined كما نشاهد بانتظام.

انظر: **DEVLOPMENT نمو، EMPIRICAL إمبيريقي، EVOLUTION نشوء وارتقاء، PRAGMATIC برجماتي**

دخلت develop(ed) الإنجليزية في منتصف ق 17 في أعقاب كلمة إنجليزية سابقة disvelop (أواخر ق 16) من (س م) développer، فرنسية desvolper، فرنسية قديمة، بمعنى في جذر الكلمة معاكس ليغلف wrap، يحزم - bundle بالتالي يفض unfold، يبسط unroll. توسع المعنى مجازيا في ق 18 وأصبح يشمل مفهوم تنمية «قدرات ... الإنسان العقلية»، واربرتون Warburton، 1750 (قارن CULTURE ثقافة، ادخل، ونشوء وارتقاء EVOLUTION). تبعت ذلك development في منتصف ق 18، لكنها مازالت تستعمل من قبل شسترفيلد Chesterfield، 1752، في صيغتها الفرنسية. كان أول توسع رئيسي لها في البيولوجيا الجديدة في علاقة قريبة لأفكار نشوء EVOLUTION (ا م).

يتعلق الاستعمال الجديد اللافت لمجموعة كلمات تتمحور حول develop بأفكار معينة عن طبيعة التحول الاقتصادي. في منتصف ق19 تم التعبير بهذه الطريقة عن فكرة مجتمع يمر خلال مراحل تطورية evolutionary محددة : «تتقدم الأمم على طريقة تنمية Development، سماتها اللاحقة لها جذور في العناصر الأولى». علاوة على ذلك، المفهوم الضمني في هذه الفكرة هو «التنمية التقدمية progressive development» التي سجلت من 1861 (انظر PROGRESSIVE). من 1878 هناك إشارة إلى صناعة INDUSTRY (ا م) : «يرجع التطور development الحقيقي للصناعة الاسكتلندية إلى اتحاد 1707»، (ليكي Lecky)، بينما تقول جريدة في 1885 «يمكن تنمية development التجارة إلى أي مدى تقريبا».

بوضوح تعزز هذا الاستعمال لعمليات الاقتصاد الصناعي والتجاري من أواخر ق 19 وأصبح معتاداً في ق 20. قد يكون لها مقابل بسيط في undeveloped، لكن التحول المهم حدث بعد 1945 مع الكلمة الجديدة والمؤثرة underdeveloped. يرتبط هذا مع الفكرتين: (1) الأراضي التي لم تتم تنمية أو استغلال EXPLOIT (ا م) الموارد الطبيعية «natural resources» فيها بقدر كاف؛ من أواخر ق 18 استعملت resources في صيغة الجمع بهذا المعنى وعُرّفت «natural resources» في 1870: «الركاز في المنجم، الحجارة التي لم تقتلع، الأشجار التي لم تقطع، ... الخ؛ (2) اقتصاد ومجتمعات مقرر لها أن تمر بمراحل من التطور يمكن التنبؤ بها حسب نموذج معروف. من المثير للاهتمام أن المفهوم الموازي لتطور developmentوتطوري developmental في علم النفس، الذي يصف عمليات النمو «growing-up» يمكن أن يؤثر في مفهوم مجتمعات نامية (دون تطور)

underdeveloped، بشكل علني أو خفي، سواء كتفضّل ورعاية أو كتحديد لوضعها بالنسبة للاقتصاد المتطور developed. تم في السابق التعبير عن ذلك بطريقة أقل حصافة، وذلك بوصف تلك المجتمعات بالمتخلفة backward، التي هي نفسها تعبير تطوري developmental. ارتبط كل مفهوم لنامية underdeveloped باعتبار المجتمعات الفقيرة والمستعمرة أو المستعمرة سابقا مواقع يجب فيها تطبيق الأفكار الراسخة للتنمية. تبع هذا الوصف المجامل لهذه المجتمعات بأنها نامية developing أو في طريقها إلى النمو «in the course of development».

حجبت البساطة الظاهرة لهذه التعبيرات أمورا اقتصادية وسياسية صعبة جداً ومثيرة للنزاع. هكذا يمكن تطوير أرض معينة لأغراض خاصة بها، كما في بعض أنواع اقتصاد الكفاف، لكن تعتبر دون تطور underdeveloped بالنسبة للسوق العالمي الذي يسيطر عليه آخرون. ثم اعتبر اقتصاديون راديكاليون underdevelopment التطور المتدني حالة ناجمة عن ضغط اقتصادي خارجي حيث أن التنمية يمكن أن تكون إما استغلال مجتمع لموارده لأغراضه الذاتية أو - وهذا يؤدي إلى نتائج اقتصادية مختلفة تماماً ـ استغلال بعض موارده حسب السوق والطلب الخارجي. تخضع في الواقع فكرة «مناطق تنمية development areas» في دول لنفس البديلين. من وجهة نظر فُضلت dependent تابعة على developing نامية، كوصف للحقائق المفروضة في عملية التطور المتدني underdevelopment، لكن تكمن هناك أيضا مشاكل فعلية في أن التنمية التي تتولد داخليا قد لا تكون فقط مختلفة عن تلك التي تفرض من الخارج، ولكن قد تكون، حسب اختلاف مصالح داخلية، متفاوتة.

من الواضح، من خلال هذا التشابك اللفظي، تشوش فكرة مساعدة الدول النامية «aid to the developing countries»، التي عادة ما تكون نبيلة، بممارسات تفقد كل سخاء وتلغي هويات الآخرين عن طريق تعريف تلك الدول بأنها underdeveloped دول نامية أو «less developed» أقل نمواً، وبعمليات تنمية مفروضة تلبي حاجة سوق عالمي يتحكم فيه آخرون. هناك شكوك مماثلة حول معاني سائدة لتعبير «عالم ثالث Third World» الذي يرجع أصله إلى «Tiers Monde» في فرنسا في أوائل خمسينات ق 20، قياسا بالسلطة الثالثة «Third Estate» في الثورة الفرنسية. في اللغة السياسية الحديثة، يعتمد الوصف على افتراض وجود «عالمين» أول وثاني، والزعم أنهما رأسمالية واشتراكية، رغم أن هذا لم يفصّل في الغالب. التعبير في الغالب كريم في مقصده لكن في التداخل المتكرر مع underdeveloped يمكن أن يدل إما على منطقة عامة يعمل ويتنافس فيها

«العالمان» الأول والثاني أو على بلدان مختلفة جدا تقبع في حالة غير متمايزة في جوهرها. يمكن أن يحجب مقدار اعتماد «عالم ثالث» على تعاريف شرق/غرب East-West (قارن WESTERN غربي) السائدة، كما في التعبير المقارب في الغالب non-aligned (دول عدم الانحياز)، علاقات أكثر حسما من النوع الذي يدل عليه الآن باضطراد وصف شمال/ جنوب North-South، رغم أن له صعوباته الخاصة. في الواقع يمكن أن يقيد ويشوش ضغط فكرة التنمية development، التي في الغالب لم تفحص، أي وصف معمم للنظام الاقتصادي العالمي الحالي. لا يكون مزيد من التمييز المحدد ضرورياً وممكنا إلّا في تحليل الممارسات الفعلية التي تنضوي تحت تنمية development.

انظر : EVOLUTION نشوء / تطور، EXPLOITATION استغلال، IMPERALIASM امبريالية، NATIVE وطني / محلي، WESTERN غربي

لهجة DIALECT

دخلت dialect الإنجليزية في أواخر ق 16 من (س م) dialecte، فرنسية، (س ب) dialektos، يونانية. كان المعنى اليوناني الأصلي حديث «discourse» أو محادثة conversation قد توسع فعلاً ليدل كذلك على طريقة الكلام أو لغة بلد أو منطقة. بخلاف استعمالات عرضية، أصبحت الكلمة متخصصة من ق 17 وخاصة من ق 18 في معناها الحديث السائد الذي ليس هو مجرد لغة منطقة، بل كما يعرفها قاموس أكسفورد OED، «إحدى الصيغ أو التنويعات الثانوية التابعة للغة التي تنتج عن خصوصيات محلية للمفردات والنطق والاصطلاح». الكلمة الأساسية هنا «ثانوية» أو تابعة «subordinate» التي يجب فهمها في سياق تعريف «OED» الإضافي: «نوع من الكلام يختلف عن «اللغة» الفصحى أو الأدبية».

يمكن اعتبار وضع «لغة» بين مزدوجتين في التعريف السابق كفكرة تالية متبصرة. تاريخياً ليست نقطة الخلاف الحقيقية الواضحة أن أساليب الكلام تختلف في أجزاء مختلفة من البلد أو مناطق لغوية أخرى، لكن الجرأة تكمن في تسميتها «تابعة». يرتبط ذلك بشكل وثيق بتطور فكرة لغة إنجليزية فصحى STANDARD (ا م) أو أية لغة أخرى فصحى، يكون فيها استعمال منتقى (في الإنجليزية مبني على أساس طبقي) رسمي وسائد correct. ليست الإشارة البديلة «للغة أدبية» إشارة بشكل رئيسي للغة الأدب «LITERATURE» (ا م) في معناها الحديث ككتابة إبداعية، لكن للمفهوم القديم للغة مناسبة في «المعرفة الرفيعة» وأهم من ذلك في هذا النوع من الكتابة المؤدبة .

الالتباس إذن واضح. لا تحمل الاستعمالات الأولى مفهوم «تابع» لكنها تحدد موقعاً يدل على تنويع. في الواقع هناك استعمال من 1635 يمكن أن تسمى فيه لغات، حسب تصنيفنا الحالي، «لهجات»: «فاللغة السلافية تشمل لهجات كثيرة، مثل الروسية، البولندية، البويهمية، الأليرية ...» حيث نتحدث الآن عن «عائلة لغات قومية». بالفعل في إقرار لغة «قومية» ومن ثم ضمن عملية تمركز «فصحى» هذه أصبحت تصنف تنويعات قومية «NATIVE» (ا م) أصيلة وقديمة تماماً على أنها تابعة ثقافياً. عندما ننظر إليها نظرة حيادية، توجد اللغة في هذه التنويعات. لكن ضمن عملية الهيمنة الثقافية، ما يتم تقديمه ليس فقط صنفاً رسمياً مختارا يمكن منه الحكم على كل التنويعات الأخرى بالوضيعة أو في الواقع غير دقيقة، لكن أيضاً مفهوماً شبه ميتافيزيقي للغة وكأنها توجد خارج تنويعاتها الفعلية. ليس فقط هناك انجليزية فصحى ثم لهجات، لكن هناك أيضاً، عبر هذا التقديم، إنجليزية فريدة ثم لهجات للإنجليزية.

من اللافت ملاحظة تعديلات في هذا النوع من الوصف حسب تغير علاقات اجتماعية أخرى. مثال دال هو الانتقال من «لهجة يانكية Yankee dialect» من الجزء الشمالي من أميركا إلى إنجليزية أمريكية «American English» الذي لم يكتمل (على هذا الجانب من المحيط الأطلنطي) إلا في منتصف ق 20. الحالة مشابهة في العبارة الشائعة «لغات ثانوية/ أقليات «minority languages» التي تحمل ضمنياً معنى «أقل أهمية» في اقترانها المألوف بلغات رئيسية «major languages». هذا أيضاً شكل من الهيمنة. فعلا هناك لغات أقليات، غالباً أقليات في ذلك الوضع الاجتماعي لأن وطنهم أو إقليمهم تم ضمّه أو دمجه في الوحدة السياسية الأكبر. هذا لا يجعلها «لغات أقليات» سوى من منظور الهيمنة. في موقعهم (لو تمكنوا من مقاومة ما يكون في الغالب ضغوطا هائلة) هي لغتهم ـ لغة خاصة مثل أية لغة أخرى. بطريقة مشابهة، اللهجة ببساطة هي طريقة الكلام في مكان معين .

انظر: LITERATURE **أدب**، NATIONAL **وطني/قومي**، REGIONAL **جهوي**، STANDARDS **معايير**

جدلي/ديالكتيكي DIALECTIC

ظهرت dialectic في الإنجليزية من ق 14 في معناها اللاتيني المقبول لوصف ما نسميه الآن منطق logic. في معانيها الأساسية كانت dialectique، فرنسية قديمة، dialectica، لاتينية، dialektike، يونانية تعني فن النقاش والمناظرة ومن ثم، بالاستنتاج، تحري الحقيقة عن طريق النقاش. فسرتها المدارس المختلفة تفاسير مختلفة ولشرح أفلاطون

تاريخ لاحق هام: عنت dialektike فن تعريف الأفكار وكذلك طريقة تحديد العلاقة بين الأفكار في ضوء مبدأ واحد. بالتالي سيتم تمييز هذين المفهومين فيما بعد كمنطق logic وميتافيزيا metaphysics. في الاستعمال الإنجليزي المبكر كما في الاستعمال القروسطي عموما، كانت dialectic هي فن التفكير المنهجي: «العلم الثاني المنطق الذي يسمى جدل» (Caxton، 1481)؛ «ديالكتيك أو المنطق، أي معرفة الحقيقة في كل شيء عن طريق الجدال» (1586)؛ «ديالكتيك هي فن المحادثة حيث يؤكد أو يدحض أي شيء عن طريق سؤال وإجابة المتجادلين» (Stanly، 1656). كان هناك مفهوم أشمل للكلمات dialectic وdialectics وdialectical من ق 17 يتصل بالنقاش بشكل أعم واستمر هذا المفهوم.

كان هناك استعمال خاص ومؤثر لجدلي dialectic في الفلسفة المثالية الألمانية. وسع ذلك مفهوم التناقض خلال النقاش أو الجدل إلى مفهوم التناقض في الواقع. عبر سلسلة معقدة من النقاش انتقل هذا المفهوم الموسع للكلمة (الذي له صلة بمفهوم أفلاطون: تحديد العلاقة بين الأفكار في ضوء مبدأ واحد) إلى الاستعمال العام نسبيا لكن الذي تكتنفه في الغالب صعوبة. بالنسبة لكانط يبين النقد الدياليكتيكي dialectical الطبيعة التبادلية المتناقضة لمبادئ المعرفة عندما يتم تطبيق هذه المبادئ على الوقائع الميتافيزيائية. بالنسبة لهيجل، تم تجاوز هذه التناقضات، في كل من الفكر وفي تاريخ العالم الذي كان سمته الموضوعية، في حقيقة واحدة أسمي: كانت العملية الديلكتيكية إذن، الاتحاد المستمر للأضداد في علاقة الأجزاء المعقدة بالكل. أعطى فيخته Fichte صيغة من صيغ العملية الثلاثية المشهورة: «الطريحة thesis، النقيضة antithesis، الجميعة synthesis. ثم أعطت الماركسية معنى ديالكتيك، الذي يدل على اتحاد متنام progressive عن طريق تناقض الأضداد، مرجعية معينة في ما أسماه انجلز المادية الجدلية dialectic materialism. جعلت صيغة هيجل العملية الجدلية الروح في المقام الأول أما العالم فكان ثانويا. تم عكس هذا الترتيب وأصبحت الجدلية dialectics «علم قوانين الحركة العامة لكل من العالم الخارجي والفكر البشري ـ مجموعتان من القوانين المتطابقة في جوهرها لكن المختلفة في صياغتها» (Engles, Essay on Feurbach). كانت هذه هي الجدلية المادية «materialist dialectic» التي أعيدت صياغتها فيما بعد كمادية جدلية «dialectical materialism» وطبقت على كل من التاريخ والطبيعة (Dialectics of Nature جدلية الطبيعة). اعتبرت المبادئ الأساسية التي تكمن في صلب هذه العملية هي تحول الكمية إلى نوعية، تحديد هوية الأضداد أو دحض النقيضة؛ هذه هي «قوانين» التاريخ والطبيعة.

كان هناك خلاف شديد حول علاقة «المادية الجدلية» بفكر ماركس الذي لم يستعمل هذا التعبير، وكذلك علاقتها بأصولها المثالية، وعلاقتها بالعلوم الطبيعية. يفضل بعض الماركسيين التعبير الأدق: مادية تاريخية «historical materialism» ولا يرغبون في توسيع نطاق صفة جدلي dialectical لتشمل العمليات الطبيعية، بينما يصر آخرون على أن نفس القوانين تنطبق على الاثنين. هناك أيضا أقسام من الفكر الماركسي ترفض فكرة القوانين الجدلية برمتها في الوقت الذي تحتفظ فيه بمفهوم فضفاض لجدلي dialectic يصف تفاعلات القوى المتناقضة أو المتعارضة. وجد هذا المفهوم الفضفاض طريقه إلى الاستعمال العام، بمحاذاة مفهوم عملية النقاش أو طريقة النقاش الأقدم. ليس من اليسير في الغالب ملاحظة أي من هذه المعاني المختلفة هو المستعمل وبأية تضيمنات خلال النقاش المعاصر.

انظر: **MATIRIALISM مادية، SCIENCE علم**

نظري/لا عملي DOCTRINAIRE

هذه الكلمة غريبة لأنها تستعمل الآن بشكل واسع في سياق سياسي لتدل على مجموعة أو فرد أو موقف يمكن اعتباره معتمداً على مجموعة أفكار معينة؛ المعنى الضمني، السلبي دائما، هو أن الأفعال أو المواقف التي لها هذا المرتكز غير مفضلة وسخيفة. هذا تحول مهم من معنى التعبير في مجال السياسة. دخلت الكلمة الفرنسية من 1815 تقريبا لتصف طرفا يحاول التوفيق بين موقفين على طرفي نقيض، وكان الازدراء في «نظري/ لا علمي doctrinaire» تعبيرا عن الاعتقاد بالطبيعة النظرية فحسب لهذه المحاولات التي لم تشمل أي فهم فعلي لمصالح وأفكار الطرفين المتعارضين الحقيقية. يمكن القول أن اللانظريين doctrinaires الأصليين حاولوا التوسط والوصول إلى تسوية بين ما يسمون الآن doctrinaires الطرفين الملتزمين بمواقف سخيفة. يصعب تتبع التحول لكنه ترسخ بحلول أواخر ق 19 وأصبح شائعا بشكل خاص في منتصف ق20 وعلى الأرجح اعتمد هذا التحول على تدهور معنى doctrine (مذهب، عقيدة، تعليم) من مجموعة تعاليم (حيادية أو ايجابية) إلى وضع مجرد جامد (قارن التطور المقارب لدوغما dogma التي لها الآن معنى أكثر سلبية). حدث هذا خاصة بالنسبة للمذاهب الثيولوجية وانتقل بشكل كبير إلى السياسة خلال ق 19. طورت الكلمتان indoctrinate (يعلّم مبادئ المعرفة، يلقّن) و indoctrination، اللتان كان لهما من ق 13 معنى حيادياً أو ايجابياً يدل على تدريس أو تعليم، مفهوما سلبيا بشكل واضح من أوائل ق 19 وهما الآن مثل doctrinaire سلبيتان

تماماً. من الملفت قراءة ما ذكره مارك باتيسون Mark Pattison في 1868: «لا يمكن أن يعلم indoctrinate العلوم الفيزيائية إلا مدرس قدير». يتم الآن التمييز بشكل واضح بين تعليمنا our teaching وتلقينهم indoctrination، ويتضمن ذلك معنى مصاحبا ولكنه ليس قاطعاً بوجود توجيه وضغط في التعبير السلبي. في نفس الوقت يعتمد معنى doctrinaire الحديث على تضاده الواضح غالباً مع التعبيرات المحددة(التي عادة ما تكون ذاتية الاستعمال) مثل sensible (واع، معقول)، practical (عملي)، وفي الغالب كذلك PRAGMATIC برجماتي (ا م). لهذا صلة وثيقة جدا بالتمييز بين أفكاري ومبادئى my ideas or principles، وأيديولوجية ودوغماتية الآخر. أصبحت الصيغة مهمة في السياسة منذ نمو حركات وأفكار تعتمد على مواقف ومبادئ على خلاف أو في تعارض مع تلك التي تحكم النظام الاجتماعي القائم. عورضت تهمة doctrinaire باستعمال متخصص مشابه يميز بين برامج وأعمال سياسية principled (ذات مبادئ محددة من المثل) وأخرى unprincipled (مجردة من المبادئ).

انظر: IDEOLOGY **أيديولوجيا**

دراماتيكي DRAMATIC

هذه واحدة من مجموعة كلمات لافتة توسعت من استعمالها الأصلي والمستمر في فن معين إلى استعمال أشمل كوصف لأحداث وأوضاع فعلية. بشكل رئيسي ترجع dramatic دراماتيكي بمعنى حدث أو وضع له صفات مشهد لافت spectacle أو دهشة مشابهة لتلك المرتبطة بالدراما المكتوبة أو الممسرحة إلى ق 18. كذلك الوضع بالنسبة للكلمة picturesque رائع: منظر أو زِيّ أو فعل يعادل مشاهدة صورة أو له خصائص واضحة تجمعه مع صورة picture. يبدو أن theatrical مسرحي التي تصف خصلة معينة مبالغ فيها في فعل ما ترجع إلى ق 19. على الأرجح يعود تاريخ tragic تراجيدي/ مأساوي التي تصف حدثا فاجعا بنفس الدرجة مثل ذلك الذي يحدث عادة في التراجيديا إلى ق 16، لكن أصبحت أكثر شيوعاً من أوائل ق 19. تم توسيع role (دور) مشاركة شخصية في مسرحية ليصف وظيفة اجتماعية أو نوعا من النشاط الاجتماعي حسب مدرسة مثالية idealist سائدة في علم الاجتماع ومن ثم استعملت بشكل عام منذ أوائل ق20. في منتصف ق20 توسعت scenario سيناريو، من خطة للعمل الدرامي، خاصة في الأوبرا، لتصف تنبؤاً سياسيا أو عسكريا وبشكل متزايد خطة فعلية للأحداث .

بعض المعاني الضمنية في الاستعمالات الموسعة في هذه المجموعة مثير للجدل.

ينتمي بعضها مثل picturesque إلى عادة ذهنية يمكن تقفيها، وتتم فيها مشاهدة الحياة أو يُزعم فيها مشاهدة الحياة عن طريق الفن. يبدو أن معاني ضمنية أخرى مثل دراماتيكي أو تراجيدي تطورت بطريقة طبيعية من خلال الترافق الناشئ عن العادة. رغم أنها تستعمل الآن دونما أية إيحاءات معينة فإنه يبدو أن role دور تعتمد على نوع معين مجرد من الفعل والتنظيم الاجتماعي وتعتمد كذلك بشكل خاص، كما في أغلب استعمالات سيناريو، على نوع شكلاني formalist من النشاط الاجتماعي. الصفة theatrical مسرحي فظة لكنها ربما تكون ضرورية.

أهم أمثلة على كل هذه المجموعة هو بالطبع«person» شخص وشخصية «personality» اللتان تتطلبان نقاشا مستمرا.

انظر : PERSONALITY شخصية

إيكولوجيا/علم البيئة ECOLOGY

لم تكن ecology شائعة في اللغة الإنجليزية قبل منتصف ق 20 رغم أن استعمالها العلمي (في الأصل oecology) يرجع إلى سبعينات ق 19، بشكل رئيسي عبر ترجمة عن عالم الحيوان الألماني هيكيل Haeckel. لكن هناك استعمالا واضح الاستقلال، وللغرابة ملائما، لدى ثورو Thoreau من 1858. جاء عن (س ب) oiko، يونانية: أهل البيت ومعها اللاحقة logy من logos: حديث، ومن ثم دراسة منظمة. تشاركها economy نفس الإسناد مع اللاحقة البديلة nomy (قارن Astronomyعلم الفلك) من nomia، يونانية: إدارة، nomos، يونانية: قانون (ناموس). تطورت economy اقتصاد من معناها الأصلي كإدارة منزل (ق16) إلى اقتصاد سياسي political economy (من الفرنسية، ق 16 ـ ق 17) وإلى economics علم اقتصاد في معناها الحديث العام من أواخر ق 18. طورت ecology (عند oklogie Haeckel) معنى habitat بيئة/ موطن (اسم لموقع إقامة متميز من ق 18 عن صيغة الفعل اللاتيني «يعيش») وأصبحت دراسة علاقات النباتات والحيوانات بعضها ببعض وبموطنها. تبع ذلك في الاستعمال العلمي: ecotone (منطقة انتقالية بين مجتمعين نباتيين مختلفين) ecotype (نموذج بيئي)، ecospecies (نوع بيئي). في 1931 اعتبر هـ.ج. ولز H. G. Wells أن علم الاقتصاد هو «فرع من علم البيئة ... علم بيئة الجنس البشري the ecology of the human species». يمهد هذا لتطورات لاحقة مهمة تكون فيها ecology محط اهتمام اجتماعي عام، لكن في البداية كانت الكلمة الأكثر ذيوعا لهذا الاهتمام بالموطن البشري والطبيعي هي environmentalism بيئية. في الواقع كان مصطلح

environmentalismأكثر دقة كمبدأ تأثير المحيط الطبيعي على التطور؛ ارتبط أحيانا بالنظرة اللاماركية Lamarkian أكثر من ارتباطها بالنظرة الداروينية للنشوء EVOLUTION (ا م). ترجع environment بمعنى محيط، كما في environs ضواحي إلى أوائل ق19 من(س م) environner، فرنسية: يحيط، (س ب) viron، فرنسية قديمة: دائرة؛ توسعت كما لدى كارلايل Carlyle (1827): «محيط من الظروف environment of circumstances». أصبحت environmentalist بيئي/خبير بيئي وكلمات مزاملة لها شائعة من خمسينات ق 20 للتعبير عن اهتمام بالمحافظة conservation ((«preservation» الإبقاء) واتخاذ إجراءات ضد التلوث. بشكل كبير حلت ecology وكلمات مرافقة لها محل environment ومشتقاتها من أواخر ستينات ق 20 وواصلت هذه الاهتمامات وزادت منها. من هذه الفترة نجد الكلمات: ecocrisis أزمة بيئية، ecocatastrophe كارثة بيئية، ecopolitics سياسة بيئية وecoactivist ناشط بيئي، وتشكيلات أكثر تحديدا لمجموعات وأحزاب إيكولوجية. أعيد النظر في تفسير علم الاقتصاد والسياسة والتنظير الاجتماعي بسبب هذا الاتجاه المهم والمتنامي وذلك من منطلق اهتمام مركزي بعلاقات الإنسان بالعالم الطبيعي كأساس ضروري للسياسة الاقتصادية والاجتماعية.

انظر: **CONSUMER مستهلك، EVOLUTION نشوء، EXPLOITATION استغلال، NATURE طبيعة، WORK عمل**

EDUCATED متعلم

في الأصل كانت educate تعني ينشئ rear ويربي أطفالاً، من (س ب) educare لاتينية: يرعى، ينشئ (وليس من educere: يقود، ينمي، التي منها صيغة التأكيد: educare) و(س م) educationem، لاتينية، بنفس المعنى العام. لم يُفقد أبداً المعنى العام، لكن تم حصره على التعليم والتدريس المنظمين منذ أوائل ق17، وبشكل سائد منذ أواخر ق 18. فإذا لم يتحصل معظم الأطفال على مثل هذا التعليم المنظم كان التمييز بين متعلم educated وuneducated غير متعلم، واضحا إلى حد معقول، لكن من المثير أن هذا التمييز أصبح أكثر شيوعاً منذ تطور التعليم النظامي بشكل عام بل حتى منذ تطور التعليم العام. هناك مفهوم طبقي واضح في هذا الاستعمال وتم باستمرار تعديل المستوى الذي تشير إليه متعلم educated ليتسنى إسقاط معظم الناس الذين تلقوا تعليماً دونه. أسهم في هذا الوضع على الأرجح المعنى الباقي لتنشئة كما في القول حسن النشأة properly brought-up التي يمكن أن تدل على ما تحدده أية مجموعة بذاتها. الكلمتان -over

educated زائد التعلم و half-educated نصف متعلم هما صفتان من منتصف ق 19 وبشكل خاص من أواخر ذلك القرن؛ هما ضروريتان للاحتفاظ باستعمال مميز لمتعلم educated ذاتها. يتفاعل هذا الاستعمال مع استعمال متخصص لكلمة intelligent ذكي، ليميز مستوى أو قدراً معيناً من المقدرة يختلف عن المقدرة العامة التي كانت الكلمة تدل عليها في الأصل. يظل جديرا بالملاحظة أنه بعد قرن تقريباً من التعليم العام في بريطانيا فإن معظم السكان، حسب هذا الاستعمال، يعتبرون غير متعلمين أو أنصاف متعلمين ولكن الحكم متروك للمتعلمين إن كانوا ينظرون إلى هذا في زهو أو في تأنيب الذات أو في تبرم من سخف هذا الاستعمال.

انظر: CULTURE **ثقافة**، INTELLECTUAL **مفكر**

نخبة ELITE

هذه كلمة قديمة أعطيت منذ منتصف ق18 معنى اجتماعياً معيناً وأعطيت منذ أوائل ق20 معنى اجتماعياً آخر مشابها لكنه مختلف. في الأصل وصفت elite شخصاً منتخباً أو تم اختياره بطريقة رسمية، من (س م) elit، فرنسية قديمة، من elire: ينتخب، من (س ب) eligere، لاتينية: يختار ومنها electus، لاتينية: مختار وكل مجموعة الكلمات الإنجليزية elect ينتخب، electionانتخاب، electoral انتخابي. توسعت elect في ق 15 من أشخاص تم اختيارهم بطريقة رسمية في عملية اجتماعية إلى مفهوم كونهم منتخبين بشكل خاص من قبل الإله («the elect» الصفوة المنتخبة في الثيولوجيا والفكر الاجتماعي المرتبط بها)، وفي اتجاه مختلف، إلى مختار select أو منتقى choice، الأشخاص المفضلين والبارزين. هكذا اتسع ما كان في الثيولوجيا أو في النشاط الاجتماعي نوعا من الاختيار الرسمي إلى عملية امتياز أو تمييز discrimination، حيث لم يعد هناك تفريق بين elect منتخب والأفضل best والأهم «most important». وبين كثير من هذه الكلمات التي تصف هذه العمليات المعقدة والمتشابكة ـ distinguished متميز، preferred مفضَّل، select مختار، choice منتقى (كلها صفات) ـ نفس التعقيد والتداخل.

صارت كلمة electعموما معادلة (عدا استعمالها الخاص كنتيجة الانتخاب election) لاستعمال elite بعد منتصف ق 18 والتي أصبحت المفضلة بشكل شبه دائم بهذا المعنى. لكن على الأرجح، كنتيجة لاستعمال elect الثيولوجي المثير للجدل الذي تميز بشكل محدد عن «الاختيار الاجتماعي أو البروز الاجتماعي»، تمت إعادة تبني الصيغة الفرنسية elite التي حلت في النهاية محل elect في كل معانيها العامة كاسم. استمر بالطبع الفعل وبقيت

elected منتخب و the elected المنتخب لتصف المختارين رسميا (سوى المتبقي في Bishop-Elect الأسقف المنتخب أو Professor-Elect الأستاذ المنتخب وأمثالهما).

عبّرت elite من منتصف ق 18، وبشكل أكثر شيوعا من أوائل ق 19، في المقام الأول عن التميز الاجتماعي عن طريق الرتب، لكنها كانت تستخدم كذلك للتفريق بين أعضاء المجموعة الواحدة. قارن قول بايرون في 1823: «في تصنيف واحد مع كونتيسات بلانك الأخريات إلا في الرتبة؛ في الوقت نفسه كذبة lie الناس ونخبتهم elite» (Don Juan XIII)، حيث المعنى سلبي والكلمة ما زالت نسبياً جديدة، مع بعض الالتباس في نطقها بالإنجليزية)؛ «نخبة النبالة الروسية the elite of the Russian nobility» في ترجمة إنجليزية لكتاب فرنسي، 1848)؛ «ونخبة جيل متحضر بالمقارنة بسواه» (1880). أصبحت elite في تطورها على هذا المنوال مساوية تقريباً للأفضل best وكانت لها أهمية في ظروف مجتمع ق 19 الجديدة ولفها غموض مثل أنواع أخرى من التمايز تجسدها مرتبة rank مرتبة، order رتبة، وCLASS طبقة (ا م).

لم يكن مدهشاً إذن ظهور الكلمة بمعنى حديث محدد يتصل بالمناقشات الدائرة حول طبقة class. ولذلك عنصران رئيسيان: الشعور بأن هناك تفككا في أساليب اختيار الأنسب للحكم، أو لممارسة نفوذ عن طريق مرتبة أو وراثة، وفشل في إيجاد طرق جديدة لاختيار مثل هؤلاء الأشخاص عن طريق انتخاب رسمي (برلماني أو ديمقراطي)؛ ثانياً: في رد على الأفكار الإشتراكية عن الحكم من قبل طبقات، أو عن السياسة كصراع بين الطبقات، كان هناك القول بأن التشكيلات الفعالة في الحكومة والنفوذ ليست هي الطبقات وإنما النخب. يمثل المفهوم الأول وهو الأقل رسمية في ق 19 كلمات بديلة كثيرة ـ clerisy أهل المعرفة (كوليردج)، الحكماء the wisest (مل Mill) وقول آرنولد «the best» الأفضل و«the remnant» البقية الباقية. الأهمية في كل حالة تكمن في التمييز المفترض لتجمعات كهذه عن تشكيلات اجتماعية نافذة وقائمة. في استعمال ق20 العام، وجدت كل هذه الافتراضات طريقها إلى elite، رغم أنه ذو دلالة كون الكلمة ما زالت تستبعد بسبب بعض تداعياتها (غالباً تستعمل الآن مفاهيم excellence امتياز أو STANDARDS معايير (ا م) المجردة للتعبير عن أفكار مشابهة أو مقاربة). استعمل فعليا المعنى الثاني الأكثر رسمية في اتجاه في النظرية الاجتماعية مستمد من Pareto باريتو و Mosca موسكا. ميز باريتو بين نخب حاكمة governing elites وأخرى غير حاكمة، لكنه أصر كذلك على أن الثورة وغيرها من طرق التغيير السياسي إنما تنجم عن انحطاط وعدم ملاءمة نخبة سابقة، ومن ثم

معارضتها وإزاحتها أو إسقاطها من قبل نخبة فعلية جديدة كثيرا ما تدعى أنها تقوم بذلك لمصلحة طبقة. يشير معنى نخبة هذا إلى مجموعة صغيرة مؤثرة تبقى نخبة فقط عن طريق التداول والتعزيز بأعضاء جدد؛ إن الاستمرارية التبادلية للمراتب والطبقات يحول دون تكوين نخبة حقيقية أو استمرارية فعاليتها. واعتبر موسكا ظهور ونجاح النخب بديلا ضروريا للثورات. تتضافر بقيايا نظرية «صراع طبقي» مع أفكار مجتمع فيه منافسة مفتوحة لتنتج عندئذ نخبا متنافسة competitive elites وهكذا تكون إما مجموعات قديرة تمثل مصالح اجتماعية متنافسة أو متعارضة وتستعملها، أو بطريقة أكثر حيادية، مجموعات قديرة بديلة تتنافس في سبيل السلطة السياسية. استعملت كل من هاتين الصيغتين في الأحزاب السياسية الحديثة وكل منهما مراجعة جذرية (لا تكون دائماً واعية بذلك) لنظرية الحكومة الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) العامة المفترضة، وخصوصاً للديمقراطية النيابية REPRESENTATIVE (ا م). مثل هذه النخب لا «تمثل» represent؛ هي تعبر عن أو تستعمل مصالح أخرى (سواء لأغراضها الأنانية أم لا، وهذا مجال خلاف لأن مناصري النظرية يدعون أن أهدافهم الفعلية كنخب هي التوجهات الضرورية الأنسب للمجتمع ككل).

أنتج الهجوم على هذه المواقف، منذ 1945، الصفتين السلبيتين عادة: elitism نخبوية و elitist نخبوي. تجمع معظم الاستعمالات المعاصرة لهاتين الكلمتين معارضة المفهوم غير الرسمي للحكم أو النفوذ من قبل الأفضل «the best» مع معارضة الإجراءات السياسية والتعليمية المصممة لإنتاج نخب في مفهوم أكثر رسمية. هذه إذن إما (1) معارضة حكم أقلية أو تعليم خاص بتلك الأقلية بما في ذلك جميع الإجراءات والمواقف المتوافقة مع هذه العمليات أو (2) معارضة أعم لكل أنواع التمييز الاجتماعي سواء وضع ومورس رسميا أم لا. هناك التباس بين هذين المفهومين وقد يكون هذا مهما في العلاقة بين أفكار نخبة وأفكار طبقة class أو طبقة حاكمة ruling class حيث يبدو أن النقاش الاجتماعي الحقيقي يتمركز. إن وجود كلمات ايجابية بديلة للأقلية السياسية المؤثرة مثل vanguard طليعة و cadres كوادر أمر ذو معنى. تتداخل هذه بشدة في بعض الاستعمالات مع المفهوم الرسمي لكلمة نخبة رغم أن هناك تمييزا (يتعلق بالأغراض النهائية) بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار (مع ذلك قارن leaderslip قيادة كاسم جمعي وهو يستعمل في الإثنين). في نفس الوقت للارتباط الإتيمولوجي المنسي بين elite وelected اهتمام معين ساخر .

انظر : **CLASS طبقة، DEMOCRACY ديمقراطية، REPRESENTATIVE نائب، ممثل، STANDARDS معايير**

امبيريقي/تجريبي EMPRICAL

امبيريقي empircalوالكلمة اللصيقة بها empiricism امبيريقية/تجريبية هما الآن في بعض السياقات من أصعب الكلمات في اللغة الإنجليزية. دخلت empirical (مع empiric) الإنجليزية في ق 16 من (س م) empiricus، لاتينية، من empeirikos، يونانية، من (س ب) empeiria، يونانية: خبرة experience، من empeiros، يونانية: ماهر skilled، peira يونانية: اختبار trial، تجربة experiment. لكن هذا التطور العام قد تأثر بطريقة جذرية في معظم الاستعمالات الإنجليزية الأولى باستعمال متخصص للمصطلح في الطب اليوناني حيث كانت هناك مدارس متنافسة: Empiriki تجريبية، Dogmatiki دوغماتية و Methodiki ميثودية/منهجية. اعتمدت الامبيريقية على الملاحظة والأساليب المقبولة وكانت تشكك في التعليل التنظيري. تكرر هذا الاستعمال في الإنجليزية في المجال الطبي غالبا واكتسب بالإضافة إلى معناه الحيادي معنى ازدرائياً: «مشعوذون، أطباء دجالون، امبيريقيون Empiricks (Browne ، 1621). توسع هذا المعنى فيما بعد إلى نشاطات أخرى غير الطب ليدل على جهل أو ادعاء واستعملت empiricism التجريبية في البداية، من ق 17، بهذا المعنى الذي تغلب عليه السلبية.

الجدل الواسع الذي أثر في النهاية في معاني empirical امبيريقي وempiricism امبيريقية هو جزء من حركة علمية وفلسفية شديدة التعقيد. تدل المعاني الحديثة الأبسط على الاعتماد على التجربة experience تحت الملاحظة، لكن كل شيء يرتكز على كيفية فهم «experience». من بين معانيها الرئيسية أنها كانت حتى أواخر ق 18 مرادفة لاختبار experiment (قارن الفرنسية الحديثة)، عن المصدر المشترك (س ب) expiri، لاتينية: يجرب ويضع تحت الفحص. لم تعد « experience اختبارا» أو «فحصا مقصودا» فقط وإنما شعوراً بما تم فحصه أو اختباره ومن ثم شعور بأثر أو حالة. اكتسبت من ق 16 معنى أشمل تم فيه ضم متعمد للماضي (المجرّب والذي تم فحصه) يدل على معرفة مستمدة من أحداث فعلية بالإضافة إلى تلك المستمدة من ملاحظة معينة. احتفظت experiment تجربة بالمعنى الأبسط: الفحص والاختبار.

تكمن الصعوبة في أن empirical وإلى حد ما empiricism استعملتا تحت تأثير هذه المعاني المعقدة والمتداخلة. هكذا وبمحاذاة معنى امبيريقي الازدرائي كدجال كان هناك استعمال أصبح مهما خاصة في الطب وعلم ق 17 الجديدين: «امبيريقي، هو ذلك الذي يعتمد عملياعلى الاختبارات العملية experiments (1569)؛ «كان لديه مختبر، وعرف

كثيرا من الأدوية الامبيريقية (empirical medicines» 1685). استعملت empiricals امبيريقيات لمواد التجريب العلمي. استمرت امبيريقية بمعنى مهم يتعلق بالملاحظة والتجريب كاجراء علمي أساسي مألوفة في الإنجليزية إلى اليوم.

أصبحت الكلمة معقدة بسبب عاملين: أولهما، دل معنى Empiriks المحدد والمعنى الإنجليزي المستنبط: «غير مدرب» و«جاهل» ليس فقط على الاعتماد على الملاحظة والتجريب لكن أيضاً على لامبالاة ومعارضة قاطعة للتنظير. ثانياً، أنتج الجدل الفلسفي المعقد حول الإسهام النسبي للتجربة experience والعقل reason في صنع الأفكار، كوصف لجانب من الجدل. يدل المصطلحان empiricism امبيريقية وempiricist امبيريقي على أن نظريات المعرفة تستمد كلية من الحواس - أي من experience تجربة (وليس experiment تجريب/اختبار) بمعناها المحدد الآن. كانت هناك ولا تزال تنويعات كثيرة على هذا الجدل لكن النقطة الحاسمة لفهم تطور الكلمة هي سلسلة المعاني بدءا من الإيجابية «ملاحظة مباشرة direct observation» (قارن معرفة وضعية positive knowledge ووضعية POSITIVISM (ا م) إلى السلبية «ملاحظة عشوائية random observation» أو مجرد ملاحظة دونما مبدأ أو نظرية موجهة. أدى نقاش متخصص ومعقد في نظرية المعرفة إلى استعمال تاريخي محدد، ذلك المرتبط بالفلاسفة الإنجليز الامبيريقين empirical أو empiricist من لوك Locke إلى هيوم Hume. لكن الاستعمال الحديث العام لا يرتبط بتفاصيل الجدل الفلسفي بقدر ما يرتبط بالتمييز العريض بين معرفة تعتمد على الملاحظة (experience خبرة وexpirement تجربة) ومعرفة تعتمد على استعمال آراء ومبادئ موجهة تم التوصل إليها بالعقل أو أن العقل يحكمها. يقود هذا التمييز الصعب أحياناً إلى استعمال فضفاض لامبيريقي empirical لتعني لا نظري atheoretical أو ضد التنظير anti-theoretical وهذا يتفاعل مع التمييز الأكثر شيوعاً بين عملي practical ونظري THEORETICAL (ا م).

من الصعب التعمق في الإنجليزية الحديثة دون مواجهة استعمالات مشوشة أو على الأقل صعبة لإمبيريقي وامبيريقية. النظرية أو الفرضية يتم وضعها تحت فحص إمبيريقي (يعني هذا عادة أن تختبر الملحوظة، إن لم تكن النظرية بالتحديد هي التي تختبر). يوصف تقرير بأنه «امبيريقي بشكل فج» بمعنى ليس ببعيد عن معنى أوائل ق17 : غير مدرب أو جاهل، يشير في الدرجة الأولى إلى غياب أية أفكار أو مبادئ موجهة أو ضابطة (أو أنها ليس كافية)؛ بينما يكون تقرير آخر ملائما إمبيريقيا أو «مقنعا بشكل إمبيريقي» ويفهم من ذلك أن المعلومات

موثوقة أو أن فرضية ما قد أثبتت. توضع بعض المواضيع الحاسمة على المحك في النقاشات التي تطورت من خلالها الكلمات، لكن عادة ما تُحجب هذه المواضيع بدلا من أن توضَح بالاستعمال الشائع الآن لامبيريقي وامبيريقية كمتقابلتين بسيطتين للمدح واللوم. فإذا ما امتد تحديد الكلمات أكثر بإضفاء صفات قومية ـ «الميول الإنجليزية الامبيريقية»، «الامبيريقية الأنجلوسكونية رديئة السمعة» ـ يفقد النقاش عادة كل جدية.

انظر : EXPERIENCE **خبرة/تجربة**، POSITIVISM **وضعية**، RATIONAL **عقلاني**، SCIENCE **علم**، THEORY **نظرية**

مساواة EQUALITY

كانت equality تستعمل بانتظام في الإنجليزية منذ أوائل ق 15، وترجع إلى (س م) equalité، فرنسية قديمة، aequalitatem، لاتينية، (س ب) aequalis، لاتينية من aequus ـ مستو، متكافئ، عادل. ارتبطت استعمالات equality الأولى بكميات مادية لكن وجد استعمال اجتماعي للكلمة، خاصة بمعنى تكافؤ المرتبة من ق15 وأصبح أكثر انتشارا من ق16. تطورت من ذلك equality التي تشير إلى حالة عامة ومثّل ذلك نقلة حاسمة. لم تعد تعني مقارنة مراتب ولكن توكيداً على حالة أكثر عمومية، طبيعية كانت أم معيارية. يتضح هذا الاستعمال عند ميلتون Milton (Paradise Lost xii,26)

... not contenet
With faire equalitie، fraternal state

... لم يكن قنوعاً
بالمساواة العادلة، بالوضع الأخوي

لكن بعد منتصف ق17 لم تعد شائعة مرة أخرى بهذا المعنى حتى أواخر ق 18 عندما أعطيت توكيداً محدداً في الثورتين الأمريكية والفرنسية. أما ما تم الإصرار عليه فقد كان أولاً «حالة جوهرية» - «خلق كل الناس سواسية» ـ وأخيراً مجموعة مطالب محددة، كما في المساواة أمام القانون، أي تعديل التمييزات التشريعية السابقة بشأن مزايا ومراتب الإقطاع وما بعد الإقطاع. ولعلاقة كلمة مساواة equality بالفكر الاجتماعي فرعان رئيسيان: أولاً : عملية المساواة equalization المبنية على المبدأ الأساسي القائل إن كل الناس متساوون طبيعيا كبشر، لكن ليسوا متساوين بالضرورة في صفات معينة. ثانيا: عملية إنتفاء المزايا الموروثة المتأصلة المبنية على مبدأ أن كل الناس يجب أن تكون «بدايتهم متساوية equal start» رغم أن هدف أو نتيجة هذه العملية قد تكون أنهم فيما بعد قد يصبحون غير

متساويين في الانجاز أو الوضع. بالطبع هناك تداخل كبير بين هذين الاستعمالين، لكن هناك في نهاية الأمر تمييزا بين (1) عملية مساواة متواصلة تتم فيها إزالة أو تخفيف أي وضع - سواء موروثا أم جديد التكوين، يميز فيه أناس على آخرين أو يمنحهم سلطة عليهم - باسم المبدأ المعياري (الذي يقرّب معنى المساواة من معنى الأخوة، كما في استعمال ملتون)؛ و(2) عملية إزالة أو تخفيض ميزات تكون فيها فكرة المساواة الأخلاقية محصورة على وجه العموم في الظروف المبكرة بينما تعتبر عدم المساواة inequalities اللاحقة أمراً محتوماً أو منصفا. والمعنى الأكثر شيوعاً من (2) هو مساواة في الفرص equality of opportunity التي يمكن أن تفسر بأنها منح فرصة متساوية للناس ليصبحوا غير متساويين «equal opportunity to become unequal». (قارن استعمال underpreviledged غير ميسور/ فاقد الميزات، حيث privilege الامتياز هو المعيار لكن هناك من يحصل على قدر منه أقل من الآخرين، لوصف مجموعة فقيرة أو محرومة أو حتى مضطهدة). ترتبط الشكوى المألوفة ضد مفهوم (1) الذي يسعى لجعل كل الناس متساويين تماماً ببرنامج المساواة الاقتصادية الايجابي الذي شكل في انجلترا في منتصف ق 17 مبدأ المساواتيين Levellers. هناك قطيعة تاريخية واضحة ضمن كل من هذين المفهومين بين برامج تقتصر على حقوق سياسية وقانونية وبرامج تشمل أيضا مساواة اقتصادية في أي من صيغها المختلفة. في أوائل ق 19 طرح الرأى بأن استمرار عدم المساواة الاقتصادي، كما هو موجود في نظم ملكية ملاك الأراضي أو ملكية الرأسمالية لوسائل الإنتاج، جعل المساواة القانونية أو السياسية مثالية محضة.

تم إبدال الصيغة الإنجليزية الأقدم equalitarian، التي ترجع إلى منتصف ق 19 تحت تأثير نقاش مستمر من الثورة الفرنسية، بنصير المساواة egalitarian المشتقة من الصيغة الفرنسية الحديثة.

فى النقاش الاجتماعي الدائر حول «مساواة» كان هناك تشبث واضح بالمفهوم المادّي للكلمة كمصطلح للقياس، ولا يزال هذا الاعتراض قائما حول برامج المساواة الاقتصادية أو حتى برامج المساواة القانونية والسياسية (رغم أن ذلك قد خف الآن) بالقول صراحة إن الناس غير متساوين في صفاتهم القابلة للقياس (كطول القامة، والنشاط، والذكاء، الخ). وكان الرد على ذلك هو أن ما يجب إثباته هو أن للفرق القابل للقياس صلة بعدم مساواة محدد حسب المفهوم الاجتماعي: لن يكون للطول صلة به، أما لون البشرة فقد ظل ذا صلة، أما للنشاط أو الذكاء فهناك صلة واضحة، وحول هذه النقطة يتمحور أخطر الجدل

المعاصر. تتعلق معظم الفروق القابلة للقياس من هذا النوع بمعنى (2) وتعتبر، حتى عندما تكون حقيقية ويمكن إثباتها، أنها تابعة لمعنى (1) الذي لا يمكن فيه بطريقة معقولة استعمال أي فرق بين الناس أو بين الرجال والنساء لمنح بعض الرجال سلطة على رجال آخرين أو، وهذا حاسم الآن، على نساء.

انظر: **DEMOCRACY ديمقراطية، ELITE نخبة**

اثني ETHNIC

الكلمة موجودة في اللغة الإنجليزية منذ منتصف ق 14. يرجع أصلها إلى (س م) ethnikos يونانية: وثني، همجي (هناك علاقة محتملة وإن لم تكن مثبتة بين ethnic وبين heathen وثنى (س م) haethen، انجليزية قديمة). استعملت بشكل واسع بمعاني همجي، وثني وغير يهودي gentileحتى ق 19 عندما تجاوز هذا المفهوم معنى آخر هو الصفة الجنسية RACIACL (ا م). أصبحت ethnics تستعمل في الولايات الأمريكية فيما وصف في 1961 بأنه «تعبير مهذّب يوصف به اليهود والإيطاليون والسلالات الأخرى الأدنى». يرجع ethnology علم الأعراق البشرية والاثنوغرافيا ethnography وصف الأعراق، وكلمات أخرى مرتبطة بهما إلى ثلاثينات وأربعينات ق 19، على الأرجح تحت تأثير ألماني، أما الصلات المبكرة مع أنثروبولوجيا ANTHROPOLOGY (ا م) فهي معقدة. تنحصر الاستعمالات العلمية الآن في مجالات متخصصة ضمن الأنثروبولجيا؛ بشكل نموذجي الاثنوغرافيا للدراسة الوصفية للعادات والاثنولوجيا لنظريات التطور الثقافي.

ثم عادت ethnic للظهور في منتصف ق 20، على الأرجح بتأثير من الاستعمال الأمريكي السابق للكلمة ethnics بمعنى أقرب إلى FOLK (ا م) فولك/ شعب كأسلوب معاصر متيسر يتمثل بشكل عام في الملابس والموسيقى والطعام. يمتد الاستعمال من انتساب وثيق إلى تراث (وطني NATIVE (ا م) وثانوي أو تابع subordinate)، كما هو موجود عند مجموعات اجتماعية في أمريكا، إلى تعبير للنمط السائد المفضل fashion الموضة في التجارة الميتروبولوتية.

انظر: **ANTHROPOLOGY انثروبولوجيا، CULTURE ثقافة، FOLK فولك/شعب، RACIAL عرقي**

نشوء/تطور/ترقي EVOLUTION

نشأت evolution من معنى نشر أو بسط شيء ما لتدل في النهاية على شيء يتم بسطه.

وهي الآن مألوفة بمعنيين شائعين لكن في أحدهما وفي مقابلته المحددة لثورة REVOLUTION (ا م)، يبرز مدى أهمية تاريخها المعقد.

ترجع evolve إلى (س م) evolvere، لاتينية: يبسط، ينشر، ينهض، من (س ب) volvere لاتينية: يطوي. ظهرت في الإنجليزية، مع evolution، في منتصف ق 17. ترجع evolution إلى (س م) évolution، فرنسية، من evolutionem، لاتينية، سجلت بمعنى: بسط كتاب. كانت استعمالاتها الأولى فيزيائية ورياضية بمعنى جذر الكلمة، لكن سريعا مااستعملت مجازياً لكل من الخلق الإلهي وكذلك الاستنباط أو التشكيل المتنامى لأفكار Ideas أو مبادئ مثالية Ideal Principles. واضح من معنى الجذر ومن الاستعمالات الأولى أن المفهوم المتضمن هو بسط شيء موجود فعلاً. يدرك الإله «تطور (بسط) evolution العصور الكامل» (1667) في لحظة واحدة سرمدية؛ هناك «تطور (بسط) للأشكال الخارجية» (مور 1647)؛ وهناك «نظام كامل للطبيعة البشرية ... يجب أن يتكون تطوره من هيئة وتشكيل الطبيعة البشرية» (هيل 1677).

ثم ظهر لها في البيولوجيا معنى يبدو حديثاً. اكتسبت evolution معنى تطور من أعضاء غير تامة النمو إلى أعضاء كاملة النمو، وكانت نظرية التطور كما طرحها بونيه Bonnet في 1762 وصفا للتطور من جنين يحتوي بالفعل، في صورة بدائية، على كل أجزاء الكائن الحي، وكذلك إشارة إلى أن الجنين نفسه تطور من صورة سابقة لوجوده. هكذا مفهوم «البسط" من شيء موجود فعلاً لايزال حاضرا بشكل حاسم. لكن خلال وصف عمليات طبيعية مختلفة أصبحت evolution تستعمل وكأنها معادلة لنمو development (من منتصف ق 18، من develop، ق 17: يفض، يكشف للعيان، يتمّم). لكن لا يزال من الصعب التأكد ما إذا كان استعمال محدد يحمل معنى راسخا لشيء ضمني أو سابق الوجود وبالتالي يجعل الترقي evolution طبيعياً أوضرورياً. في الاستعمال المعاصر محدود الانتشار لكن المألوف لـ evolution (تطور نقاش أو فكرة) لا يزال حاضراً عادة مفهوم development الضروري والمنطقي.

أما ما حدث في البيولوجيا فهو إذن تعميم لمعنى development (كشف تام للعيان) من أشكال غير تامة النمو إلى نامية، وخاصة لمعنى development المحدد، تطور من كائنات «أدنى» إلى «أرقى». أصبح من أواخر ق 18 وأوائل ق 19 معنى عملية طبيعية عامة معروفا بالتدريج كتاريخ طبيعي علاوة على عمليات طبيعية معينة. كان ذلك واضحا لدى لايل Lyell عن تطور حيوانات برية في 1832 وأشار إليه داروين في «أصل الأنواع»

(1859) كما اعترف به «جميع الطبيعيين(علماء التاريخ الطبيعى) تقريبا» «بشكل من الأشكال» في «يومنا الحاضر». وفي 1825 عرف هربرت سبنسر نظرية النشوء Theory of Evolution العامة على أنها تطور صور من كائنات حية أدنى إلى كائنات أرقى.

كان الجديد في ما فعله داروين هو وصف بعض العمليات التي عن طريقها تطورت أنواع جديدة ثم تعميم ذلك إلى مأسماه انتخابا طبيعيا natural selection . من المفارقة أن هذه الاستعارة الجديدة تماماً، التي اعتبرت فيها NATURE (ا م) الطبيعة نابذة مثلما هي مطورة لصور مختلفة من الحياة، بقيت ضمن وصف مستمر للعملية كارتقاء evolution بمفهومها كبسط لما هو موجود فعلا أو إتمام ما هو موجود فعلاً. من الممكن أن توصف عملية يثبت بالتفصيل أنها على وجه العموم مادية، وعرضية بمعنى ما، توصف بأنها عملية «للطبيعة» فيها هدف أو أهداف. ومع ذلك فمع انتشار الفهم الجديد لأصل الأنواع فقدت كلمة evolution في البيولوجيا مفهومها كخطة خلقية وأصبحت عملية تطور تاريخي طبيعي. لقد حدثت لأنها حدثت وستستمر في الحدوث لأنها عملية طبيعية. اقتصرت عملية الهدف الضروري على تفسيرات معينة (تطور خلاق creative evolution، أي بيولوجيا كاثوليكية مثلاً).

كان في التشويش الناجم عن الجدل حول evolution بهذا المعنى البيولوجي والتشويش الأعظم المتعلق بتطبيقات مناظرة للتاريخ الطبيعى في التاريخ الاجتماعي أن نشأ التضاد بين كلمتى evolution وrevolution ثورة. أصبح لثورة REVOLUTION (ا م) الآن معناها المتطور كتغير عنيف ومفاجئ بجانب معناها كإقامة نظام جديد. يمكن بسهولة معارضة evolution لها بمعناها كتطور تدريجي. كان لاستعارتي «نمو growth» وعضوي ORGANIC (ا م) ارتباط واضح بهذا المفهوم. للمفارقة وفر التاريخ الطبيعي العام، كما هو ملاحظ في تطور الداروينية الاجتماعية، صوراً لكل ما يمكن تخيله من نشاط وتغيير اجتماعي: منافسة لا رحمة فيها أو تعاون متبادل؛ تغيير بطئ في سجل الصخور أو تغير مفاجئ في ظهور الطفرات mutations؛ تغير عنيف أثناء تحولات في البيئة أو اختفاء أنواع في صراع قاتل - كل هذه يمكن أن تستنبط، واستنبطت بالفعل، كـ «دروس» من الطبيعة تطبق على المجتمع. والقول بأن التغير الاجتماعي يجب أن يكون تطوريا evolutionary قد يعنى أيا من - أو جميع - هذه الأشياء، من تطور بطئ للمؤسسات الحديثة إلى إبادة الطبقات (الأنواع) السابقة واستبدالها بأنواع أرقى. وعلى عكس ثورة revolution كان للمعنى الأول الأثر الرئيسى. كان المعنى المقصود في العادة هو بسط شيء موجود ضمنيا بالفعل (مثل طريقة حياة قومية) أو تطور شيء حسب اتجاهاته المتأصلة (مثل دستور قائم أو

نظام اقتصادي موجود). (قارن التضاد الحديث المألوف بين مجتمعات متقدمة developed وunderdeveloped نامية، حيث يؤخذ كمسلمة الافتراض بأن مصير كل المجتمعات هو أن تصبح حضرية وصناعية - ولا أقول رأسمالية - كما لو كان «مصطلحا تقنيا».) التغير الجذري الذي قد يتضمن رفض بعض الأشكال القائمة أو رفض بعضها يمكن إذن أن يوصف، داخل هذه الاستعارات بأنه «غيرطبيعى» ويمكن ربطه، في تعارض مع معنى ثورة المتخصص، بالعنف المفاجئ مقابل النمو المضطرد.

في تاريخ المائة سنة الأخيرة الفعلي، التي أصبح فيها تعارض ثورة/تطور revolution/evolution مألوفاً، لابد أن يعتبر هذا الاستعمال عبثياً. يستعمل هذا التضاد بعناية فقط بالنسبة للتغيير المخطط حيث هو في الواقع تمييز بين بضعة تحولات بطيئة ومحدودة، يتحكم فيها ما هو قائم فعلاً وتحولات أكثر وأسرع يقصد منها تغيير معظم الوضع القائم. والتمييز ليس في الواقع تمييز عملية أو منهج سياسي وإنما هو اتتساب سياسي. في التغيير غير المخطط unplanned ـ أي تطور evolution القوى والعوامل المتأصلة فعلاً في النظام الاجتماعي ـ كان ثمة ما يكفى من عنف ومباغتة، أما المعارضة مع ثورة revolution فلم تكن الا اعتباطية. لكن يصبح اذن التداخل والتشويش بين evolution كـ (1) تطور متأصل و(2) تاريخ طبيعي غير مخطط و(3) تغيير بطيء ومشروط موضوع تحر دائب.

انظر: **DEVELOPMENT تطور، NATURE طبيعة، ORGANIC عضوي، REOLUTION ثورة**

وجودي EXISTENTIAL

في الإنجليزية المعاصرة تراوح existential بين معنى عام قديم نسبياً (على الأرجح أواخر ق 17، مؤكد من أوائل ق 19) ومجموعة معان جديدة نسبيا مستمدة من اتجاه الوجودية existentialism الفلسفي. كانت existence في الإنجليزية من ق14، من (س م) existence، فرنسية قديمة، existentia، لاتينية: حالة وجود، من (س ب) ex(s)istere، لاتينية: يبرز، يكون مُدركاً ومن ثم بوضوح «يكون». في الاستعمال السابق لـ ق 17 العلاقة غير واضحة بين existence وجود والكلمة التي في ظاهرها تبدو بديلة essence جوهر، ماهية، ق14؛ (س م) essence، فرنسية، essentia، لاتينية: كينونة being. بالتالي: «الله هو الوحيد الكائن بذاته؛ من وجوده existens الطبيعي» (1552)؛ «ليس هناك جوهر بشري يستحق الحسد سوى أبله محمر الوجنتين There is no essence motoral That I can

(1602 Marston) envie, but a plumpe cheekt foole. لكن كان هناك استعمال ثيولوجي لكلمة essence في السياق الخاص الذي يكوّن فيه ثلاثة أشخاص (كائنات beings) الثالوث كائنا واحدا (essence جوهر)، وكان هناك كنتيجة لذلك توجه للكلمة نحو معنى كيان أساسي أو مطلق أو نحو الحقيقة التي تكمن خلف المظاهر. أصبح هذا في النهاية أساس التعارض مع وجود existence بتركيز الأخيرة على الكينونة الواضحة والمدركة وبالتالي فعلية (رغم أنه يجب ملاحظة أن existence اكتسبت أيضا معنى استمرار الكينونة الذي له بعض الأثر المعقد). كان هناك تمييز من أواخر ق 17 : «قد أومن بوجودها دونما أتدخل البتة في جوهرها I might believe its Existence, without meddling at all all with its Essence» (مور 1667؛ عن روح spirit).

اتجهت essential جوهري بثبات واطراد نحو معنى fundamental أساسي، متأصل intrinsic أو ضروري، لكن في حالات كثيرة لم يكن لذلك تعارض مع existence؛ في الواقع يكون التعارض متطلباً فقط في أنواع من الفلسفة المثالية أو الميتافيزيقية.

في هذا السياق التأملي بدأت existential تستعمل من أوائل ق 19 كما نجد عند كوليردج في سؤاله «عما إذا كان الإله عليماً وجوديا كما هو جوهريا» "Wheather God was existentially as well as essentially intelligent» أو في تمييزه بين الكلمتين في كتابه The Friend (III): السبب الجوهري للذنب الشيطاني هو عندما يجعل نفسه وجودياً وخارجياً «the essential cause of fiendish guilt when it makes itself existential and peripheric». لكن كان هناك أيضا استعمال عام يعبر عن الواقع أو يدل عليه: «لا يسمح التقليد أن نقول تُنفِذ» ..«it executes». لكن يمكن أن نتبنى بنفس السهولة الصيغة الوجودية «كان هناك تنفيذ«There was an execution» (Venn، 1888).

تأثر استعمال الكلمة في ق 20 بشكل حاسم بالمصطلح الألماني Existenzphilosophie الذي نترجمه. كوجودية existentialism. كان الانتشار الرئيسي لهذا المصطلح على أيدي الفرنسيين بعد 1945، لكن كان هذا الاتجاه معروفا من الفكر الألماني من عشرينات ق20 ويجري عادة إرجاعه إلى Kierkegaard كريكجارد في منتصف ق19. ضمن هذا الاتجاه «الوجود» existence هو خاصة بشرية في تمييز لها عن أشياء أخرى و(في معظم الحالات) مخلوقات يمكن القول بأنها توجد exist. تتعارض existence وجود مرة أخرى مع essence جوهر، لكن أعيد تقييم السمات الرئيسية والثانوية. حيث لا يزال متطلبا تعريف essence جوهر كشيء أساسي وحقيقي يكون ذلك مستمدا من صفات

الوجود، أي من الكائن الفعلي. أحد استعمالات هذا العكس أو القلب هو نقد المثالية والميتافيزيقية: «الوجود يسبق الجوهر» «existence precedes essence»: الحياة الفعلية هي الأساس وأية صفات جوهرية، كما لو كان، تستقطر منها. لكن تحرك الاتجاه الجديد الرئيسي (الذي كان في العادة هناك إصرار على أنه ليس نظاماً فلسفياً) كان نحو مفهوم فرادة uniqueness وعدم القدرة على التنبؤ في أية حياة فعلية بالإضافة إلى معنى مواز يرفض الحتمية DETERMINISM (ا م) أو أي تفسير مبني على دوافع داخلية. رافق حالة الحرية في الاختيار والفعل هذه، حسب طرق فريدة ولا يمكن التنبؤ بها، حالة إلحاح وقلق؛ في صيغة شائعة، الاختيارات والأفعال التقليدية أو المتنبأ بها أو «المبرمجة» programmed هي فشل في الوجود، هذا الوجود الذي يعني تحمل الفرد مسئولية حياته دونما يقين محتمل لأية نتيجة معروفة حسب مخطط مدروس. لكن التولي المتعمد لمسئولية كهذه في مواجهة ما هو بالضرورة مجهول ولا يمكن التنبؤ به (وبهذا المعنى الخاص «عديم المعنى»، حالة من العبث حسب المفهوم الخاص الشائع الآن) أثار قلقا «angst» واضحا فيه رعب وحتمية. عاش الأفراد الذين لم يدركوا كيف يتم ذلك في أنفسهم in themselves فقط؛ لكي يعيشوا لأجل أنفسهم for themselves يعني تحمل مسئوليات معروفة في سبيل هذه الحرية ضمن العبثية.

هناك تنويعات كثيرة على هذا الاتجاه وكانت هناك محاولات لدمج ذلك مع نظم تتضمن قدراً من الحتمية مثل الفرويدية أو الماركسية. تحكمت عدة من التنويعات في استعمالات existential وجودي الخاصة مع إشارة ضمنية إلى صيغة من صيغ الوجودية existentialism. لكن عبارات مثل شعور وجودي existential awareness، واستعمال existential وجودي مع أنواع من أسماء الشعور والحركة، تجاوزت كثيراً التعبير عن أي موقف محدد. في مفهومها الدال على عملية أو واقع أو آنية (process, actuality, immediacy)، يمكن اعتبار هذه العبارات والاستعمالات مرتبطة بمفاهيم تسبق مفاهيم وجودية بل هي ترتبط بتاريخ الكلمة الرئيسي. في الدرجة الأولى، فيما يتعلق بمفاهيم الاختيار والقلق وعدم التنبؤ، أضاف الاتجاه الفلسفي، مهما كان فضفاضا في حالات كثيرة، معنى خاصا للكلمة المعاصرة. لكن هذا ليس دائماً منفصلا عن استعمالات وصفية بسيطة للعيش أو الواقع، وفي بعض الحالات يخلق هذا تشويشاً. هكذا يمكن ان تعني «الطبيعة الوجودية existentialist characteristic للحياة في المدينة الحديثة» (1) الحياة اليومية المشاهدة مباشرة لسكان مدينة حديثة دونما افتراض مسبق بخصائصها الضرورية الجوهرية essential؛ أو (2) حياة سكان المدينة الغريبة فاقدة المعنى والمستلبة والمليئة

بالفرص الفورية لاختيارات غير متوقعة ومشحونة أيضا بالتهديد والقلق؛ أو (3) الحالة العبثية للمدينة الحديثة كنظام اجتماعي بما فيها من حالات متأصلة (جوهرية؟ essential?) للغربة وفقدان الهدف والصلات. من الأنسب، إذن، أن نبحث كلما استعملت هذه الكلمة الفعالة عن تحديد وجودي existential سابق.

انظر: DETERMINE **يحدد**، IDEALISM **مثالية**، INDIVIDUAL **فرد**

خبرة/تجربة EXPERIENCE

قد يبدو الارتباط القديم بين experience وexperiment في بعض الاستعمالات الحديثة المهمة مهجوراً تماما. (فصّلت العلاقة بين الكلمتين حتى أواخر ق 18 في مادة EMPIRICAL امبيريقي.) المسألة الآن هي البحث في العلاقة بين المعنيين الرئيسين اللذين كانا مهمين من أواخر ق 18. يمكن حصر هذين في (1) معرفة تكونت من أحداث سابقة، سواء بالملاحظة المتعمدة أو التفكير والتأمل و(2) نوع معين من الوعي أو الشعور يمكن في بعض السياقات تمييزه عن «فكر» أو «معرفة». يمكن إعطاء مثل مشهور ومؤثر لكل منهما.

كتب بيرك Burke في كتابه Reflections on the Revolution in France (1790): «لو أمكنني المجازفة باللجوء إلى ما لم يعد، إلى حد كبير، النمط السائد في باريس فإني آمل أن أجرب... experience». هذا طرح محافظ ضد التجديد السياسي «المتهور»، فيه إصرار على الحاجة إلى «تطور بطيء لكن مستمر»، تقبّل كل حدث ومراقبة تأثيره. يمكن فهم كيفية تطور ذلك من مفهوم التجربة experiment والملاحظة، لكن الجديد هو التعميم الواثق لـ «دروس التجربة»: نتائج معينة بالإضافة إلى طرق معينة. ربما أجاب شخص في باريس بأن الثورة نفسها كانت تجربة «experience» بمعنى وضع نوع جديد من السياسة تحت الفحص والملاحظة، لكن بالرغم من كل هذه المعاني السابقة للكلمة فإنه يبدو مؤكدا أنه تم التغلب عليها، على الأقل في الإنجليزية، بمعنى أبلغ وأدق، حينئذ والآن: «دروس» مقابل «تجديدات» وتجارب «experiments».

هذا ما كان بالنسبة لـ «تجربة experience من الماضي». نستطيع الآن متابعة «تجربة الحاضر experience present» في كتاب ت. إس. إليوت (Metaphysical Poets، 1921): «بالنسبة لـ «دون» Donne كانت الفكرة thought تجربة experience، فهي عدلت حساسيته». المتضمن هنا هو تمييز بين أنواع الوعي أو الشعور consciousness؛

بالنسبة لبعض الناس يبدو صعباً أن تكون «فكرة» «تجربة» بينما قد تكون فعلا (أدنى) من التفكير أو الرأي. في هذا الاتجاه الرئيسى، تكون experience تجربة بالتالي هي النوع الأكمل، والأكثر انفتاحا والنمط الفعال للوعي، وتشمل شعورا بالإضافة إلى فكر. في أعقاب مفهوم ديني سابق ظل هذا المعنى فعّالا في النقاش المتعلق بالجمالي aesthetic ويمكن أن يتعارض عبر نطاق شاسع مع أنواع من الوعي ترتبط بالتفكير والتجريب experiment المقصود.

من الواضح أن أسباب الاعتماد على تجربة ماضية («دروس») وتجربة حاضرة («وعي» تام وفعال) مختلفة جذرياً، لكن مع ذلك هناك رابط بينهما في بعض أنواع الشعور والفعل التي يعارضها كلاهما. ليس من الضروري أن يكون الأمر كذلك، لكن تقارب المعنيان فعلياً من أواخر ق 18 ضمن وضع تاريخي مشترك.

من الصعب جداً تحديد مراحل دقيقة في تعقيد ظهور هذه المعاني بناء على إشارات، كامنة دائما، في استعمالات أسبق كثيراً. جدوى تجربة الماضي مدركة بشكل واسع لدرجة أنه من الصعب تصور شخص يرغب في الاعتراض عليها، وتظل مفهوما حيادياً يسمح بالتوصل إلى نتائج متباينة مبنية على ملاحظات جمعت وفسرت بطرق مختلفة. لكن بالطبع هذا تماما ما يقف ضده الاستعمال البلاغي للكلمتين «experiment» تجريب وتجديد «innovation». في زمن معاصر لبيرك تقريباً استعمل بليك Blake خبرة experience بطريقة أكثر إشكالية: أقل ابتذالا، أقل وثوقية؛ في الواقع، تعارض بقلق براءة «innocence». بعيداً عن كونها جملة متيسرة وإيجابية من التوصيات كانت خبرة «experience» «مبتاعة مقابل كل ما يملك الإنسان» «bought with the price of all a man hath» (Four Zoas, II, c 1800). لا يمكن عمليا افتراض أن يكون أي تفسير محدد لخبرة experience موجِهاً؛ من المحتمل تماماً رؤية الحاجة إلى تجريب experiment أو تجديد innovation بناء على خبرة .experience

الاتفاق على هذا أهون من الاتفاق على مشكلة تجربة الحاضر experience present. من الواضح أن هذا يتطلب مناشدة كل الوعي، أي الكائن ككل وليس فقط الاعتماد على حالات خاصة أو مقدرات محددة. بهذه الصيغة تكون experience جزءا من حركة عامة تشكل أساس تطور ثقافة CULTURE (ا م) والمصطلحات المرتبطة بها مباشرة. واضحة قوة هذه المناشدة للكل مقابل صيغ من الفكر تستثني أصنافا معينة من الشعور بدعوى أنها فقط «شخصية» أو «ذاتية» «subjective» أو «عاطفية». لكن ضمن صيغة المناشدة هذه (كما

هو الحال بالنسبة لثقافة CULTURE وفن ART) يمكن أن يصبح الإصرار على الكمال نوعا من الإقصاء لاتجاهات معينة. يكمن التاريخ الحديث هذا في التحول في مفهوم جمالية aesthetics ويمكن إدراك ذلك عندما نتذكر تطور AESTHETICS ذاتها) لكن المرحلة الحاسمة كانت على الأرجح في مذهب معين في الدين، الميثودية على وجه الخصوص.

ينشأ المعنى من كون خبرة experience هي «عمداً موضوع حالة أو وضع» (قاموس أكسفورد OED، 4) وخصوصا من استعمال ذلك في تجربة دينية شخصية أو «باطنية inner». بينما كانت خبرة بهذا المعنى متوفرة ضمن صيغ دينية كثيرة إلا أنها أصبحت مهمة بشكل خاص في البروتستانية وكانت باضطراد السند الأهم في حركات بروتستانية أكثر راديكالية. هكذا كانت في الميثودية «لقاءات خبرة» «experience-meetings» وهي اجتماعات «تلتئم لرواية الخبرات الدينية religious experiences». يسجل وصف من 1857 أنه «كانت هناك صلاة ووعظ وسرد خبرات وإنشاد تراتيل وجدانية». هذه إذن هي فكرة شهادة ذاتية SUBJECTIVE witness (ا م) تعرض للمشاركة. ما هو هام بخصوصها بالنسبة لمفهوم عام لاحق هو أن خبرات كهذه تقدم ليس فقط كحقائق، لكن كأصدق نوع من الحقائق. ضمن الثيولوجيا كان هذا الادعاء موضوع جدل عظيم. تحذير جوناثان إدواردز Jonathan Edwards ـ «تلك الخبرات التي تتوافق مع كلمة الله هي الصحيحة» (1758) ـ هو أحد ردود الفعل الأكثر اعتدالاً. من ناحية تقدم تجربة (الحاضر) كأساس ضروري (مباشر وضروري) لكل التفكير والتحليل (اللاحقين). ومن ناحية أخرى، تعتبر خبرة experience (التي لم تكن اسم المفعول المضارع لـ «feeling» إحساس وإنما لـ «trying» تجريب أو «testing» اختبار شيء ما) نتيجة لظروف اجتماعية أو نظم اعتقاد أو نظم إدراك جذرية وبالتالي ليست مكوِّنة لحقائق ولكن دليلاً على ظروف أو نظم لا يمكن لها حسب التعريف أن تفسرها.

يبقى هذا الجدل الأساسي وليس، لحسن الحظ، قاصراً على هذين الطرفين القصيّين. لكن من البداية، تشوش معظم الجدل بسبب المعاني المعقدة والبديلة أحياناً كثيراً لخبرة experience نفسها. تشمل تجربة الماضي experience past ـ في أكثر الأحوال جدية عمليات التفكير والتأمل والتحليل التي يستثنيها في أقصى حالاته استعمال تجربة الحاضر experience present، التي تنطوي على مباشرة وصحة لاشك يساورها. بالمثل يعتمد اختزال خبرة experience في مكونات تصدر دائما من مكان آخر على إقصاء أنواع من التفكير والتأمل والتحليل ليست من نمط نظامي مستقل عمداً. ليس المطلوب إذن ألا

تفحص tested أنواع كهذه، لكن بمعنى experience الأعمق يجب أن يختبر tried كل نوع من أنواع الشهادة والاعتبارات المرتبطة بها.

انظر: EMPIRICAL **إمبيريقي/تجريبي**، RATIONAL **عقلاني**، SENSIBILITIY **حساسية**، SUBJECTIVE **ذاتي**

EXPERT خبير

ترجع expert إلى (س م) expert، فرنسية قديمة، (س ب) expertus، لاتينية، اسم مفعول ماضي لـ experiri: يحاول، يجرب to try. ظهرت في الإنجليزية كصفة في أواخر ق 14، أي في نفس الوقت الذي ظهرت فيه experience تجربة، خبرة. بدأت تستعمل - وفي هذه دلالة واضحة - كاسم an expert خبير من أوائل ق 19 في مجتمع صناعي يضع تركيزاً مضطرداً على التخصص والتأهيل. استمرت في الاستعمال مغطية نطاقاً واسعاً من النشاطات، وصاحبها في بعض الأحيان إبهام معين (قارن qualified مؤهَّل والأكثر تحديدا formal qualifications مؤهلات رسمية). من اللافت أن inexpert كاسم من معنى معارض (فاقد الخبرة) استعملت أحياناً من أواخر ق 19، لكن الكلمة الرئيسية التي تحمل هذا المعنى هي بالطبع layman شخص عادي التي أصبحت شائعة من التضاد القديم بين laymenعلمانيين و clerics رجال دين. ترجع lay إلى (س م) laicus، لاتينية، ليس من رجال الدين، (س ب) laikos يونانية، من الشعب. هناك تطور مشابه في profession مهنة، ق 13، من (س ب) profiteri، لاتينية: يصرح علانية، التي كانت في الأساس إقرارا باعتقاد ديني وصارت أساساً لاسمين؛ professor: مدرس مصنِّف، ق14 مقرّ، ق 15؛ professional مهني، ق 18، في نطاق أوسع من المهن والوظائف. ترجع amateur، هاو، إلى (س م) amatore، ايطالية (س ب) amator، لاتينية: عاشق ومن ثم من يحب شيئا. من ق 18 تطورت في ازدواج متعارض مع professional مهني (أولا كموضوع مقدرة نسبية؛ وفيما بعد كتمييز طبقي ثم مادي).

انظر: INTELLECTUAL **مفكر/ مثقف**

EXPLOITATION استغلال/استثمار

دخلت exploitation الإنجليزية في أوائل ق 19 فيما يبدو أنه استعارة مباشرة من الفرنسية. ترجع الكلمة إلى (س ب) explico، لاتينية، بمعانيها الواسعة التي تشمل ينشر، يبسط ويرتب ويشرح explain (هذا الأخير يؤدى إلى explication شرح، كما أدت المعاني

الأسبق إلى explicit واضح، ظاهر). في الفرنسية القديمة كانت الصيغة المستعملة هي explectation وكان هناك استعمال إقطاعي يعني الاستيلاء على غلّة الأرض التي فشل المستأجر في دفع الالتزام الإقطاعي عنها. لكن كان التطور الفرنسي الرئيسي في الصيغة الحديثة exploitation للاستعمال الصناعي والتجاري للأرض والمواد، الذي كان لا يزال حرفيا في اقتباسات من ق 18 استغلال الأملاح exploitation des salines»).

تم تقليد ذلك في الإنجليزية كما في مثال من 1803 عن «الاستغلال المنقوص لهذه المستعمرات»، لكن الكلمة كانت لا تزال حتى 1825 تعتبر حديثة: «نجاح تفتقر إليه كل الاستغلالات «exploitations» (معذرة لاستعمال الكلمة الفرنسية)». كانت exploit بمعنى انجاز وتقدم ناجح واكتساب ميزة ومن ثم عملا عظيما موجودة في الإنجليزية كاسم من ق 14 وكفعل من ق 15. أسهم ذلك بوضوح في بروز المصطلح الجديد، خاصة في صيغة الفعل. كانت الاستعمالات الصناعية والتجارية لاستغلال exploitation شائعة منذ أوائل ق 19 لكنها تأثرت كثيرا بتطور معنى حاسم لعمليات مشابهة كان الإنسان موضوعها. بالتالي على سبيل المثال كان هناك «الرق، استخدام الإنسان للإنسان (استغلال exploitation)» (1824)؛ «يصبح ثرياً عن طريق التجارة أو المضاربة أو الاستغلال الناجح للعمل» (1857)؛ «استغلال الجمهور الساذج» (1868)؛ «استغلال واستعباد» (1887). كذلك تزحزحت بعض الكلمات المرتبطة بها: «رأسماليون ومستغلون exploiters» (1887)؛ «ملاك أسهم رأسماليين يستغلون exploiting العمال المأجورين» (1888)؛ «كل طبقة المستغلين» (1883)؛ «طبقة مستغلَة exploited» (1887). لكن لا تزال exploitation تستعمل لعمليات صناعية وتجارية، خصوصه فيما يتعلق باستخراج المعادن التي كانت الكلمة دائما وثيقة الصلة به. ظهرت في ستينات ق 20 sexploitation (استغلال جنسي) لوصف نوع معين من الأفلام والصحافة.

انظر: DEVELOPMENT **تطور، نمو**

عائلة FAMILY

لكلمة family تاريخ اجتماعي ذو أهمية خاصة. دخلت الإنجليزية في أواخر ق 14، من (س م) familia، لاتينية: أهل بيت household، من (س ب) famulus: خادم. يبدو أن الصفة المقاربة familiar أسبق إلى حد ما في الاستعمال العام ونطاق معانيها يذكرنا بنطاق المعاني التي سادت في family قبل منتصف ق 17. هناك المعنى المباشر لأهل بيت household اللاتينية، إما بمعنى مجموعة خدم أو مجموعة تربطهم صلة الدم وخدم يعيشون

معا في منزل واحد. ارتبطت familiar بذلك في عبارات مثل «familiar angel» ملك رفيق، «familiar devil» شيطان رفيق والاسم اللاحق «familiar» (عشير، رفيق) حيث المعنى إما الارتباط بشخص أو خدمته. هناك أيضا عبارة شائعة في ق 15 وق 16: عدو عائلي «familiar enemy» التي تدل على عدو ضمن الأسرة، «داخل السور»، ومن ثم بالاستنتاج عدو من داخل المجموعة. لكن المعاني الأولى الواضحة كانت تلك التي لا تزال حتى الآن سارية في الإنجليزية الحديثة: «في علاقة صداقة أو ود مع شخص ما» (قارن « don't be too familiar» لا تكن ودودا أكثر من اللازم)؛ معروف، كثير الاستعمال، مألوف (قارن familiar in his mouth as household words متردد على شفتيه مثل كلمات أهل البيت»، مسرحية شكسبير «هنري الخامس»). نجمت هذه الاستعمالات من تجربة أناس يعيشون معاً في أسرة، في علاقات وثيقة مع بعضهم البعض ومعتادين على أساليب كل منهم، لا تربطهم صلة دم، كما هو الحال الآن بالنسبة لـ«familiar».

على الأقل من ق 15 توسعت family لا لتصف أهل البيت household وإنما ما سمي ـ وهذا هام - منزلاً house بمعنى ذرية أو مجموعة أقارب معينة عن طريق التحدر من سلف مشترك. توسع هذا المعنى ليدل على ناس أو مجموعة من الناس، أيضا بمعنى التحدر من سلف، وكذلك دلت على مفهوم ديني معين مرتبط هو ذاته بمعاني اجتماعية سابقة كما في «The Father of Our Lord Jesus Christ of whom the whole family in heaven and earth is named» أحنى ركبتيَ لدى أبي ربنا المسيح الذي منه تسمى كل عشيرة في السماوات وعلى الأرض» (Ephesians، 3 : 14، 15). اقتصرت family في نسخة الإنجيل المعتمد (The Authorized Version of the Bible (1611» على هذه المعاني الشاملة: إما مجموعة أقارب كبيرة، تعادل في الغالب قبيلة tribe(Genesis 10:5; 12:3 Jeremiah 1:15; 31:1; Ezekiel 20 : 32) أو مجموعة أقارب من جد مشترك : «and both he and his children with him, ،then shall he (a brother) depart from thee and and shall return to his own family, «and unto the possession of his fathers shall he return (Number 36:6 قارن Leviticus 25:41)» وعندئذ سيغادرك (أخوك)، هو وأطفاله معه وسيعود إلى أسرته وإلى أملاك آبائه سيرجع». من الملفت أن عبارات مثل طائفة «عائلة المحبة» family of love أو «الأسريين» familists من ق 16 وق 17 استندت على مفهوم مجموعة كبيرة لكنها جعلت الدخول فيها متيسرا وطوعيا عبر الحب.

إذن لا نجد أبداً في مفاهيم ما قبل منتصف ق 17 المعنى الحديث المتميز لمجموعة

صغيرة مقتصرة على أقارب الدم. عندما كان هذا المعنى لعلاقة بين آباء وأطفال متطلبا في سفر التكوين في النسخة الرسمية من الإنجيل تم استعمال نسيب قريب near kin. لكن من الواضح أنه بين ق 17 وق 19 أصبح سائداً معنى مجموعة أقارب صغيرة، عادة تسكن في منزل واحد، سائداً جداً في الواقع لدرجة أنه في ق20 سك تعبيران للتمييز بين ذلك والمعنى الثانوي لمجموعة أقارب كبيرة: أسرة نووية nuclear family وعائلة ممتدة extended family. من الصعب تتبع هذا التطور الذي له تاريخ اجتماعي معقد. من 1631 لا نزال نستطيع قراءة «كانت أسرته family تتكون من زوجته وبناته وخادمتين ورجل» بالمعنى الواضح لأهل البيت household. استمر هذا في الاستعمال الريفي مع وجود خدم المزرعة الذين سكنوا في الدار وكانوا يأكلون على نفس الطاولة حتى أواخر ق 18 وربما بعد ذلك؛ كان التمييز اللاحق بين عائلة family وخدم servants مكروهاً جداً. كذلك كان هناك تأثير طويل الأمد من الاستعمال الأرستقراطي بمعنى نسب lineage وظل هذا قويا في العبارة الدالة من ق 18: أنشأ أسرة «found a family». تم التعبير عن التمييز الطبقي في فترة متأخرة - ق 19 وبآثار تعدت هذا التاريخ - في عبارات مثل «a person of no family» «عديم العائلة» (مقطوع من شجرة) حيث مجموعة القرابة الكبيرة هي المقصودة لكن بمعنى النسل الذي يمكن تقفى أصوله. لم تزل حتى ق 20 تستعمل عبارات مثل العائلة «the family» للدلالة على مجموعة متميزة من الطبقة العليا: العائلة مقيمة «the family is in residence» حيث تم بوضوح عزل معنى مجموعة النسب عن معنى household أهل البيت، لأن الخدم على أية حال موجودون (لكنهم ليسوا مقيمين inresidence حتى ولو كانوا ساكنين resident).

يمكن ربط حصر كلمة عائلة family على مجموعة نسب صغيرة في منزل واحد بنشأة ما يسمى الآن عائلة برجوازية bourgeois family. لكن هذه ترتبط، بمفاهيمها عن أهل البيت والملكية، بشكل أصح، على الأقل حتى ق 19، بالمعنى الأقدم. من أوائل ق 19 نجد عند جيمز مل James Mill هذا التعريف: «المجموعة المكونة من أب وأم وأطفال تسمى عائلة»؛ لكن وجود ضرورة للتعريف مهم في حد ذاته. تشير عدة استعمالات من أواخر ق 17 وق 18 لعائلة بمعنى مجموعة نسب صغيرة غالباً إلى الأطفال بشكل خاص: «لكن في حينه أرسل عائلته وزوجته but duly sent his family and wife Pope Bathurst»، حيث لا يزال مع ذلك قد يوجد معنى أهل البيت. في البداية أشارت family-way، الشائعة منذ أوائل ق 18، إلى معنى familiar لكن فيما بعد وعبر معنى خاص بالأطفال دلت على حمل pregnancy. هكذا كان هناك تداخل، في الفترة بين منتصف ق

17 وأواخر ق 18، بين هذه المعاني المختلفة لنسب، أهل بيت، مجموعة نسب كبيرة ومجموعة نسب صغيرة.

على الأرجح لم تتوطد سيادة معنى مجموعة نسب صغيرة قبل أوائل ق 19. ظهر ثقل الكلمة السائد الآن وتعريف الأنواع الكثيرة من الشعور تجاهها في منتصف ق 19 وما بعده. يمكن أن يمثل ذلك تمجيد العائلة البرجوازية ثم التركيز بشدة على مفهوم العائلة المنعزلة كوحدة اقتصادية عاملة في تطور الرأسمالية. لكن لها صلات أوثق بالإنتاج الرأسمالي المبكر ويمثل تطور ق19، بمعنى من المعاني، تمييزاً بين عمل الرجل work وعائلته: يعمل ليعيل عائلته؛ العائلة تعتمد على عمله. في الواقع من المرجح أن تعريف مجموعة النسب الصغيرة، المدعوم بتطور منازل صغيرة مستقلة وبالتالي أهل بيت، يرتبط بالطبقة العاملة والطبقة «الوسطى - الدنيا» الجديدة التي تم تحديدها عن طريق العمل المأجور: ليست العائلة كنسب أو ملكية أو على أنها تشملهما، وليست العائلة كأهل بيت بالمعنى القديم الراسخ الذي يضم الخدم، ولكن كمجموعة نسب وأقارب لا يمكن تحديد علاقاتها الاجتماعية، بأي معنى ايجابي، إلا عن هذا الطريق. يمكن أن تمثل family عائلة أو family and friends عائلة وأصدقاء الارتباط الايجابي الوحيد في مجتمع عظيم الحجم ومعقد يعتمد كليا على كسب أجره. من المهم أن الشعور الطبقي، الاستجابة الأخرى الرئيسية تجاه المجتمع الجديد، استعمل أخ وأخت للتعبير عن الانتماء الطبقي، كما في عضوية اتحاد العمال، رغم أن في ذلك سابقة دينية واضحة في طوائف معينة. من المهم أيضا أن هذا الاستعمال لأخ وأخت أصبح يعتبر مصطنعاً أو مضحكاً في نظر الطبقة الوسطى. جمعت family عائلة هناك معنى واضحا لعلاقات قرابة دموية مباشرة وايجابية مع معنى التملك الضمني.

إنه تاريخ صعب وآسر لا يمكن تتبعه إلا جزئياً عبر تطور الكلمة. لكنه تاريخ يستحق التذكر عندما نسمع أن «العائلة كمؤسسة في طريقها إلى التلاشي» أو أنه في فترات ماضية، والأمل أن يكون ذلك الآن، كانت «العائلة هي الأساس الضروري للنظام والأخلاق». في هذه الاستعمالات وأخرى مشابهة في الوقت الراهن قد يكون مفيداً تذكر الاختلافات التاريخية الكبيرة، وبعض تعقيداتها المتبقية، وعبر ذلك إدراك التعريفات المتغيرة جذرياً في العلاقات الرئيسية.

انظر: **SEX جنس، SOCIETY مجتمع**

خيال/تخيل/رواية FICTION

لكلمة fiction معنى مزدوج لافت كنوع من التخيل الأدبى IMIAGINATIVE LITERATURE (ا م م) ونوع من الاختراع المحض (بل أحيانا اختلاق أو تضليل متعمد). المعنيان حاضران في الإنجليزية منذ مدة طويلة. دخلت اللغة الإنجليزية في ق 14 من (س م) fiction، فرنسية، fictionem، لاتينية، من (س ب) fingere، لاتينية : يشكل، يصوغ؛ أنتج نفس الجذر feign الذي له معنى يلفّق، يخترع بتزييف وتضليل، من ق13. استعمل كاكستون Caxton الكلمتين معاً : «خيال وخداع «fyction and fayning (1483) لكن «ficcions» بمعنى أعمال متخيلة سجلت من 1398 وفي أواخر ق 16 كانت هناك «poeticall fiction» خيال شعري و«Ancient Fiction» خيال عتيق. كان شائعا بشكل مواز استعمال عام يتراوح بين فرضية مصاغة عمداً (mathematical fiction خيال رياضي، 1579) وادعاء مصطنع مثير للشك (of his own fiction من تخيله) وظل هذا الاستعمال في التداول. توسع معنى fictitious، من أوائل ق 17، من هذا الاستعمال إلى معنى اختلاق؛ وتطلب الاستعمال الأدبي البديل اللاحق fictional تخيلي. كان التطور الرئيسي للمعنى الأدبي من أواخر ق 18 : «dramatic fiction» تخيل درامي (1780)؛ «works of fiction» أعمال تخيل (1841). من ق 19 صارهذا التعبير مرادفاً تقريباً لروايات novels. أدت شعبية الروايات إلى إعادة تسمية غريبة من قبل المكتبات وتجار الكتب: non-fiction غير تخيلي (أحيانا تستعمل هذه كمعادلة لقراءة «جادة»)؛ بعض المكتبات تحجز لروادها الكتب غير المتخيلة أو تدفع أجرة البريد لأي منها لكنها ترفض تقديم هذه التسهيلات بالنسبة لكتب التخيل؛ على الأرجح يسهم معنى «اختلاق» (محض اختراع) أو التضاد المألوف بين fiction وfact حقيقة من المعنى الآخر للكلمة في وثوقية هذا التمييز.

لكلمة novel رواية التي هي الآن شبه مرادفة لتخيل fiction تاريخها الخاص المثير للاهتمام. يمثل الآن المعنيان اللذان يشير إليهما الاسم «prose fiction» تخيل نثري والصفة (جديد، خلاق، ومن ثم نوفوتيه novelty) فرعين مختلفين من التطور للسابقة البعيدة novus : لاتينية: جديد ـ الأول من (س م) novella، ايطالية، novela اسبانية؛ الآخر من novelle، فرنسية قديمة. حتى أوائل ق 18 حملت novel كاسم معنيان: (1) حكاية tale؛ (2) ما نسميه الآن بنفس المفهوم أخبارا news. هكذا سميت قصص بوكاشيو، وأريوستو وآخرين novella نوفيللة: قصص قصيرة، سواء تخيلية fictional أو تاريخية HOSTORICAL (ا م): قارن العبارة: «في هذه التاريخيات histories (التي

أسميها بعبارة أخرى novelles) يصف حياة ... أمراء عظام» (Painter، 1566). من ناحية أخرى، هناك أمثلة بمعنى (2): «للاستماع إلى novells أخبار من صنعه» (سبنسر Spencer، 1579)؛ «يوحي مظهرك الواضح ببعض الأخبار novel التي قد تفرحنا» (ماسينجر Massinger، 1636). بل إن أحد «أباء الرواية الانجليزية» فيلدينج Fielding كتب هذا الحوار في إحدى مسرحياته:

- What novel's this? ـ ما هذا الخبر؟

- Faith it may be a pleasant one to you. ـ حقا قد يكون مبهجا لك.

بناء على سلسلة المعاني هذه عنت novelist بالتتابع مبتكر innovator (ق17)، صانع أخبار «news monger» (ق18) وكاتب تخيلي نثري (ق18). خلال ق 17 وجزء من ق18 تناوبت novel فعليا مع ROMANCE (ا م) الأكثر ألفة، رغم أنه بشكل عام اعتبر أنه بالإمكان التمييز بينهما على أساس أن الرواية أقصر (أقرب إلى حكاية) وعلى أساس أنها أقرب إلى الحياة الفعلية. أشار ميلتون (1643) إلى أنها «ليست مجرد رواية حب amatorious novel»، لكن بحلول منتصف ق 18 كانت novel في طور تحولها إلى الكلمة المألوفة، رغم استمرار إشارات ازدرائية كثيرة كما هو لدى جولدسميث: «هذه المقدرات التي تستطيع تجميع رواية كافية تماماً لإنتاج كوميديا عاطفية»، أو الأكثر إصرارا : «لا رواية Novel يمكن أن تكون أكثر أثرا أو أكثر إدهاشا من هذا التاريخ» (ويسلي Wesley، 1769). بحلول أوائل ق 19 اكتمل تماماً تطور novel كتعبير مألوف لعمل من التخيل النثري لدرجة أن كلمة جديدة للتخيل النثري القصير دخلت اللغة: novelette (1820). معظم الازدراء الذي حملته novel انتقل إلى هذه الكلمة كما في novellettish (أوائل ق 20). في الواقع نستطيع الآن أن نقول أحيانا إن نوفليتز novelettes، أو روايات سيئة، هي محض اختلاق pure fiction بينما تنقل لنا روايات novels (تخيّل جاد) الحياة الفعلية.

انظر: CREATIVE خلاق، IMAGE صورة، MYTH اسطورة، ROMANTIC رومانسي

فولك/شعب FOLK

الصيغة folk هي إحدى تهجيات كلمة مشتركة في لغات تيتونية؛ في الإنجليزية القديمة كانت تهجيتها folc. كان لها معنى عاماً: «شعب» people في نطاق يمتد من تشكيلات اجتماعية معينة، بما في ذلك أمم NATIONS (ا م)، إلى الناس عموماً. منذ ق 17 أصبح الجمع folks أكثر شيوعاً بالمعنى الأخير؛ بشكل نمطي هي كلمة لطيفة وغير رسمية: الناس كما يرون أنفسهم وليست نظرة من أعلى أو من الخارج، رغم أن هذا المعنى تم استحواذه

أو استغلاله في أشكال معينة من المجال التجاري. كذلك يستعمل المفرد folk بطريقة محدَّدة بعد اسم إقليم من أقاليم البلد.

في منتصف ق 19 بدأ استعمال محدد مهم. كتب ثومز Thoms، في رسالة إلى مجلة Athenaeum في 1846 : «ما نصنّفه في انجلترا آثاراً قديمة شعبية popular (رغم ... أنه ... يمكن وصفها بطريقة أكثر ملاءمة بمّركب سكسوني مناسب Folk-Lore معرفة الشعب)». ترجع lore إلى (س م) lar، انجليزية قديمة. استعملت في الأصل في نطاق من المعاني يمتد من تعليم وتربية إلى تعلم ودراسة، لكنها صارت خصوصاً من ق 18 محصورة على الماضي، وذلك مع المعاني المرافقة: تراثي أو أسطوري. يرتبط اقتراح ثومز لفولك بدلاً من popular بنفس النزعة الثقافية مثل اقتراح مراسل في مجلة Gentleman's Magazine من 1830 بوجوب إحلال lore محل اللواحق اليونانية في أسماء العلوم: starlore بدلاً من astronomy علم الفلك و earthlore بدلاً من geology . . . الخ. لم يقتنع عالم العلم والمعرفة التقليدي بهذه الصبغة التمييزية للإحياء الأنجلوسكوني المتعمد، لكن تم حالاً تبني folk-lore فولكلور التي أعيدت صياغتها لاحقاً folklore، في تركيز على معنى استعادي لكل من «علم» و«ماضي». بحلول سنة 1878 كانت هناك جمعية فولكلور وكان ثومز مديراً لها، وتم تبني الكلمة وانتشر هذا النوع من الجمعيات بشكل واسع في ثقافات أخرى. سجلت folk-song أغنية فلكلورية من سنة 1870.

جزئياً ارتبط الاستعمال المحدد بالتطورات الصعبة في ق 19 لشعبى POPULAR (ا م). تطورت الاهتمامات التي تمثلها الكلمة بثبات منذ أواخر ق 18 وأعطيت موقعاً رسمياً عن طريق أعمال هيردر Herder والأخوين جرم Grimm. عند هيردر كانت هناك ثقافة الشعوب Kultur des Volkes وعند شليجل Schlegel شعر شعبي Volkpoesie. لم يكن الاهتمام العلمي بأصناف الشعر والقصة والمعتقدات والعادات والغناء والرقص هو العنصر الوحيد في الصيغة المحددة حديثاً. تركزت محاولات تعريف فولكلور في أواخر ق 19 على معنى «survivals» مأثورات معتمدة على تعريف تايلور Tylor في Primitive Culture (1871) (انظر Culture ثقافة) كعناصر تبقى «بقوة العادة وتستمر في وضع مجتمعي جديد». من هذه الناحية يتعلق التشكيل بمجموعة معقدة من ردود الفعل على المجتمع الصناعي والحضري الجديد. أصبحت أغنية فولكلورية folksong محصورة بشكل مؤثر على عالم ما قبل الصناعة وما قبل المدينة وما قبل الكتابة، لكن مع ذلك كانت تنتج بنشاط أغاني شعبية popular ومن ضمنها أغاني عمل صناعي جديدة. في هذه الفترة كان لفولك folk الأثر في

إعطاء تواريخ أقدم لكل عناصر الثقافة الشعبية popular culture وقدمت في الغالب كتضاد للأشكال الشعبية الحديثة، سواء تلك التي تنتمي إلى الطبقة العمالية والراديكالية أو التجارية. استمر هذا التوكيد المميز لكن قابلته اعتراضات، سواء من داخل الدراسات الفولكلورية، حيث تم باضطراد إيضاح تعقيد وتفاوت أصول عناصر folk التراث الفلكلوري المختلفة، أو ضمن الدراسات الثقافية cultural studies حيث يوجد اعتراض على كل من فصل الفولك folk الذي ينتمي إلى ما قبل الكتابة وقبل الصناعة عن سواه وعلى خلق تمييزات تصنيفية بين مراحل مختلفة من الإنتاج الثقافي الداخلي والمستقل وأحيانا الجماعي.

تغير الوضع أكثر، خاصة فيما يتعلق بغناء فولكلوري folksong في منتصف ق20، عندما برزت حركة الغناء الفولكلوري، وأصبحت واسعة الانتشار ومتشابكة وامتدت ليسع نشاطها تسجيل وتعديل أغاني ريفية شفوية وأخرى صناعية إلى نظم وأداء جديدين بنفس الروح والأسلوب السابقين. تبقى العلاقة بين folk وpopular غير مستقرة ومتبدلة والسبب الرئيسي خلف ذلك، كما في تعريف منتصف ق 19 الأصلي، هو تعقيد وصعوبة POPULAR (ا م) المستمرة.

انظر: **CULTURE ثقافة، ETHNIC إثني، MYTH أسطورة، PEASANT فلاح، POPULAR شعبي**

شكلاني FORMALIST

هذه كلمة انجليزية قديمة، لكنها استعملت بشكل واسع في ق20 في سياق جديد نسبياً كنتيجة لاستعمالات الكلمة المقابلة لها في اللغة الروسية. ظهر معنيان لشكلاني formalist في الإنجليزية من أوائل ق 17: (1) نصير أو مؤيد لمجرد أشكال forms الدين أو مظاهر خارجية له: «formalists and time-servers شكلانيون ومسايرون» (1609)؛ (2) من يفسر الأمور من خلال خصائصها السطحية بدلاً من الجوهرية: «شيء مثير للضحك ... رؤية حيل هؤلاء الشكلانيين ... فهم يجعلون المظهر الخارجي يبدو قواما له عمق وجسم» (بيكون، 1607 ـ 12). فقط يمكن فهم هذا الاستعمال والتشويش المعقد لبعض الاستعمالات الحديثة بالإشارة إلى التطور المعقد لشكل form نفسها. ترجع هذه الكلمة إلى (س م) forme، فرنسية قديمة، forma، لاتينية: هيئة، شكل. كررت form في الإنجليزية تعقيدات تطورها في اللاتينية وهناك معنيان ضمن هذه التعقيدات يستحقان بشكل رئيسي الذكر: (1) شكل ظاهري وخارجي فيه دلالة واضحة على الجسم الفيزيائي:

«بالمصادفة التقى ملكاً في هيئة fourm إنسان» (تقريبا 1325)؛ «شكل forme ضئيل، مشهد ممالق، باهت» (1568)؛ (2) مبدأ تشكيل أساسي يحوّل مادة غير محددة إلى كيان أو شيء محدد نهائي: «الجسد مجرد مادة تكون الروح فيه هي الشكل fourme» (1413)؛ «حسب تنوع الأشكال الجوهرية تُصنّف أشياء العالم إلى أنواعها» (هوكر Hooker، 1594). من الواضح أن form شملت في أقصى معانيها المدى الكامل من الخارجي والسطحي إلى الجوهري والمحدد. غطّت formality شكلية نفس المدى من «الملابس ... موضوع مجرد شكلي» (هوكر، 1597) إلى «تلك الشكليات formalities حيث يكمن جوهرها Essence» (1672). في الاستعمال العام احتفظت form بكامل مداها لكن استعملت formality شكلي و formalist شكلاني ومن منتصف ق 19 formalism شكلانية بشكل واسع بطرق سلبية أو رافضة: «بالنسبة للشكلانيين formalists الاحتفالات أوثان» (1637)، «تبا أيها الشكلانيون، قساة القلوب والجامدون» (ينج Young، 1742)؛ «شكلانية عديمة الجدوى» (كنجزلي Kingsley، 1850)؛ «نفاق وشكلانية» (1878). وهناك مثالان لهما صلة بالتطور المحدد اللاحق: «شكلانيون يطالبون بتفسير لأقل الكلمات إبهاما» (1707)؛ " شكلانية النقد المسرحي» (1814).

مع تعقيدات form ومعاني formalist المعروفة فإنه مدهش أن يفهم بطرق مختلفة التعبيران formal method منهج شكلي و formalist school المدرسة الشكلانية الذين يمكن التعرف عليهما بهذين المسميين في الدراسات الأدبية الروسية من 1916 تقريباً. إضافة إلى ذلك أظهرت formalism شكلانية خلال تطورها اتجاهات وتوكيدات كثيرة ومتنوعة. كان تركيزها السائد على خصائص العمل الأدبي المحددة والجوهرية التي تطلبت تحليلاً تبعا لشروطه الخاصة قبل أن يكون أي نوع من النقاش، خاصة التحليل الاجتماعي والأيديولوجي، ملائما أو حتى ممكناً. تعقيدات النقاش اللاحق لافتة جداً. كان هناك تضاد بسيط (يفعّل تمييزاً معروفاً بين form بمعنى (1) وفحوي أو مضمون content) بين شكلانية formalism القاصرة على اهتمامات جمالية AESTHGTIC (ا م) صرفة وماركسية تعطي الاهتمام للمضمون الاجتماعي والاتجاهات الايديولوجية. في تطور القوى التاريخية الفعلي وحسمها أصبح المعنى السلبي جداً لشكلانية formalism هو المعروفَ في الإنجليزية بشكل واسع حيث استعمل كمعادل لأفكار «الفن من أجل الفن». في نفس الوقت في بعض تطورات formalism، كان هذا في الغالب هو الموقف المتبع، بشكل ملحوظ في فكرة تصنيف مستقل تماماً «للغة الشعرية»، وفي الميل الى انكار ملاءمة المضمون أو المعنى

الاجتماعي في أية مرحلة. طغى الجدل بين هاتين المدرستين (في المعاني المحددة للشكلانية formalism والماركسية) على الاستعمال حتى 1950 تقريباً. بدون شك في هذه المرحلة عرَّضت شكلاني formalist للشبهة المعاني الإنجليزية السابقة: «مشهد خارجي» «ومظهر سطحي». ما كان أكثر إلفاتا لكن صعباً للغاية هو مفهوم كلمة شكل form بمعنى (2) كمبدأ مُشكِّل، سواء في معناها الواسع (حيث تتداخل مع genre جنس/نوع) أو في معناها الأكثر تحديدا حيث كانت المبدأ المنظم القابل للاكتشاف ضمن العمل (قارن العبارة «لا يجرؤ أي عمل فيه نبوغ حقيقي على غياب شكل form ملائم له»، كوليردج). بمفهوم شكل form هذا، أي معنى (2) مميزا عن (1)، يمكن بشكل معقول وصف التركيز الماركسي كشكلانية المضمون formalism of content، مستخدمين في ذلك معنى (1) السلبي «مشهد خارجي»، ويمكن إثارة أسئلة مختلفة حول التشكيل الفعلي formation (معنى form 2) للعمل وهو ما يتطلب تحليلا محددا لعناصره في تنظيم معين. بالإضافة إلى ذلك، كما حدث إلى حد ما (لكن بتحول وتشويش كبير للأسماء) كان هذا النوع من التركيز الذي يتيح أو فعلا يتضمن توسعاً من الشكل المحدد إلى أشكال أعم وإلى أشكال من الشعور والعلاقات (مجتمع) هو أحد النزعات ضمن شكلانية formalism، مما أتاح وصفها بشكلانية اجتماعية social formalism (موكاروفسكي Mukarovsky وفولوسينوف Volosinov). اختلط الغرض بتمييزات (شملت اختلافات عميقة لم يفصح بالكامل عنها دائما) بين عمليات intersubjective بين أفراد واجتماعية SOCIAL (ا م) وبين تحليلات synchronic تزامنية وdiachronic متتابعة زمنياً: مصطلحات مستمدة من اتجاه في اللغويات وتستعمل إما للتعبير عن تمييز مطلق بين نسق مكتف ذاتياً في اللغة وبين نسق هو جزء من عملية تاريخية، أو للتعبير عن توكيدات بديلة، أحياناً على النسق وأحياناً على عملية التطور التي تشكل هي لحظة منه وتربطهما علاقات فعلية وديناميكية. على العموم تبعت شكلانية formalism (قارن بنيوية structuralism) التركيز السابق (intesubjective بين الأفراد وثنائية متزامن/متتالي) بدلاً من الأخير، لكن بينما لا تقف في معارضتها إلا الماركسية، التي تعامل form شكل كـ «مجرد تعبير» أو «مشهد خارجي» للمضمون content، فإن مقدرتها في التحليل الدقيق تظل فعالة. سيمر وقت قبل معرفة إذا ما كانت المعاني السلبية للكلمة ستحول دون تقدير التركيز المهم لكن الجزئي الذي أسهمت به كل من شكلاني formalist وشكلانيون formalists.

انظر: **STRUCTURAL بنائي**

جيـل GENERATION

كانت الكلمة في اللغة الإنجليزية منذ ق13، من (س م) generatio، لاتينية (س ب) generare، لاتينية: يولِّد من نفس نوعه (جنسه genus). تراوحت استعمالاتها الأولى بين «فعل التكاثر» و«ناتج التناسل» وهكذا استعملت لذرية offspring نفس الوالدين، نسل descendantsو(هذا يوجهنا نحو الاستعمال الجديد الأهم) أجيال متدرجة في الأسرة. كان تطورها المهم في اتجاه الاستعمالات الاجتماعية والتاريخية أعمق من المعنى البيولوجي المحدد. يصعب تعقب ذلك حيث أن استعمالات مثل «الأجيال القديمة the olde generations»، من ق 16، تدل بالفعل على حس تاريخي إلى حد ما وفقا للحيوات المتذكرة وأحيانا المتعارضة. كذلك كانت هناك استعمالات مبكرة نسبياً لـ «جيل» لغرض تقدير الزمن التاريخي، بمعدل ثلاثين سنة أو ثلاثة أجيال في القرن. لكن يبدو مرجحاً أن المعنى الجديد الشامل للكلمة بمفهومها المحدد والمؤثر كنوع مميز من الناس أو المواقف لم يكن مهما قبل منتصف ق 18 ولم يتطور تماماً إلا منذ منتصف ق 19. نجد أحد الاستعمالات المبكرة عند سانت بيف Sainte-Beuve: «الجيل الرومانسي». كما بيَّن بيل Bell، مفهوم ديلثي Dilthy لـ «وقت تمت فيه معيشة مشتركة» حاسم في فكرة الجيل الثقافي، وأصبح هذا النوع من التحليل منذئذ سائداً في التاريخ الثقافي.

من المفيد مقارنة التطور، الذي هو على الأرجح مقارب، لكلمة period حقبة، من ق15، التي ترجع إلى (س م) periode، فرنسية، (س ب) periodos يونانية: دائرة، دورة من السنين، جملة مصقولة rounded sentence. ترتبط معظم استعمالات period حقبة قبل أوائل ق 18 واستعمالات كثيرة منذئذ (دورات حيض periods، ق19؛ دورية periodical وفي بعض الأحيان دورياً periodically، يظهر في فترات منتظمة، من ق 17) بفعل متكرر، عادة بانتظام. يبدأ استعمالها للدلالة على فترة محددة من الزمن تتسم بمعالم مميزة وبالتالي ليست متكررة في السيرة والتاريخ في ق 18، ويصبح متطوراً جداً في الدراسات التاريخية والبيولوجية من منتصف ق19. يبدو أن generations تبعت بشكل عام نفس المسار متيحة ظهور مفهوم فيه توكيد على تميز وقت معين أو مجموعة ناس، لكن (كما في حقبة) ضمن مفهوم استمرار عام.

هكذا نجد «الجيل الصاعد»، التي تدل إلى حد ما على التغيير، عند غيبون Gibbon (1781)، ويبدو أن ذلك جزءا من تطور معنى جديد لتاريخ HISTORY (ا م)، وخصوصا التاريخ بصفته تقدمياً متطوراً وبذلك تعززت فكرة التميز بل وأعطيت صفة رسمية. بالتالي

سجلت «أذواق الأجيال» في 1847 وهناك فيما بعد، في أواخر ق 19، تطور واضح لمفهوم الاختلاف في مناقشات مهاجري «الجيل الأول» و«الجيل الثاني»، خاصة في الولايات الأمريكية المتحدة. حسب هذا الأسلوب استقر مفهوم المعنى الزمني والاجتماعي بشكل سائد. يتم تجاوز الصلة بالأسر المهاجرة، التي تمر عبر حقب periods من التغير الثقافي، إلى استعمالات أشمل لاتحتفظ بأي معنى بيولوجي محدد ومضمونها بشكل رئيسي تاريخي.

تضاعفت مثل هذه الاستعمالات منذ أوائل ق20. في 1930 سجلت عبارة «جيل الغارات الجوية» وكذلك الأكثر أهمية «شعور جيلي» التي تعني ما سمى بتفاوت الأجيال أو فجوة جيليّة» «generation-gap»، وهي على الأرجح من خمسينات ق20 (سجلت في 1964).

تنعكس سيطرة هذا المفهوم في بعض استعمالات «جيل» الغريبة لكن المتزايدة في الانتشار لوصف انماط متعاقبة من الأشياء المصنعة؛ استعملت بالنسبة للكمبيوتر والأسلحة النووية ونظم تقنية متقدمة أخرى منذ أواخر الخمسينات وأوائل ستينات ق20. تكون بالتالي الصلة بالفكرة السابقة لذرية بيولوجية في الغالب من باب المفارقة أو أسوأ من ذلك.

إحدى صعوبات «جيل» بهذا المعنى المعزز هي أنه في فترة تغير سريع تكون على الأرجح الحقبة period المستغرقة أقصر وتنقص كثيرا عن الجيل البيولوجي. هناك أيضاً، كما في معنى حقبة غير المتكرر، مشاكل كثيرة من التداخل وبالتالي صعوبات في التعريف الدقيق. مع ذلك، تبدو كلا الكلمتين بهذه المعاني عناصر ضرورية من مفردات ثقافة فيها التغير التاريخي والاجتماعي واضح ومتعمد.

انظر: **DEVELOPMENT تطور، FAMILY عائلة، GENETIC جيني/وراثي، HISTORY تاريخ، PROGRESSIVE تقدمي**

جيني/وراثي GENETIC

تشكل الكلمة في بعض الأحيان صعوبات لأن لها معنيان: معنى عام أصبح الآن في بريطانيا أقل ذيوعاً لكنه لايزال شائعا في الفرنسية مثلاً، ومعنى محدد في فرع من العلوم وهو الذي أصبح معروفاً جداً. جيني genetic هي صفة من genesis، لاتينية، genesis، يونانية: أصل، خلق، نشوء، تكوين. دخلت الإنجليزية في أوائل ق 19، في البداية بمعنى يدل على الأصل كما لدى كارلايل: «التواريخ الأصلية genetic Histories» (1831).

استمر معنى الأصل هذا عند داروين حيث دلت «صلة جينية genetic connection» (1859) على الأصل المشترك للناس. لكن حملت genetic كذلك معنى التطور كما في «تحديدات جينية genetic definitions» (1837) حيث الموضوع المحدد «اعتبر حسب التقدم المستقبلي، ما سيؤول إليه» وكان هذا المعنى حاضراً كذلك في «التطور الجيني لأقسام الكلام» (1860). في 1897 عرّف علم الجينات genetics في تمييز له عن telics (علم الغايات) لوصف عملية نمو بدلاً من وضع نهائي أو تام النمو. أظهرت التطورات في بيولوجيا أوائل ق20 الحاجة لكلمة جديدة. أشار بيتسون Bateson في 1905 إلى «دراسة الوراثة» وكتب: «لاتفي كلمة في الاستعمال العام تماماً بهذا المعنى ... ولو كانت هناك رغبة في سك كلمة فإن Genetics قد تفي بالغرض». من هذا الاستعمال نشأ الوصف العلمي المعتاد الآن: «فسيولوجيا الوراثة والانحرافات ... علم الجينات «genetics «Nature»، (1906). لكن لايزال معنى «تطور» الأقدم والأعم فعّالاً كما في «علم النفس الجيني» (1909) الذي نسميه الآن في الغالب سيكولوجيا النمو «developmental psychology» دونما اشارة إلى علم الجينات البيولوجي. علاوة على ذلك يظل المعنى الأول كما في «الزيف الجيني genetic fallacy» (1934) زيف في تفسير موضوع أو تفنيده عن طريق الإشارة الى أسبابه الأصلية.

في الاستعمال الإنجليزي المعتاد تدل جيني الآن على حقائق الوراثة والانحراف في سياق بيولوجي (وراثة جينية genetic inheritance، شفرة جينية genetic code . . . الخ) لكن بالإضافة إلى الاستعمالات الإنجليزية المتبقية تظهر genetic أيضاً في الغالب في ترجمات، خاصة من اللغة الفرنسية، حيث المعنى في العادة يتعلق بالتشكيل والتطور. هكذا يتم التمييز بين genetic structuralism بنيوية توليدية أو تكوينية (جولدمان) وأنواع أخرى من البنيوية STRUCTURALISM (ا م) بتركيزها على التشكيل والتطور التاريخي (وليس البيولوجي) للبنيات structures (أنواع من الشعور). من المرجح أن يساء في الغالب فهم الاستعمال المترجم أو يصبح مرتبطاً ارتباطاً فضفاضا بعلم الجينات البيولوجي.

انظر : **DEVELOPMENT تطور، EVOLUTION نشوء، FORMALISTشكلاني، HISTORY تاريخ، STRUCTURAL بنائي**

نبوغ/نابغة/عبقري GENIUS

دخلت genius الإنجليزية من ق 14 بمعناها اللاتيني الرئيسي ـ (س م) genius، لاتينية: روح حارسة. توسعت الكلمة لتشمل سجية أو ميزة خاصة من ق 16 كما هو

الوضع حالياً في «كل امرئ له سجيته المميزة genius (هيوم، 1754). بنفس الطريقة استعملت بالنسبة للأماكن من أواخر ق 17. إن التطور نحو المعنى الحديث السائد ـ «مقدرة فائقة» ـ معقد جداً؛ حدث ذلك بتفاعل متبادل في كل من الإنجليزية والفرنسية ولاحقا في الألمانية. يبدو أنه ارتبط في الأساس بفكرة روحspirit عبر فكرة إلهام inspiration. بينما لاحظ أديسون Addison في 1711 أنه «لاتوجد هناك صفة تعطي بشكل أكثر تكرارا لكاتب من نابغة genius»، فإن هناك تعريفاً فرنسياً أوضح: «يبدو أن تعبير عبقرية هذا يشير لا إلى المواهب العظيمة دون تمييز فيما بينها ولكن إلى تلك المواهب التي يدخل فيها شيء من الابتكار»، وهذا موجود أيضاً في الإنجليزية: «دائما تعني genius شيئا خلاقا أو مبدعا» (1783). في الواقع يقترب هذا المعنى دائماً من معنى خلاق CREATIVE (ا م) المتطور. يبدو أن التمييز بين عبقرية وموهبة، المتنقل أيضاً بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية، اعتمد في الأصل على هذه الاشارة إلى أنواع kinds من المقدرة بدل درجات degrees منها، رغم أنه في الاستعمال اللاحق تغلب المعنى الأخير. تستعمل الكلمة الآن بشكل واسع جدا لوصف جميع أنواع المقدرات النادرة لدرجة أن بقايا المعنى السابق «سجية مميزة» تكون في الغالب ملتبسة. حالة اختبار جيدة هي العبارة «للإنجليزي عبقرية للحلول الوسط».

انظر: **CREATIVE خلاق، ORIGINALITY أصالة**

هيمنة HEGEMONY

من المرجح أن اللغة الإنجليزية تبنت hegemony مباشرة من اليونانية: (س م) egemonia، يونانية، (س ب) egemon، يونانية: زعيم، حاكم، غالبا المقصود لبلد غير بلده الأصلي. لم يكن شائعاً قبل ق 19 معنى سيطرة سياسية، الذي عادة ما يكون لدولة على أخرى، لكنه استمر منذ ذلك الحين وهو شائع إلى حد ما ويدل، إضافة الى الصفة hegemonic، على أسلوب فيه سيطرة سياسية أو يرمي إليها. في وقت أحدث، استعملت hegemonism (مبدأ وسلوك الهيمنة) لوصف سياسة قوة عظيمة أو قوة عظمى تنوي السيطرة على آخرين (في الواقع لليهمنة بعض الرواج كبديل لإمبريالية IMPERIALISM (ا م).

كان هناك في الإنجليزية استعمال مبكر يشيرمن حين لآخر إلى سيادة من نوع أكثر عمومية. من 1567 نجد «هيمنة أو سيادة على الأشياء التي تنمو عليك أيتها الأرض»، ومن 1656 هناك عبارة «الجزء السائد أو الأسمى للروح». استمرت الصفة مهيمن hegemonic، بشكل خاص بمعنى سيطرة أو مبدأ الغلبة هذا.

أصبحت الكلمة hegemony مهمة في إحدى صيغ ماركسية ق 20، خاصة بناء على عمل جرامشى (رغم أن التعبير في كتابته معقد ومتبدل؛ راجع أندرسون Anderson). في أبسط استعمالات الكلمة توسع معنى سيطرة سياسية من علاقات بين دول إلى علاقات بين طبقات اجتماعية كما في «هيمنة برجوازية». لكن يمكن اعتبار طبيعة هذه السيطرة بطريقة تنتج معنى أعم يشبه إلى حد كبير استعمالات hegemonic مهيمن الإنجليزية المبكرة. بعبارة أخرى لاتنحصر الكلمة في أمور التحكم السياسي المباشر لكنها تسعى لوصف سيطرة أكثر عمومية تشمل، كأحد معالمها الرئيسية، طريقة معينة للنظر إلى العالم والطبيعة البشرية والعلاقات الانسانية. تختلف في هذا المعنى عن مفهوم «رؤية العالم world-view» في أن طرق النظر إلى العالم وأنفسنا والآخرين ليست فقط حقائق ذهنية وإنما أيضاً حقائق سياسية يفصح عنها في نطاق يمتد من مؤسسات إلى علاقات وشعور. تختلف كذلك عن أيديولوجيا IDEOLOGY (ا م) في أنها تعتبر معتمدة في سلطتها ليس فقط على تعبيرها عن مصالح طبقة حاكمة ولكن أيضاً على تقبل الخاضعين لها عمليا «كواقع معتاد» أوبديهى «حس مشترك commonsense». هكذا هي تؤثر في التفكير في «ثورة» REVOLUTION (ا م) في اصرارها ليس فقط على انتقال السلطة السياسية أو الاقتصادية ولكن كذلك على الإطاحة بهيمنة معينة: بعبارة أخرى، الهيمنة hegemony التي لا توجد بشكل متكامل في حكم الطبقة في مؤسسات أو علاقات سياسية فحسب وإنما أيضاً في أنواع فعالة من التجربة والشعور. هكذا أصبح التركيز على هيمنة ومهيمن يشمل عوامل ثقافية بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية؛ بهذا المعنى هي تتميّز عن الفكرة البديلة : قاعدة base اقتصادية وبنية فوقية superstructure سياسية وثقافية، حيث تتغير البنية الفوقية بتغير القاعدة مهما كانت درجة التأثير غير مباشرة أو مهما تأخر التأثير. في مفهومها الواسع، فكرة هيمنة إذن فكرة مهمة، بشكل خاص في مجتمعات تكون فيها السياسة الانتخابية electoral politics والرأي العام عوامل مهمة ويعتمد فيها العمل الاجتماعي على القبول بأفكار معينة سائدة تعكس في الواقع متطلبات الطبقة السائدة. بخلاف أصناف قصوى من الحتمية DETERMINISM (ا م) الاقتصادية حيث يرتفع وينخفض النسق أو البنية STRUCTURE (ا م) الاقتصادية حسب قوانينها الخاصة، فإن الصراع من أجل الهيمنة يعتبر ضرورة أو عاملا حاسما في التغيير الجذري من أي نوع بما في ذلك أنواع كثيرة من التغيير في القاعدة.

انظر: **CULTURE ثقافة، IMPERIALISM امبريالية**

تاريـخ HISTORY

في استعمالها الأولى كانت history رواية سردية لأحداث. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية من (س م) histoire فرنسية، historia، لاتينية، من (س ب) istoria، يونانية، التي كان لها معنى مبكراً: «بحث وتحر»، ومعنى متطور: «نتائج البحث»، ومن ثم رواية المعلومات. في كل هذه الكلمات تراوح المعنى من قصة story أحداث إلى سرد أحداث ماضية، لكن كذلك كان معنى بحث حاضراً (قارن هيرودتس: «... لماذا دخلوا في حرب بينهم»). في الاستعمال الإنجليزي المبكر استخدمت كل من history وstory (اشتقت هذه الصيغة الإنجليزية البديلة من نفس الجذر) لرواية الأحداث سواء كانت متخيلة أو من المفترض أنها صحيحة. استمر استعمال history للأحداث المتخيلة بصيغة مخففة، خاصة في الروايات novels. لكن من ق 15 اتجهت history نحو سرد أحداث ماضية فعلية واتجهت story نحو نطاق يشمل روايات أقل رسمية لأحداث ماضية وروايات احداث متخيلة. من أواخر ق 15 كانت history تعني معرفة منظمة عن الماضي وكان ذلك امتدادا معمما من معنى رواية مكتوبة محددة السابق. تبعت الكلمات historian مؤرخ و historic وhistorical تاريخي بشكل رئيسي هذا المعنى العام لكن مع بعض المعاني المتبقية التي تدل على الكتابة الفعلية.

يمكن القول إن هذا المعنى العام الراسخ لتاريخ history استمر في الإنجليزية المعاصرة كمعنى سائد. لكن من الضروري تمييز معنى مهم لتاريخ history يشمل معرفة الماضي المنظمة لكنه يتجاوزها. ليس من اليسير تحديد تاريخ لذلك أو تعريفهْ لكن المصدر على الأرجح هو مفهوم تاريخ history كتطور بشري ذاتي ويتضح ذلك من أوائل ق 18 لدى فيكو Vico وفي أنواع أخرى من التواريخ الكلية أو الشاملة Universal Histories. كانت إحدى طرق التعبير عن هذا المفهوم الجديد هي اعتبار الأحداث الماضية ليس تواريخا histories محددة وإنما عملية مستمرة ومترابطة. بعد ذلك تصبح تنظيمات وتفسيرات مختلفة لهذه العملية المستمرة والمترابطة history تاريخاً بمفهوم عام جديد وفي النهاية معنى مجرداً. علاوة على ذلك، مع التركيز على التطور الذاتي تفقد history تاريخ في كثير من هذه الاستعمالات صلتها الحصرية بالماضي وتصبح مرتبطة ليس فقط بالحاضر ولكن أيضاً بالمستقبل. في الألمانية هناك تمييز لفظي يجعل هذا أوضح: تدل Historie بشكل رئيسي على الماضي بينما يمكن أن تشير Geschichte (والكلمة المرتبطة بها Geschichtsphilosophie) إلى عملية تشمل الماضي والحاضر والمستقبل. تعتمد history

بهذا المفهوم الحديث المثير للجدل على عدة أنواع من النسق الفكري: بشكل ملحوظ على مفهوم الأنوار Enlightment لتقدم أو تطور الحضارة CIVILIZATION (ا م)؛ على المفهوم المثالي idealist، كما هو عند هيجل، في عملية العالم التاريخي world-historical؛ وعلى مفهوم سياسي للقوى التاريخية historical forces المرتبط بشكل رئيسي بالثورة الفرنسية ولاحقاً بالحركة الاشتراكية وعلى وجه الخصوص بالماركسية ـ نتائج الماضي التي هي فعالة في الحاضر والتي تحدد المستقبل بطرق يمكن معرفتها. من الطبيعي كان هناك جدل بين هذه الصيغ المتباينة لمفهوم العملية وبينها جميعا وتلك التي تستمر في اعتبار التاريخ رواية او سلسلة من الروايات لأحداث ماضية حقيقية لايمكن بدقة تبين أية خطة فيها أو، أحياناً كبديل لذلك، لاتحتوي على أية إشارات ضرورية للمستقبل. حسب استعمالاتها في منتصف ق20، هناك ثلاثة معاني لتاريخانية historicism: (1) تعريف حيادي نسبيا لمنهج دراسة يعتمد على حقائق الماضي ويتتبع سوابق للاحداث الحالية؛ (2) توكيد متعمد على ظروف وسياقات تاريخية متقلبة يجب عن طريقها تفسير كل الأحداث المحددة؛ (3) معنى معاد فيه مهاجمة كل أنواع التفسير أو التنبؤ عن طريق "ضرورة تاريخية» أو اكتشاف «قوانين تطور تاريخي» عامة (قارن بوبر Popper). ليس من السهل دائماً تمييز هذا النوع من الهجوم على تاريخانية الذي يرفض أفكار مستقبل حتمي أو حتى مرجح من هجوم مشابه على مفهوم أي مستقبل future (في معناه المتخصص كحياة افضل أو اكثر تطوراً) يستعمل دروس التاريخ بطريقة معممة جداً (تاريخ history كحكاية حوادث، أحداث غير متوقعة، إحباط أهداف مقصودة) كطرح خاصة ضد الأمل. رغم أن هذا المعنى الأخير لتاريخ لايقبل أو يدرك بهذه الطريقة إلا أنه على الأرجح صيغة خاصة من ق 20 لتاريخ history كعملية عامة لكنه يستخدم الآن في تضاد مع مفهوم الانجاز أو الأمل الذي كان للصيغ السابقة والمستمر الفعالية وذلك للدلالة على نمط عام للإحباط والهزيمة.

لذا ليس من السهل القول أي مفهوم لتاريخ history هو السائد حالياً. تبقى historian مؤرخ دقيقة بمعناها السابق. ترتبط historical بشكل رئيسى ولكن ليس حصرياً بهذا المفهوم للماضي لكن تستعمل historic في الغالب لتشمل مفهوم عملية أو مصير. تحتفظ تاريخ history نفسها بكامل معانيها ولاتزال تسرد أو توضح، حسب القراءات المختلفة، معظم أنواع الماضي الذي يمكن معرفته وتقريباً كل أنواع المستقبل الذي يمكن تخيله.

انظر: **DETERMINE يحدِّد، EVOLUTION تطور/نشوء**

إنسانية HUMANITY

تنتمي الكلمة humanity إلى مجموعة معقدة من الكلمات تشمل human إنسان/ إنساني، humane شفوق، humanism حركة أو فلسفة إنسانية، humanist الصفة منها، humanitarian، خيري، إحساني، وتمثل هذه الكلمات في بعض أو جميع معانيها تعيينات محددة للكلمة الجذر لإنسان (man homo، hominis، لاتينية: رجل، يتعلق برجل؛ humanus، لاتينية: يخص أو يتعلق برجال).

من الضروري في البداية إدراك الفرق بين human انسان و humane شفوق، الذي أصبح مستقرا في صيغته الجديدة فقط من أوائل ق 18. قبل ذلك كانت humane هي التهجية المعتادة لنطاق من المعاني يمكن تلخيصه بأنه العناصر المميزة او الفارقة للرجال بالمفهوم العام (قارن MAN) للجنس البشري. (كل الرجال human بشر، أو كما في التهجية السابقة humane، لكن كل الناس humans هم إما رجال (بمعنى ذكر المحدد) أو نساء أو أطفال.) دلت استعمالات humane الأولى على الفطرة البشرية، لغة بشرية، عقل بشري، لكن كان هناك أيضا من أوائل ق 16 استعمال لـ humane يعني رؤوف، رقيق، دمث، عطوف. بعد أوائل ق 18 انحصرت التهجية القديمة على الكلمة المستقلة humane بالمعاني المذكورة توا بينما أصبحت human مألوفة للاستعمال الأعم.

لإنسانية humanity تطور مشابه، لكن فيه اختلافا. استعملت أولا في أواخر ق 14، من (س م) humanité فرنسية، وكان لها مفهوم أولى أقرب إلى humane شفوق التي يحدد تعريفها من human انسان/انساني العامة. ظهرت في الاستعمال القروسطي مرادفة لدماثة وأدب ولباقة، ولا بد أن يرتبط هذا، دونما أن يكون مطابقاً، بتطور umanita، إيطالية، humanité، فرنسية من humanitas، لاتينية، التي تضمنت معنى واضحاً للطف وكياسة civility. كذلك كان لـ humanitas، معنى محددا هاما يدل على التهذيب الذهني والتربية العقلية liberal education؛ هكذا هي ترتبط بمجموعة الكلمات الحديثة cultivation تهذيب/رعاية، CULTURE ثقافة و CIVILIZATION حضارة (ا م م). التطور في الإنجليزية من أوائل ق 16 معقد. توسع مفهوم دماثة وأدب إلى لطف وكرم: «انسانية ... هي الإسم العام لتلك الفضائل التي تظهر المحبة والوئام المتبادل كجزء من طبيعة الإنسان» (إليوت Elyot، 1531) لكن هناك أيضاً من أواخر ق 15 استعمال لإنسانية humanity يميزها عن divinity ألوهية/ لاهوت. ارتكز هذا (قارن Panofsky) على الاستبدال القروسطي للتعارض بين إنسانية humanity قاصرة وألوهية مطلقة بالتضاد الكلاسيكي

الأقدم بين انسانية humanity وما هو أدنى من الانسان human سواء أكان ذلك حيوانا أو (وهذا مهم) بربريا. إذن كان هناك من ق16 جدل وتعقيد في التعبير يشمل معاني تمتد من انجاز مصقول إلى قصور طبيعي. بناء على هذا المفهوم عن بعض ممثلي المسرح «كفاقدي لهجة المسيحيين، مشية المسيحيين أو الوثنيين أو حتى الانسان» فكر هاملت شكسبير أن «بعض صناع الطبيعة المهرة خلقوا رجالاً لكن لم يحسنوا خلقهم، إنهم يقلدون الانسان(ية) Humanity بشكل رديء» (هاملت). لكن قارن: «سأبدل انسانيتي humanity ببابون (قرد)» (عطيل).

مع ذلك لم يكن شائعاً بالفعل استعمال انسانية بمفهومها الأكثر تجريداً لتدل على جملة خصال أو سجاياً بشرية قبل ق 18 رغم أنها أصبحت شائعة تماماً بعد ذلك. كانت هناك لا تزال بقية من المعنى الذي يشمل دماثة ولطف وكان هناك كذلك المعنى المتطور من umanitá وhumanitas الذي يدل على نوع معين من التعليم. كانت هناك استعمالات في ق 15 وق 16 لإنسانية humanity كنوع من التعليم متميز عن اللاهوت وحدد بيكون «ثلاثة معارف: فلسفة إلهية، فلسفة طبيعية وفلسفة انسانية أو إنسانيات Humanitie» (Advancement of Learning). لكن في الاستعمال الأكاديمي أصبحت humanity معادلة لما نسميه الآن classics كلاسيكيات وعلى وجه الخصوص الكلاسيكيات اللاتينية (لاتزال هناك استعمالات متبقية بهذا المعنى). من ق 18 اصبحت الصيغة الفرنسية the humanities (Les humanités) الإنسانيات أكثر شيوعاً بطريقة متزايدة في الاستعمال الأكاديمي وما يتصل به مؤدياً في النهاية الى إضافة الأدب والفلسفة الحديثين إلى الكلاسيكيات. استمر هذا الاستعمال معتادا في الإنجليزية الأمريكية في تمييز له عن التصنيف البريطاني الأكثر ذيوعا THE ARTS الآداب (ا م).

تنعكس بعض هذه المعاني في تطور humanist وفي النهاية humanism. على الأرجح استعيرت humanist مباشرة من umanista الإيطالية التي كانت من أوائل ق 16 كلمة مهمة في عصر النهضة. كانت لها في أواخر ق 16 معاني معادلة لكل من classicist دارس الكلاسيكيات ودارس المواضيع الانسانية human وليست الإلهية. هذه صعوبة حقيقية ترتبط من جهة بالتمييزات الباقية بين علم «وثني» وعلم «مسيحي»، ومن جهة أخرى بتمييزات بين «متعلمين» learned (كما هي محددة حسب اللغات الكلاسيكية) وسواهم. هناك أيضاً صلة أبعد تتعلق بالصفة المزدوجة للنهضة: ميلاد جديد أو إحياء rebirth المعارف القديمة؛ الأنواع الجديدة من الاهتمام بالإنسان وبالنشاطات البشرية. مع هذا

التعقيد فإنه ليس مدهشا وجود استعمال من أوائل ق 17 لإنساني humanist (موريسون Moryson، 1617) لوصف شخص مهتم بتاريخ وشئون الدولة. يبدو أن استعمال humanist لوصف فرد في مجموعة دارسين بارزين في عصر النهضة وإحياء العلوم أتى لاحقاً في ق 17 لكنه شاع منذ ذلك الوقت.

من ناحية أخرى راجح أن humanism استعيرت مباشرة من Humanismus، صيغة ألمانية من أواخر ق 18 اعتمدت على مفهوم انسانية humanity المجرد المتطور. إن النقاش المعقد الناجم، الذي ينتمي في جوهره إلى التطور المعاصر ل «ثقافة» CULTURE و«حضارة» CIVILIZATION (ا م م)، هو في الحقيقة موقف من الدين وأصبحت humanism شائعة بهذا المعنى (ككلمة إيجابية مفضلة على إلحاد atheism السلبية). لكن استقر في ق 19 معنى أوسع لإنسانية humanism يرتبط بأفكار ما بعد الأنوار عن التاريخ HISTORY (ا م) كتطوير وتحسين إنساني ذاتي، وتداخل هذا مع مفهوم جديد لإنسانية humanism يدل على معنى متطور لإنساني humanist وإنسانيات the humanities: نوع معين من التعليم يرتبط بمواقف معينة من الثقافة CULTURE والتطور أو الكمال البشري.

ظهرت humanitarian أول مرة في بداية ق 19 في سياق الجدل حول الدين: تصف الوضع الذي تم منه إثبات كون المسيح إنساناً وليس إلها. لاحظ مور Moore (مذكرات، 1819) أن أحد معارفه «صدم كنحوي بالكلمة أكثر من كونه رجل دين في طائفة». اتخذت الكلمة هذه الصيغة بالقياس مع unitarian موحِّد و trinitarian مؤمن بالثالوث، لكن هذه حالما تم تجاوزها. عن طريق الارتباط بمعنى humanism الدال على التطور، وأهم من ذلك عن طريق الارتباط بأنواع جديدة من النشاط والمواقف المتعلقة بمعنى humane عطوف المحدد الآن، أصبحت humanitarian مستقرة من منتصف ق 19 بمعنى ممارسة أو اهتمام عام مدروس بالرفاهية WELFARE (ا م). (هناك معنى خاص فيه مفارقة: قاتل رحيم humane killer، منتصف ق 20.) من اللافت أنه خلال معظم ق 19 كان استعمال humanitarian عدائي أو ازدرائي (كما هو الحال في منتصف ق 20 للعبارة do gooder فويعل خير) لكنها الآن من أقل الكلمات إثارة للنزاع. من الأرجح أن تعميمها الاجتماعي لما اعتبر أعمالاً ومواقف فردية ومحلية هو ما أثار ذلك العداء (قارن رفاهية welfare في ق20).

من الضروري إضافة ملاحظة نهائية عن human في وسط ق20. بالطبع هي الآن مألوفة بمعاني عامة ومجردة. كذلك تستعمل بشكل شائع للدلالة على حميمية وود (شخص

آدمي human جداً). لكن هناك أيضاً استعمال مهم يدل على ما يمكن تسميته قابلية الخطأ المغفورة condoned fallibility (غلطة بشرية «human error»، غلطة بشرية طبيعية «natural human error») ويتوسع ذلك في بعض الاستعمالات ليدل على شئ أبعد من هذه الملاحظة المحايدة نسبيا. العبارة «كان له بالرغم من ذلك جانب إنساني « human» لاتعني بالضرورة أن رجلاً محترماً كان عرضة للخطأ فحسب، وإنما يمكن أن تعني أيضاً أنه كان مرتبكاً أو، في بعض الاستعمالات، أنه ارتكب أعمالاً عدة من اللؤم أو الخديعة أو حتى جرماً. (قارن، كانت جين أوستين إنسانة جداً أيضاً: أي أنها كانت حاقدة بل قاسية وفجة أحياناً (مجلة التلفزيون TV Times، 15 ـ 21 ـ نوفمبر 1975). يرتبط المعنى، بوضوح، بالمعنى التقليدي: من طبيعة الانسان human ليس فقط أن يخطئ ولكن أن يرتكب إثماً. لكن اللافت بخصوص الاستعمال المعاصر، خاصة في الثقافة البرجوازية الحديثة السائدة، هو أنه أعيد تقييم إثم «sin» بحيث أن أفعالا كانت توصف في السابق بهذه الصفة كدليل على أخطاء البشرية humanity (مقارنة بكمال الإله) تقدم الآن، بمعنى الاستحسان الذي ليس هو على الدوام ساخرا أو مقنّعا، كبرهان على كون الشخص إنساناً human (ووصف «محبوب» ليس بالبعيد).

انظر: ISMS أسماء صناعية، CULTURE ثقافة، CIVILIZATION حضارة، MAN رجل/انسان، SEX جنس، WELFARE رفاهية

مثاليـــة IDEALISM

هناك معنيان رئيسيان لمثالية idealism: (1) معناها الفلسفي الأصلي حيث يعتقد، مع تنويعات كثيرة في التعريف، أن الأفكار تشكل الأساس وتحدد كل الواقع؛ (2) معنى حديث أشمل لطريقة تفكير حيث تعتبر حالة أفضل أو أسمى هي طريقة الحكم على السلوك أو للدلالة على فعل. احدى الصعوبات الحاسمة لمعنى (2) هي أنها تستعمل، خصوصاً في بعض مشتقاتها، بطريقة فضفاضة في الغالب لكل من المدح والذم.

استعملت idealism في الإنجليزية من أواخر ق 18، وكانت سابقتها المباشرة (س م) هي idealisme، فرنسية، وخاصة idealismus، ألمانية. سبقتها بهذا المعنى الفلسفي idealist مثالي، من أوائل ق 18. ترجع الإحالة الحاسمة إلى الفكر اليوناني، خاصة افلاطون، وكانت idea موجودة في الإنجليزية بهذا المعنى من منتصف ق 15، رغم أن صيغتها الأكثر شيوعاً حتى أواخر ق 16 كانت idee. أصلها البعيد (س ب)هو idea يونانية، من الفعل «يرى» ولها معاني تمتد من مظهر appearance وشكل form إلى

النموذج أو النمط الأفلاطوني. للكلمة idea معاني مختلفة: (1) نموذج مثالي ideal type، شائعة من ق 15، (2) شكل، صورة، من ق 16، (3) فكر أو اعتقاد، من ق 17. لم يتطور اسم عام لمعنى (3) مثل ideation أو ايديولوجيا إلا في أوائل ق 19 بعد استعمالات idealism المحددة.

يشير الاستعمال الفيلسوفي المحدد بشكل واضح الى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية في أواخر ق 18 وأوائل ق 19، لكن مع إلماع إلى الماضي، ليس فقط إلى افلاطون وإنما أيضا لفلاسفة إنجليز مثل بريكلي. لكن تقريباً في نفس الفترة كان هناك قلب للمعنى فيما يتعلق بالفن والفكر الاجتماعي. افترضت المثالية idealism في الفلسفة في كل تنويعاتها المهمة، أن الأفكار idea أساسية، سواء كانت هذه هي الفكرة Idea أو الأفكار Ideas سماوية أو شاملة، أو كانت هذه الأفكار هي المكوّنة للوعي البشري. واضح أن قلب المعنى بدأ من الإشارة إلى الوعي البشري. بدأت idealism وidealist مثالي تستعملان من أواخر ق 18، وخصوصاً من أوائل ق 19 ليس للدلالة على الوعي كنشاط أساسي ومكوّن بقدر ما هي دلالة على نوع خاص من الوعي يُضفى بصورة تخيلية صفات معينة على شيء ما (وذلك في تعارض مع المعنى الرئيسي للمثالية الفلسفية الذي يستمد فيه الشئ خصائصه بالضرورة من الوعي). وصف الفعل الجديد idealize، من أوائل ق 19، خاصة في استعمالاته الأولى، عمليات الفن ART (ا م). لم يكن شائعاً توسع الكلمة إلى عملية أكثر شمولاً للسموّ التخيلي قبل منتصف ق 19 عندما بدأت تكتسب معنى سلبياً للزيف المصاحب (idealization). كذلك تطورت معاني idealism وidealist السلبية من ق 19؛ بحلول 1884 كانت هناك العبارة الدالة الآن: مجرد مثالي «mere idealist».

يمكن توضيح تعقيدات المعنى اللاحقة بازدواج التضادين pairing opposites. كانت هناك idealism في تضاد مع MATERIALISM مادية (ا م): في الأساس معارضة فلسفية لكن في ق 20 توسعت، بشكل خاص عن طريق توسع كل من التعبيرين، إلى تمييز هو في الواقع بين نكران الذات «إيثار altruism» واستئثار: تمييز ليست له أية صلة بالنقاش الفلسفى، مهما قد تكون له من جدارة أخرى، رغم أنه في الغالب يلتبس معه في الجدل الاجتماعي. وهناك تعارض idealism مع realism واقعية: في الأصل هو أيضاً تمييز فلسفي، وله تطور مقارب لوصف أنماط وعمليات فن، لوصف تضاد هو في الواقع بين غير عملي وعملي practical/impractical، خاصة في الكلمتين المشتقتين: idealistic وrealistic. ثم هناك idealism كمفهوم اجتماعي وأخلاقي إيجابي في تضاد مع إما أنانية،

مصلحة ذاتية أو لامبالاة، أو مع ضيق أفق شامل general narrowness of outlook. حيث أن كل هذه الاستعمالات الحالية تتعايش في نقاش فلسفي مستمر ومهم، هو في حد ذاته معقد بشكل فائق، فإن مثالية idealism هي بوضوح كلمة تتطلب فحصاً دقيقا كلما تستعمل.

انظر: **IDOLOGY ايديولوجيا، MATERIALISM مادية، NATURALISM طبيعية، PHILOSOPHY فلسفة، REALISM واقعية**

IDEOLOGY ايديولوجيا

ظهرت ايديولوجيا أول مرة في الإنجليزية في 1796 كترجمة مباشرة للكلمة الفرنسية الجديدة idéologie التي اقترحها ذلك العالم الفيلسوف العقلاني rationalist ديستت تريسي Destutt Tracy. كتب تايلور «Taylor (1796) قرأ تريسي بحثا واقترح تسمية فلسفة العقل ايديولوجيا». كذلك كتب تايلور (1797). «... ايديولوجيا أو علم الافكار ideas، من أجل تمييزها عن ميتافيريقية القديمة». بهذا المعنى العلمي استعملت ايديولوجيا في الابيستمولوجيا والنظرية اللغوية حتى أواخر ق 19.

روج نابليون بونابارت معنى مختلفاً وبذلك مهّد للمعنى الجديد الرئيسي. في هجوم على مناصري الديمقراطية ـ «الذين ضللوا الناس بمنحهم سيادة ليس في مقدورهم ممارستها» ـ هاجم مبادئ التنوير على أنها «ايديولوجيا»: «يجب عزو كل المحن التي ألمت ببلدنا فرنسا الجميلة الى تعليمات الإيديولوجيين ideologues ـ لهذه الميتافيريقية المسهبة التي تسعى بطريقة بارعة محتالة للتوصل إلى الأسباب الرئيسية وعلى قواعدها ترسي تشريع الناس بدلاً من تبني قوانين حسب معرفة القلب البشري ودروس التاريخ». دوى هذا الاستعمال طيلة ق 19. لايزال شائعاً في النقد المحافظ لأية سياسة اجتماعية تستمد جزئياً أو كلياً من نظرية اجتماعية بطريقة مدروسة. تستعمل بشكل خاص فيما يتعلق بالسياسات الديمقراطية أو الاشتراكية، وفي الواقع في ق 19 كانت ايديولوجي ideologist، تبعا لاستعمال نابليون، معادلة في الغالب لثوري revolutionary. لكن كذلك اكتسبت ideologist وideology وideological عن طريق توسع من مفهوم نابليون معنى نظرية متعصبة، غير عملية أو مجردة. من اللافت قراءة ما كتبه سكوت Scott (نابليون، ج 4، 215) آخذين في الاعتبار تاريخ الكلمة اللاحق: «اعتقد نابليون أن ايديولوجيا، وهي الكنية التي استعملها الحاكم الفرنسي لتحديد كل أنواع التنظير الذي لايرتكز بأي شكل على قاعدة مصلحة ذاتية، يمكن أن تسود فقط عند صبية سريعي الاهتياج أو متحمسين مختلي

العقل». حاول كارلايل Carlyle الذي كان على علم بهذا الاستعمال أن يعارضه: «هل يسمى القارئ الإنجليزي ... مبدأنا البغيض هذا ايديولوجيا؟» (Chartism, vi, 1839, 148).

هناك، إذن، استمرارية واضحة بين معنى ايديولوجيا الازدرائي، كما استعمله المفكرون المحافظون في أوائل ق 19، والمعنى الازدرائي الذي روجه ماركس وإنجلز في «الأيديولوجية الألمانية» (1845 ـ 7) وبعد ذلك. ميز سكوت ايديولوجيا كنظرية «لاترتكز بأي شكل على قاعدة مصلحة ذاتية» رغم أن البديل (المبهم بطريق مناسبة) الذي قدمه نابليون فعلاً هو «معرفة القلب البشري ودروس التاريخ». في نقدهما لفكر معاصريهما الألمان الراديكاليين، ركّز ماركس وانجلز على تجريدها بناء على عمليات التاريخ الفعلية. كما ذكرا، خاصة فيما يتعلق بالأفكار المسيطرة لحقبة، «الأفكار ليست أكثر من التعبير النموذجي للعلاقات المادية المهيمنة، العلاقات المادية مُدركة كأفكار». الفشل في ادراك ذلك ينتج ايديولوجيا: نسخة مقلوبة للواقع. «لو كان الناس وظروفهم في كل الايديولوجيا يظهرون بالمقلوب كما في الحجرة المظلمة فإن هذه الظاهرة تنبع بنفس المقدار من عملية حياتهم التاريخية كما هو الحال في قلب الاشياء على شبكة العين من عملية حياتها الفيزيائية» (الايديولوجية الألمانية، 47). أو كما صاغها إنجلز لاحقاً: «كل ايديولوجيا... حالما تنشأ تتطور بالنسبة للمادة - المفهوم، وتطور بدورها هذه المادة أكثر؛ وإلا فإنها ستكف عن كونها ايديولوجيا، أي انشغال بأفكار يعادل الانشغال بكيانات مستقلة، وتتطور هذه الأفكار باستقلالية وتخضع فقط لقوانينها الذاتية. كون ظروف الحياة المادية للناس الذين تجرى هذه العملية الذهنية داخل رؤوسهم تحدد في المقام الأخير مسار هذه العملية الذهنية يبقى بالضرورة مجهولاً من قبل هؤلاء الناس وإلا فستكون هناك نهاية لكل الايديولوجيا» (فيورباخ، 65 ـ 66)، وكذلك: «ايديولوجيا هي عملية تنجز من قبل مايدعى مفكّر بطريقة واعية بالفعل لكن بوعي زائف. تبقى الدوافع العقلية التي تحرضه غائبة عنه، وإلا فلن تكون أبداً عملية ايديولوجية. من ثم يتخيل دوافع زائفة أو ظاهرية. لأنها عملية تفكير فإنه يستمد شكلها ومحتواها من فكر محض، سواء فكره هو أو فكر سلفه (Letters to Mehring، 1893). الايديولوجيا، إذن، فكر زائف ومجرد يرتبط بشكل ما ارتباطاً وثيقاً بالاستعمال المحافظ الأصلي للكلمة لكن مع طرح البديل بطريقة مختلفة : معرفة الظروف والعلاقات المادية الفعلية. فيما بعد استعمل ماركس وانجلز هذه الفكرة بطريقة نقدية. «مفكرو» الطبقة الحاكمة هم «ايديولوجيو مفاهيمها النشطين الذين يجعلون اتمام وهم تلك الطبقة عن نفسها مصدر رزقهم الرئيسى». (الايديولوجية الالمانية، 65). أو كما في استشهاد آخر: «كان الممثلون الرسميون للديمقراطية الفرنسية منغمسين في ايديولوجيا

الجمهورية لدرجة أنه لم يبدأ يساورهم شعور بأهمية صراع يونية إلا بعد عدة أسابيع» (الصراعات الطبقية في فرنسا، 1850). يسود في أعمالهم مفهوم ايديولوجيا كوهم، وعي زائف، عدم واقعية، واقع مقلوب. اعتقد انجلز أن الأيديولوجيتين الأسميين «higher ideologies» ـ الفلسفة والدين ـ كانتا أبعد عن الاهتمامات المادية من الأيديولوجيتين المباشرتين ـ السياسة والقانون - لكن الصلة بينهما، رغم كونها معقدة، كانت لاتزال حاسمة (فيورباخ Feuerbach، 277). كانت هذه الأيديولوجيات الأسمى «عوالم من الأيديولوجيا تحلق عاليا ... تصورات مختلفة زائفة عن الطبيعة وكينونة الأنسان والروح وقوى السحر، الخ». (Letters to Schmidt) (1890). استمر هذا المفهوم.

لكن كان هناك معنى آخر لايديولوجيا يبدو أكثر حيادية نجده في بعض كتابات ماركس، بشكل ملحوظ في فقرة مشهورة في The Contribution to the Critique of Political Philosophy: (1859) «يجب التمييز بين التحول المادي لظروف الانتاج الاقتصادية ... والأشكال القانونية أو السياسية أو الدينية أو الجمالية أو الفلسفية ـ باختصار الايديولوجية التي يصبح فيها الناس على وعي بهذا النزاع ومن ثم يتقاتلوا بشأنه». بوضوح يرتبط هذا بطرف من المفهوم السابق: «الأشكال الايديولوجية هي تعبير عن (تغيرات في) ظروف الانتاج الاقتصادية. لكن ينظر إليها هنا كأشكال يصبح فيها الناس على «وعي» بالنزاع الناشئ من ظروف وتغييرات في تلك الظروف المتعلقة بالانتاج الاقتصادي. من الصعب التوفيق بين هذا المفهوم ومفهوم ايديولوجيا كمجرد وهم.

في الواقع كان في القرن الماضي لمفهوم ايديولوجيا هذا، كجملة أفكار تنشأ من مجموعة مصالح مادية مفترضة أو، بشكل أعم، من مجموعة أو طبقة محددة، على الأقل نفس الدرجة من الذيوع مثل مفهوم ايديولوجيا كوهم. علاوة على ذلك، استعمل كل من المفهومين، أحياناً بطريقة مشوشة، ضمن التراث الماركسي. بوضوح ليس هناك أي مفهوم لوهم أو وعي زائف في فقرة مثل هذه عند لينين: «للمدى الذي تكون فيه الايديولوجيا هي صراع الطبقة الكادحة (البروليتاريا) فإن الاشتراكية تخضع لظروف ميلاد وتطور وترسيخ تلك الايديولوجيا؛ بعبارة أخرى تعتمد على كل مكونات المعرفة البشرية وتفترض درجة عالية من العلم science وتتطلب عملا علميا scientific، الخ ... في صراع البروليتاريا الطبقي الذي ينشأ تلقائياً، كقوة طبيعية، بناءً على علاقات رأسمالية، يقدم الايديولوجيون: «الاشتراكية» (Letter to the Federation of the North).

هناك إذن «ايديولوجيا بروليتالية» «و ايديولوجيا برجوازية» وسواهما، والايديولوجيا في

كل حالة هي نسق الأفكار الملائم لتلك الطبقة. يمكن الادعاء بأن ايديولوجية ما صحيحة وتقدمية في تضاد مع ايديولجية أخرى. بالطبع من الممكن إضافة أن الايديولوجية الأخرى التي تمثل العدو الطبقي وتعبّر فيه عن مصالح طبقتها تكون زائفة بالنسبة لأية مصلحة انسانية عامة؛ عندئذ يمكن ربط مفهوم وهم ووعي زائف السابق بطريقة فضفاضة بما هو بشكل رئيسي وصف للطبيعة الطبقية لأفكار معينة. لكن في الواقع أصبح هذا المفهوم لايديولوجيا، الحيادي نسبياً والذي يتطلب عادة إضافة صفة تحدد المجموعة أو الطبقة الاجتماعية التي تمثلها أو تخدمها، شائعاً في أنواع كثيرة من النقاش. في نفس الوقت، في الماركسية كما في سواها، هناك تمييز مألوف بين ايديولوجيا وعلم SCIENCE (ا م) بغرض الاحتفاظ بمفهوم فكر وهمي أو فكر تجريدي فقط. هذا يطور التمييز الذي اقترحه إنجلز والذي تنتهي فيه الايديولوجيا عندما يدرك الناس ظروف حياتهم الفعلية وبالتالي دوافعهم الفعلية ويصبح بعد ذلك وعيهم علميا scientific بطريقة صادقة لأنهم سيكونون على صلة بالواقع (قارن Suvin). بالطبع كانت محاولة التمييز هذه بين الماركسية على أنها علم science والفكر الاجتماعي الآخر على أنه ايديولوجيا موضع خلاف بين الماركسيين أنفسهم. في نطاق «علوم اجتماعية» العريض هناك تمييز مألوف بين ايديولوجيا (نظم تأملية speculative systems) وعلم science (حقائق مثبتة demonstrated facts).

في الوقت الراهن، في النقاش الرائج، لايزال يستعمل بشكل رئيسي المعنى الذي حدده نابليون. يعتمد الناس العقلاء على الخبرة EXPRRIENCE (ا م) أو تكون لهم فلسفة ويعتمد السخفاء على ايديولوجيا. بهذا المعنى تعتبر ايديولوجيا بشكل رئيسي الآن تعبير استهجان كما كانت عند نابليون.

انظر: DOCTRINAIRE **نظري/غير عملي**، EXPERIENCE **خبرة**، IDEALISM **مثالية**، PHILOSOPHY **فلسفة**، SCIENCE **علم**

صورة IMAGE

كان معنى image المبكر في الإنجليزية، من ق 13 هو: شكل مجسّم أو تشابه. هذا هو أيضا المعنى الأول للأصل البعيد imago (لاتينية) التي مع ذلك طورت أيضا معنى شبح، خيال، طيف، ومعنى فكرة أو مفهوم. هناك على الأرجح صلة جذرية بتطور imitate يقلد، لكن كما في كلمات كثيرة تصف هذه العمليات (قارن vision رؤيا و idea فكرة) هناك توتر شديد بين أفكار «نسخ» copying وأفكار خيال imamigination وخيالي imaginary. كل من هذه دلت في الإنجليزية على الدوام على مفاهيم ذهنية بما في ذلك

معنى سابق لرؤية مالم يكن موجوداً، فضلا عن مالم يكن مرئياً بوضوح. لم يكن لها ذلك المعنى السلبي الذي التصق بها فيما بعد.

كان المعنى المادي للكلمة image سائداً حتى ق 17، لكن من ق 16 استقر المعنى الأعم الذي حمل اشارة ذهنية طاغية، ومن ق 17 كان هناك استعمال مهم ارتبط بالنقاش حول الأدب ودل على «تشبيه» أو استعارة (figure of writing or speech). لايزال المعنى المادي موجودا في الإنجليزية المعاصرة لكنه اكتسب ايحاءات غير مواتية فيها تداخل مع idol وثن، تمثال. لايزال المعنى العام لتصور ذهني (قارن «. . . the image of»)، صورة ... : نموذج دال أو ممثّل) معتادا والاستعمال المتخصص في الأدب شائعاً.

لكن في بعض الأحيان يبدو أنه تم تجاوز كل هذه الاستعمالات من قبل استعمال image المرتبط بالدعاية publicity الذي يمكن اعتباره قائما على معنى «تخيل conception» أو «نموذج دال» السابقين، كما في «brand image» صورة العلامة التجارية أو اهتمام رجل السياسة بصورته his image. في الحقيقة هذا تعبير اصطلاحي (رطانة) في مجال الاعلان والعلاقات العامة. تعززت صلته وتوثقت بسبب الاهتمام المتزايد لوسائل الاعلام المرئي مثل التلفزيون. تطور بالفعل معنى image في الأدب والرسم لدرجة أن الكلمة استعملت لوصف الوحدات الأساسية المكونة للفيلم. في الواقع يدعم هذا المعنى التقني عمليات صورة image التجارية والموجّهة بصفتها «سمعة» أو «صيت» مدرك. من اللافت أن معاني خيال، تصور imagination وبوجه خاص imaginary خيالي يتم تجنبها في استعمال صورة image في الدعاية والسياسة في منتصف ق20.

انظر: **FICTION خيال/رواية، IDEALISM مثالية، REALISM واقعية**

إمبريالية IMPERIALISM

تطورت إمبريالية ككلمة خلال النصف الثاني من ق 19. إمبريالى imperialist أكثر قدما، لكنها حتى أواخر ق 19 عنت موال لإمبراطور أو لنظام حكم امبريالي. كانت إمبريالي imperial ذاتها في الإنجليزية بنفس المعنى القديم من ق 14؛ (س م) imperialis، (س ب) imperium، لاتينية: سلطة، سيادة عليا.

تطورت إمبريالية، وإمبريالي بمعناها الحديث، بشكل رئيسي في الإنجليزية، خاصة بعد 1870. كان معناها دائما موضع نزاع حيث قدمت تبريرات وتفسيرات مختلفة لنظام تجارة استعمارية منظّم وحكم استعماري منظّم. مع ظهور إمبرياليات منافسة تبدل الجدل

داخل بريطانيا بشكل واضح. كان هناك نقاش مؤيد ومعارض للتحكم في المستعمرات عسكريا بغرض ابقائها ضمن نظام اقتصادي واحد، الذي عادة ما يكون حمائيا portectionist. كذلك كانت هناك حملة سياسية طويلة من أجل مساواة «الإمبريالية» بالحضارة CIVILIZAION (ا م) الحديثة والمهمة الحضارية «civilizing mission».

اكتسبت امبريالية دلالة محددة في أوائل ق 20 في أعمال عدد من الكتاب ـ كوتسكي Koutsky، باور Baur، هوبسن Hobson، هيلفردنج Hilferding، ولينين ـ الذين يربطون بطرق مختلفة ظاهرة الإمبريالية الحديثة بمرحلة معينة من تطور الاقتصاد الرأسمالي CAPITALIST (ا م). هناك أدبيات ضخمة ومستمرة عن هذا الموضوع. كان لتأثيرها الرئيسي على استعمالات الكلمة انقسام واضح، وأحياناً التباس بين تركيز على نظام سياسي أو نظام اقتصادي. لو كانت الامبريالية، كما عرفت عادة في أواخر ق 19 في إنجلترا بالدرجة الأولى، نظاماً سياسياً يتم حكم المستعمرات فيه من مركز امبريالي لأسباب اقتصادية إلى جانب أسباب أخرى اعتبرت مهمة، فإنه يمكن وصف منح الاستقلال أو الحكم الذاتي لاحقا لهذه المستعمرات، كما حدث فعلاً، «بنهاية الإمبريالية». من ناحية أخرى، لو فهمت الإمبريالية في المقام الأول كنظام اقتصادي للاستثمار الخارجي والتغلغل والتحكم في أسواق ومصادر المواد الأولية، فإن التغييرات السياسية في وضع المستعمرات أو المستعمرات السابقة لن يؤثر كثيراً على وصف النظام الاقتصادي المستمر بإمبريالى، وفي الطرح السياسي الحالي غالبا مايلفها الغموض فتبدو ذات معنى ملتبس. هذا هو الوضع بالنسبة لـ «الإمبريالية الأمريكية»، حيث للدلالة السياسية عموماً أهمية أقل، خصوصاً إذا ما حملت الكلمة معنى ق 19 كحكم مباشر من مركز إمبريالى، لكن لا تزال صحيحة حيث الدلالة بشكل رئيسى اقتصادية، بما يتضمنه ذلك من تحكم سياسي وعسكرى. استعملت الكلمة بشكل واسع منذ منتصف ق20 بصيغتها المركبة neo-imperialism امبريالية جديدة وبصيغة أضيق neo-colonialism كولونيالية جديدة لكى تصف هذا النوع الأخير من الإمبريالية. في نفس الوقت تم إحياء صيغ تحمل المعنى القديم في أوصاف معارضة: " إمبريالية سوفياتية»، وفي الصيغة الصينية «إمبريالية إشتراكية» لوصف إما الطبيعة الاقتصادية أو السياسية لعلاقات الإتحاد السوفيتي بالدول التابعة (قارن «الإمبراطورية السوفياتية Soviet Empire»). هكذا تستخدم نفس الكلمة النافذة، والتي يكاد يكون الآن معناها دائما سلبيا، للدلالة على نظم سياسية واقتصادية مختلفة جذرياً ومتعارضة. لكن كما في حالة ديمقراطية DEMOCRACY (ا م) التي تستعمل بمعنى ايجابي لوصف نظم سياسية متعارضة فإنه لايمكن اختزال إمبريالية دلاليا إلى معنى واحد صحيح، مثلها في ذلك مثل أية كلمة تدل

على صراعات سياسية واقتصادية أساسية. تشير تنويعات المعاني التاريخية والمعاصرة الهامة للكلمة إلى عمليات فعلية يجب دراستها وفقاً لمعطياتها.

انظر: HEGEMONY **هيمنة**، NATIVE **وطني**، WESTERN **غربي**

يحسن IMPROVE

الكلمة improve مثال لافت لتطور معنى عام من معنى أكثر تحديداً. دخلت الإنجليزية، في البداية بصيغ تهجية كثيرة، من (س م) en preu فرنسية قديمة، (س ب) pros: يربح profit. في استعمالاتها الأولى أشارت إلى عمليات ربح مادي حيث كانت غالباً معادلة ليستثمر invest وأشارت بشكل خاص إلى عمليات أراض أو ما يتعلق بها، في الغالب تحويش أراضي عامة أو قاحلة. من ق 16 الى أواخر ق 18 كان المعنى السائد هو عمليات «رابحة» مرتبطة بالأرض؛ في ق 18 كانت كلمة أساسية تعبر عن نمو الرأسمالية الزراعية الناهضة، ولا تزال عبارات مثل: «using to make a profit» استعمال لجني ربح و«improve the occasion» يحسن استغلال الفرصة و«improve the hour» يغتنم الوقت مستخدمة حتى وقتنا هذا. تطور المعنى الأشمل making something better» جعل شئ ما أفضل، من ق 17، وأصبح مستقراً، غالباً في تداخل مباشر مع عمليات اقتصادية، في ق 18. لاحظ كاوبر Cowper المعنى وانتقده:

Improvement too, the idol of the age,	تحسين أيضاً، إنه معبود العصر
Is fed with many a victim.	إذ يقدم له قرباناً ضحايا كثيرون

(The Task, iii, 764-5, 1785)

من منتصف ق 18 كانت هناك العبارة الدالة «improve onself» تحسين/ تطوير الذات» وعبارات أخرى مثل «improving reading» «تحسين القراءة». كانت جين أوستن Jane Austen على وعي بمعاني improvement التي أحيانا ما تكون متناقضة، فليست كل العمليات الاقتصادية تؤدي إلى تهذيب/ تحسين اجتماعي وأخلاقي بل قد تكون معوقة له كما تصف في روايتها Persuasion (الفصل الخامس) عائلة ملاك أراض بأنها «في حالة تغيير» وربما «تحسين». فيما بعد أصبح فصل المعنى العام من المعنى الاقتصادي معتاداً، لكن الصلة الأساسية بين «جعل شيء ما أفضل» و«جني ربح من شيء» مهمة عندما يتم تذكر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي تطورت خلاله الكلمة بهذه الطرق. من المفيد مقارنة تطور كلمة interest حصة/ مصلحة الموازي.

انظر: DEVELOPMENT **تطور/نمو**، EXPLOITATION **استثمار/استغلال**، INTEREST **حصة/مصلحة**

فرد/مفرد INDIVIDUAL

في الأصل عنت individual غير قابل للانقسام، لايتجزأ. ومهما يكن المعنى متناقضاً مع نفسه فان « individual فردى» تحمل بين طياتها تمييزا عن الآخرين في حين تؤكد الصيغة الجديدة indivisible على صلة الترابط بين الأجزاء. تطور المعنى الحديث من المعنى القديم هو سجل في اللغة لتاريخ سياسي واجتماعي استثنائي.

اشتقت الكلمة السابقة مباشرة indiviualis، لاتينية وسطى، من individuus، لاتينية، ق6، الصفة السلبية (in) بالإضافة إلى (س ب) dividere، لاتينية: يجزئ، يقسم. استعملت individuus لترجمة atomos، يونانية: لايمكن قطعه، لايتجزأ. حدد بويثس Boethius، ق 6، معاني individuus:

«يمكن تسمية شيء individual مفرد بطرق مختلفة: مايسمى مفرداً هو مالا يمكن تجزئته أبداً مثل وحدة unity أو روح (1)؛ مالا يمكن تجزئته لقسوته مثل الفولاذ يسمى «فردا» (2)؛ يسمى individual فردا أوحدا من لاينطبق وصفه على سواه من نفس النوع مثل سقراط (3)In Porphyrium commentarium). liber secundus)

يمكن العثور على indiviualis وindiviual بمعنى عدم التجزئة الجوهري في الجدل الثيولوجي القروسطي، خاصة فيما يتعلق بالنقاش حول وحدة الثالوت (استعملت عندئذ أيضا الصيغة البديلة indivisible): «من أجل ... جلال الثالوت السامي والذى لايتجزأ» (1425). استمر معنى (1) في الاستعمال العام حتى فترة متأخرة من ق 17: رباط الزوجية «وحدة individuall لاتتجزأ إلى رجل وزوجته» (1623)؛ «يقسم الكنيسة الكاثولكية الواحدة individuall إلى جماهير متعددة» (ملتون، 1641). استحوذت atom ذرة في الفيزياء من ق 17 بشكل عام على معنى (2). لكن معنى (3) الذي يدل على شخص واحد متميز هو الذي له من أوائل ق 17 السجل الأكثر تعقيداً.

يحدد التحول بشكل واضح استعمال عبارة «in the individuall» مقابل «in the general» في العموم. يمكن قراءة هذه الاستعمالات المبكرة بمفهوم جديد فالكلمة لاتزال معقدة: «فيما يتعلق بسلوك المتعلمين فإن ذلك شخصي وفردي personal and individual»

(1650; III, I, Advancent of Learning Bacon). بالنسبة إلى الصفة كان المعنى المتطور في البداية «غريب» و«شاذ" : «يجب أن يكون المرء مختلفاً عن بقية الناس وغريباً individuall يحيد بشكل ما عن طبيعتة التي فطر عليها. (براون Browne، 1646). المعنى، كما هو هنا، غالبا ازدرائي. استعملت الكلمة بطريقة مشابهة لاحتجاج «دون» Donne ضد الكلمتين الجديدتين «singularity» فرادة و«individualism» فردانية:

For everyman alone thinks he hath got

To be a Phoenix,and that then can be فكل شخص وحيد يعتقد أنه يجب

None of that kind of which he is but he أن يكون عنقاء

ولايمكن أن يكون أحد من هذا النوع الفريد سواه (First Anniversarie، 1611).

يعتمد هذا النوع من التفكير على المفهوم السائد للطبيعة البشرية، لذلك فإن كلمة فرد individual تعامل في الغالب على أنها نوع من الانحراف عن ذلك فيه شذوذ وغرور. لكن في بعض النقاش أدى التضاد بين «في العموم in the general» وفي الحالة المفردة «in the individual» إلى الظهور الحاسم للإسم الجديد. يكاد يكون موجوداً عند جاكسون Jackson (1641): «السلم ... هو السند الفعلي للأفراد individualls والأسر والكنائس وجماعات الكومنولث»، رغم أن individualls أفراد لاتزال تعنى هنا طبقة. ربما لم يبرز المعنى الاجتماعي الحديث حتى لوك Locke (Human Understanding، III، vi، 1690) لكن فقط كصفة: «فكرتنا عن أي رجل فرد .«any individual Man».

فعلياً لم يكن التطور الحاسم للاسم المفرد في الفكر السياسي أو الاجتماعي فيما عدا حقلين خاصين: المنطق، ومن ق 18 البيولوجيا: (الفرد... في المنطق... يعني ذلك الذي لايمكن قسمته الى أجزاء بنفس الاسم أو من نفس الطبيعة) (فيلبس Phillips، 1658). فصل تشامبرز Chambers (1727 ـ 41) هذا التصنيف المنهجي: " يكون التقسيم المعتاد في المنطق إلى أجناس ... هذه الأجناس إلى أنواع species، وهذه الأنواع إلى أفراد individuals. من ثم كان نفس التصنيف المنهجي متاحاً في البيولوجيا الحديثة. حتى ق 18 نادراً ما استعملت individual فرد دون صلة واضحة بمجموعة يشكل فيها الجزء أقصى درجات التقسيم. هذا هو الوضع حتى فيما يبدو استعمالاً حديثاً عند درايدن Dryden:

That individuals die, his will ordains; كون الأفراد يموتون، هذا قضاؤه

The propagated species still remains. يبقى مع ذلك النوع متكاثراً

(Fables Anicent and Modern, 1700)

حتى أواخر ق 18 لم يمكن بوضوح ملاحظة تحول حاسم في استعمالات الكلمة:

«بين الشعوب المتوحشة من صيادين وقناصين يقوم كل فرد individual. . . بعمل مفيد». (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة، 1776). كان هناك ازدهار ملحوظ للكلمة خلال ق 19، سواء في البيولوجيا أو في الفكر السياسي. في البيولوجيا التطورية أدرك داروين (أصل الأنواع، 1859) «أن لا أحد يفترض أن كل الأفراد individuals من نفس النوع يسبكون فعلاً في نفس القالب». باضطراد لحقت بالكلمة فرد individual ـ مثال واحد لمجموعة - وتجاوزتها كلمة الفرد «the individual»: لتعنى : ترتيب جوهري للوجود.

يمكن عزو ظهور مفاهيم فردية individuality بالمعنى الحديث إلى تفتت النظام الديني والاجتماعي والاقتصادي القروسطي. في الحركة العامة ضد الاقطاع كان هناك تركيز جديد على وجود الإنسان الشخصي بالإضافة إلى موقعه ووظيفته في مجتمع تراتبي. كان هناك توكيد مشابه في البروتستانتية على صلة الانسان المباشرة والفردية individual بالله، في تعارض مع تلك العلاقة التي تتوسط فيها الكنيسة. لكن لم يعتمد حتى أواخر ق17 وق18 أسلوب جديد من التحليل في المنطق والرياضيات ينص على أن الفرد individual مفرد/ فرد هو الكيان الجوهري (قارن «monad» الفيلسوف Leibniz ليبتنز: عنصر الوجود الأولى) الذي تبنى عليه تصنيفات أخرى وخصوصا التصنيفات الجامعة. ولقد تبنى الفكر السياسي التنويري هذا النموذج بشكل أساسي. استهل النقاش أفراد individuals لهم وجود مبدئي وأساسي، ومنهم استنبطت نظم المجتمع وصيغت أشكاله: عن طريق الخضوع (كما هو لدى هوبز)؛ عن طريق الموافقة والعقد، أو عن طريق الصيغة الجديدة من القانون الطبيعي (كما في الفكر الليبرالي). في علم الاقتصاد الكلاسيكي افترض نموذج التجارة أفرادا مستقلين يقررون في مرحلة مبكرة الدخول في علاقات تجارية واقتصادية. في علم الأخلاق النفعي قدّر «الأفراد» المستقلون نتائج كل فعل قد يقومون به. انتُقد الفكر الليبرالي المعتمد على «الفرد» كنقطة انطلاق من قبل مواقع محافظة: «الفرد أحمق ... الجماعة حليمة» (بيرك Burke)، لكن كذلك في ق 19 انتقد من قبل مواقع اشتراكية كما هو بشكل ضليع عند ماركس الذي هاجم تضاد التصنيفين المجردين: فرد «individual» ومجتمع «society» وجادل بأن الفرد اختراع نشأ ضمن علاقات تحدده DETERMINED (ا م).

معنى individual الحديث هو، إذن، نتيجة لتطور مرحلة معينة من الفكر العلمي ومرحلة من الفكر الاقتصادي والسياسي. لكن بدأ يظهر فعلاً تمييز ضمن ذلك؛ يمكن تلخيصه في تطور كلمتين مشتقتين: individuality فردية/ شخصية و individualism فردانية. تنسجم الأخيرة مع الحركة الرئيسة للفكر الاقتصادي والسياسي الليبرالي. لكن هناك تمييز

بيّنه شميل Simmel: فردانية استثناء Einzigheit مقابل فردانية وحدانية Einzelheit. يجادل شمل بأن singleness ـ الفردانية المجردة ـ تعتمد على فكر كمي يتمركز في رياضيات وفيزياء ق 18. بالمقابل، الفرادة uniqueness هي تصنيف نوعي ومفهوم من مفاهيم الحركة الرومانسية. كذلك هي مفهوم من البيولوجيا التطورية التي يتم التركيز فيها على النوع species والفرد المرتبط به، لكن مع ادراك الفرادة ضمن النوع. يخلط الآن كثير من النقاش عن الفرد individual المعنيين المميزين الذين تشير اليهما الفردانية individualism والفردية individuality. تاريخ الأخيرة أطول وهو نتيجة لمجموعة المعاني التي تطورت فيها individual مركزة على كل من الفرد الوحيد unique والعضوية (التي لا تتجزأ indivisible) في مجموعة. سُكّت individualism في ق19: «تعبير جديد ولدته فكرة جديدة» (توكفيل، 1835): نظرية ليس فقط لأفراد مجردين abstract individuals وإنما كذلك للأهمية الأساسية لمواقف ومصالح فردية individual.

انظر: MAN رجل/إنسان، PERSONALITY شخصية، SOCIALISM|اشتراكية، SOCIETY مجتمع، SUBJECTIVE ذاتي/شخصي

صناعة/جهد/كد INDUSTRY

هناك معنيان رئيسيان للكلمة industry: (1) الخصلة البشرية للانكباب على أو المجهود المستمر من أجل؛ (2) مؤسسة أو مجموعة مؤسسات للانتاج أو التجارة. ينقسم المعنيان بطريقة واضحة ودقيقة عن طريق صفتيهما industrious مجد، كادح و industrial صناعي.

كانت industry في الإنجليزية منذ ق 15، من (س م) industrie، فرنسية، (س ب) industria، لاتينية: مثابرة. كتب إليوت Elyotفي 1531: «لم تكن industrie في الاستعمال في الإنجليزية لمدة طويلة مقارنة بـ Providence العناية الإلهية، لذا فهي أغرب وتتطلب شرحاً بسيطاً»، وتابع ليعرّفها كإدراك سريع، وابتكار جديد واستشارة في وقتها. لكن كانت هناك استعمالات معاصرة كمضاد لكلمة بلادة أو خمول، ومرادفة لمثابرة؛ وفي استعمال خاص عنت وسيلة أو طريقة عمل. كانت industrious، التي تعني إما ماهر أو مجتهد، هي الصفة المشتقة الشائعة من منتصف ق 16، لكن ظهرت كذلك في ق 16 industrial للتمييز بين فواكه متعهدة بالعناية industriall وأخرى طبيعية natural. بالتالي كانت industrial نادرة أو غائبة حتى أواخر ق 18 عنما بدأت التطور الذي جعلها شائعة بحلول منتصف ق 19، وربما كان ذلك في شكل استعارة جديدة من الفرنسية.

من ق 18 بدأ معنى industry كمؤسسة أو مجموعة مؤسسات في الظهور. في 1696 كان هناك ذكر لـ «كلية صناعة College of Industry لكل زراعة وتجارة مفيدة»، وذكرت لاحقا «مدارس صناعة Schools of Industry» مرتبطة بمدارس يوم الأحد. لكن كان الاستعمال الأكثر ذيوعا في ق 16 في «دار الصناعة House of Industry»: إصلاحية أحداث workhouse، حيث تتضافر أفكار الانكباب الاجباري والعمل المفيد. ثم هناك عند آدم سميث استعمال معمم حديث: «... ودائع مالية موجهة للمحافظة على الصناعة» (ثروة الأمم، جـ 2، فصل 3، 1776). على الأقل بحلول أربعينات ق 19 كان هذا الاستعمال شائعاً: «صناعتنا الوطنية» (دزرائيلي Disraeli، 1844)؛ «زعماء الصناعة»، (كارلايل، 1843). بشكل عام كانت industry كخصلة بشرية بدلاً من مؤسسة إلا أنه بعد هذه الفترة أصبح هذا المعنى ثانوياً وتبقى بشكل رئيسي محصوراً في أنواع مختلفة من إشارات التفضل.

تأثر بشكل جذري معنى industry كمؤسسة من فترة استعمالتها الرئيسية الأولى باشتقاقين إضافيين: industrialism التي سكها كارلايل في ثلاثينات ق 19 للدلالة على ترتيب جديد للمجتمع يعتمد على إنتاج ميكانيكي منظم، وعبارة ثورة صناعية industerial revolution التي هي الآن مصطلح مركزي. بشكل خاص يصعب تتبع تطور الاشتقاق الأخير. يسجل في العادة أن آرنولد توينبي Arnold Toynbee استعملها لأول مرة في محاضرة ألقاها في 1881. لكن هناك استعمالات أسبق في الفرنسية والألمانية. تتبع بيزانسون Bezanson (1922) عدة كلمات فرنسية مقاربة لـ revolution وindustrielle بين 1806 و1830، لكن يعتمد تحليلها على فهم الطرق التي كانت فيه كل من REVOLUTION (ا م) و industurial تتحول في كل من الإنجليزية والفرنسية. أشارت معظم الاستعمالات الأولى إلى تغييرات تقنية في الإنتاج ـ معنى شائع لاحق لـ «ثورة صناعية» نفسها - وكان هذا لايزال المعنى الرئيسي حتى وقت متأخر، «الثورة الصناعية الكبرى» (1827). كان التحول الأساسي في معنى ثورة revolution المتطور كمنشئة لنظام اجتماعي جديد في 1830، كما هو بشكل ملحوظ عند لامارتين Lamartine: «Le 1789 du comnerce et de l'industrie» ثورة معادلة للثورة الفرنسية (فى 1789) في التجارة والصناعة، التي وصفها بالثورة الحقيقية. كتب ويد Wade (1833) (History of the Middle and Working Classes) بعبارات مشابهة عن «هذه الثورة الاستثنائية». كان مفهوم التغيير الاجتماعي العظيم هذا الذي يرقى إلى نظام حياة جديدة معاصراً لمفهوم industrialism المقارب لدى كارلايل، وكان هذا تعريفاً معتمداً على جملة أفكار متمايزة

في الإنجليزية كما في الفرنسية من تسعينات ق 18. كانت فكرة نظام اجتماعي جديد المعتمدة على تغيير صناعي كبير واضحة عند ساوثي Southy وأوين Owen بين 1811 و1818 وكانت مضمرة في وقت أبكر لدى بليك Blake في أوائل تسعينات ق 18 ولدى وردزورث عند منقلب القرن. أصبحت العبارة أكثر شيوعا في أربيعينات ق 19 في كل من الفرنسية والإنجليزيةً. «ثورة صناعية كاملة «a complete industrial revolution» (Principles of Political Economy, Mill، III، xvii)؛ في 1848 عدلت إلى «نوع من الثورة الصناعية a sort of industrial revolution»؛ «أولى الثورات الصناعية première des révolutions industrielles»، Gilbert (1847). لكن على الأرجح كانت الاستعمالات الحاسمة عند بلانكي Blanqui: Histoire de L'economie Politique، (II 38; 1837) نهاية ق 18 ... وات Watt وأركرايت Arkwright. . . وضعت الثورة الصناعية في حوزة إنجلترا». وكتب إنجلز Conditions of the Working Class in England) بالألمانية في 1845): «هذه الاختراعات أعطت حافزاً لثورة صناعية، ثورة غيرت في نفس الوقت كل المجتمع المدنى». رغم أن العبارة لم تكن شائعة الاستعمال في الإنجليزية حتى أواخر ق 19 إلا أن الفكرة كانت شائعة من منتصف ق 19 وكانت بوضوح في طورالتكوين في أوائل ق19. من اللافت أنها استمرت بمعنيين مختلفين (لكن متداخلين): معنى سلسلة من الاختراعات التقنية (التي تتيح لنا الحديث عن ثورة صناعية ثانية أو ثالثة)؛ ومعنى أشمل، لكن أيضاً تاريخياً أكثر تحديدا لتحول اجتماعي: مؤسسة تصنيع industrialism أو رأسمالية صناعية industrial capitalism. (كذلك يجب ملاحظة أن العلاقة بين صناعية ورأسمالية إشكالية وأن المصطلحات تحجب ذلك أحياناً. في أحد الاستعمالات، industrialism صناعية هي عبارة ملطفة لرأسمالية لكن مشاكل التصنيع الاشتراكي لها عناصر مشتركة مع تاريخ «الرأسمالية الصناعية».)

من أوائل ق 19 أعطى الارتباط بالانتاج الميكانيكي وسلسلة الاختراعات الميكانيكية «industry صناعة» معنى مؤسسات إنتاجية من هذا النوع، وتطورت بالنسبة لذلك تمييزات مثل heavy industry صناعة ثقيلة و light industry صناعة خفيفة. تمت بانتظام معارضة industrialists صناعيين ـ وهم أصحاب عمل وموظِّفين employers في هذا النوع من المؤسسات ـ ليس فقط مع عمال workpeople موظَّفيهم ولكن مع أصناف أخرى من الموظِّفين: تجار، ملاك أراضي، الخ. هذا التعارض بين صناعة كإنتاج مصانع وأنواع أخرى من العمل المنظم معتاد حتى منتصف ق 20، ومازال سائداً. لكن منذ 1945 وربما تحت تأثير أمريكي عُمِّمت industry صناعة مرة أخرى على مسار ابتدأ من مجهود إلى

مجهود منظم ووصل إلى مؤسسة. من المعتاد الآن سماع كلمة صناعة مرتبطة بالإجازات وأوقات الفراغ والترفيه: «صناعة إجازات holiday industry، liesure industry صناعة الراحة والفراغ، entertainment industry صناعة الترفيه، وتبديلا لما كان في الماضي تمييزاً: صناعة زراعية agricultural industry. يعكس هذا الزيادة المضطردة في رسملة capitalizationو «تنظيم وميكنة» ما كان في السابق يعتقد أنها مجالات من الخدمة والعمل غير صناعية nonindustrial. لكن التطور ليس كاملا: لاتزال industrial workers، مثلاً، تشير بشكل رئيسى إلى «عمال مصانع» في تمييز لهم عن أنواع أخري من العمال، وينطبق هذا على industrial areas مناطق صناعية، industrial town مدينة صناعية، industrial estate أراض صناعية. لكن أصبحت industrial relations علاقات صناعية (عمالية) محصورة على العلاقات بين أصحاب العمل والعمال في معظم أنواع العمل؛ قارن industrial dispute نزاع عمالي و industrial action (إضرابات، الخ)، حيث يعتمد المعنى على تعارض، ضمن الحركة العمالية، مع عمل سياسي political action.

انظر: **CAPITALISM رأسمالية، CLASS طبقة، EXPLIOITAION استغلال، LABOUR شغل، REVOLUTION ثورة، TECHNOLOGY تقنية، WORK عمل**

مؤسسة INSTITUTION

هذه الكلمة هي أحد الأمثلة العديدة (قارن CULTURE ثقافة، SOCIETY مجتمع، EDUCATION تربية) لاسم فعل أو عملية يصبح في مرحلة معينة اسماً عاماً ومجرداً يصف شيئاً يبدو موضوعياً ومنتظماً؛ وهذا هو عملياً «مؤسسة»، بالمعنى الجديد. استعملت في الإنجليزية منذ ق 14، من (س م) institution، فرنسية قديمة، institutionem، لاتينية، من (س ب) statuere، لاتينية: ينشئ، يقيم، يعيّن. في استعمالاتها المبكرة كان لها معنى واضحا يدل على عمل أصلي ـ شيء يؤسس instituted في وقت محدد ـ لكن بحلول منتصف ق 16 كان هناك تطور لمعنى عام يتعلق بممارسات أنشئت بطرق معينة ويمكن فهم ذلك بمعنى يكاد يكون حديثاً تماماً: «بلسان واحد، وسلوك ومؤسسات institutions وقوانين متشابهة» (ترجمة روبنسون ليتوبيا Utopia مور More، 1551)؛ «كثير من المؤسسات الجديدة، القوانين، السلوك وفن الحكم» (آشلي Ashley، 1594). لكن كان لايزال هناك في السياق معنى واضحا للعادة، كما في المعنى المتبقي في "one of the insitutions of the place» أحد أعراف المكان. ليس من اليسير تحديد وقت ظهور المعنى المجرد تماماً؛ الذي يبدو مرتبطاً دائماً بتجريد SOCIETY مجتمع (ا م) المقارب.

بحلول منتصف ق 18 يكون المعنى المجرد واضحاً تماماً، وتتضاعف الأمثلة في ق 19و ق 20. في الوقت نفسه، من منتصف ق 18 بدأت تستعمل institution مؤسسة ولاحقا institute (التي حملت نفس المعنى العام مثل مؤسسة من ق 16) في أسماء منظمات معينة أو أنواع من التنظيم: «charitable institutions» مؤسسات خيرية (1764) وأسماء عدة من أواخر ق 18، Mechanics' Institutes معاهد ميكانيكية، Royal Institute of British Archeticts المعهد الملكي البريطاني للمعماريين ومنظمات مشابهة من أوائل ق 19، ويبدو أن هذا كان تقليدا للمعهد الوطني Institut National الذي أنشئ في فرنسا في 1795 بمصطلح حديث. منذئذ استعملت institute بشكل واسع للمنظمات المهنية والتعليمية والبحثية؛ و institution مؤسسة للمنظمات الخيرية والاحسانية. في الوقت نفسه، ترسخ المعنى العام لشكل من التنظيم الاجتماعي، محدد أو مجرد، في تطور institutional مؤسساتي و institutionlize يؤسس في منتصف ق 19. في ق 20 أصبحت institution المصطلح المعتاد لأي جزء منظم من المجتمع.

انظر: **SOCIETY مجتمع**

مفكر/مثقف/فكري INTELLECTUAL

تدل intellectual كإسم على نوع معين من الأشخاص أو شخص يقوم بنوع معين من العمل ويرجع تاريخها فعلياً إلى أوائل ق 19 رغم أنه كانت هناك في وقت أبكر بعض الاستعمالات المتفرقة. يعود تاريخ intelligence بمعناها كملكة أو كعقلية أو كمقدرة على الفهم إلى ق 14، لكن يرجع التطور اللافت لكل من intelligent وintelligence كتعبيرين للمقارنة بين الناس بشكل رئيسي إلى ق16: من بين الاستعمالات الواضحة يمكن ذكر «بعض علماء الإنجليز ذوي المعرفة الشاملة «of good intelligence» (جرافتون Grafton، 1568) حيث يمكن فهم intelligence كمعرفة knowledge أو معلومات information (كما لايزال المعنى حاضراً في intelligence service مصلحة استخبارات). كان هناك استعمال مبكر: «شخص ينقصه الذكاء» «man devoyde of intelligence» (1507). «سجلت the more intelligent الأكثر ذكاء» بمعنى مستقل من 1626؛ هناك أيضا «اشخاص رزينون وأذكياء «intelligent» (كلاريندون Clarendon، 1647). يبدو أن هناك صلة بين هذه التمييزات، التي تشمل ذكاء نسبياً أو مطلقاً، ونقاش حول طبيعة الحكم government. ارتبط عدد من الاستعمالات المحدّدة والمميّزة لكل من intelligence وintelligent في ق 17 وأواخر ق 18 وق 19 بمواقف سياسية محافظة في نوع من النقاش بقى مألوفاً: الحكم

للأذكياء أو للأكثر ذكاء. على أية حال من المهم أن intellectual كإسم سلكت طريقاً مختلفاً. كانت صفة عادية من ق 14 للإسم intelligence بمعناه العام، وأصبحت اسماً للدلالة على قدرات أو عمليات الذكاء. ثم من أوائل ق 19 كان هناك استعمال لافت لصيغة الجمع للدلالة على صنف من الناس، في الغالب بطريقة سلبية: «أتمنى أن أكون متعافيا (مؤهلا) بقدر كاف لأتمكن من الاستماع لهؤلاء المثقفين intellectuals (بايرون Byron، 1813). رغم أن intellectual كصفة احتفظت بالحيادية في الاستعمال العام إلا أن هناك تضمينات سلبية تحوم حول مثقفين intellectuals بالمعنى الجديد. كانت «الثقافوية» intellectualism بديلاً بسيطاً لعقلانية rationalism. اكتسبت، بناءً على ذلك ولأسباب عامة كثيرة، معاني تدل على برودة coldness، تجريد وعدم فعالية، والصفة الأخيرة هي الأهم. احتفظت كل من intelligence وintelligent بمعانيهما العامة والإيجابية في معظمها، بينما تجمعت معاني سلبية حول intellectual. الأسباب معقدة لكنها تشمل بالتأكيد اعتراضاً على النقاش السياسي والاجتماعي المبني على التنظير أو على مبادئ عقلانية. يرتبط هذا، للغرابة، بالاستعمال المميز لأذكى أو الأكثر ذكاءا كطبقة حاكمة، ويرتبط كذلك بمعارضة «الفصل»، كما في الحركة الرومانسية، بين «رأس» و«قلب» أو «عقل» و«عاطفة». كذلك لايمكن إغفال نوع حاسم من المعارضة ضد مجموعات تقوم بجهد فكري اكتسبت خلال التطور الاجتماعي بعض الاستقلال عن مؤسسات قائمة في مجال الدين والسياسة وما هو مؤكد هو سعي هذه المجموعات إلى هذا الاستقلال وإصرارها عليه خلال أواخر ق 18و ق 19 وق 20. في النهاية وتحت تأثير هذه التطورات يمكن استخدام intellectual وintelligent كتعبيرين متضادين، وبحلول أواخر ق 19 كانت هناك صيغة دالة: «من يدعون مثقفين so-called intellectuals». من أوائل ق 20 استعير التعبير الجمعي الجديد intelligentsia الإنتلجنسيا من الروسية. هذا المصدر مهم لأن معنى مجموعة متميزة وواعية ذاتيا كان، لأسباب اجتماعية وجيهة، مهما في روسيا من منتصف ق 19.

حتى منتصف ق 20 سادت في الإنجليزية استعمالات سلبية للكلمات intelligentsia، intellectualism، intellectuals وواضح أن الوضع لايزال قائماً. لكن على الأقل تستعمل intellectuals الآن في الغالب حيادياً وفي بعض الأحيان إيجابياً لوصف أناس يقومون بأنواع معينة من الجهد الفكري وعلى وجه الخصوص تلك الأنواع الأكثر عمومية. داخل الجامعات يكون التمييز أحياناً بين متخصصين specialists أو professionals مهنيين لهم اهتمامات محددة ومثقفين intellectuals لهم اهتمامات شاملة. بشكل عام هناك في الغالب توكيد على «منتجين مباشرين في مجال الأيديولوجيا والثقافة culture» في تمييز لهم عن

«الذين يتطلب عملهم جهداً ذهنياً» لكن بشكل رئيسي يقتصر على الإدارة والتوزيع والتنظيم والتكرار، كما في بعض أنواع التعليم (قارن ديبراي Debray). التوتر الاجتماعي حول الكلمة مهم ومعقد ويمتد من الاعتراض القديم على مجموعة من الناس تستعمل التنظير أو حتى معرفة منظمة لاصدار أحكام بخصوص أمور عامة إلى اعتراض مختلف، لكنه يمت بصلة إلى ذلك، على النخب ELITES (ا م) التي لا تدعى فقط أنواعا متخصصة من المعرفة وإنما تزعم أيضا التأهيل لإدارتها. إن النقاش حول علاقة المثقفين بالنظام الاجتماعي القائم وبالتالي حول استقلالهم النسبي عنه أو اندماجهم فيه وثيق الصلة بهذا الاعتراض. لكن بما أن النقاش وصل الى درجة منزلة أو وضع STATUS (ا م) المثقفين الاجتماعي أو وظيفتهم الاجتماعية فإن الكلمة نفسها دخلت بوضوح مرحلة جديدة عامة في تاريخها، وتدعمها في ذلك استعمالات مشابهة في لغات وثقافات أخرى. الشيوع المضطرد للتعبير anti-intellectual (ضد العقلانية) لوصف مواقف معارضة للفكر والتعليم المنظم هو جزء من نفس هذه الحركة معتمداً على معنى أقدم وأشمل للكلمة intellectual.

رغم أن intelligence وintelligent تستمران في الحفاظ على معانيهما الشاملة والعامة إلا أن الاستعمال المقارن المميز لكل منهما ربما يكون أكثر شيوعاً عن أي وقت مضى (أليس لديك أي ذكاء؟ haven't you any intelligence? سيتضح حالاً لأي شخص واع intelligent person). في نفس الوقت عزز وصف ذكاء عال أو منخفض high or low intelligence نظام قياس خلافي يبدو في الظاهر موضوعياً: intelligence quotient أو IQ معدّل الذكاء وهو الآن شائع الاستعمال. لكن لايزال واضحاً توتر قديم، كما هو في هذه الحالة، عندما تقارن وأحياناً تعارض ميزة مجردة قابلة للقياس مع معنى intelligent الذي يعتمد، مهما كان ذلك ضمنياً، على أفكار تتعلق بخبرة experience ومعلومات information بالإضافة إلى مقدرة محددة.

انظر: EDUCATION **تربية/تعليم**، ELITE **نخبة**، EXPERT **خبير**، THEORY **نظرية**

INTEREST حصة/مصلحة/أهمية

هذا مثال هام (قارن IMPROVE) لكلمة لها معاني اقتصادية وقانونية متخصصة توسعت ضمن تاريخ اقتصادي واجتماعي معين إلى معنى عام جداً. الكلمة معقدة الأصل خاصة فيما يتعلق بالكلمة السابقة interess التي تتبادل وتتداخل معها حتى ق 17. أصلها البعيد (س ب) هو interesse، لاتينية: يكون وسطاً، يميز، يهتم، لكن السوابق المباشرة (س م) كانت interesse، لاتينية وسطى: تعويض عن خسارة والكلمتان المشتقتان

interesse، فرنسية قديمة و interest، فرنسية وسطى، اللتان امتدت معانيهما من تعويض عن خسارة إلى استعمال كفعل متعد للاستثمار بحصة أو سهم. أشارت معظم استعمالات interest قبل ق 17 إلى حصة قانونية أو موضوعية في شئ ما، وكان الاستعمال الموسع، الذي دل في البداية على حصة طبيعية أو اهتمام مشترك، في العادة استعارة مقصودة:

Ah so much interst have (I) in thy sorrow — أوه مقدار مشاركتي حزنك
As I had in thy Noble Husband. — تعادل اهتمامي بزوجك النبيل.
(Richard III)

من العسير جداً تتبع تطور interest، في البداية الى اسم عام لاهتمام شامل أو طبيعي ومن ثم الى شئ يجذب انتباهنا أولا «بشكل طبيعي» وبعدئذ «فعليًا». لكن لم تكن «interesting» لافت و «interestingly»بطريقة لافتة بمعانيهما الحديثة العامة جداً واضحتان قبل منتصف ق 18. كذلك كانت interest بمعنى اهتمام عام أو امتلاك المقدرة على جذب الاهتمام تطوراً من منتصف ق 18. لم تكن interest بمعناها السائد الآن كحب استطلاع أو اهتمام أو امتلاك المقدرة على جذب الاهتمام أو الاستغراب واضحة قبل ق 19. لكن المشكلة هي أن معنى اهتمام وانهماك موضوعيين objective المستمد من استعمالات قانونية ورسمية ليس دائماً سهل التمييز عن تلك المعاني اللاحقة الأكثر ذاتية SUBJECTIVE (ا م) وطوعية. أصبح التمييز رسمياً الآن في الصيغ السلبية: تحتفظ disinterested بمعناها السابق: نزيه، غير متحيز، أي لا يتأثر بالتورط الفعلي في شأن ما، بينما عبّرت uninterested وuninteresting، اللتان كانتا مرادفتين لمعنى disinterested من ق 19، عن معاني عدم الانجذاب لشيء أو عدم امتلاك القدرة على الجذب. (لاتزال disinterested تستعمل بمعاني إيجابية للدلالة على «عدم التحيز» أو «نزاهة» لكنها تدل أيضاً على اهتمام مستنير أو غير دوجماتي undogmatic. كذلك تستعمل بشكل متزايد في الغالب للدلالة ببساطة على «عدم الاهتمام»، وهذا بالإضافة إلى كونه مشوشاً أحياناً فإنه يسبب إساءة لأولئك الذين لايزال لديهم المعنى الأول مهما.)

كمصطلح رسمي في الامور النقدية لـ interest تاريخ آخر مهم. في الاستعمال القروسطي مُيّزت عن usury ربا؛ كانت interest أو interess تعويضاً عن تخلف في إيفاء دين (استعمال متخصص للمعنى السابق) بينما كانت ربا أخذ ما نسميه الآن interest فائدة عن دين مرتب/ مدروس deliberate loan. ظهرت interest بمعناها المالي الحديث من ق 16 عندما عدلت القوانين المتعلقة باقراض المال وعندما أصبح الربح من استعمال المال، في تمييز له عن التعويض مقابل التخلف عن الايفاء بالدين، ممارسة مقبولة.

يظل مهما كون كلماتنا الأعم للاهتمام أو الانهماك تطورت من مصطلح موضوعي رسمي في الممتلكات والتمويل. يبقى المعنى الأسبق بصيغة خاصة في انماط معينة من نظرية النزاع «conflict theory» حيث يعتبر «تعارض المصالح» «conflict of interest» جزءا متأصلا لايتجزأ من البنية الاجتماعية، وذلك كثيراً ما يكون في أمور ممتلكات. ليس من الصعب فهم المعنى الأشمل كاهتمام أو مشاركة عامة موضوعية مما يجعله يتواصل مع المعنى اللاتيني الأصلي والذى استعمل في عبارات مثل having an interest له مصلحة و taking an interst يولي اهتماما و being interested يكون مهتما. ربما يكون أكثر أهمية من ذلك توسع وإسقاط هذه المقدرة على الاهتمام وجذب الانتباه وحب الاستطلاع مثلما يحدث عندما نقول عن أشخاص أو أشياء أو أحداثً أنها لافتة interesting. يظل السؤال هو عما إذا كان هذا المعنى لشئ يولّد مثل هذا الاهتمام يرتبط بالمعنى الفعال لفائدة interest ـ مال يولّد مالا ـ بعد تمييزها عن إثم الربا ومعنى intrest السابق الخامل الذي يدل على تعويض واستعادة. يبدو مرجحا أن هذه الكلمة المركزية الآن للانتباه والاهتمام والجذب مشبعة بخبرة مجتمع يعتمد على علاقات مالية.

انظر: IMPROVE **يحسن**

مصادر/اسماء صناعية ISMS

كانت هناك منذ بدء التاريخ المسجل «isms»، وكذلك «ists». اللاحقتان ism وist يونانيتان. استعملت ism في الإنجليزية لتكوين إسم فعل (baptism معمودية)؛ نوع من الفعل (heroism بطولة)، وأفعال ومعتقدات تميز مجموعة ما (Atticism) الأتيكية، Judaism يهودية) أو اتجاهات (Protestanism بروتستانية، socialism إشتراكية) أو منهج فكري (Platonism إفلاطونية). استعملت ist لتكوين اسم فاعل (psalmist مزماري) وكذلك أسماء تدل على مناصري نظام أو معلّم/رائد فكرى (altruist إيثاري، Thomist توماسى). كان هناك نحت موسع لكلمات لاتينية جديدة من هذا النوع في الفترة القروسطية، وكانت هناك صيغ انجليزية من ق 13 تضاعفت من ق 16 وصارت شائعة. ما كان جديدا من أواخر ق 18 وأوائل ق 19 هو على الأرجح ردة فعل تجسدت في عزل isms وists ككلمات مستقلة: «ستتشاجر حالاً حول Socianism أو بعض هذه الإيزمات isms (والبول Walpole، 1789)؛ «ليس له اعتبار، لايحمل ist، لايعلن اعتقاده بأي ism سوى تشامخية superbism ولا عقلانية «irrationalism (شيلي Shelley، 1811)؛ «ليس مؤمناً بوحدة الوجود Pantheism أو بوحدة القدر Pot-theist [لعب على لفظي pan وpot في

الإنجليزية]، أو أي موحّد Theist أو أية istكلمة تنتهي بهذه اللاحقة، حيث هناك احتقار لاجدال فيه لكل أساليب بناة النظم أو مؤسسي الفرق من هذا النوع» (كارلايل Carlayl، 1835)؛ «تشكل اللاحقتان isms وists ضجراً متزايداً» (ايميرسون Emerson، 1841)؛ «تلك المجموعة من النظريات الاجتماعية التي لم تجرب والتي تعرف باسم «isms» (لويل Lowell، 1864).

عبّر هذا التطور عن عدة اتجاهات. أولاً: كان هناك ضيق من الجدل الثيولوجي؛ معظم الأمثلة المبكرة هي من هذا النوع. ثانياً: ضيق من التنظير (كما في مثال كارلايل) الذي يمكن التعبير عنه بسهولة واحتقار بهذه الصيغة دون سواها. ثالثاً: كان هناك التحول المهم من الجدل الثيولوجي إلى الجدل السياسي الذي كان سائداً بحلول زمن مقولة لويل. لاتزال اللاحقتان ism وist تستعملان ببراعة أو بإحتقار (غالبا بمعنى أصالة طاغية)، لكن يصدر هذا عادة من مواقف تقليدية ومحافظة، بل حتى من قبل scientists العلماء و economists الاقتصاديين والمؤمنين بالوطنية patriotism.

رطانة، لغة اصطلاحية JARGON

يمكن القول أن jargon نفسها أصبحت في بعض الاستعمالات الحديثة كلمة رطانة. تستعمل الآن بشكل واسع، سلبياً أو ازدرائياً، لوصف مفردات فروع معينة من المعرفة أو المواقف الفكرية. لكن لو عنت فقط مفردات متخصصة غير مألوفة فإن استعمالها النابذ يمكن بنفس السهولة أن يسم من يطلق عليها اسم «رطانة» بأن حكمه على غرضها المفترض مزاجي مستبد. في الواقع صارت jargon سهلة الاستعمال، بطريقة فضفاضة، بسبب معانيها الأولى الأشمل. كانت في الإنجليزية من منتصف ق 14، من (س م) jargon، فرنسية قديمة: تغريد الطيور، زقزقة العصافير. أصولها المبكرة غامضة. يمكن العثور على استعمال مباشر بمعنى غناء الطيور birdsong حتى وقت متأخر، منتصف ق 19، لكن الاستعمال الموسع لأصوات أو كلام أو كتابة يتعذر فهمها يرجع إلى نفس الوقت واستمر لفترة أطول. (قارن gibberish، بربرة، غامضة الأصل، من ق 16.) طورت من أواخر ق 16 معنى متخصصا يقرب من cipher شفرة واللاحقة (ق 19) code كود، لكن تطورها العام كان في اتجاهين: (1) لوصف صيغ كلام (قارن DIALECT لهجة (ا م)) غير مألوفة وهجنية على وجه الخصوص أو محلية بطريقة سلبية ـ «رطانة jargon ولهجة patois أقاليم عدة» (براون Browne، 1643)؛ «رطانة jargon الزنوج في الولايات المتحدة» (1874)؛ (2) لوصم مصطلحات موقف فلسفي أو ديني معارض ـ «مايفهمه الرومانيون Romanists من هذه

الرطانة» (1624)، «لتفسير هذه الرطانة» (هوبز Hobbes، 1651). على الأرجح كان هناك بعض الأثر من كل هذه الدلالات في معنى لغة مهنة متخصصة الذي يرجع بشكل رئيسي الى ق18 ـ لغة القانون «the jargon of the Law» (1717)، لكن لاتزال بشكل واضح قريبة من المعاني القديمة لعدم الفهم أو الزيف المشوش. قارن «لهجة cant أو رطانة التجار» (سويفت Swift، 1704) حيث تطورت cant ،على الأرجح من (س م) cantare، لاتينية: يغني، من وصف احتقاري لبعض أنواع الانشاد الديني إلى لغة متسولين دينين ومن ثم إلى لغة خاصة بالشحاذين والمتشردين. لم يكن دائماً ممكناً التمييز بين معنى كذب ونفاق الواضح في cant وفي استعمالات jargon العدائية ومعنى لغة مهنية أو متخصصة.

من الواضح أن المشكلة الأساسية صعبة جداً. لاتجذب مفردات متخصصة في علوم وفروع من المعرفة مختلفة وصف jargon إذا استمرت متخصصة بقدر كاف. تكمن المشكلة عادة في دخول مثل هذه المصطلحات في الكلام والكتابة العامة. هذا شائع جداً في حالة القانون والادارة الواضحة، حيث في الغالب لايمكن التحكم في العلاقة بين مصطلحات عامة وأخرى دقيقة. لكن المشكلة أكثر حدة في فروع المعرفة التي لها صلة بمواضيع لها فعلاً مفردات عامة وشائعة حيث الأسباب الأساسية لدقة متخصصة أقل وضوحاً أو مفقودة. من اللافت أن معظم الاستعمالات الرافضة لرطانة jargon توجد بشكل رئيسي في علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات التي تعتمد عليهما، لكنها كذلك توجد في موقف فكري معارض مثل الماركسية. صحيح أنه يمكن تطوير مفردات متخصصة في أي من هذه المجالات وأخرى سواها إلى حد الافراط. لكن أيضاً صحيح أن استعمال مصطلح جديد أو تعريف جديد لمفهوم هو في الغالب اسلوب ضروري للاعتراض على طرق أخرى من التفكير أو إبراز طرق جديدة وبديلة. لكل موقف عام معروف في أمور الفن والاعتقاد مصطلحاته المحددة. والفرق بين هذه المصطلحات التي تعرّف بأنها jargonفي الغالب ليس أكثر من ألفة نسبية وفترة زمنية. ضم معاني jargon ووصفها بأنها مفردات متخصصة، غير مألوفة وتنتمي لموقف مناوئ وثرثرة غير مفهومة يكون إذن في بعض الأحيان فعلاً رطانة jargon: عادة محلية موثوقة ببساطة، تفترض انتشارها وقابليتها هي للفهم.

انظر: **DIALECT لهجة**

شغل/عمل LABOUR

يوجد ضمن أول استعمال للكلمة labour في الإنجليزية هذان المثالان: «اشرع في العمل... واصنع العذاب» و«اترك الشغل تترك الحزن quit o labur, and o soru» (كلاهما

من 1300 تقريبا). ارتبط هذان المعنيان عن شغل ـ ألم وبلاء ـ ارتباطا وثيقا بالسابقة المباشرة (س م) labor، فرنسية قديمة، laborem، لاتينية؛ أصل الكلمة غير معروف لكنه قد يتعلق بالانزلاق أو التأرجح تحت وطأة حمل. كفعل كان لشغل labour معنى شائعا يدل على الحرث أو «تشغيل»(حرث) الأرض work the land، لكن توسعت كذلك لتشمل أنواعا أخرى من الشغل اليدوي وأي نوع من المجهود الصعب. كان العامل/الشغال labourer بشكل رئيسي شغالا يدويا: «عامل تعيس يعيش على ما تصنعه يداه» (تقريبا 1325). استعملت labour بمعنى عناء أو ألم في الولادة من ق 16 ودلت على المخاض. يتلخص معنى الكلمة كشغل شاق ومجهود تلخيصا وافيا في قول ملتون Milton:

So he with difficulty and labour hard	لذا بصعوبة وشغل شاق
Mov'd on with difficulty and labour hee	تقدم هو، بصعوبة وعناء.
(Paradise Lost، II)	

في نسخة الإنجيل المعتمدة the Authorized Version، المعنيان فعالان:

For thou shalt eat the labour of thine	فتستمتع بنتاج عمل(شغل) يديك
hands; happy shalt thou be ... (Psalm 128:2)	سعيداً ستكون
The days of our years are three score and ten;	ايامنا المعدودة ستون وعشر
and if by reason of strength they be	ولو كان بسبب المقدرة أصبحت
fourscore years and ten	ثمانين عاما فان معاناة تلك السنين
yet is their strength labour and sorrow	هي مشقة واسى
	(Psalm 90:10)

من ق 19، عدا الاستعمال الخاص بالولادة، فقدت labour بالتدريج ارتباطها المعهود بالألم، ومع ذلك مازال معنى مشقة العام واستعمالاته واضحا. برز بوضوح معنى labour كنشاط اجتماعي عام وبفهوم أكثر تجريدية. دافع لوك Locke عن الملكية الخاصة بناء على حقيقة (في سياقها ومغازيها عالية التجريد) خلطنا الشغل في الأرض(لم تكن بالفعل لأولئك الذين عادة ماحملوا بوضوح وصمات هذا الخلط أية أملاك). شُخّص الشغل labour كما فعل جولد سميث Goldsmith في (1764) The Traveller: الطبيعة... لاتزال تمنح بركاتها كلما أطلق الشغل ندائه الجاد». لكن التحول الأهم كان في استعمال labour كمصطلح في الاقتصاد السياسي: في البداية بمعنى عام قائم فعلاً، «العمل السنوي لكل أمة» (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة)، لكن لاحقاً بمعنى عنصر يمكن قياسه وحسابه: «العمل labour. . . هو مقياس فعلي للقيمة المتبادلة لكل السلع» (المصدر السابق). بينما دلت labour في معناها العام على كل العمل المنتج فقد اصبحت تعني الآن ذلك الجزء

من الانتاج الذي يصنع بالتضافر مع رأس المال والمواد سلعاً. ينتمي هذا المعنى المتخصص مباشرة إلى المفهوم النسقي لعلاقات الانتاج الرأسمالية CAPITALIST (ا م). اكتسبت عبارات مثل «price of labour قيمة العمل» (مالثيوس MALTHUS، 1798) و«supply of labour عرض العمل» معاني أكثر دقة وأكثر تخصصا. لخصت لاحقا هذا التأثير تلخيصا وافيا بياتريس ويب Beatrice Webb:

«كنت بالطبع على إلمام بالكلمة labour. متزاملة بطريقة غامضة مع رفيقتها «رأسمال» كانت هذه الكلمة تتخلل دائماً حديث أبي، وجاء ذكرها مرة بل مرات في مجلات وتقارير الشركات التقنية التي وضعت على طاولة المكتبة. «الماء وفير والعمالة labour طيعة»، «أجور العمالة في هبوط إلى مستواها الطبيعي» ... كانت هاتان العبارتان محيرتان لي ... لم أتصور «عمالة» على أنها رجال ونساء مستقلين عن أصناف وأنواع أخرى مختلفة ... كانت «عمالة» تجريدا بدا أنه يدل على جمهور من الناس يمكن عده حسابيا، كل فرد نسخة من الآخر. . .» (My Apprenticeship, Ch.1).

لكن كما تبين العبارتان التي تقتبسهما، طورت labour بحلول هذا الوقت معنيين حديثين: اولاً، تجريد اقتصادي للنشاط activity، ثانياً، تجريد اجتماعي لتلك الطبقة من الناس التي قامت بهذا النشاط. كما لاحظنا، المعنى الأول أسبق. كانت « labour عمل» كفكرة مجردة تدخل في مكونات العملية الانتاجية: بين العامل labourer وموضوع عمله labour، بالمعنى الوارد في الاستعمالات الأولى، تم فصل رأس المال باعتباره مكوّنا انتاجيا، وكانت بمعناها المتخصص والقابل للقياس جزءا من نفس عملية التجريد. هذا هو معنى عبارة السيدة ويب الثانية: «أجور العمالة»، لكن بوضوح عبارتها الأولى «عمالة طيعة» هي وصف لطبقة.

ليس من اليسير تتبع ظهور هذا الوصف الطبقي (قارن CLASS طبقة) بدقة. مهدت عادة الإشارة إلى «عرض العمل» الطريق لذلك. لكن ربما يرجع الاستعمال الاجتماعي الواسع، الذي استجاب لهذا النوع من الافتراض بشكل متكافئ أو حتى بقدر أكبر، إلى المدافعين عن العمالة labour، خاصة من عشرينات ق 19. هكذا نجد «Labour Defended Against the Claims of Capital» دفاع عن العمل ضد مزاعم رأس المال لمؤلفه «A Labourer عامل» (توماس هوجسكن Thomas Hodgskin) حيث وضع مكوّناً ضد الآخر لكن بعبارات حددتهما كطبقتين اجتماعيتين. لا زال كتاب Labour Rewarded

(تومبسون Thompson، 1827) يشير في عنوانه إلى العمل كنشاط، لكن محاضرات براي F. Bray في ثلاثينات ق 19 التي نشرت في كتاب Labour's Wrongs and Labour's Remedies كان لها بوضوح تام معنى طبقة اجتماعية. سيصبح هذا الاستعمال شائعا بعد ذلك. بينما استعملت labour بطريقة منتظمة، سواء كعنصر يمكن استئجاره أو مجموعة أشخاص متوفرة للإيجار (قارن «سوق العمل labour market» من منتصف ق 19) في توصيفات رأسمالية فقد عارضتها «حركة عمل Labour Movement»، التي كانت تسميتها لنفسها مقصودة واستحواذية. كانت هناك تفاعلات معقدة مع الكلمة الاكثر شيوعاً trades (التي أعطتنا بمعناها السابق trades unions نقابات عمال) ومع معاني معقدة لشغل work، worker شغال وطبقة شغالة working class (انظر WORK وCLASS) لكن برز المعنى الأشمل لحركة واهتمام سياسي واقتصادي في الإنجليزية في الكلمة labour. في بريطانيا تعينت بشكل أدق في Labour Representation League عصبة التمثيل العمالي (1869)، Labour Electoral Committee لجنة الانتخاب العمالية (1887)، Independent Labour Party حزب العمال المستقل (1893)، وفي النهاية باسمه الحالي Labour Party حزب العمال (1906).

من اللافت ملاحظة آثار هذه التطورات الحديثة على المعاني العامة القديمة لعمل labour. استمر معنى مخاض، لكن سوى ذلك لاتستخدم الكلمة غالبا خارج نطاق دائرتها الحديثة المحددة. تبقى في عبارات (مثل «ارتاح من متاعبي rest from my labours») تفهم مباشرة. تحتفظ laborious (يتطلب جهدا) بمعناها العام القديم. لكن تحديدات الفترة الرأسمالية اصبحت سائدة: من ناحية، labour cost أجور العمالة، labour market سوق العمل، labour relations علاقات عمل؛ من الناحية الأخرى، حركة عمل labour movement، labour party حزب العمل الذي يحمل هذا المعنى الشرفي. مع ذلك لاتزال labourer متداولة كنوع خاص من الشغّالة بينما استولت work عمل/ شغل بكل صعوباتها على معظم المعاني العامة الأخرى.

انظر: **CAPITALISM رأسمالية، CLASS طبقة، WORK عمل/شغل**

ليبرالي/تحرري/مناد بالحرية LIBERAL

من أول نظرة، للكلمة liberal معنى سياسي واضح جداً لدرجة أن معانيها الأخرى محيرة. لكن بالمقارنة، المعنى السياسي حديث، ومعظم تاريخ الكلمة المشوق يسبق ذلك.

بدأت كامتياز اجتماعي محدد وكانت تشير إلى طبقة من الرجال الأحرار free men في تمييز لهم عن آخرين لم يكونوا أحراراً. دخلت الإنجليزية في ق 14، من (س م) liberal، فرنسية قديمة، liberalis، لاتينية، (س ب) liber، لاتينية، رجال أحرار. في استعمالها في «artis liberalis» الفنون الليبرالية(1375) كانت بشكل سائد مصطلحاً طبقياً: مهارات ومهن مناسبة، كما نقول الآن، لرجال ذوي موارد مالية مستقلة ووضع اجتماعي مضمون في تمييز لها عن مهارات ومهن أخرى (قارن ميكانيكي MECHANICAL) مناسبة لطبقة أدنى. لكن كان هناك تطور هام لمعنى آخر تكون فيه للمهن استقلالها الذاتي: «liberal sciences علوم ليبرالية... علوم حرة (free)، مثل النحو، الفن، الفيزياء، الفلك وسواها» (1422). لكن كأي مصطلح يفرق بعض الرجال الأحرار عن سواهم بقي هناك توتر. توافق نموذج liberal arts فنون ليبرالية المصقول مع معنى ليبرالي ككريم («in giffynge liberal»، 1387، في عطاء سخي)، لكن في نفس الوقت قابلها معنى سلبي: مفرط. رغم أن لليبرالية معنى عاما سابقا هو حرية freedom، إلا أنه كان لها من ق 15 معنى واضحاً هو امتياز privilege، أو إذن أو ترخيص permission رسمي؛ يبقى هذا في العبارة البحرية liberal boat (إجازة غياب) وكذلك في العبارة المحافظة liberties of the subject امتيازات التابع حيث لايوجد معنى liberty حرية الحديث بل المعنى القديم لحقوق ممنوحة ضمن خضوع لا نزاع فيه لسلطة معينة. كانت الكلمة الأخرى لمثل هذا الحق الرسمي هي licence إذن/ رخصة، ويمكن بوضوح ملاحظة التوجه نحو « unrestrained مفرط" في تطور licentious فاسق من ق 16. بالإضافة إلى الاستعمال الشائع لليبرالي liberal في العبارة السائدة «liberal arbytre» (ق15) حرية الإرادة فإنها كانت قريبة لفاسق في استعمالات أخرى كما هو عند شكسبير:

Who hath indeed most like a liberal villaine	من كانوا مثل مجرمين فسقة
Confest the vile encounters	اعترفوا بالمناوشات الخسيسة
they have had.	التي قاموا بها

(IV،i ،Much Ado About Nothing)

تتضح صيغة أضعف لكن مقاربة لهذا المعنى في تطور معنى «not rigorous»التي يمكن فهمها على أنها تعني إما ليس قاسيا not harsh وإما ليس منضبطا not desciplined.

تم ترسيخ liberal في محيط اجتماعي مختلف عن ذلك المرتبط بطبقة خاصة من الرجال الأحرار وذلك بشكل رئيسي في أواخر ق 18 وأوائل ق 19 بناء على معنى liberty (حرية) العام الواضح من منتصف ق 17. استعملت بمعنى open-minded متفتح الذهن

وبالتالي غير جامد التفكير unorthodox، من أواخر ق 18: «liberal opinions» آراء متحررة، (غيبون Gibbon، 1781). الصفة واضحة جدا بمعنى سياسي في مثال من 1801: «انعدام كل أثر للحرية وكل فكرة متحررة liberal idea يرتبطون بها». أدى هذا إلى صياغة الاسم كمصطلح سياسي أعلن عنه بفخر بل وبتحد في عنوان دورية: The Liberal الليبرالي (1822). لكن أضفى أعداء هذا المصطلح المرتبط بالرأي السياسي غير التقليدي نكهة أجنبية. كان هناك حديث عن «Ultras» متطرفي باريس و«Liberals» ليبراليي باريس في 1820، وكانت بعض الاستعمالات بتهجية أجنبية Liberale (ساوثي Southey، 1816)؛ Liberaux (سكوت Scott، 1826). استعمل التعبير بهذا المعنى ككنية للرادكاليين والوجز Whigs المتقدمين من قبل خصومهم؛ ثم تم تبنيه بطريقة متعمدة، وخلال جيل أصبح نافذا وبدوره تقليديا. من أوائل ق 19 تبعت ليبرالية liberalism (بمعناها السياسي) liberality، التي حملت منذ ق 14 معنى «سخاء» وفيما بعد «تفتح ذهن». دلت libertarian في أواخر ق 18 على مؤمن بالإرادة الحرة في معارضة لجبرية أوحتمية determinism (قارن DETERMINISM)، لكن اكتسبت من أواخر ق 19 معاني اجتماعية وسياسية تقترب أحيانا من liberal ليبرالي. صارت شائعة بشكل خاص في منتصف ق 20 في عبارةlibertarian socialism اشتراكية ليبرتارية، التي هي ليست ليبرالية liberalism ولكن صنفا من الاشتراكية SOCIALISM (ا م) يعارض التحكم المركزي والبيروقراطي BUREAUCRACY (ا م).

في المفهوم السياسي الحزبي الحالي واضحة liberal الآن بقدر كاف. لكن liberal كمصطلح في الخطاب السياسي معقدة. وقعت تحت هجوم عنيف ومنظم من مواقف محافظة حيث ألصقت بها معاني «إفراط» وعدم انضباط وكذلك معنى «سخاء» (أحمق وعاطفي). كذلك اعتمد في النقاش الفكري على معنى فقدان الصرامة lack of rigour. مقابل هذا الهجوم كانت liberal في الغالب مصطلحاً جمعياً لآراء راديكالية RADICAL أو تقدمية PROGRESSIVE (ا م م)، ولاتزال واضحة بهذا المعنى خاصة في أمريكا. لكن liberal كمصطلح قدحي استعملت بشكل واسع من قبل الإشتراكيين وخصوصاً الماركسيين. يشارك هذا الاستعمال المعنى المحافظ لفقدان الصرامة ومعنى الإعتقادات السخيفة والعاطفية. إلى هذا الحد يفسر الليبراليون ذلك بأنه شكوى مألوفة، وهناك حدة خاصة في ردهم على الاشتراكيين بأنهم يتميزون عليهم باهتمامهم بالحرية السياسية. لكن هذا يحجب المعنى الأخطر للاستعمال الإشتراكي الذي يعبر عن ملاحظة تاريخية دقيقة بأن liberalism الليبرالية مبدأ يعتمد على نظريات فردانية INDIVDUALISM (ا م) للإنسان

والمجتمع وبالتالي في نزاع أساسي ليس فقط مع نظريات إشتراكية SOCIALIST (ا م) وإنما أيضا مع نظريات المجتمع SOCIAL (ا م) التي تتسم بالدقة. مفيدة أيضاً الملاحظة الإضافية بأن ليبرالية هي الصيغة الأسمى للفكر الذي تطور ضمن مجتمع برجوازي BOURGEOIS (ا م) وحسب شروط الرأسمالية CAPITALISM (ا م) لأنه عندما لاتستعمل liberal كشتيمة فضفاضة فإن السبب يرجع لهذا المزيج من الأفكار المحرِّرة liberating والمقيِّدة limiting التي قصد منها أن تدل عليها. الليبرالية إذن مبدأ لأنواع ضرورية من الحرية، لكن أيضا وبشكل أساسي مبدأ لفردانية إستئثارية.

انظر: **ANARCHISM فوضوية، ART فن، INDIVIDUAL فرد، LIBERATION تحرير، PROGRESSIVE تقدمي، RADICAL راديكالي، SOCIALIST اشتراكي، SOCIETY مجتمع**

تحرير/اطلاق/تحرر LIBERATION

دخلت liberation الإنجليزية من ق15، من (س م) liberation، فرنسية، (س ب) liberatio، لاتينية: يطلق سراح، يخلي سبيل. كانت استعمالاتها الأولى بشكل رئيسي قانونية وإدارية كما في تسديد دين أو إعفاء من الخدمة العسكرية. يرتبط هذا مع الاستعمال المقيد للكلمة liberty حرية (قارن LIBERAL) كإجازة أو إذن أو امتياز franchise (نفسها تعني اعفاءً قانونياً أو امتيازا من ق 14، وتوسعت من ق18 كحق الإنتخاب elective franchise. عرفت المعاني الإيجابية للكلمتين liberty وliberation من اللاتينية وكان للأولي وللكلمة liberator محرِّر معنى سياسياً من منتصف ق 17؛ كانت liberation أقل شيوعا لكن كان لها معنى سياسياً من وقت لآخر منذ ق 16، وصارت أكثر انتشاراً في منتصف ق 19 وخصوصاً في منتصف ق20 (بالتحديد، هنا كإسم لحركات المقاومة ضد الفاشية في الدول المحتلة، بشكل ملحوظ في فرنسا، ومن ثم للإطاحة العسكرية بسلطات أو قوات الإحتلال). عرف الجيش البريطاني الذي هبط في فرنسا في 1944 بجيش التحرير البريطاني. ثم تم تبني الكلمة على نطاق واسع، كما حصل في الجزائر وفيتنام، لحركات مقاومة لسلطات احتلال استعمارية، خاصة من خمسينات ق 20.

في منتصف ق 19 في إنجلترا كان لايزال يعتبر liberationist محرر مناصراً لسحب اعتراف الدولة بالكنيسة. اكتسبت libertarian التي كانت تستعمل من أواخر ق 18 للمؤمن بحرية الإرادة free will (التي كانت نفسها في الإنجليزية من ق 13 كترجمة لـ liberum arbitrium اللاتينية) معناها السياسي الحديث من أواخر ق19. كان هناك بالطبع تطور مواز في الإنجليزية لكلمتين مشتقتين من اللاتينية «liber» ومن التيوتنية «"freo» التي وجدت في

الإنجليزية القديمة). في كل حالة اعتمد المعنى على مصطلح معارض، في اللاتينية: servus: عبد؛ في اللغات التيوتنية: «من لايمتون بصلة لأهل البيت»؛ عملياً «عبيد» أيضاً. «عزيزdear» هي أصل معنى الكلمات المرتبطة بـ free كما هي مستعملة في عبارات تتعلق بالأسرة مثل: أهل الدار الأحرار free household. تطورت المعاني السياسية الموسعة بشكل رئيسي حول المجموعة اللاتينية، كما هو الحال بالفعل في اللاتينية نفسها، رغم أنه في دولة حرة Free State، مناضل من أجل الحرية freedom fighter، مشاريع بشروط السوق الحر free enterprise، مثلاً، كان هناك استعمال واسع في ق20 للمجموعة البديلة.

كان استعمال الحركة النسائية لتحرير liberation (ومن ثم liberationist منادية بالتحرير، والصفة liberated متحررة) المختصرة إلى Lib في أواخر ق20 مرتبطاً بالحركات السياسية من 1940. كانت كلمة empancipation شائعة في الإنجليزية من ق 17، واتبعت في البداية معنى emancipo، لاتينية، الذي دل في القانون الروماني على إعفاء (طفل في العادة، لكن أحيانا زوجة)، من «السلطات القانونية Patria Potesta» لرب الأسرة pater familias؛ يمكن للشخص المحرر emancipated بهذه الطريقة التصرف sui juris - أي بتمام الأهلية القانونية. (تتكون الكلمة اللاتينية من e أو ex: من أو بدون و emancipium: عقد أو صفقة قانونية، من manus وcapio: هكذا حرفياً أخذ باليد (وضع يد) لعقد صفقة أو اتفاق. كان هناك توسع مجازي قديم كما هو عند بيكون :Bacon» طبيعة بشرية ... تستحق أن تحرر «fit to be emancipated (1605)، وكان هناك استعمال لدى «دون» Donne»: لتحريرهم to emarcipate من الطاغية» (1625). لكن من ق 18 أصبح المصطلح محصوراً تماماً على فعل التحرر من العبودية، وبلغ ذلك الذروة في يوم التحريرDAY EMANCIPATON في أمريكا في 1863. في بريطانيا انحصر المصطلح كذلك، لكن لمدة قصيرة ،على تحرير الكاثوليك (1829) من اللاتأهيل الشرعي المدني. لكن خلال ق 19 استعملت الكلمة بانتشار مضطرد بمعنى إزالة اللا تأهيل القانوني والسياسي للنساء (سجل استعمال سياقي سلبي لمتحررة emancipatress من 1882) وكان شائعاً في بريطانيا وأمريكا في ق 20. كذلك استعملته الحركة العمالية أو استخدمه آخرون بخصوصها كما في تحرير emancipation الطبقة العاملة حيث كان هناك ارتباط قائم من خلال عبارة عبودية الأجر Wage-slavery.

يبدو أن التحول اللاحق من emancipation إلى liberation يبين تحولاً من أفكار إزالة اللا أهلية أو منح امتيازات privileges (قارن UNDERPIVILEGED) إلى أفكار

فعالة لكسب الحرية وحق تقرير المصير. اكتسبت self-determination حق تقرير المصير، التي كانت في السابق تشير إلى «حرية الإرادة» من ق 17، معنى سياسيا من منتصف ق 19 («تجمع سياسي حر ومقرِّر لمصيره»، جروت Grote، 1853) وصارت شائعة خاصة بعد 1918 («حق الأمم في تقرير مصيرها»). يبدو أن بعض الاستعمالات الحديثة تجمّع المعاني الشخصية والسياسية.

انظر FAMILY **عائلة، LIBERAL ليبرالي، SEX جنس، UNDERPRIVILEGED محروم**

أدب LITERATURE

هذه كلمة صعبة، جزئياً لأن معناها المعاصر التقليدي يبدو عند أول نظرة بسيط جداً. ليست هناك صعوبة ظاهرة في عبارات مثل أدب إنجليزي أو أدب معاصر إلا عندما نجد فرصة للإستفسار عما إذا كانت كل الكتب والمؤلفات أدباً (وإذا لم تكن كذلك، فأية أنواع تم استثناؤها وحسب أية معايير) أو حتى نصادف ـ وهذا مثال مهم ـ تمييزاً بين أدب literature ودراما drama بناءً على أن الدراما فيما يبدو نوع من الكتب غرضه الرئيسى الأداء المنطوق (لكن في الغالب للقراءة أيضاً). ليس من السهل إدراك أسباب هذه التمييزات التي كثيرا ما تكون مشوشة حتى ننظر إلى تاريخ الكلمة.

دخلت الكلمة الإنجليزية من ق 14 بمعنى تعليم مهذب polite learning عن طريق القراءة. سابقتها المباشرة (س م) هى littérature، فرنسية، litterature، لاتينية، لها نفس المعنى العام. مصدرها البعيد (س ب) littera، لاتينية: حرف letter (من حروف الأبجدية الإنجليزية). بالتالي عنت a man of literature أو a man of letters ما يمكن أن نسميه الآن «رجل واسع الاطلاع». هكذا نلاحظ العباراتين: «ليس لديه اطلاع كاف sufficient literature لفهم الكتاب المقدس» (1581)؛ و«متعلم في كل الأدب learned in all literature والمعرفة، دينية كانت أم دنيوية» (بيكون، 1605). من مثال بيكون يمكن ملاحظة أن اسم الحالة ـ كونه واسع الإطلاع ـ أقرب أحيانا إلى اسم المفعول: الكتب التي كان الرجل مطلعاً عليها. لكن يمكن ملاحظة المعنى الرئيسي من الصفة المعتادة التي كانت literate، واسع الاطلاع، من ق 15، بدلا من literary أدبي التي ظهرت أولا في ق17 كبديل بسيط لـ literate ولم تكتسب معناها الأعم إلا في ق 18، لكن مع ذلك قارن عنوان كتاب كيف Cave اللاتيني Historia Literaria (1668). حتى ظهور مؤلف جونسون Life of Milton كان الاستعمال السابق لايزال معتاداً: «كان لديه على الأرجح

اطلاع يفوق الإطلاع literature العام حيث أن ابنه يخاطبه في إحدى قصائده المكتوبة بـ«لاتينية بالغة الصعوبة» (1780).

قابلت أدب literature إذن بشكل رئيس المعاني الحديثة للكلمة literacy (معرفة القراءة والكتابة) التي كانت على الأرجح، بسبب زوال المعنى القديم في ذلك الوقت، كلمة جديدة من أواخر ق19. عنت مقدرة على القراءة وحالة كون الإنسان واسع الاطلاع. يمكن تأكيد ذلك من الكلمات السلبية. في العادة عنت illiterate (أمي) محدود الاطلاع poorly-read أو سيء التعليم: «illitturate Judgis» (1586) قضاة شبه متعلمين؛ «أسلوبى الفج وشبه المتعلم illeterate (1597)؛ وحتى وقت متأخر (1748) : «في مفهومنا العام تعني كلمة illiterate رجلاً جاهلاً بهاتين اللغتين: اليونانية واللاتينية» (تشيسترفيلد Chesterfield). بشكل أوضح كانت هناك الكلمة المنقرضة الآن illiterature من أواخر ق 16 : «السبب... جهل... وأمية illiterature» (1592). على النقيض، من أوائل ق 13 كان الخاصة literati هم ذوي التعليم العالي.

لكن مهّد معنى «تعليم مهذب» العام، الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الكتب المطبوعة، الطريق لتخصصات الكلمة اللاحقة: ميز كولت في ق 16 بين literature وما أسماه «blotterature»؛ هنا يتوسع معنى عدم المقدرة على كتابة واضحة إلى صنف من الكتب أدنى من معايير القراءة المهذبة. لكن العلامات الأولى المؤكدة للتحول العام في المعنى بدأت من ق18. توسعت literary أكثر من معادلتها literate. كانت في البداية على الأرجح بمعنى عام: واسع الإطلاع لكن من منتصف ق 18 دلت على ممارسة ومهنة الكتابة: «جدارة أدبية literary merit» (جولد سميث Goldsmith، 1759)؛ «سمعة أدبية literary reputation» (جونسون Johnson، 1773). يبدو أن هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوعي الذاتي العالي بمهنة الكتابة في فترة الانتقال من رعاية الأدب إلى «سوق بيع الكتب». في الوقت الذي استعمل جونسون literature بمعنى اتساع الاطلاع في كتابه Life of Milton فإنه كتب في Life of Cowley، بالمعنى الجديد: «مؤلف وضعه خياله الخصب ولغته الرائعة في مرتبة عالية من الأدب ranks of literature». (تعريف جونسون للكمة في قاموسه هو «معرفة مهارة الكتابة».) لكن لم تزل تدل literature وliterary بهذا المعنى الجديد على جملة الكتب والكتابة بأجمعها، ولو تم التمييز فإنه يظهر في الإشارة إلى هبوط في مستواها عن مستوى المعرفة المهذبة بدلا من الإشارة إلى أنواع معينة من الكتابة. ذكر هيوم Hume الفيلسوف بشكل طبيعي تماما أن «حبه للشهرة الأدبية literary fame. . . كان

ولعه الطاغي». أصبحت كل الأعمال ضمن نطاق المعرفة المهذبة تعتبر أدبا literature، وكل الاهتمامات والممارسات أدبية literary. هكذا يكتب هازليت Hazlitt في Of Persons One Would Wish to Have Seen (Winterslow,II): قال آيرتون «Ayrton أعتقد أن أول شخصين تود اختيار رؤيتهما سيكونان أعظم اسمين في الأدب الإنجليزي English literature السيد إسحاق نيوتن والسيد لوك Locke» (1825 تقريباً).

العبارة الشائعة الآن English literature أدب إنجليزي نفسها كانت جزءا من تطور حاسم. تطورت فكرة Nationallitteratur أدب قومي في ألمانيا من سبعينات ق 18 ويمكن تسجيل التالي: ... أدب ألماني أصيل... (هيردر، 1767)؛ قرون من الأدب الفرنسي (1772)؛ تاريخ الأدب الإيطالي (1772). يبدو أن «أدب إنجليزي» تبعت ذلك رغم أنها مضمرة عند جونسون. أن يكون لـ «أمة» «أدب» هو تطور ثقافي واجتماعي حاسم ومن المرجح سياسي أيضاً.

ما يجب تعقبه، إذن، هو محاولات حصر literature، التي كانت في الغالب ناجحة، على أنواع معينة من الكتابة. هذا صعب لأنه ببساطة غير مكتمل؛ لايزال يتعامل محرر أدبي literary editior وملحق أدبي literary supplement عموماً مع كل أنواع الكتب. لكن كان هناك تحديد لمعنى يتم تأكيده أحياناً (بسبب غموض متبق) في عبارات مثل creative literature أدب ابداعي أو imaginative literature أدب خيالى (قارن CREATIVE إبداعي، IMAGINATION خيالي كوصفين لأنواع من الكتابة؛ قارن أيضاً FICTION خيال/ رواية). فيما يتعلق بالماضي لاتزال literature كلمة عامة نسبيا لكل أنواع الكتابة: مثلاً، ينتمي كارلايل Carlyle ورسكن Ruskin اللذان لم يكن لهما روايات أو قصائد أو مسرحيات إلى الأدب الإنجليزي. لكن كان هناك تمييز وفصل مضطردين لأنواع أخرى من الكتابة - فلسفة، مقالات، تاريخ، ..الخ ـ قد تمتلك وقد لاتمتلك ميزة أدبية أو تعتبر ذات اهتمام أدبي literary interest (التي تعني أنه بالإضافة إلى اهتمامها الأصلي مثل الفلسفة أو التاريخ أو أي موضوع آخر فإنها حسنة الكتابة well-written) لكن لاتوصف الآن كأدب literature الذي يمكن فهمه ككتب جيدة الكتابة وأبعد من ذلك يمكن فهمه بطريقة أوضح ككتب حسنة الكتابة من نوع خيالي أو إبداعي. يفهم تدريس الإنجليزية، خاصة في الجامعات، كتدريس أدب literature، أي بشكل رئيسى قصائد ومسرحيات وروايات؛ وتوصف أنواع أخرى من الكتابة «الجادة» بأنها عامة general أو خطابية discursive. وهناك literary criticism نقد أدبي ـ أي الحكم على كيفية كتابة عمل (إبداعي أو خيالي) ـ

في الغالب في تمييز له عن مناقشة «أفكار» أو «تاريخ» أو «مواضيع عامة». في نفس الوقت لايعتبر عدد كبير من القصائد والمسرحيات والروايات أدباً: تهبط دون مستوى الأدب، بمفهوم يرتبط بالتمييز القديم للأدب كمعرفة مهذبة؛ أي أنها ليست على درجة كافية من المتانة أو الأهمية بحيث يمكن تسميتها أعمال أدب works of literature. يستعمل كبديل لذلك تصنيف جديد هو popular literature أدب شعبي أو دون الأدبي sub-literary، لوصف أعمال قد تكون من نظم الخيال لكنها لا تنتمي إلى الإبداع والتي تكون بذلك فاقدة القيمة الجمالية AESTHETIC (ا م) وهي ليست فنا ART (ا م).

بوضوح التحول الكبير الذي تمثل في مجموعة المفاهيم الحديثة للأدب :literature art فن، aesthetic جمالي، creative إبداعي و imagination تخيلي هو مجال بحث اجتماعي وثقافي. يجب اعتبار كلمة literature نفسها تمييزا من القروسطية المتأخرة وعصر النهضة لمهارات القراءة ونوعية الكتاب؛ تأكد هذا بشدة عن طريق تطور الطباعة. لكن مفهوم المعرفة مازال متأصلاً وكانت هناك أيضاً فنون arts، قواعد grammer، وبلاغة rhetoric. باضطراد، ومع هيمنة الطباعة، أصبح كتاب book وكتابة writing، مترادفين تقريباً؛ من ثم التشوش اللاحق حول «دراما» التي كانت كتابة يقصد نطقها speech (لكن بوضوح ما كتبه شكسبير يصنف كأدب، ويثبت ذلك وجود نص). ثم انحصرت literature في «كتابة تخيلة»، ضمن المفاهيم الأساسية للحركة الرومانسية. من اللافت تذكر الكلمة التي قامت بهذه المهمة قبل تحديد معنى «أدب». كانت تلك الكلمة بشكل رئيسي هي poetry شعر، التي عرفت في 1586 بأنها «فن الصنعة» art of making: استعملت دائما بالنسبة للشعراء الإنجليز للدلالة على ملكة الكلام الفعلية أو الكتابة بطريقة شاعرية (لاحظ ضم «الكلام» speeking). كتب سدني Sidney في1581: «النظم ليس إلا زخرفا وليس هو الذي يصنع الشعر: لذا كان هناك عدد كبير من الشعراء المتميزين الذين لم يكتبوا نظما أبداً». حصر poetry شعر على تأليف موزون واضح من منتصف ق 17، رغم أن وردزرت Wordesworth جادل في ذلك: «أستعمل هنا كلمة «شعر» (بالرغم من تحفظي على ذلك) في تضاد مع كلمة «نثر» وفي ترادف مع تأليف «موزون»" (1798). من المرجح أن حصر الشعر على النظم، بالإضافة إلى الأهمية المتزايدة لأصناف نثرية مثل الرواية NOVEL (ا م)، جعل literature أدب الكلمة الشاملة الشائعة. سبقتها من عصر النهضة عبارة أدب بشرى litterae humanae التي دلت بشكل رئيسى على الكتابة العلمانية في تمييز لها عن الكتابة الدينية ونجم عن ذلك استعمال عام للكلمة letters آداب. تطورت belles letters آداب جميلة في الفرنسية من منتصف ق17؛ كان عليها أن تنحصر أكثر عندما استقرت في

النهاية الكلمة literature. كانت poetry شعر هي المهارة الرفيعة للكتابة والكلام في نطاق الخيال السامي؛ يمكن توجيه الكلمة نحو أي من الإتجاهين. بمفهوم ق 19 كررت literature ذلك، لكن مع استبعاد «الكلام». لكنها مع ذلك كلمة إشكالية ليس فقط بسبب انحصارها الإضافي على مواضيع خيالية وإبداعية (في تمييز لذلك عن الكتابة الخيالية والإبداعية) وإنما أيضا بسبب الأهمية الجديدة لأصناف كثيرة من الكتابة المخصصة للنطق (إذاعة ودراما) التي بدا أن حصر literature على الكتب، حسب التعريف، أبعدها.

ومن اللافت، أنه في السنوات الأخيرة اعترض بشكل متزايد على literature وliterary، رغم أن لهما تداولاً فعالاً بمعاني ما بعد ق 18، وذلك بناء على ما هو، تقليدياً، مجالهما، من قبل مفاهيم writing كتابة و communication اتصال التي تسعى لاستعادة المعاني الفعالة والعامة التي يبدو أن التخصص الفائق اللاحق قد اقصاها. علاوة على ذلك، فيما يتعلق بردة الفعل هذه، اكتسبت literary معنيين سلبيين: ارتباطها بالكتاب المطبوع أو بالأدب الماضي بدلاً من كتابة وكلام معاصر فعال؛ أو كدليل (لايعتمد عليه) مستمد من كتب بدلاً من «بحث حقيقي». يلامس هذا المعنى الأخير جملة العلاقات المعقدة بين literature أدب (شعر، خيال، كتابة خيالية) وتجربة حقيقية أو فعلية. كذلك بالطبع كانت literary عبارة انتقاص في فنون أخرى خاصة الرسم والموسيقى، حيث يعتبر العمل قاصراً في استعمال أدواته الخاصة، وليس على درجة استقلال كافية، وكونه معتمداً على دلالات «خارجية» من نوع «أدبي literay». هذا المعنى موجود في نقاش الأفلام. في الوقت نفسه أصبح تعلم القراءة والكتابة literacy وأمية illiteracy مفهومين اجتماعيين أساسيين في منظور أوسع من معنى ماقبل ق 19. توسعت الأمية illiteracy من ق 18 للدلالة على عدم القدرة على القراءة والكتابة وكانت literacy، من أواخر ق 19، كلمة جديدة للتعبير عن انجاز وامتلاك ما اعتبر بشكل متزايد مهارات ضرورية وعامة.

انظر: **AESTHETIC جمالي، ART فن، CREATIVE إبداعي، FICTION خيال، IMAGE صورة، MYTH أسطورة، NATIONALITY وطني/قومي، NOVEL رواية**

رجل/انسان/بشر MAN

هناك استعمال لافت وهام لكلمة Man في المفرد وبحرف استهلالي كبير لوصف الجنس البشري ككل، النوع البشري أو الإنسانية. التطابق بين man (إنسان) و man (ذكر) استمر في الإنجليزية مدة أطول عنه في معظم اللغات الأوربية. الاستعمال المجرد في الإنجليزية مثير للاهتمام، إذ ليس له أداة تعريف (قارن l'homme في الفرنسية، der

Mensch في الألمانية): «التركيب البنيوي للإنسان man والقرد». في توصيفات النوع البشري الفيزيائية لا تسبب man إلا مصاعب قليلة؛ تحديد الجنس sex هو الصعب في بعض المجالات (قارن العنوان الحديث: هبوط المرأة The Descent of Woman [مقابل هبوط «الرجل» بمعنى البشر وهو المثال «الديني» المتعارف عليه في السابق]. خلق التحديد الجنسى sexual للكمة إشكالية في بعض التنظير الفلسفي والاجتماعي العام (قارن بين Paine: Rights of Man، Man هنا بمعنى بشر وبين Wollstonecraft وولستون كرافت: Rights of Woman (حيث تعني woman هنا أنثى). لكن بخلاف تحديد الجنس sex فإن استعمال المفرد هو الأكثر إثارة للاهتمام في مجالات أخرى غير بدنية. هناك بعض الاستعمالات المحددة والموسعة كما في «future of man مستقبل الإنسان على هذا الكوكب» الذي لايثير أية مشاكل حقيقية. لكن في بعض الاستعمالات الأخرى يسبب المفرد، وفي الغالب يحجب، بعض المشاكل. كانت الامور أبسط عندما كانت Man تعميماً مميزاً عن الإله God؛ كلمة مفردة مقابل كلمة مفردة أخرى كما في «الإنسان يسعى والرب يدبر man purposith and god disposith (1450) إلى جانب افتراض خلق الإله للإنسان Man) أو Man-kind النوع البشري) وتحكمه في مصيره. المثير هو أنه استمر التعبير عن هذه الحالة السائدة المفترضة ـ روحية وميتافيزيقية ـ بنفس صيغة المفرد عندما كانت توصف الخصائص الاجتماعية والأخلاقية الشاملة كما حدث في عصر الأنوار. استعمل بعد ذلك المفرد الشامل Man مستقلا. استمر ذلك الاستعمال حتى فترات متأخرة تم التركيز فيها على تطور الانسان الذاتي (الإنسان يصنع نفسه Man Makes Himself)، وشاع بشكل ملحوظ حتى ضمن نسبية ثقافية وتاريخية متعمدة. من الصعب جداً إذن تمييز افتراضات عامة عما هو في الواقع مسائل ثقافية واجتماعية، كما في الأمثلة التالية: «اخترع الإنسان man العجلة، البوصلة وماكينة الاحتراق الداخلي»؛ «الإنسان man بطبيعته قناص» و«دخل الإنسان man الآن مرحلة حرجة من الحضارة الصناعية». كل هذه الاستعمالات ممكنة، لكن من المهم في العادة التنبه لإيحاءات المفردة المبتدئة بحرف كبير Man (الذى يفترض الشمولية) وكذلك لتضمينات مشابهة في الغالب لكلمة Man في صيغة الجمع المجردة المستعملة بنفس المعنى. لو اقتصرت الاستعمالات على مجالات ميتافريقية أو شمولية، أو تاريخياً أحادية المسار لكانت المشكلة أبسط؛ لكن تأصّل في اللغة الآن تكرار هذه الافتراضات لدرجة أن هناك استمرارية لهذا الاستعمال حتى عندما يكون التأكيد على التنويع التاريخي والثقافي الفعلي. تتطلب الاستعمالات في الماركسية، حيث كانت هناك

صعوبة أساسية ومهمة وربما مستحيلة الحسم حول مفهوم «كائن - نوعى» «species-being»، اهتماما خاصا لهذا السبب وحده.

انظر: **HUMANITY انسانية، SEX جنس**

إدارة/تدبير MANAGEMENT

عندما نتحدث الآن عن مفاوضات بين إدارة management ورجال men فإننا نتحدث عن نوع معين من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. يبدو أن كلمة manage (يدير) دخلت الإنجليزية مباشرة من maneggiare، إيطالية: يروّض وعلى الخصوص يروض أو يسوس خيولاً. كانت استعمالاتها الأولى في اللغة الإنجليزية في هذا المجال. أصلها القريب (س م) هو manidiare، لاتينية دارجة: يروض، من (س ب) manus، لاتينية: يد. توسعت manage بسرعة لتشمل عمليات حرب ومن أوائل ق 15 شملت معنى عاماً يدل على تولي زمام الأمور وتقلد أو قيام بالمسؤلية أو توجيه. يتأثر تاريخها اللاحق باختلاطها بـ ménager، فرنسية: يستعمل بعناية، من ménage: أهل البيت، التي ترجع إلى mansionaticum، لاتينية دارجة، من (س ب) mansionem، لاتينية: سكن (التي أدت مباشرة إلى maison، فرنسية: منزل). هناك أدلة وافرة من أواخر ق 17 وق 18 على تداخل بين manage وmenage يبرز في تنويعات التهجية. أثر ذلك على معاني manager من سائس وموجّه/مدير (maneggiare) إلى مدبّرة منزل مقتصدة (menager). لايزال نطاق المعاني هذا فعّالاً في اللغة الإنجليزية في استعمالات تمتد من الرياضة إلى الأعمال، ثم إلى تدبير المنازل (a good manager إداري جيد).

في الأصل كانت management اسم عملية لأي من هذه النشاطات. يبدو أنها انحصرت في البداية على فكرة تجمّع من الرجال collective body of men ومن ثم مؤسسة موجّهة ومتحكّمة في المسرح حيث لاتزال the management الإدارة عبارة شائعة. حدث ذلك في منتصف ق 18، لكن استعملت manage وmanager باضطراد لنشاطات ترتبط بالتمويل والأعمال business. كاسم جمع توسعت management من ق19 لتشمل عملية الإشراف على نشر الصحف. بمعنى مؤسّسي، توسعت the managers باضطراد من منتصف ق 18 لتدل على الموجّهين أو القائمين على مؤسسة عامة (مدرسة، مأوى). في مجال الأعمال لم تكن manager بعد مميزة بشكل واضح عن agent (وكيل، فاعل) وعن الاستعمال الخاص للكلمة receiver (من يدير عملا تحت سلطة المحكمة). مع توسع

التعبير في مجال الأعمال كان لايزال هناك تمييز واضح بين المالكين وأعضاء مجلس الإدارة directors من جهة والمدراء managers من الجهة الأخرى؛ مازال المدير كوكيل هو المعنى الاوضح هنا.

يرتبط مفهوم management العام في ق 20 باتجاهين تاريخيين. كان هناك توظيف متزايد لمجموعة من الوكلاء agents المأجورين لإدارة administer مؤسسات أعمال كبيرة. في الإنجليزية أصبح هؤلاء، مع توكيد جديد، هم the managers المدراء أو the management الإدارة في تمييز لهم عن الوكلاء الحكوميين الذين سموا (مع إلماعة متبقية من عهد الملكية monarchy [حيث الناس رعية]) civil servants (موظفين مدنيين) أو، بشكل أعم، البيروقراطية BUREAUCRACY (ا م). لاتزال هذه الطبقة من الموظفين الحكوميين متميزة عن management حتى عندما تكون نشاطاتهم الفعلية متطابقة؛ يتبع هذا التمييز القائم المتعارف عليه والمتأثر أيديولوجيا بين أعمال حكومية وأعمال خاصة. كان التعبير المهذب لمؤسسات شبه حكومية هو administration (رغم أن هذا يستعمل كذلك كمرادف سياسي للحكومة). من اللافت أن هناك تنويعات كبيرة في التعابير غير الدقيقة المتعلقة بمجال «أصحاب العمل أو الموظِّفين «employers و«إداريين «managers في لغات أوربية أخرى حيث ليس لـ «manager» بالمعنى الإنجليزي (الأمريكي) في الغالب معادلا، وتم أحياناً ببساطة تبنى هذه الكلمة. (قارن الكلمات الفرنسية gérant، régisseur، directeur، بالإضافة إلى employeur، وبشكل ملحوظ patron). كان الاتجاه التاريخي الآخر فعلياً إرباكاً وتعمية في علاقات الإقتصاد الرأسمالية. كانت هناك مفاوضات (ق 19) بين masters أرباب العمل و men عمال، وباضطراد حملت في ق20 الكلمة الألطف والسائدة الآن employers موظِّفين محل mastesr. لكن في منتصف ق 20 فُضّلت the managementالإدارة؛ هي مصطلح مجرد يضمر معايير مجردة وظاهرياً نزيهة. جدير بالملاحظة أنه لايزال هناك جدل مثير حول ما سمي managerial revolution الثورة الإدارية التي يعتقد أن المدراء managers المأجورين استولوا فيها، ضمن نظام الرأسمالية، على السلطة الفعلية في الشركات الكبرى من ملاكها ومساهميها القانونيين. لو كان هذا صحيحاً (والمعلومات معقدة جداً) فإن الإدارة the management ستكون الآن هي الموظَفين employers ولظل للمصطلح المجرد والحيادي ظاهرياً مفعول أيديولوجي. بالطبع موقع أعضاء مجلس الإدارة directors في هذه العملية هو جزء من النقاش المركزي.

في الغالب يزيح وصف مفاوضات بين management إدارة و men الطبيعة الحقيقية لمفاوضات بين employers موظّفين و workers عمال ويحوّل طبيعة المفاوضات حول

الحصص النسبية لإنتاج العمال إلى نزاع بين متطلبات «العملية» (الإدارة management المجردة) العامة ومطالب أفراد فعليين men (رجال، عمال). عندئذ يمكن التحدث عن القوانين الداخلية لمؤسسة أو نظام رأسمالي على أنه قوانين تقنية أو مجردة أو عامة مقابل مجرد رغبات أفراد أنانية. لذلك تأثير أيديولجي فائق.

في نفس الوقت يمكن العثور على مثال من معنى manage القديم (من maneggiare) في التعبير الشائع «الإدارة» management. بدأ ذلك في الجيش وكانت له صلات مباشرة بسياسة الخيول والسيطرة عليها. في ق 20 توسعت بشكل كبير كتعبير مؤثر ونافذ المفعول في أنواع كثيرة من توظيف وإدارة العمل، وتستعمل بشكل واسع في دورات التدريب الإداري management-training courses دونما دراية دائما بمضمون التعبير. التعبير الأكثر مرونة لأنه أكثر تجريدا هو personnel management إدارة أفراد حيث يصبح الناس على طرفي العملية مجردين ومعممين بشكل تام.

انظر: **BUREAUCRACY بيروقراطية، LABOUR عمل، MAN رجل/بشر**

جماهير، العامة، طبقة عاملة MASSES

المفردة mass ليست فقط كلمة شائعة جداً وإنما هي أيضاً كلمة صعبة جداً في التوصيف الاجتماعي. بينما « the masses» الجماهير أقل صعوبة إلا أنها مثيرة بشكل خاص للاهتمام لأنها متأرجحة: تعبير احتقار في معظم الفكر المحافظ، لكنها إيجابية في معظم الفكر الاشتراكي.

عبارات الاحتقار الموجهة لأغلبية الناس لها تاريخ طويل وثري. في معظم التوصيفات الأولى المعنى البارز هو: وضيع ودنيء وذلك بناء على نموذج مجسم، مضمر لكنه غالباً واضح، للمجتمع مرتبا حسب مراحل أو طبقات متعاقبة. حدد هذا النموذج المجسم أكثر مفردات التوصيف الاجتماعي؛ قارن standing مكانة، status منزلة، emenince سمو، علو، prominence بروز، والأوصاف الاجتماعية: levels مستويات، grades مراتب، estates منازل، degrees درجات. في نفس الوقت توسعت تعابير معينة لوصف بعض المجموعات بأنها «دنيئة» low: plebeian من اللاتينية plebs، دهماء، villein خسيس (ولد في الرق) و boor فظ، من المجتمع الإقطاعي. أضافت COMMON عام/سائر (ا م) معنى الوضاعة lowness إلى معنى المشاركة mutuality خاصة في عبارة «the common people» عامة الناس. بحلول ق 16 فقدت vulgar (مألوف) معظم معانيها الحيادية أو الإيجابية وكانت في طور التحول إلى مرادفة لدنئ «low» و«base» وضيع؛ تبقّى معنى أكثر

إيجابية في vulgate (نص مقبول عند الجمهور). أصبحت the people الناس نفسها مبهمة كما في حدث في طرح في ق17 حاول تمييز «better sort» الصنف الأفضل عن الأحقر «meaner» والأدنى «basest». لايزال يمكن استعمال العبارة الإجمالية the people حسب الموقف السياسي إما بشكل عام أو بطريقة انتقائية.

لتعابير الاحتقار أو الخوف السياسي الصريحة تاريخها الخاص. في ق 16 وق 17 كانت الكلمة الرئيسية هي multitude حشد، عامة، كما هو عند كريستوفر هيل Christopher Hill: «الوحش متعدد الرؤوس The Many-headed Monster» في كتابه Change and Continuity in Seventeenth Century England (1974). رغم أن معظم الإشارات كانت لـ vulgar، الأفجاج و the rabble الرعاع فإن الاسم البارز كان multitude، معززاً غالباً بوصف للتعدد كما في «متعدد الرؤوس». كانت هناك أيضاً base multitude حشد حقير، giddy multitude حشد طائش، hydra-headed monster multitude حشد متوحش مثل الأفعوان الخرافي ذى التسعة رؤوس و headles multitude حشد عديم القيادة. هذا التركيز على أعداد كبيرة مهم عندما يقارن بالتطور اللاحق لكلمة mass، رغم أنه لابد وأن كان بديهيا أن أبرز شيء بالنسبة لـ «the common people» عامة الناس هو عددهم الكبير.

بالنسبة للصفة السابقة base فإن لها معنى واضحا يبين دناءة الحالة الاجتماعية والمستوى الأخلاقي. ربما تداخلت في الأصل الكلمتان idiot أبله و giddy طائش اللتان حملتا معنيي «ignorant» جاهل و foolish أحمق» وأدى تشابكهما إلى معنى giddy المبكر كمجنون crazed (عنت في الأصل «تملك من قبل إله»). لكن معنى giddy «غير متزن، متقلب» أصبح تاريخياً أكثر أهمية؛ ارتبط بالعبارة اللاتينية «mobile vuglus»: عامة الناس المتقلبين، التي اختصرت بحلول أواخر ق17 إلى «mob» الإنجليزية (رغم أنها لاقت اعتراضاً في أوائل ق 18 من آخرين بينهم سوفت Swift الذي شجبها بطريقة لطيفة لأنها كلمة سوقية vulgarism). من ق 18 حلت mob (غوغاء، سواد الناس) محل multitude، لكن مع سند من مجموعة الكلمات المألوفة: vulgar وbase وcommon وmean. بالطبع استمرت mob مستعملة لكنها صارت منذ اوائل ق 19 أكثر تحديدا: حشد جامح unruly crowd معيّن بدلاً من حالة عامة. الكلمة التي برزت لاحقاً للدلالة على الحالة العامة هى mass وتبعتها the masses.

استعملت mass بشكل واسع بمعان متعددة من ق 15. سابقتها المباشرة (س م) هى

masse، فرنسية و massa، لاتينية: كتلة مادية يمكن قولبتها وسبكها (على الأرجح كان المعنى في الأصل لعجن الطحين)، ومن ثم أية كتلة كبيرة. يمكن ملاحظة معنيين مهمين لكنهما أيضا بديلان: (1) شئ غير متبلور وغير مميز؛ (2) تجمع كثيف. واضحة التداخلات والتنويعات الممكنة. كان هناك استعمال في عطيل Othello: «أتذكر كتلة من الأشياء a mass of things لكنى لا أميز شيئا بوضوح». كان هناك الاستعمال الهام في كتاب كلاريندون Clarendon: History of the Rebellion، الذي يقترب كثيرا من المعنى الحديث: «مثل ذرات كثيرة تسهم معا في تكوين هذه الكتلة من التشويش mass of confusion التي هي أمامنا الآن». كانت هناك استعمالات حيادية للكمة mass تتطور في العلوم الطبيعية وفي الرسم وكذلك في الاستعمال اليومي للدلالة على الحجم أو المقدار الكبير. (كانت mass الدينية دائماً كلمة مستقلة، من missa، لاتينية: مرسل، مصروف dismissed، ومن ثم طقس معين.) لكن يمكن ملاحظة بروز المعنى الاجتماعي في أواخر ق 17: «الجمهور الفاسد The Corrupted Mass» (1675)؛ «جمهور الناس the mass of the people» (1711)؛ «كافة حشد البشر whole mass of mankind» (1713). لكن ذلك لم يكن محدداً حتى فترة الثورة الفرنسية التي ظهر حينها استعمال حاسم. كما لاحظ ساوذى Southey في 1857: «التجنيد العفوي العام levy en mass، التلغراف وضريبة الدخل - كلها أتت من فرنسا». كتبت آنا سيوارد Anna Seward في 1798: «أمتنا نهضت تقريبا كوحدة واحدة in mass». في فترة ثورة وصراع اجتماعي مكشوف، كثير من الأشياء التي قيلت خلال الثورة الإنجليزية عن the miltitude العامة أعيد قولها الآن عن mass، وبحلول ثلاثينات ق 19 على الأقل بدأت the masses تصبح تعبيراً شائعاً رغم أنه لم تزل هناك حاجة أحياناً إلى الإشارة إلى حداثته. يظهر واضحاً الاحساس بعلاقة التعبير بالثورة الصناعية INDUSTIAL REVOLUTION (ا م م) في قول جاسكل Gaskell: «جمّعت القاطرة البخارية الناس في جماهير كثيفة «dense masses» (The Manufacturing Population of England، 6؛ 1833). كتب موور Moore في 1837: «أحد الأدلة القليلة على الذوق السليم التي قدمتها الجماهير the Masses كما تسمى». وكتب كارلايل Carlyle في 1839: «رجال...بالنسبة لهم ملايين من المخلوقات الحية المماثلة تعتبر «جماهير masses»، مجرد جماهير متفجرة «explosive masses» لنسف الباستيل بهم وللتصويت في الانتخابات لصالحنا». يبين هذان المثالان بدقة التشعب في المعنى. اختار موور الكلمة الجديدة في سياق ثقافي للدلالة على «دناءة» أو «غوغائية» في تمييز لها عن ذوق TASTE (ا م). كان كارلايل على وعي بالمعنى التاريخي الدقيق للتعبير الثوري

«التجنيد العام العفوي levée en masse» لكنه كان على وعي أيضاً بدرجة كافية بالاستعمال الموجود في العلوم الطبيعية مكنته من استخدام استعارة الانفجار. من الأهمية بمكان أيضا ربط الاستعمال الثوري الذي شجبه على أنه حيلة مدبرة manipulation بالاستعمال الانتخابي البرلماني ـ التصويت في الانتخابات لصالحنا ـ الذي حمل مقداراً من التوجيه المتحايل manipulation.

هكذا المعاني معقدة جداً حيث أن هناك استمرارا للمعنيين السابقين (1) و(2) للكلمة mass. استمر معنى (1) غير متبلور وغير متميز، خصوصا في العبارة السائرة «in the mass» إجمالاً، على وجه الإجمال، كما هو عند روجرز Rogers (1820): نشجب ملايينا إجمالاً in the massكحقودين»؛ أو عند مارتينو Martineau: (1832) نتكلم عن المجتمع كشئ واحد، ونعتبر الرجال في مجملهمin the mass»، حيث المقصود الفشل في تحديد الفروق الضرورية. لكن اكتسب باضطراد معنى (2) «تجمع كثيف"، بطريقة طبيعية في الفرنسية والألمانية أكثر منه في الإنجليزية، أهمية اجتماعية مباشرة تقارب جداً معنى solidarity تضامن. لا يستطيع الناس فعلا تغيير ظروفهم إلا بعملهم ک «فرد واحد». ماكان في معنى (1) فقدان التمييز أو التفريق أصبح بناء على معنى (2) تجنبا للتقسيم والتشجذر غير الضروري وبالتالي تحقيق اتحاد. استمر معظم الراديكاليين الإنجليز في استعمال the people الشعب وتنويعاتها ـ common people عامة الناس، working people الشعب العامل، ordinary people الناس العاديون ـ كتعبيراتهم الرئيسية المحبذة رغم أنه في أواخر ق 19 كان هناك تضاد عام بين «the masses» الجماهير و«the classes» الطبقات: «ساند الجماهير the masses» ضد الطبقات the classes (جلادستون Gladstone، 1886). استمرت masses وتنويعاتها ـ the broad masses الجماهير العريضة، the working masses الجماهير العاملة و the toiling masses الجماهير الكادحة ـ في الاستعمال خصوصا في التراث الثوري، رغم أن الترجمات كانت في بعض الأحيان غير دقيقة.

حسب المعنى الاجتماعي الحديث، اذن، لجمهور mass وmasses جماهير نوعان مميزان من الاستعمال. جماهير (1) masses هي الكلمة الحديثة بدل حشد متعدد الرؤوس many-headed multitude وmob غوغاء، سواد الناس اللتين حملتا معاني: دنيء، جاهل، مزعزع. جماهير (2) masses هي وصف لنفس الناس لكنهم يعتبرون هنا قوة إيجابية فعلية أو كامنة. أصبح التمييز حاسماً في كثير من الصيغ المشتقة أو المرتبطة بالكلمة. كان لـ «اجتماع جماهيري mass meeting»، من منتصف ق 19، معنى (2): ناس تجمعوا لغرض

اجتماعي مشترك (رغم أن العبارة الازدرائية like a mass meeting مثل لقاء جماهيري مهمة كردة فعل على ذلك). لكن برز معنى (1)، كما في قول سميث S. Smith في 1803: «نادرة العيون والآذان المستقلة، معظم الجمهور the great mass يرى ويسمع حسب توجيه الآخرين»، في ق 20 في صيغ عدة: mass society مجتمع جماهيري، mass suggestion ايحاء جماهيري، mass taste ذوق جماهيري. معظم هذه الصيغ كانت أنواعاً مصقولة نسبياً من نقد الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) التي بدا أنها، وقد أصبحت منذ أوائل ق 19 كلمة محترمة، تحتاج وفقاً لتوجه معين من التفكير بديلاً فعالاً. يمكن أن تصف mass-democrcy ديمقراطية جماهيرية نظاماً سياسياً موجَّهاً، لكنها في الأغلب تصف نظاماً تحكمه آراء واختيارات جاهلة وغير متنورة: أي الشكوى الكلاسيكية ضد الديمقراطية نفسها. في نفس الوقت تأثرت عدة من هذه الصيغ بالصيغة الأكثر شعبية بينها: mass production (إنتاج إجمالي، على نطاق واسع) التي ظهرت في عشرينات ق20 في الولايات المتحدة. هذه لاتصف فعلياً عملية الانتاج الذي في الواقع قام في الأصل، كما كان في نظام خط التجميع، على التعدد والتسلسل. ماتصفه هو نوع من الاستهلاك consumption (قارن CONSUMER مستهلك)، السوق الجماهيري the mass market حيث mass هي صيغة لمعنى (1): الحشد متعدد الرؤوس لكنه الآن حشد له قوة شرائية. تضادت mass market مع quality market سوق نوعي واحتفظت الأولى بمعظم معنى (1)، لكن أصبحت mass production تعنى، عن طريق التوسع، الإنتاج بكميات كبيرة. الصعوبة الأعمق في استعمالات ق 20 للكلمة mass إذن واضحة: إن كلمة دلت وتدل (سواءً كان ذلك ايجابياً أم سلبياً) على تجمع كثيف تعني الآن أيضاً عدداً كبيراً جداً من الأشياء أو الناس. بشكل عام ساد معنى العدد الكبير جداً. بالمقارنة بكل الأنظمة السابقة، ليست mass communication اتصال جماهيري و mass media وسائل اعلام جماهيرية موجهة نحو جماهير masses (أفراد متجمعين) وإنما نحو مشاهدين عددياً كثيرون جداً لكنهم في منازل مستقلة ونسبياً معزولة. تختلط عدة معاني وتسبب خلطاً : الأعداد الكبيرة التي يتم الوصول لها (حشد متعدد الرؤوس أو معظم الناس the majority of the people)؛ الأسلوب المتبع (الذي يتسم إما بالمناورة والتوجيه manipulation أو بالشعبية popular)؛ الذوق المفترض (فج أو مألوف)؛ العلاقة الناجمة (مستلبة ومجردة أو نوعا جديدا من الاتصال الاجتماعي).

العنصر الأكثر إثارة في مركّب mass وmasses في الاستعمال المعاصر هو معانيه الاجتماعية المتضادة فعلاً. الانهماك في mass work عمل جماهيري، الانتماء إلي mass

organization منظمات جماهيرية، تثمين mass meeting لقاءات جماهيرية و mass movements حركات جماهيرية، تكريس الحياة كلية لخدمة الجماهير the masses ـ هذه عبارات تراث ثورى فعال. لكن دراسة ذوق الجماهير mass taste، استعمال وسائل الإعلام الجماهيرية mass media، تحكم في السوق الجماهيري mass market، اشتغال بالمراقبة الجماهيرية mass observation، فهم سيكولوجيا الجماهير أو رأى الجماهير ـ هذه عبارة الاتجاه السياسي والاجتماعي المعارض تماماً. يمكن تفهم جزء من الاستعمال الثوري بناء على حقيقة أنه في ظروف معينة لا تنشأ الأحزاب الثورية ولاينبع المفكرون الثوريون من الناس the people ومن ثم ينظر إلى هؤلاء الناس على أنهم ليسوا منهم ويعتبرون جماهير masses يجب العمل معها ومن أجلها: جماهير masses كموضوع أو جمهور mass كمادة يجب صياغتها. لكن التاريخ الفعال «للتجنيد العام العفوي» كان له على الأقل نفس التأثير. في الاتجاه المعارض ابتعدت mass وmasses كثيرا عن سذاجة الإحتقار السابقة (رغم أنه في بعض الدوائر وفي مواقف معزولة لايزال يمكن سماع نبرة mob رعاع و idiot multitude حشد أحمق). بشكل رئيسي صيغ ق20 هي أساليب تعامل مع أعداد كبيرة من الناس ينظر إليهم بشكل عام بطريقة لا تمييز فيها لكن دورهم حاسم في عمليات عديدة في السياسة والتجارة والثقافة. يتم افتراض الجمهور كوحدة لكن، للمفارقة، يقسّم في الغالب بعد ذلك إلى أجزاء مرة أخرى: طرفان أعلى وأدنى للسوق الجماهيري؛ النوع الأفضل better kind من الترفيه الجماهيري mass entertainment. يكون عندئذ المجتمع الجماهيري mass society مجتمعاً منظماً ومدركاً بمثل هذه الطرق؛ لكن كتعقيد نهائي استعملت mass society، وفي هذا ارتباط بمجالها المحافظ السابق، كتعبير جديد في النقد الراديكالي بل وحتى الثوري. يعتبر mass society وجمهرة massification (عادة في إلماعة صريحة إلى وسائل الإعلام الجماهيري mass media) أسلوباً لاسترضاء وإدماج الطبقة العاملة والبروليتاريا ـ الجماهير the masses: أي أنها أسلوب جديد للاستلاب والتحكم، تمنع وتعد بمنع تطور وعي شعبي أصيل. هكذا من الممكن تصور ـ أو على الأقل الأمل في ـ انتفاضة جماهيرية mass uprising داخل mass society مجتمع جماهيرى، أو mass protest احتجاج جماهيرى ضد mass media، أو تنظيم جماهيري mass orgnization ضد massification. التمييز المقصود أو الذي كانت هناك محاولة بشأنه في هذه الاستعمالات المتعارضة هو بين جماهير كفاعل SUBJECT (ا م) وجماهير كموضوع object للعمل الاجتماعي.

في النهاية ليس مدهشاً أن تكون الامور كذلك. في معظم استعمالاتها تعتبر mass

كلمة فئوية، لكن مشاكل المجتمعات الكبيرة ومصاعب الفعل ورد الفعل الجماعي التي تستعمل بخصوصها هذه الكلمة ومشتقاتها، عادة بطريقة مشوشة، هي حقيقية لدرجة كبيرة ويتوجب مناقشتها بانتظام.

انظر: **COMMON عام/مشترك، DEMOCRACY ديمقراطية، POPULAR شعبي**

MATERIALISM مادية

كلمة materialism مادية والكلمتان المرتبطتان بها materialist وmaterialistic هي مفردات معقدة في الإنجليزية المعاصرة لأنها تشير إلى (1) نقاش طويل وصعب ومتنوع يقترح المادة matter على أنها المكون الرئيسي لكل الأشياء الحية، ومن ضمنها البشر، والأشياء الجامدة؛ (2) جملة أحكام وتفسيرات مرتبطة بذلك أو ناجمة عنه لكنها متنوعة جدا للنشاطات الذهنية والأخلاقية والاجتماعية؛ و(3) جملة مواقف ونشاطات يمكن تمييزها، ليس لها بالضرورة ارتباط علمي أو فلسفي لكن يمكن تلخيصها على أنها اهتمام رئيسي أو مهيمن بإنتاج أو امتلاك الأشياء والمال. يمكن تفهم كون معارضي وجهات النظر الموضحة في معنيي (1) و(2) كثيرا ما يستغلون معنى (3) ودلائله أو أنهم لا يفهمونه بدقة. في الواقع في بعض جوانب معنى (2) هناك صلات معقولة بعناصر من معنى (3) لا يمكن قصرها على مناصري كل أشكال معنى (1) و(2). في الحقيقة الارتباط العام الفضفاض بين معنيي (1) و(2) ومعنى (3) ليس إلا أثارا تاريخية يسهم تاريخ الكلمات في إيضاحه.

للكلمة المركزية matter مادة معنى رئيسي مادي مناسب. دخلت الإنجليزية، في صيغ مختلفة، من (س م) matere، فرنسية قديمة، من (س ب) materia، لاتينية: مواد بناء، عادة خشب timber (الذي قد ترتبط به الكلمة إتيمولوجيا، وكذلك مع domestic متعلق بالمسكن؛ قارن: «والمرأة التي تنتزع نفسها وتبتر غصنها/عن جوهر نسغها will sliver and disbranch from her material sap» (الملك لير، مشهد 4، فصل2))؛ ومن ثم التوسع إلى أية مادة substance فيزيائية بشكل عام وبعد ذلك المادة المكونة لأي شيء. في الإنجليزية استقر هذا النطاق الكامل للمعاني مبكراً جداً، رغم أن المعنى الأول المحدد لم يكن أبداً مهماً وزال بسرعة. ضمن الاستعمالات الأولى القائمة تميزت matter على الدوام عن شكل FORM (ا م) الذي اعتقد أنه ضروري لتحويل مادة matter إلى being كائن. كان هناك تمييز مقارب بين material مادي وشكلي formal، لكن التمييز الأوضح كان بين material مادي و spiritual روحي، حيث كانت spirit روح هي التعيين الثيولوجي الفعلي لشكل form. تضادت matter أيضاً، من أواخر ق 16، مع idea فكرة، لكن التعارضين

الحديثين المهيمنين material/ideal مادي/ مثالي (فكري) و materialist/idealist من أوائل ق 18 تبعا التعارضين material/formal مادي/ شكلي و material/spiritual مادي/ روحي. هذا التضاد الأخير هو الذي كان مسؤولا بالدرجة الأولى عن المعاني المحددة لمادي material وmaterialist حسب معنى (3). ليس من السهل تقصي ذلك، لكن كان هناك اتجاه لربط material بأمور دنيوية وتمييزاً مقارباً، من نوع طبقي، بين أشخاص تشغلهم نشاطات مادية وأخرين لهم اهتمامات روحية spiritual أو ليبرالية LIBERAL (ا م). هكذا قال كد Kyd (1588): «ليس له ذهن خانع أو مادي servile or materiall، لكن ... قادر على البحث والتأمل»؛ وقال درايدن Dryden (1700): «روحه المادية الفظة his gross material soul». هذا الاتجاه كان على الأرجح سيتطور في كل الأحوال، لكنه تأثر بشكل حاسم بمجرى وسياق النقاش الفلسفي.

المواقف الفلسفية التي قد نسميها الآن materialist مادية قديمة وترجع في قدمها إلى ق5 قبل الميلاد وتمثلت في الذريين atomists اليونانيين وكان الموقف الإيبقوري Epicurean معروفا بشكل واسع عن طريق لوكريتيس Lucretius. من المهم أنه بالإضافة إلى تفسيرات بسيطة لأصول الطبيعة والحياة الفيزيائية، ربط هذا المبدأ تفسيرات الحضارة (تطور المقدرات البشرية الطبيعية ضمن بيئة معينة) والمجتمع (عقد أمن ضد الآخرين) والأخلاق (مجموعة تقاليد تقود إلى السعادة وإذا لم تقم بذلك يمكن تعديلها، حيث أنه ليست هناك قيما سابقة الوجود والدافع الطبيعي الوحيد هو المصلحة الذاتية). ورغم أنها لم تعط بعد هذا الاسم فإن المنطلق الأول في materialism المادية الإنجليزية كان عند هوبز Hobbes حيث الافتراض الأساسي هو أن الأجسام في حركة ـ ميكانيكا MECHANICS (ا م) ـ وحيث كان الاستدلال من قوانين هذه الأجسام المتحركة على السلوك البشري الفردي (كون الإحساس والفكر صنفين من أصناف الحركة) وعلى طبيعة المجتمع: تصرف الأفراد بناء على علاقة كل منهم بالآخر (والخضوع لسلطة بهدف التنظيم الضروري). في فرنسا ق 18، عند Holbach مثلاً، كان الجدل مشابها بأن كل العلاقات السببية هي ببساطة قوانين حركة الأجسام، وفي صراحة غير معهودة أن الأسباب البديلة، وخصوصا فكرة الرب، أو أي نوع من الخلق أو التوجيه الميتافيزيقي، زائفة. من منتصف ق17 وصفت مبادئ من هذا النوع بالمادية materialist وعرفت من منتصف ق 18 كمادية materialism. كان للربط المنتظم بين التفسيرات الفيزيائية لأصول الطبيعة والحياة والتفسيرات التقليدية CONVENTIONAL أو الميكانيكية MECHANICAL (ا م)، الذي ازداد وضوحاً عندما أصبحت هذه التفسيرات إنكاراً معلناً للدين، تأثيرا كبيرا على تحول

materialism وmaterialist في أحد الاستعمالات الدارجة إلى دلالة على مجرد أشكال ومواقف سلوك. في الهجوم المضاد العنيف، الذي قام به من يعتمدون تفسيرات دينية وتراثية للطبيعة والحياة ومن ثم أنواعا أخرى من الأسباب للسلوك الأخلاقي والتنظيم الاجتماعي، أُلحقت materialism وmaterialist بمعنى material مادي أو دنيوي worldly السابق، ليس لوصف التعليل السابق ولكن لوصف المواقف الأخلاقية والاجتماعية المستنتجة، وعندئذ، في تطور مشحون بالجدل، تم تحويل مفهوم مصلحة الذات كدافع طبيعي وحيد إلى أنانية selfishness على أنها أسلوب حياة يفترض تزكيته وتفضيله. واضح أن النقاش الأخلاقي المادي materialist سواء التقليدي conventional أو الميكانيكي mechanical كان مهتما بكيفية تسخير أو تنظيم هذا الدافع ـ مصلحة الذات self-interest ـ للمنفعة المتبادلة. في ق 18 كان الاستعمال لا يزال بشكل رئيسي فلسفيا؛ بحلول أوائل ق19 أثر بعمق التوسع المتهور والجدلي من اقتراح إلى تزكية معاني materialism وmaterialist، وتبعت ذلك بطريقة مناسبة الكلمة الأكثر فضفضة materialistic «مادى» من منتصف ق 19.

لا يمكن حسم نقاش على هذه الدرجة من التعقيد عن طريق تتبع تطور الكلمات. لا يزال البعض يجزم بأن الدنيوية الأنانية selfish worldliness هي النتيجة الحتمية، حتى وإن لم تكن هي المقصودة، لإنكار وجود سلطة أخلاقية أساسية، سواء إلهية أم بشرية. يلاحظ بعض الناس هذه النتيجة بغرض تعديل النقاش الفيزيائي؛ آخرون يقبلون، علنا أو ضمناً، النقاش الفيزيائي لكن يسكون مصطلحات جديدة للتفسير الأخلاقي أو الاجتماعي. في الاستعمال الديني أو شبه الديني أصبحت materialism والكلمات المرتبطة بها شعارات للتداعي الحر ولوصف أي شيء من العلم الفيزيائي إلى مجتمع رأسمالي وكذلك الثورة الاشتراكية ضد المجتمع الرأسمالي. يجب دراسة الطبيعة الاعتباطية لهذا الربط الشائع بطريقة نقدية وتاريخية. لكن ما يجب أيضا ملاحظته، لأن له أثرا مركزيا على هذا النقاش، هو التطور اللاحق للمادية الفلسفية. هكذا تقبّل نقد ماركس للمادية ـ التي وصفت للتو ـ تفسيرات أصل الطبيعة والحياة لكنه رفض الصيغ المستمدة منها للطرح الأخلاقي والاجتماعي واصفا الاتجاه كله بأنه مادية ميكانيكية mechanical materialism. عزل هذا النوع من المادية الأشياء objects وأهمل أو تجاهل الفواعل subjects (أنظر SUBJECT) وخصوصا النشاط البشري كفاعل subjective. من ثم تمييز ماركس بين مادية ميكانيكية مألوفة ومادية تاريخية historical materialism جديدة، تلك التي ستتضمن النشاط البشري كسلطة أساسية. التمييز مهم لكنه يترك أسئلة كثيرة دونما إجابة. اعتبر النشاط الاقتصادي

البشري ـ رجال يُفعلون جهدهم وذهنهم في البيئة ـ على أنه رئيسي وفي إحدى التفسيرات كل النشاطات الأخرى، اجتماعية، ثقافية، أخلاقية، كانت ببساطة مستمدة من (DETERMINDED محدَّدة بـ) هذا النشاط الرئيسي. (بالمناسبة، هذا يتيح تداعياً حراً مع المعنى الشائع لمادية materialism: النشاط الاقتصادي رئيسي، ومن ثم الماديون materialists بشكل رئيسي مهتمون بنشاطات كسب المال ـ وهو بالتأكيد ليس ما عناه ماركس.) عمم إنجلز معنى ماركس للتفاعل ـ رجال يؤثرون في أشياء فيزيائية والطرق التي يفعلون بها ذلك والعلاقات التي ينشئونها لعمل ذلك، ويؤثرون في «الطبيعة البشرية» التي يكونوها من خلال عمل ما يحتاجونه للبقاء ـ كمادية ديالكتيكية DIALECTIC (ا م)، ووسّعه ليكون له مفهوم قوانين، ليس فقط للتطور التاريخي ولكن لكل العمليات الطبيعية والمادية. في هذه الصياغة، التي هي صنف من أصناف الماركسية، تشير مادية تاريخية إلى النشاط البشري بينما تدل مادية ديالكتيكية على عمليات شاملة. المهم فيما يتعلق بتاريخ الكلمات هو أن المادية التاريخية تقدم تفسيرات لمعنى materialism مادية (3) ـ انهماك أناني في السلع والمال ـ وبدلا من تزكية هذا التوجه تصف الطرق التاريخية والاجتماعية للتغلب عليه وإرساء التعاون والتكافل. بالطبع لا يزال هذا تعليل مادي في تمييز له عن أنواع أخرى من التعليل وصفت، بطريقة سلبية، كمثالية IDEALIST (ا م) أو أخلاقية أو طوبائية. مستعملين هنا معاني الكلمات المعقدة، يمكننا القول إنه نقاش مادي materialist، نقاش يعتمد على المادية materialism ضد مجتمع مادي materialistic.

أنظر: **DIALECTIC ديالكتيكي/جدلي، EXPLOITATION استغلال، IDELISM مثالية، MECHANICAL ميكانيكي، REALISM واقعية**

ميكانيكي MECHNICAL

يبدو الآن أن ميكانيكي mechanical مشتقة من machine ماكينة وأنها تحمل معانيها وتضميناتها الرئيسية، لكن هذا مضلل. كانت mechanical أسبق في الإنجليزية من machine وكانت لها عدة معاني محددة مستقلة. كان لمصدرها البعيد (س ب)، كما في اللاتينية machina، معنى أداة مخترعة (حيلة contrivance) واستعملت mechanical (من س م، mechanicus، لاتينية) من ق15 لوصف عدة فنون وحرف ميكانيكية؛ كان مجالها العمل المنتج خارج نطاق الزراعة. لأسباب اجتماعية اكتسبت mechanical عندئذ مفهوما طبقيا ازدرائياً للدلالة على أشخاص ينخرطون في هذا النوع من العمل وخصالهم المفترضة: «ميكانيكيون Mechanicall ورجال من حالة وضيعة» (1589)؛ «عمالة عالية

الميكانيكية والقذارة» (شكسبير، هنري الرابع، فصل2، مشهد5)؛ «نسب ميكانيكي حقير» (1646). منذ أوائل ق 17 استمر استعمال ميكانيكي بمعنى نشاط روتيني لا ذهني. يمكن الآن اعتبار هذا مشابها لأعمال الماكينة، والمناظرة واضحة من منتصف ق 18. لكن في الاستعمالات الأولى يبدو أن التحامل الاجتماعي كان على الأقل في نفس الحدة.

من ق 16 دلت machine ماكينة على أية بنية structure أو هيكل framework، لكن من ق 17 بدأت تنحصر في أجهزة تستخدم الجهد، ومن ق 18 تخصصت في أدوات أكثر تعقيداً تشمل أجزاء متحركة ومتداخلة. ينتمي إلى هذه المرحلة التمييز عن tool أداة والتفريق بين machine-made صنع الماكينة و hand-made يدوي الصنع، خاصة من أواخر ق 18. لكن في الوقت نفسه اكتسبت mechanical معنى جديداً ومؤثراً، وذلك بشكل رئيسي من العلم الجديد mechanics الميكانيكا أو علم الحيل. كتب بويل Boyle في 1671:

لا أستعمل المصطلح Mechanicks حسب المعنى الأدق والأصح كما هي العادة، حيث يدل فقط على مبدأ القوى المتحركة (مثل الذراع المتذبذب، الرافعة، البراغي، الإسفين) وجعل المحرك يضاعف قوته؛ إنما استعمله ... بمعنى أشمل ليدل على تلك الفروع من الدراسة التي تتكون من استعمالات الرياضيات التجريدية لانتاج أو تعديل الحركة في أجسام دنيا.

في الانتقال من جملة نظريات عن ممارسات محددة إلى نظريات عامة عن قوانين الحركة بدأت ميكانيكا mechanics في التفاعل مع نظريات دينية مختلفة، وفي الواقع تداخلت في الغالب مع مادية MATERIALISM (ا م). هكذا نسمع بحلول أواخر ق 17 عن الإلحادي الميكانيكي Mechanical Atheist، وأدى هذا في أواخر ق 18 إلى mechanism التي يعتبر فيها أن كل شيء في الكون تنتجه قوى ميكانيكية (فى السابق عنت mechanism، التي يرجع أصلها إلى ق17، بشكل رئيسي أداة مخترعة). هكذا اعتبرت mechanical ميكانيكي، الفلسفة الميكانيكية والمبدأ الميكانيكي أشكالا من الفلسفة المادية، واستعملت أحياناً بطريقة وصفية وأحيانا أخرى بطريقة تعسفية من قبل مفكرين دينيين ومثاليين لوصف مناوئيهم الرئيسيين. في النهاية، من منتصف ق 19، كان هناك تمييز ضمن المادية MATERIALISM بين mechanical ميكانيكية من ناحية و historical تاريخية أو dialectical دياليكتيكية من الناحية الأخرى.

ليس من المتعذر فهم هذا التطور الرئيسي، لكن كلمة mechanical صارت معقدة بشكل استثنائي من أوائل ق 19 نتيجة لتفاعلها مع معنى جديد لماكينة machine وتوسعها

لتشمل أوصافا مثل mechanical civilization حضارة ميكانيكية. يمكن أن يعني ذلك حضارة تستعمل أو تعتمد على المكائن بمعناها الحديث: مجتمع صناعي INDUSTRIAL (ا م) كما نقول الآن أيضاً. لكن من أوائل ق 19 كان هناك في بعض أنواع التفكير ربط أو صهر أو إدماج لهذا المعنى (كما هو لدى كوليردج وكارلايل) مع المعنى الذي عارضت فيه mechanical روحي وميتافيزيقي أو مثالي. حصل في نفس الفترة تمييز مهم بين mechanical وعضوي ORGANIC (ا م) اللتين كانتا في الماضي قريبتين جدا في المعنى. أوحت الماكينات الجديدة التي انطلقت تعمل لوحدها مستبدلة العمل البشري ارتباطا بفكرة كون دونما إله أو قوة إلهية مسيِّرة، وكذلك ارتباطا بالمعنى القديم (المتأثر اجتماعيا) لنشاط روتيني لا ذهني - وبالتالي عملا دونما وعي.

بقي تعقيد الكلمة صعبا كلما استعملت خارج نطاق المعنى الوصفي المرتبط مباشرة بالماكينات حتى عندما تم نبذ بعض الارتباطات السابقة. تتطلب المصادر الفعلية لمعاني الكلمة والتعارضات الضمنية المختلفة فحصاً من حين لآخر.

أنظر: **INDUSTRY صناعة/جهد، MATERIALISM مادية، ORGANIC عضوي**

وسائل (إعلام) MEDIA

ترجع كلمة medium وسيلة إلي medium، لاتينية: وسط. كانت تستعمل بانتظام من أواخر ق 16 وكان لها، على الأقل من أوائل ق 17، معنى عامل أو مادة وسيطة أو بينية. في 1621 كتب بيرتون Burton: «للرؤية ثلاثة أشياء متطلّبة: الموضوع object، العضو organ والوسيط medium»؛ وفي 1605 كتب بيكون Bacon: «تم التعبير عنها بواسطة medium الكلمات». بعد ذلك كان هناك استعمال تقليدي من ق 18 بالنسبة للصحف: «عبر وسيلة medium نشرك العجيبة» (1795)، وتطور ذلك خلال ق 17 إلى استعمالات مثل «معتبراً مجلّتك إحدى أفضل الوسائل mediums الممكنة لمثل هذا المشروع» (1880). ضمن هذا الاستعمال العام أصبح شائعاً في أوائل ق 20 وصف الصحيفة كوسيلة medium للإعلان. على الأرجح كان تطوّر media وسائل في منتصف ق 20 في المقام الأول في هذا السياق. صارت media واسعة الاستعمال عندما أصبحت broadcasting الإذاعة، بالإضافة إلى الصحافة، مهمة في الاتصال COMMUNICATIONS (ام)؛ عندئذ كانت الكلمة العامة ضرورية. تتالت بعد ذلك التعابير: Mass media وسائل إعلام جماهيرية (ام)، media people رجال إعلام و media studies دراسات إعلام.

علي الأرجح تضافرت ثلاثة معان: (1) معنى عام قديم لعامل أو مادة وسيطة أو بينية؛ (2) معنى تقني مقصود، كما في التمييز بين وسائل media الطباعة والصوت والصورة؛ (3) معنى رأسمالي محدّد حيث تعتبر الصحيفة أو الخدمة الإذاعية broadcasting service ـ وهي أمر قائم فعلاً أو يمكن إعداده - وسيلة لشيء آخر، مثل الإعلان. من اللافت أن معنى (1) يعتمد على أفكار مادية أو فلسفية معينة حيث لا بد من وجود مادة وسيطة بين إحساس وأثره أو فكرة والتعبير عنها. في معظم الفلسفة والعلم الحديث، وعلى الخصوص في الفكر المتعلق باللغة، تم التخلّي عن فكرة وسيط هذه؛ وبالتالي اللغة ليست وسيلة بل ممارسة رئيسية، وكذلك كل من الكتابة (للنشر) والتحدث أو التمثيل (للإذاعة) ممارسة. إذن هو موضوع جدال عما إذا كانت الطباعة والإذاعة بمعنى (2) التقني هما وسيلتان media أو، بشكل أكثر دقة، أشكال forms مادية ونظم إشارة. على الأرجح في هذا السياق، تؤكد المعنى المألوف أفكار اجتماعية معيّنة تعتبر فيها الكتابة والإذاعة محدَّدة DETERMINED (ام) حسب أهداف أخرى - من معلومات information الحيادية نسبياً إلى إعلان advertizing وبروبجندا propaganda واضحتي النزعة - لكنها تشوّش أي معنى حديث للاتصال COMMUNICATION (ام). إن معنى medium التقني، كشيء له خواصّه المعّينة والمحدِّدة determining (أحياناً تأخذ فكرة وسيلة هذه الأسبقية المطلقة على أي شيء قيل أو كتب أو عُرض فعلاً)، متوائم في الواقع مع معنى اجتماعي للكلمة media تعتبر فيه المؤسسات والممارسات عوامل وسيطة لأغراض تختلف تماماً عن أهدافها الرئيسية.

جديربالإضافة أنه من خلال شعبيتها السريعة منذ خمسينات ق20 أصبحت media في الغالب تستعمل كمفرد (قارن phenomena).

انظر: COMMUNICATION اتصال، MEDIATION وساطة

وساطة، توسط MEDIATION

لمدة طويلة كانت mediation كلمة معقدة نسبياً في الإنجليزية وأصبحت أكثر تعقيداً عن طريق استعمالها كمصطلح أساسي في نظم عدة للفكر الحديث. دخلت الإنجليزية في ق14، من (س م) mediacion، فرنسية قديمة، mediationem، لاتينية متأخرة، من (س ب) mediare، لاتينية: يقسم إلى نصفين، يحتل موقعا وسطا، يقوم بدور وسيط. هذه المعاني الثلاثة المختلفة جدا للكلمة اللاتينية حاضرة كلها في الاستعمالات الإنجليزية لكل من mediation والفعل mediate الذي تشكَّل لاحقاً من الاسم ومن الصفة mediate التي

تخللتهما. هكذا يحمل مثالان مبكران لاستعمال mediation في الإنجليزية، وكلاهما مقتبسان من كتابات تشوسر Chaucer، معنيين من المعاني الثلاثة الرئيسية التي أصبحت مستقرة: (1) التدخل بين خصمين بمعنى واضح يدل على الصلح بينهما: «عن طريق توسط mediation البابوات ... تم التوفيق بينهما» (Man of Law's Tale، تقريباً 1386)؛ (2) وسيلة نشر أو وكالة كوسيط medium «عن طريق by mediacion هذا المقال أرغب في تعريف...» (الإسطرلاب، تقريباً عام 1391). سجل من 1425 تقريبا المعنى الثالث، المهجور حالياً، (3): الشطر أو التقسيم: «المناصفة mediacion هي أخذ نصف العدد من العدد الكلي».

في الاستعمال العام أصبح المعنيان (1) و(2) شائعين. استعمل معنى (1) تكراراً لشفاعة المسيح بين الله والبشر، وفي السياسة لفعل المصالحة أو محاولة ذلك بين خصمين. شمل معنى (2) الوسيلة البينية التي تضم أشياء مادية: «يجب ألا تلمس إلا بواسطة by mediation عصا» (1615)، وأفعالاً ذهنية: «يتلقى الإدراك الأشياء بواسطة by the mediation الحواس الخارجية ثم الصور الذهنية» (1646). في الوقت ذاته حملت mediate (توسط) الفعل كلا المعنيين، بينما حملت الصفة mediate ليس فقط معنيي intermediary واسطة و intermediate متوسط لكن أيضاً معنى علاقة غير مباشرة أو تابعة. هكذا نجد: «سبب الوفاة المباشر immediate هو خمود أو انطفاء الروح ... وما فساد الأعضاء إلا السبب غير المباشر mediate». (بيكون، 1626)؛ «الإدراك إما مباشر أو غير مباشر ... غير مباشر mediate كما يحدث عندما ندرك كيف ترتبط (فكرتان) ببعضهما عن طريق مقارنتهما بثالثة». (نورس Norris، 1704)؛ «الحقيقة إما غير مباشرة mediate. . . . مستمدة من حقيقة أخرى ... أو مباشرة وأصيلة» (كوليردج، 1817).

هكذا كان هناك مركّب من المعاني يمتد من مصالحة إلى متوسط ثم إلى غير مباشر. ضمن هذا المركب أُدرجت في نظم تفكير حديثة معينة استعمالات محددة مختلفة، مبنية في العادة على ترجمة للكلمة الألمانية Vermittung وسط، توسط/وساطة. كان معنى (1) المصالحة والتوفيق حاضراً بقوة في الفلسفة المثالية Idealist: بين الله والإنسان، بين الروح والعالم، بين الفكرة Idea والشيء المدرك Object، بين الفاعل Subject والمفعول Object. في معاني الكلمة المتطورة يمكن تمييز ثلاثة مراحل لهذه العملية: (أ) التوصل إلى نقطة مركزية بين متعارضين اثنين كما في استعمالات سياسية كثيرة؛ (ب) وصف تفاعل مفهومين أو قوتين متعارضتين ضمن وحدة كاملة يفترض أنهما ينتميان إليها، أو بالفعل

ينتميان إليها؛ (ج) وصف مثل هذا التفاعل على أنه في حد ذاته جوهري له أشكاله الخاصة بحيث أنه ليس العملية الحيادية لتفاعل أشكال مستقلة ولكنه عملية فعالة يحوّل فيها شكل التوسط الأشياء التي يتم التوسط بينها mediated، أو حسب طبيعة ذلك الشكل يبين خصائص تلك الأشياء.

استمر معنى mediation السياسي كمصالحة وتوفيق واضحاً، لكن تعتمد معظم الاستعمالات الفلسفية الحديثة على فكرة وسيط جوهري بدلا من وسيط حيادي فقط أو ذرائعي instrumental. بالطبع تختلف كيفية تعريف ذلك. في الفكر المثالي كانت الكيانات المستقلة ظاهرياً هي فعلياً أجزاء في وحدة متكاملة؛ بالتالي التوسط mediation بين تلك الكيانات يعمل حسب قوانين مشتركة. أكد استعمال آخر لوحدة متكاملة totality، في التراث الماركسي، تناقضات يتعذر التوفيق بينها ضمن ما هو، بالرغم من ذلك، مجتمع متكامل total society: اكتسبت عندئذ mediation أحياناً المعنى الذي كان فعلاً موجوداً في الإنجليزية ـ علاقة غير مباشرة. لاتزال تستعمل غالباً بمعنى سلبي في تضاد بين علاقات فعلية وأخرى mediated غير مباشرة، حيث تكون mediation هي إحدى العمليات الأساسية ليس فقط للوعي ولكن كذلك للايديولوجيا IDEOLOGY (أ م). يتوافق استعمال mediation هذا مع الاستعمال الحديث لكل من MEDIA وسائل (إعلام) و MASS MEDIA (أ م) وسائل (إعلام) جماهيرية، حيث تعتبر وسائل اجتماعية معينة على أنها تتموضع بطريقة متعمدة بين الواقع والوعي الاجتماعي بغرض الحيلولة دون إدراك الواقع. يوجد معنى مشابه لعدم المباشرة، الملتوي أو المضلل في بعض فكر التحليل النفسي، حيث يخضع محتوى لاشعوري UNCONSCIOUS (ا م) للانتقال إلى العقل الواعي conscious mind. تعتمد هذه الاستعمالات على ثنائية مفترضة ـ واقع reality ووعي consciousness، ولا شعور unconscious وشعور - conscious تتدخل mediation بين كل منهما إنما بطريقة غير مباشرة أو مضللة. لكن هناك أيضاً، بالإضافة إلى هذه الاستعمالات المعتمدة بشكل رئيسي على معنى (1) أعلاه، استعمالات أخرى تنبني على معنى (ج). هذه الأخيرة الآن هي، على الأرجح، الأكثر أهمية. ليست mediation هنا حيادية ولا هي كذلك «غير مباشرة» (بمعنى ملتو أو مضلل). إنها نشاط مباشر وضروري بين أنواع مختلفة من النشاط activity والوعي consciousness، لها دائماً أشكالها المحددة الخاصة بها. هذا التمييز واضح في تعليق أدورنو Adorno mediation: «هي في الشيء ذاته، وليست شيئاً بين هذا الشيء المدرك object وما يتحول إليه. لكن ما تحتويه الاتصالات communications محصور كلية في العلاقة بين المنتج والمستهلك» (Theses on the

Sociology of Art، 1967). كل الأشياء، وفي هذا السياق بشكل ملحوظ الأعمال الفنية works of art، يتم التوسط mediated فيها عن طريق علاقات اجتماعية محددة لا يمكن اختزالها إلى تجريد لتلك العلاقة؛ التوسط mediation إيجابي وإلى حد ما مستقل. يرتبط ذلك، ولو بطريقة خلافية، بالشكلانية FORMALISM (ا م) حيث الشكل (الذي قد يعتبر أو قد لا يعتبر توسطاً mediation) يحل محل أسئلة العلاقات التي تقبع على جانبيه بين منتجين producers ومستهلكين consumers.

في الاستعمال الحالي، واضح جداً إذن تعقيد mediation. استعمالاتها الأكثر ذيوعاً لكن المتضاربة هي: (1) المعنى السياسي كفعل توسط intermediacy بهدف التوصل إلى مصالحة أو اتفاق؛ المعنى الثنائي لنشاط يعبر عن علاقة، إما بطريقة غير مباشرة أو ملتوية أو مضللة، بين حقائق وأفعال وخبرات experiences لولاها لبقيت مستقلة؛ (3) المعنى الشكلاني لنشاط يجسد بطريقة مباشرة علاقات لايمكن بطريقة سواها التعبير عنها. يمكن القول إن كل معنى من هذه المعاني له كلمة أفضل: (1) conciliation توفيق، استرضاء؛ (2) إيديولوجيا IDEOLOGY أو تسويغ RATIONALIZATION (ام م)؛ (3) شكل form. لكن في التطور التاريخي الفعلي لـ mediation كمفهوم أصبحت العلاقات بين هذه المعاني المتميزة موضوع بحث وجدل مطوّل، خاصة العلاقة بين (2) و(3). ترك التقصي والجدل المعقد والطويل بصماته المتفاوتة على الكلمة التي، في استعمالاتها الأكثر عمقاً، تستعيد ولو أنها لا تستطيع حل الصعوبات الهامة والمتعذر تجنبها.

أنظر: **DIALECTIC دياليكتيك، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثالية، MEDIA وسائل (إعلام)، UNCONCIOUS لاشعور**

قروسطي MEDIEVAl

استعملت medieval (في الأصل كانت تهجيتها mediaeval) منذ أوائل ق19 للدلالة على فترة تقع بين (العالمين) القديم والحديث Modern (ا م). سبقتها the middle Ages (أوائل ق 18) العصور الوسطى و Middle Age العصر الوسيط (أوائل ق17)، وذلك في اتباع للكلمتين المقابلتين في لاتينية ق15: media aetas وmedium aevum. حدد أحد تعاريف منتصف ق 18 (حسب دائرة معارف تشمبرز Chambers) تلك الفترة بالمدة بين حكم الإمبراطور قسطنطين وسقوط القسطنطينية. تطور التضاد بين القديم Ancient والحديث Modern في عصر النهضة ودخل الإنجليزية بحلول أواخر ق16. أصبح منذ ق17 شكلا مألوفا لتحقيب التاريخ. في فكر ق16 أدرجت بين القديم والحديث حقبة أخرى أو وسيطة

لكن اعتمد ترسيخ تلك الحقبة الكامل على إعادة تقييم لفن وحياة العصور الوسطى medieval، الذي تم بشكل رئيسي من أواخر ق 18 ثم بدرجة أكبر من أوائل ق 19 عندما أصبح هذا التعبير يستعمل كتضاد مفضل مقابل حديث modern (كما توجد بشكل خاص في modern industrial صناعي حديث أو modern commercial تجاري حديث). عندئذ اتخذت Middle Ages عصور وسطى تحديداً مرسوماً بالحروف الاستهلالية الكبيرة وأصبحت medieval قروسطي (من medius، لاتينية: وسط، aevum، لاتينية: عصر) الصفة المعتادة. في منتصف ق19 تبعتها medievalism وmedievalist، لكن دلت الكلمات الثلاث على أحد المعنيين: (1) إشارة تاريخية إلى العصور الوسطى؛ (2) تأييد جوانب معينة من حياة العصور الوسطى أو دينها أو عمارتها أو فنها (كما هو بطرق متنوعة عند كوبت Cobbett، بوجن Pugin، رسكن Ruskin، وموريس Morris). وفي ردة فعل ضد معنى (2) اكتسبت medieval من منتصف ق19 معنى سلبيا واضحا يمكن مقارنته بمعنى primitive بدائي السلبي أو بمعنى antiquated مهجور. رغم أن الجدل مستمر حول تحديد دقيق للعصور الوسطى التي تمت تجزئتها بطرق متعددة إلا أن المعنى التاريخي هو السائد الآن.

أنظر: **MODERN حديث**

حديث/جديد MODERN

دخلت modern الإنجليزية من (س م) moderne، فرنسية، modernus، لاتينية متأخرة، من (س ب) modo، لاتينية: توّا. كانت استعمالاتها المبكرة أقرب إلى contemporary معاصر بمعنى «يحصل الآن، حالاً». (بشكل رئيسي استعملت contemporary أو معادلتها، حتى منتصف ق 19، co-temporary، كما هي لا تزال تستعمل غالباً، لتعني «من نفس الفترة» بما في ذلك فترات من الماضي، بدلاً من «وقتنا الحالي»). ترسخ تضاد تقليدي بين قديم ancient وحديث modern قبل عصر النهضة؛ بدأ تحديد فترة وسيطة middle أو MEDIEVAL قروسطي (ا م) من ق15. كانت modern بهذا المعنى التاريخي والمقارن شائعة منذ أواخر ق 16. تبعتها modernism وmodernist وmodernity، في ق17 وق 18؛ كانت معظم استعمالات ما قبل ق 19 سلبية عندما كان الغرض المقارنة. كان للكلمة modernize، يحدِّث، التي ترجع إلى ق 18، إشارة خاصة مبكرة إلى المباني (والبول Walpole، 1748: «بقية المنزل تم تحديثه modernized كلية»؛ والتهجية (فيلدنج Fielding، 1752: «أتجرأ على التجاوز من أجل تحديث modernize

اللغة)؛ والموضات في الملابس والسلوك (ريشاردسون Richardson، 1753: «تردد حتى لا يحدِّث modernize ولو قليلا»). يمكن من هذه الأمثلة ملاحظة استمرار وجود معنى واضح لنوع من التغيير الذي يتطلب تبريراً.

استمر المعنى السلبي لـ modern، والكلمات المرتبطة بها، لكن خلال ق 19 وبشكل أوضح في ق 20 كان هناك تحرك قوي إلى الجهة الأخرى حيث أصبحت modern معادلة تقريبا لكل من IMPROVED محسَّن (ا م) أو satisfactory مرض أو efficient فعال. أصبحت modernism حداثة وحداثى modernist أكثر تحديدا وانحصرتا في اتجاهات معينة، خاصة في الكتابة وفي الفن التجريبي في الفترة من 1890 ـ 1940 تقريباً، وسمح ذلك بتمييز لاحق بين modernist حداثي وحديث modern (التي تدل على الجدِّة). غدت كل من modernize يحدّث، التي قد شاعت بحلول منتصف ق19 (قارن قول ثاكري Thackary (1860) «هدف البارود والطباعة إلى تحديث modernize العالم») وmodernization تحديث (التي كانت تستعمل بشكل رئيسي في ق18 للمباني والتهجية) باضطراد شائعة في نقاش ق20. بالنسبة للمؤسسات INSTITUTIONS (ا م) أو الصناعة INDUSTRY (ا م) تستعمل الكلمتان للدلالة على شيء محبذ أو إيجابي. كشعار لنوع معين من التغيير تتطلب الكلمتان تدقيقاً. من الممكن في الغالب تمييز modernizing في طور التحديث وتحديث modernization عن حديث modern؛ على الأقل الآن التعبيران الأوليان (كما في برامج فعلية كثيرة مماثلة) يدلان على بعض التغيير أو التحسين لما يزال في الأساس مؤسسة أو نظاماً قديماً. بالتالي لايمكن أن تكون modernized democracy ديمقراطية محدَّثة بالضرورة معادلة لـ modern democracy ديمقراطية حديثة.

أنظر: **IMPROVE يحسّن، PROGRESSIVE تقدمي، TRADITION تراث**

احتكار MONOPOLY

قد تكون monopoly صعبة لأن لها معنى حرفياً شائعاً ومعنى آخر أكثر ذيوعاً نسبياً وله أهمية تاريخية. دخلت الإنجليزية في ق 16 من (س م) monopolium، لاتينية متأخرة، monopolion، يونانية، من (س ب) monos، يونانية، وحيد، فقط، مفرد و polein، يونانية: يبيع. يبرز معنيان من الأمثلة الإنجليزية المبكرة: (1) الملكية الحصرية للتجارة في صنف ما؛ (2) الامتياز الممنوح بترخيص لبيع سلعة ما. هكذا نجد حسب معنى (1):

«من لا يعلم أن احتكار Monopoly هو عندما يشتري شخص سلعة بكميات كبيرة

ويضعها تحت سيطرته ولا يمكن لشخص آخر المتاجرة بالسلعة ذاتها إلا عن طريقه» (1606)؛

«الاحتكار نوع من التجارة، في البيع والشراء والمبادلة أو المقايضة، مغتصب من قبل قلة وأحياناً ليس إلا فرد واحد ويتم صد كل الآخرين» (1622).

وحسب معنى (2):

«الاحتكار... رخصة بعدم أحقية بيع أو شراء شيء إلا من قبل شخص واحد فقط» (1604)؛

«احتكارات الصابون، الملح، الجلود، الفحم، ... »(1641).

كان هذا الاحتكار المرخص أو هذا الامتياز مهماً بشكل خاص في أوائل ق 17. مع ذلك فالمعنى الرئيسي الذي برز هو معنى (2).

تبرز الصعوبة عندما يكون هناك إصرار على المعنى الحرفي ـ البيع الحصري المفرد، الذي له أساس تاريخي ويمكن أن يكون حقيقة معاصرة ـ مقابل استعمالات احتكار للدلالة على سيطرة فعلية على السوق. يبين المثال من عام 1622 أن الكلمة استعملت للتملك من قبل «قلة» بالإضافة إلى «شخص واحد»، وهناك مثال أسبق من منتصف ق 16 (من ترجمة كتاب Utopia لمور) يسند ذلك:

«لا نترك هؤلاء الأغنياء يشترون كل شيء، يكدسون ويسيطرون وعن طريق احتكارهم يتحكمون في السوق كما يرغبون».

بوضوح هذا وصف لنشاط طبقة وليس فردا. بهذا المعنى يمكن ادراك الاستعمال المحير في العبارة الحديثة monopoly capitalism رأسمالية احتكارية التي صارت رائجة في أوائل ق 20 لوصف مرحلة من الرأسمالية CAPITALISM (ا م) كان فيها السوق إما (أ) منظما من قبل كارتيلات cartels ومثيلاتها أو (ب) مسيطراً عليه من قبل مؤسسات كبرى corporations. يمكن انتقاد أي من هذين الاستعمالين من قبل من يعتمد المعنى الحرفي لـ monopoly الذي يشير إلى أن المؤسسات الكبرى، سواء باتفاقات كارتيل رسمية أو بدونها، لا تتنافس في البيع: أي أن هناك بائعاً واحداً فقط. بما أن هذا بوضوح غير صحيح وحيث أن هناك احتكارات محددة في صناعات ومؤسسات المنفعة العامة (خاصة المؤسسات) التابعة للدولة فإن مصطلح رأسمالية احتكارية يبدو فضفاضاً. تتهم عندئذ اتحادات العمال بكونها احتكارات تتحكم في شروط واتفاقات بيع العمل. لكن النطاق كان

تاريخياً واسعاً. يمكن بطريقة مقبولة تطبيق مثال منتصف ق16 من كتاب Utopia على الوضع الذي يسميه الإشتراكيون capitalist monopoly احتكار رأسمالي.

أنظر: **CAPITALISM رأسمالية**

أسطورة MYTH

دخلت myth الإنجليزية في أواخر ق 19 رغم أن صيغة mythos (ق18) قد سبقتها ـ من (س م) mythos، لاتينية متأخرة، mythos، يونانية: خرافة، قصة أو حكاية؛ تضادت فيما بعد مع logos وhistoria بمعنى «ما لم يكن ممكنا فعليا وجوده أو حدوثه». سبقت بشكل واسع كلا من myth وmythos في الإنجليزية الكلمة mythology (من ق15) والكلمات المشتقة منها (من أوائل ق 17) mythological، methologize، mythologist وmythologian. كل هذا كانت لها صلة بالسرد الخرافي «fabulous narration» (1609)، لكن استعملت mythology وmythologizing في الغالب بمعنى تفسير وتعليق على الحكايات الخرافية. لدينا mythological interpretation من 1614، وهناك عنوان كتاب لساندبز Sandys من 1634 بنفس المعنى: Ovid's Metamorphosis Englished,Mythologiz'd and Represented in Figures. يمكن ملاحظة اتجاهين للكلمة في أوائل ق 19. استعمل كوليردج mythos بمعنى صار شائعاً: بنية خيالية معينة (حبكة بالمعنى الأوسع). في الوقت ذاته (في 1830) كتبت الدورية العقلانية Westminster Review، فيما قد يكون الاستعمال الأول للكلمة، عن «أصل الأساطير «myths والبحث عن «أثرها في ملابسات التاريخ الخرافي».

كل هذه الإشارات كانت استعاديه وتناوبت myth مع fable خرافة وتميزت عن legend رواية التي، رغم أنها قد تكون غير موثوقة، إلا أن لها صلة بالتاريخ، وتميزت كذلك عن allegory القصة الرمزية التي قد تكون خرافية لكن فيها دلالة على شيء من الواقع. مع ذلك من منتصف ق 19 أصبح شائعا الاستعمال المختصر myth الذي يدل ليس فقط على إبداع invention خرافي وإنما أيضاً على أبداع غير موثوق أو حتى مضلل عمداً واستمر ذلك بشكل واسع.

من ناحية أخرى، اكتسبت myth في تراث بديل معنى جديداً إيجابياً في سياق جديد. قبل ق 19 رُفضت الأساطير myths لأنها مجرد خرافات (في الغالب اعتبرت خرافات وثنية أو همجية) أو عوملت كقصص رمزية أو ذكريات مشوشة عن البدايات أو ما قبل التاريخ.

لكن اتضحت الآن عدة مقاربات فكرية جديدة. أقيمت علاقات بين الأساطير و«داء اللغة» (Muller) حيث أدى اختلاط الأسماء إلى تشخيصات؛ وبين الأساطير ومرحلة أرواحية في الحضارة البشرية (Lang)؛ وبينها وبين طقوس محددة أتاحت الأساطير التعرف عليها (فريزر Frazer وهاريسون Harrison؛ يرجع الربط الشائع بين myth وritual طقس إلى بحوث هذين المؤلفين من أواخر ق 19 وأوائل ق 20). مع تطور الأنثروبولوجيا تطور بوضوح كل من المعنى الأخير كوصف للطقوس ومعنى آخر حيث أسطورة بصفتها كشفا للأصول كانت صيغة فعالة في التنظيم الاجتماعي. من كل من الصيغتين (اللتين استمرتا بأشكال مختلفة في التجاذب بينهما بالإضافة إلى مقاومة جهود عقلنة RATIONALIZE (ا م) الأساطير عن طريق إما دحضها أو إبراز أسبابها أو أصولها (الأخرى) الحقيقية) تطورت مجموعة من الاستعمالات الإيجابية الشائعة. اعتبرت الأسطورة myth صيغة واقع أصدق (أعمق) من التاريخ (العلماني) أو الوصف الواقعي أو الشرح العلمي. تمتد هذه النظرة لتشمل اللاعقلانية الساذجة وفوق الطبيعة (غالبا بعد ظهور المسيحية) والدراسات الأكثر تعقيدا حيث تعتبر الأساطير تعبيرات جوهرية لخصائص معينة للعقل البشري بل وحتى للنظام الذهني أو السيكولوجي الأساسي. هذه «التعبيرات» خالدة timeless (دائمة) أو جوهرية لفترات أو ثقافات معينة. قامت محاولات مقاربة لذلك بإدماج هذه الوظيفة الأسطورية بالوظائف الإبداعية CREATIVE العامة للفن والأدب أو، حسب إحدى المدارس، إدماج الفن والأدب في هذه النظرة للأسطورة. الجدل الداخلي والخارجي الناجم معقد بشكل فائق، والآن أسطورة myth كلمة هامة جداً لكن أيضاً صعبة جداً. لم تدخل الكلمة اللغة الإنجليزية إلا في المائة وخمسين سنة الماضية، في فترة انحلال الدين الرسمي (الأرثودوكسي)، واستعملت سلبيا كمقابل للحقيقة والتاريخ HISTORY (ا م) والعلم SCIENCE (ا م)؛ أصبحت متشابكة مع المعاني الحديثة الصعبة لتخيل imagination، creative خلاق و fiction خيال؛ استعملت لتوضيح وتحليل «الطبيعة البشرية» بمعنى ما بعد مسيحي واضح (رغم أنه تم استيعاب أسلوب مدارس مختلفة تستعمل أسطورة بهذا المعنى في إعادة صياغة ودفاع مسيحي). في الوقت نفسه وخارج هذا الإطار من الأفكار، للكلمة المعنى العام الصريح لاعتقاد أو سرد زائف (اللذين غالباً ما يكونا متعمدين).

أنظر: **CREATIVE خلاق/إبداعي، FICTION خيال/رواية، HISTORY تاريخ، IMAGE صورة، RATIONAL عقلاني**

كانت كلمة nation (من س م nation، فرنسية، nationem، لاتينية: ذرية، عرق، جنس) شائعة الاستعمال في الإنجليزية منذ أواخر ق 13، في الأصل ضمن المعنى الرئيسي لمجموعة عرقية بدلاً من تجمع منظم سياسياً. بما أن هناك تداخلاً واضحاً بين هذين المعنيين فإنه ليس من السهل تأريخ بروز المعنى السياسي الحديث السائد لـ «تشكيل سياسي». استمر بالفعل التداخل بالنسبة لتشكيلات من هذا النوع وأدى من جانب إلى تعريفات محددة لـ«الدولة ـ الأمة nation-state»، ومن الجانب الآخر إلى نقاش معقد يدور حول nationalist قومي و nationalism قومية. كانت الاستعمالات السياسية الصريحة واضحة من ق 16 وصارت شائعة من أواخر ق17 رغم أن realm، kingdom مملكة و country بلد استمرت شائعة حتى أواخر ق 18. كان هناك من أوائل ق 17 استعمال لـ the nation الأمة يدل على شعب بلد بأكمله، عادة في تضاد، كما هو الوضع في الجدل السياسي، مع مجموعة أقلية ضمن هذا البلد. استعملت الصفة national قومي (كما هو الآن في national interest مصلحة قومية) بهذا المعنى التوحيدي المقَنَّع منذ ق 17. الاسم المشتق national مواطن، السياسي بوضوح، أكثر حداثة ولا زال يتناوب مع الاسم الأقدم subject تابع، فرد من الرعية. اكتسبت nationality جنسية، التي استعملت بمعنى عام من أواخر ق 17، معناها السياسي الحديث في أواخر ق 18 وأوائل ق 19.

ظهرت nationalist قومي في أوائل ق 18 و nationalism قومية في أوائل ق 19. وصار كل منهما شائعاً من منتصف ق 19. كان التداخل المستمر بين مجموعة وتشكيل سياسي مهماً، حيث أن المطالبة بـ nation أمة وأن تكون لها حقوق قومية national، التي عادة ما انطوت على تكوين nation بالمعنى السياسي، قد تكون ضد إرادة أمة سياسية قائمة تضم هذا التجمع وتصر على ولائه. يمكن القول ـ وهذا ما يكرره معارضو nationalism قومية ـ إن أساس ادعاءات التجمع عرقية RACIAL (ا م). (كانت race عنصر/عرق، ذات الأصل غير المحدد، في التداول بمعنى أصل مشترك من ق 16. ترجع الصفة racial إلى ق 19. في معظم استعمالات ق 16 كانت racial إيجابية واستحسانية، لكن بدأت في نفس الفترة تصبح نظريات العرق race الاعتباطية والمميزة أكثر وضوحاً وعزيت السمات القومية national إلى فروق جذرية يفترض أن تكون «علمية scientific». تأثرت في النهاية racial عنصري بالنقد الموجه ضد هذا النوع من التفكير واكتسبت معاني سلبية بعضها محدد والآخر فضفاض. كان غرض صيغة racialism عنصرية، من ق 20، وصف ـ وفي العادة

نقد - هذه التمييزات والفروق الواضحة.) كذلك قيل أن تلك المطالبة كانت أنانية، كونها ضد مصالح الأمة (المجموعة السياسية الكبرى القائمة). في الواقع، ونحن نضع في الاعتبار انتشار الاستيلاء والهيمنة، نلاحظ أن الحركات القومية nationalist تأسست إما بناء على تجمع سياسي قائم لكن تابع وإما على مجموعة تتميز بلغة خاصة وإما على جماعة يفترض أن عرقها واحد. القومية nationalism هي حركة سياسية في الدول الخاضعة التي شملت عدة أعراق «races» ولغات (مثل الهند) أو في الدول والأقاليم أو المناطق التابعة حيث التمييز يكون بناء على لغة خاصة أو دين مختلف أو أصل عرقي مفترض. في الواقع هناك صعوبة في استعمال الكلمتين nationalism وnationalist مشابهة لاستعمال NATIVE (ا م). لكن تحجب تلك الصعوبة عن طريق عزل national feeling الشعور الوطني (حسن) عن الشعور القومي nationalist feeling (سيء إذا كان يصدر من بلد أخر معاد لبلدنا)، أو عن طريق فرز national interest المصلحة الوطنية (حسن) عن nationalism (المصلحة القومية المعلنة لمجموعة أخرى). ازداد هذا التعقيد بالتمييز بين قومية nationalism (السعي الأناني لأمة ضد الآخرين) و internationalism (التعاون بين الأمم). لكن الأممية التي تشير إلى علاقات بين أمم - دول ليست في تعارض مع nationalism قومية في سياق مجموعة سياسية تابعة تسعى إلى إحراز هوية مميزة لها؛ إنها فقط تناقض السياسات الأنانية والتنافسية بين الدول السياسية القائمة.

دخلت nationalize يؤمم وتأميم nationalization في أوائل ق 19 للتعبير عن عمليات تكوين الأمة أو جعل أمر ما قومياً بشكل متميز. برز المعنى الاقتصادي الحديث في منتصف ق 19 ولم يكن شائعا قبل أواخر ق 19، في البداية بشكل رئيسي في مجال التأميم المقترح للأرض. في مسار الجدل السياسي، اكتسبت كل كلمة نبرة محددة بحيث أنه يمكن القول دونما صعوبة واضحة بأنه قد يكون أو قد لا يكون في المصلحة العامة أن نقوم بالتأميم.

أنظر: **ETHNIC اثني، FOLK فولك/شعب، NATIVE وطني/محلي، RACIAL عنصري/عرقي،REGIONAL اقليمي، STATUS منزلة/حالة**

محلي NATIVE

كلمة native هي إحدى الكلمات اللافتة التي تحتفظ بانسجام جوهري في المعنى لكنها في نفس الوقت تستعمل أيضاً في بعض السياقات بطرق تنتج معاني ونبرات مختلفة

جذرياً بل حتى متناقصة. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية كصفة من ق 14 وكإسم من ق 15، من (س م) natif، فرنسية، التي أخذت في وقت أسبق صيغة naif (وهذه مصدرالكلمة الإنجليزية naive، ساذج، بمعنى طبيعي وبسيط)، من nativus، لاتينية: صفة تعني فطري/خلقي أو متأصل و nativus، لاتينية قروسطية: اسم مصاغ من نفس الكلمة. كان الجذر اسم المفعول الماضي لـ nasci، لاتينية: على وشك الولادة.

كانت معظم استعمالات native الأولى كصفة من نوع مازال يمكننا التعرف عليه: فطري، طبيعي أو عن مسقط الرأس (قارن nation أمة المقاربة). كان المعنى السياسي والاجتماعي الإيجابي، كما في native land أرض الميلاد و native country البلد الأصلي، واضحاً من ق 16 فما بعد. لكن أنتج الاستيلاء والهيمنة السياسية المعنى الآخر السلبي للكمة في كل من الصيغتين الاسم والصفة، حيث كانت عموماً معادلة لقن bondman أو خسيس villein، ولد في الرق. ورغم أن هذا المعنى الاجتماعي المحدد مهجور الآن إلا أنه أصبح شائعاً استعمال سلبي للكلمة لوصف السكان الوضعاء لمكان يخضع لغزو أو سلطة سياسية أجنبية، أو لمكان تتم زيارته وملاحظته من نقطة استشراف أسمى مفترضة.

بشكل خاص كانت الكلمة شائعة كتعبير لغير الأوربيين في فترة الاستعمار والإمبريالية، لكن استعملت أيضا لسكان دول ومناطق مختلفة في بريطانيا وأمريكا الشمالية و(بمعنى مرادف إلى حد ما للاستعمال الازدرائي لـ locals محليين) لسكان مكان استقر فيه شخص ذو نفوذ. لكن طيلة هذا الوقت وبموازاة هذا الاستعمال بقيت native كلمة إيجابية جدا عندما يستخدمها المرء لوصف نفسه أو موطنه.

لا يزال يمكن العثور على الاستعمال السلبي، خاصة لـ «غير الأوربيين» حتى في كتابات ترفض ظاهرياً مضامين الكلمة الأيديولوجية. أدت الكلمة indigenous بلدي/ فطري دور تعبير مؤدب واعتبرت أكثر حيادية. في الإنجليزية يصعب استعمال هذه الكلمة البديلة بمعنى تحويل الآخرين إلى وضعاء (التعبير بالإنجليزية to go indigenous التصرف مثل المحليين أصعب في القبول من to go native). لكن في الفرنسية مرت indigénes بنفس التطور مثل الإنجليزية natives وتستبدل الآن في الغالب بـ autochthones أهل البلد الأصليين.

أنظر: **DIALECTIC دياليكتيكي/جدلي، ETHNIC اثني، NATION أمة، PEASANT فلاح، RACIAL عنصري، REGIONAL إقليمي/جهوي**

طبيعية NATURALISM

بشكل رئيسي حالياً الكلمة naturalism هي مصطلح نقدي في الأدب أو الفن، لكنها أكثر تعقيداً، كما يبين تاريخها، مما يدرك عادة الآن. ظهرت الكلمة في الإنجليزية للمرة الأولى من أوائل ق 17 كمصطلح في الجدل الديني والفلسفي. سبقتها naturalist طبيعي في نفس السياق، من أواخر ق 16. حملت naturalism معنى معينا للطبيعة NATURE (ا م) حيث كان هناك تضاد مع إله أو روح. لدراسة الأسباب الطبيعية natural causes للأحداث أو لشرح أو تبرير الأخلاق بناء على nature الطبيعة أو human nature الطبيعة البشرية، كان على المرء أن يكون naturalist طبيعياً وأن يعرض تبني الطبيعية naturalism، رغم أنه يبدو أن الذي صاغ المصطلحات ذاتها هم مناوئو هذا المنهج. أمثلة على ذلك: «هؤلاء المجدفون الزنادقة المعارضون للحقيقة والطبيعيون الملاحدة Atheisticall naturalists» (1612)؛ «ملاحدة أو رجال لا يؤمنون إلا بالأخلاق Morality أو الطبيعية Naturalism والعقل البشري» (1641). بهذا المعنى الأصلي لطبيعية كان المضاد الضمني هو supernaturalism فوق الطبيعية، واستمر هذا صحيحاً، لكن مع مصطلحات بديلة أكثر تداولاً في الجدل المتعلق بالأخلاق والفضيلة. لكن كان هناك معنى دراسة الطبيعة الفيزيائية، ورغم أنه تداخل في بعض الأحيان ولأسباب جلية مع المعنى الأخلاقي فإنه برز مستقلاً. كانت naturalist طبيعي اسم شائع في ق 17 للفيلسوف الطبيعي natural philosopher أو كما يجب تسميته الآن عالم SCIENTIST (ا م): في الواقع من نسميهم الآن فيزيائيين أو بيولوجيين. كانت هذه هي المعاني السائدة لطبيعية وطبيعي (إما (1) معارضة فوق طبيعية supernaturalismأو (2) دراسة التاريخ الطبيعي الذي هو الآن بشكل رئيسي علم الأحياء).

بالنسبة للفن والأدب كانت تطورات الكلمة أكثر تعقيداً. كان هناك أولا تأثير أحد معاني natural طبيعي، كما في «أسلوب كتابة بسيط وطبيعي» (منتصف ق 18). بوضوح أثر هذا في أحد الاستعمالات الأولى الجديدة: «أول مثال بارز للطبيعية naturalism دونما ريب في كل الشعر الإيطالي» (Rosetti، 1850). ثم ثانياً، كان هناك تأثير معنى «تاريخ طبيعي» بصفته المميزة بالملاحظة المفصلة والدقيقة: «كان فيلدنج a naturalist بمعنى أنه كان مراقباً غريزياً دقيقاً». يتبقى كلا المعنيين، خاصة الثاني، في مصطلح ق 20 المتطور. لكن الذي أهمل عادة في تاريخ ونقاش الكلمة النقدي هو التأثير الثالث: طبيعية في المفهوم العلمي والفلسفي العام الذي تأثر هو نفسه بالتطورات الجديدة والخلافية في

الجيولوجيا والبيولوجيا وخصوصاً نظرية داروين للانتقاء الطبيعي في النشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م). بشكل خاص تأثرت المدرسة الطبيعية في فرنسا، كما هو لدى زولا، بفكرة تطبيق المنهج العلمي في الأدب: خاصة دراسة الوراثة في قصة العائلة، لكن أيضاً، بشكل أعم، بمفهوم وصف وشرح السلوك البشري بمصطلحات طبيعية صارمة، مستثنية فرضية سلطة متحكمة وموجِّهة خارج الطبيعة البشرية. كانت هذه الطبيعية أساساً لنوع جديد من الكتابة، وتمت مناقشة الموقف الفلسفي بلغة مباشرة: قارن سترندبيرج: «محا الطبيعي naturalist الشعور بالذنب بإلغائه الإله»؛ «يجب إعتراض الطبيعيين ... على أحكام المؤلفين المتسرعة على الأشخاص، فالطبيعيون هم الذين يعرفون ثراء المركَّب الروحي soul-complex ويدركون أن «رذيلة» و«فضيلة» ما هما إلا وجهان لنفس العملة» (مقدمة السيدة جولي، 1888). مُنح اهتمام جديد لبيئة environment الشخصيات والأحداث. (كانت environment في معناها الخاص والرئيسي الآن للظروف، بما فيها الظروف الفيزيائية التي يعيش وينمو في كنفها الإنسان والكائنات، تطوراً مصاحباً لطبيعية من أوائل ق19، وذلك من معنى محيط surroundings العام الأسبق). اعتبرت الشخصية والحدث متأثرة أو محدَّدة بالبيئة التي توجب، خاصة في مفهوم اجتماعي أو فيزيائي ـ اجتماعي، وصفها بعد ذلك بدقة كعنصر أساسي لأي تصوير للحياة. ارتبط هذا بمعنى الملاحظة الدقيقة والمفصلة، من التاريخ الطبيعي، لكن لم تكن (كما افترض لاحقاً) وصفاً مفصلاً لغرض الوصف أو اتباعاً أميناً لتقليد؛ بالأحرى، اعتمد ذلك على المعنى الجديد والطبيعي naturalist الملائم للتأثير المحدد أو الحاسم أو الفعال للبيئة على الحياة (ضمن التفاوت بين المحدِّد determining والفعّال influential يمكن إدراك كثير من التطورات اللاحقة). كذلك كان هناك استعمالان متخصصان. أولاً، عنت naturalism ضمنياً تقصّياً لعناصر البيئة الاجتماعية التي كانت حتى ذلك الحين، وعلى الخصوص في الفترة السابقة مباشرة، مستثناة من الأدب؛ هذا يفسر الإجابة المسجلة في Daily News في 1881: «ذلك الوصف الدقيق دونما ضرورة لأحداث مهينة الذي وجد له السيد زولا الاسم الجديد Naturalism». هذا وصف كاريكاتورى لكنه دال على هذه النظرة. ثانياً، كان هناك استعمال خاص لصيغة من «الانتخاب الطبيعي natural selection»، كما هي في الداروينية الاجتماعية، يرتبط بالصراع والخلاف في العلاقات الإنسانية: «الطبيعية الحقيقية هي التي تبحث عن تلك النقاط في الحياة حيث توجد النزاعات العظيمة» (سترندبيرج، مقدمة السيدة جولي، 1881). من كل من هذه الاتجاهات وكذلك من نكران فوق الطبيعية الأسبق

والأكثر تشدداً، كانت هناك ردة فعل محافظة استمرت، لكن بطريقة ضمنية، في التأثير على الاستعمالات النقدية للطبيعية كمصطلح.

مع ذلك، تضافرت هذه الاستعمالات مع معنى الملاحظة المفصلة والدقيقة التي نجمت من الطبيعية البيولوجية ومن المعنى الأسبق لطبيعي natural. كان هناك تفاعل معقد وغالباً مشوش بين طبيعية وواقعية REALISM (ا م). بشكل خاص في الرسم، استعملت طبيعية والكلمة الجديدة، من وسط ق 19، naturalistic طبيعي ليس لوصف الملاحظة الدقيقة فحسب وإنما أيضا لـ «إعادة إنتاج reproduction» الأشياء الطبيعية بالتفصيل: «مدرستنا الجديدة من رسامي مناظر طبيعيين naturalistic landscape painters». التعقيد الفعلي هو أنه، لاحقاً، اكتشفت دراسات إضافية للطبيعة والطبيعة البشرية، في ما كان لا يزال حسب المعنى الأسبق تعبيرات طبيعية naturalist، عمليات ونتائج إما لم تكن قابلة للملاحظة النظرية أو متعذرة الوصف في مظاهر خارجية جامدة. الأشخاص الذين تحمسوا في الماضي لـ naturalism وجدوا أسماء بديلة لعملياتها ومناهجها، وانحصرت الكلمة باضطراد على أسلوب وصف خارجي دقيق. هذا هو ما يعنيه المصطلح الآن بشكل رئيسي، لكن بسبب التحديد تم تجاوز جوانب حاسمة من النقاش الأصلي. إحدى النتائج هي أن صيغاً متعددة مثالية IDEALIST (ا م) وفوق طبيعية للطبيعة والانسان استمدت دعماً ظاهراً (ومشوشاً) من الأساليب الفنية (impressionism انطباعية، expressionism تعبيرية ومثيلاتهما) التي، بنظرة أشمل، يمكن اعتبارها استمراراً، غالباً بشكل مباشر وواضح، للنزعة الطبيعية naturalist الأصلية. في نفس الوقت كان هناك تفاعل بين الطبيعية والإمبيريقية EMPIRICISM (ا م) والمادية MATERIALISM (ا م) حيث كان النقاش الحاسم المتعلق بمعنى naturalism (بمساعدة من المناهج البيئية environmental في الوصف والشرح) عن العلاقة بين الفاعل SUBJECT (ا م) والأشياء objects المراقبة (سواء كانت natural أو naturalistic).

بهذا التعقيد في تاريخها فإن طبيعية naturalism كلمة أصعب كثيراً مما يبدو من استعمالاتها الحالي.

أنظر: **ECOLOGY علم البيئة، EMPIRICAL إمبيريقي، MATERIALISM مادية، NATURE طبيعة، POSITIVIST وضعي، REALISM واقعية**

الطبيعــة NATURE

ربما تكون nature أصعب كلمة في اللغة الإنجليزية. من السهل نسبياً تمييز ثلاثة مجالات للمعنى: (1) الميزة والخاصية الأساسية لشيء ما؛ (2) القوة المتأصلة التي تسير العالم أو البشر أو كليهما؛ (3) العالم المادي، سواء شمل ذلك البشر أم لم يشملهم. لكن واضح أن المعاني الدقيقة ضمن كل من (2) و(3) متقلبة وفي بعض الأحيان متعارضة، وذلك رغم أن مجال المرجعية جلي بشكل عام. التطور التاريخي للكلمة عبر هذه المعاني الثلاثة مهم، لكن مهم أيضاً أن المعاني الثلاثة كلها، بالإضافة إلى التنويعات والبدائل الرئيسية ضمن الإثنين الأكثر تعقيدا فيهاً، لاتزال فعالة ومنتشرة في التداول المعاصر.

يرجع أصل nature إلى (س م) nature، فرنسية قديمة و natura، لاتينية، من جذر في اسم المفعول الماضي لـ nasci، لاتينية: يولد (التي اشتقت منها أيضاً nation أمة، native محلي، innate متأصل، الخ). كان معناها الأول، كما هو في الفرنسية القديمة والأصل اللاتيني، هو معنى (1): الميزة والخاصية الأساسية لشيء ما. هكذا nature هي واحدة من عدة كلمات مهمة، من ضمنها culture ثقافة، بدأت كأوصاف لميزة أو عملية، مُعرّفة مباشرة بمرجعية محددة، لكنها أصبحت فيما بعد أسماء مستقلة. العبارة اللاتينية الملائمة لهذه المعاني المتطورة هي natura rerum ـ طبيعية الأشياء، التي اختصرت في بعض الاستعمالات اللاتينية إلى natura: تكوين أو قوام العالم. في الإنجليزية برز معنى (1) منذ ق 13، معنى (2) منذ ق 14 ومعنى (3) منذ ق 17، رغم أنه كان هناك استمرار أساسي من ق 16 الذي بدأ فيه أيضاً تداخل كبير بين معنى (2) و(3). في العادة ليس من الصعب تمييز معنى (1) عن الآخرين وفي الواقع هذا غالباً ما يتم بحكم العادة وفعلياً لاتتم ملاحظته عند القراءة.

> «في حالة الطبيعة الفجة rude nature لا وجود لشيء يمكن وصفه بشعب people. . . فكرة شعب ... مختلقه تماماً؛ صيغت، مثل كل الاختلاقات fiction القانونية الأخرى، عن طريق الاتفاق المشترك. تستنتج الطبيعة nature المعينة لذلك الاتفاق من الشكل الذي تقولب فيه ذلك المجتمع».

هنا عند بيرك Burke مشكلة بالنسبة للاستعمال الأول لـ nature لكن لا إشكال بالنسبة للثاني (المعنى (1))، بل تكاد لا تكون نفس الكلمة. مع ذلك، في بعض الأحيان لا بد من جعل الصلات والتمييزات بين المعاني الثلاثة واضحة. على سبيل المثال، يمكن أن تشتمل العبارة الشائعة «الطبيعة البشرية human nature» (دون تمييز ذلك بوضوح) أيا من المعاني

الثلاثة الرئيسية بل وكذلك تنويعاتها وبدائلها الرئيسية. هناك استعمال حيادي نسبياً لمعنى (1): إنها ميزة وخاصية أساسية للبشر لعمل شيء ما (رغم أن هذا الشيء المحدد قد يكون بالطبع مدار خلاف). لكن في كثير من الاستعمالات الصيغة الوصفية (التي يمكن بالتالي تأكيد صحتها أو دحضها) لمعنى (1) هي أقل بروزاً من العبارة المختلفة تماماً التي تعتمد على معنى (2)، القوة المتأصلة المسيِرة، أو أحد المعاني المتفرعة من معنى (3)، خاصية راسخة للعالم المادي، الذي هو في هذه الحالة «الإنسان الطبيعي natural man».

ما يجب ملاحظته في العلاقة بين معنى (1) ومعنيي (2) و(3) هو بشكل عام أن معنى (1)، حسب التعريف، مفرد محدد: طبيعة the nature of شيء ما، بينما معنيا (2) و(3) في كل استعمالاتهما تقريباً، هما مفردتين مجردتين: أصبحتnature of طبيعة كل الأشياء مفردة nature أو Nature. بالطبع المفردة المجردة الآن مألوفة لكن لها تاريخاً محدداً. تطور معنى (2) من معنى (1) وأصبح مجرداً لأن المطلوب كان «ميزة أو خاصية جوهرية» واحدة شاملة. هذه مقاربة بنيوياً وتاريخياً لبروز God إله من god أو the gods. هكذا تمت صيغة Nature» الطبيعة» المجردة، القوة المتأصلة الجوهرية، عن طريق افتراض سبب واحد رئيسي، حتى عندما تمت مقابلتها من قبل بعض المتجادلين بالسبب أو القوة الأكثر وضوحا في تجريدها: God الإله. كان لهذا أثره الذي شمل معنى (3) حيث تحتوي الإشارة إلى كل العالم المادي، وبالتالي تعدد في الأشياء والمخلوقات، افتراض شيء مشترك يجمعها وهو إما (أ) الحقيقة البسيطة لوجودها، وهذا حيادي، أو، على الأقل بنفس المقدار من المشاركة، (ب) تعميم ميزة مشتركة وهذا هو ما يرتكز عليه في عبارات من نوع (عادة حسب معنى (3) بوضوح): «تبين الطبيعة. . Nature shows us that». اختزال التعدد هذا إلى المفرد عن طريق بنية وتاريخ الكلمة الهامة هو إذاً، بشكل مثير، متوافق إما مع الجزم بميزة مشتركة، التي تتلاءم مع المعنى المفرد، وإما مع الإثبات المحدد أو الضمني لميزة مشتركة فعالة، الذي تتمكن الصيغة المفردة مع ذلك من اشتمالها.

سيكون أي تاريخ كامل لاستعمالات nature هو تاريخ جزء كبير من الفكر البشري. (للحصول على موجز مهم، راجع Lovejoy). لكن من الممكن إيضاح بعض الاستعمالات والتحولات الحاسمة. هناك، أولاً، التشخيص المبكر جداً والذى هو للغرابة مستمر، للمفرد Nature: طبيعة الآلهة، «الطبيعة نفسها nature herself». يختلف هذا التشخيص المفرد بشكل واضح عن ما يسمى الآن «آلهة الطبيعة nature gods» أو «أرواح الطبيعة nature spirits»: تشخيصات أسطورية لقوى طبيعية معينة. في طرف،

«الطبيعة نفسها» آلهة بالفعل، قوة كونية مسيِّرة، وفي الطرف القصي الآخر (وهنا يصعب تمييزها عن استعمالات مفردة غير دينية) قوة غير مميزة لكنها مع ذلك قوة مشكِلة وخلاقة جبارة. تقع العبارة المقاربة «الطبيعة الأم Mother Nature» عند هذا الطرف الأخير من الطيف الأسطوري والديني. هناك إذاً تعقيد عظيم عندما يتعايش هذا النوع من التجريد الديني والأسطوري المفرد مع قوة مفردة أخرى جبارة، أي الإله التوحيدي. كان الخط المتبع في الاعتقاد الأوربي القروسطي هو استعمال كلا المطلقين المفردين لكن تم تعريف الإله على أنه الأساس والطبيعة Nature وزيرة أو نائبة له. لكن كان هناك اتجاه معزز لرؤية الطبيعة بطريقة أخرى كملك مطلق. واضح أنه من الصعب فرز هذا الاتجاه عن نظرة آلهة أو وزيرة، لكن بشكل خاص استعمل المفهوم للتعبير عن الإيمان بالقدرية بدلاً من العناية الإلهية. كان التركيز على سلطة القوى الطبيعية وعلى الاستعمال الذي يبدو أنه اعتباطي ونزوي لهذه السلطات من وقت لآخر، مع ما له من تأثير محتوم على الناس والذي غالباً ما يكون مدمراً.

في العادة، كما هو متوقع في أمور على هذا القدر من الصعوبة الجوهرية، كان مفهوم nature فعليا أكثر شمولاً وتنوعاً من أي من التعريفات المحددة. كانت هناك إذاً حالات من الاستعمال المتقلب، كما في مسرحية شكسبير الملك لير:

Allow not nature more	لو لم يسمح للطبيعة
than nature needs,	بأكثرمن حاجة الطبيعة،/ لبخسة
Man's life's as cheap as beast's...	كانت حياة الإنسان، كالحيوان
...one daughter	لك ابنة واحدة/ تفدي
Who redeems nature	الطبيعة من اللعنة الشاملة التي/
from the general curse	أنزلتها بها اثنتان أخريان
Which twain have brought her to.	
That nature, which	فالطبيعة التي تزدري
contemns its origin,	بأصلها/
Cannot be border'd certain in itself...	لا يمكن حصرها ضمن نطاقها باطمئنان
... All shaking thunder	... واقصفي يا رعود
Crack nature's moulds,	مزمزمة/
all germens spill at once,	واسطحي كروية الدنيا الكثيفة!/

حطمي قوالب الطبيعة واسكبي هباء كل بذرة؟/ That make ungrateful man..
تصنع الانسان العقوق!

أيتها الطبيعة اسمعي! أيتها الآلهة... Hear, nature hear; dear goddess hear ...
العزيزة/اسمعي!

في هذه الأمثلة هناك نطاق من المعاني يمتد من طبيعة بدائية سبقت المجتمع البشري؛ عبر معنى براءة أصلية نشأ منها سقوط ولعنة يتطلبان خلاصاً؛ وعبر المعنى الخاص لنوع من الولادة، كما في جذر الكلمة؛ وكذلك عبر معنى أشكال وقوالب الطبيعة التي يمكن مع ذلك، بشكل تناقضي، أن تدمرها قوة الرعد الطبيعة؛ إلى تلك الصيغة البسيطة والمستمرة لآلهة، «الطبيعة نفسها». هذا التعقيد في المعاني ممكن في أسلوب درامي بدلاً من تفسيري. ما كان يمكن ملاحظته كالتباس كان أيضاً توتراً: في نفس الوقت كانت nature بريئة، محرومة، واثقة، فاقدة الثقة، مثمرة، مدمرة، قوة محضة وفاسدة ولعينة. تم نقل التعقيد الفعلي لعمليات طبيعية إلى تعقيد ضمن مصطلح مفرد.

كان هناك، خاصة من أوائل ق 17، جدلاً مهماً حول ملاحظة الطبيعة وفهمها. قد يبدو من الخطأ البحث في أفعال ملك مطلق أو وزير إله، لكن تم التوصل إلى صيغة مرضية: فهم الخلق هو تقدير وتعظيم الخالق، ملاحظة السلطة المطلقة من خلال الأعمال الممكنة. في الواقع أصبحت تلك الصيغة ادعاء وتم لاحقاً إهمالها. في موازاة مع التغييرات السياسية تم تعديل «الطبيعة» من ملك مطلق إلى ملك دستوري، مع تأكيد جديد على قوانين الطبيعة. في الواقع، كثيرا ما تم تشخيص الطبيعة في ق 18 وق 19 كرجل قانون دستوري. صدرت القوانين من جهة ما وتم تحديد ذلك بطرق مختلفة لكن غالباً دون إيلاء ذلك أية أهمية؛ توجه معظم الاهتمام العملي إلى تفسير وتصنيف القوانين، واستنتاج توقعات بناء على سوابق واكتشاف أو إحياء نظم أساسية منسية وفوق كل ذلك صياغة قوانين جديدة من حالات مستجدة: الطبيعة ليس كقوة متأصلة ومسيرة، لكن كتجميع وتصنيف للحالات.

كان هذا هو البروز الحاسم لمعنى (3): الطبيعة بصفتها العالم المادي. لكن أدى التركيز على القوانين القابلة للاكتشاف ـ

الطبيعة وقوانين الطبيعة قبعت مختفية في ليل دامس؛

قال الرب: ليكن هناك نيوتن! وعم الضياء كل الكون(بوب Pope) ـ

إلى تماهي الطبيعة مع العقل: موضوع الملاحظة مع أسلوب الملاحظة. كون هذا أساسا لتعديل مهم تمت فيه معارضة الطبيعة مع ما صنعه الإنسان أو ما أعده لنفسه. يمكن معارضة «حالة الطبيعة state of nature» ـ أحيانا بطريقة متشائمة لكن غالبا بتفاؤل بل حتى

بطريقة مبرمجة - مع حالة المجتمع القائمة. ثم لعبت «حالة الطبيعة» وفكرة الطبيعة Nature التي شخصت للتو أدوارا حاسمة في الجدال حول، أولاً، مجتمع فاسد وعقيم في حاجة إلى خلاص وتجديد، وثانياً مجتمع «مصطنع artificial» أو «ميكانيكي» حيث لا بد وأن تشفيه الاستفادة من الطبيعة Nature. بشكل عام، كانت هاتان هما مرحلتا عصر الأنوار والحركة الرومانسية. يمكن بسهولة تمييز المعنيين لكن كان هناك في الغالب تداخل كبير بينهما. خلق التركيز على القانون أساساً فلسفياً لتصور مجتمع مثالي. وخلق التركيز على سلطة أصلية ذاتية - نسخة حديثة للفكرة الأكثر قدماً ـ أساساً لإحياء فعلى أو، حين يتعذر أو يتباطأ الإحياء، مصدراً بديلاً للاعتقاد بطيبة الحياة وصلاح البشر، كمقابل أو كعزاء للعالم القاسي.

كانت كل هذه التصورات للطبيعة جامدة: مجموعة قوانين - تكوين أو قوام العالم، أو قوة شاملة، متأصلة، أساسية لكن أيضاً متجددة - بارزة في «جمال الطبيعة» وفي «قلوب البشر» تلقن طيبة فريدة. استمرت كل من هذه المفاهيم في التداول، خاصة المفهوم الأخير. في الواقع أحد الاستعمالات الأكثر فعالية لـ «طبيعة» منذ أواخر ق 18 كان بهذا المعنى الإنتقائى للطبيعة والبراءة. عنت الطبيعة «الريف»، «الأماكن غير الملوثة»، النباتات والمخلوقات سوى الإنسان. يكثر هذا الاستعمال بشكل خاص في معارضة المدينة بالريف: الطبيعة هي ما لم يصنعه الإنسان، لكن لو صنعها منذ مدة طويلة - وشيع أو صحراء - فإنها تعتبر في العادة طبيعية natural. ترجع عبارات مثل «محب الطبيعة Nature-lover» و«شعر الطبيعة» لهذه المرحلة.

لكن كان هناك تشخيص إضافي فعال وهو لا يزال متبقياً: الطبيعة كآلهة، وزيرة، ملك، قانوني، أو مصدر البراءة الأصيلة ثم الطبيعة كمولدة انتقائية: خلقت فكرة «الانتخاب الطبيعي»، والمنافسة «الشرسة» التي يبدو أنها تتضمنها، أساساً لاعتبار الطبيعة تاريخية وفعالة. لم يزل للطبيعة في الواقع قوانينها، لكنها قوانين البقاء والعدم: أنواع species نمت وترعرعت، اضمحلت وماتت. تم اختصار تراكم المعرفة الاستثنائي عن عمليات ارتقاء فعلية وعن العلاقات المتنوعة بين الكائنات الحية وبيئاتها التي تحتوي كائنات أخرى إلى اسم مفرد. «الطبيعة» فعلت هذا الشيء أو ذاك للأنواع. ثم كان هناك توسع للصيغ المختلفة للتعميم العلمي الحديث: «تعلم الطبيعة ...»، «تبين الطبيعة أن ...». في الواقع ما تم تعليمه أو إيضاحه تراوح بين منافسة مرة متأصلة ومحتومة وبين تبادل أو تعاون متأصل. يمكن اختيار أمثلة طبيعية natural عديدة لدعم أي من هاتين الصيغتين:

عدوان، ملكية، تطفل، تكافل، تعاون - كلها تم إثباتها، تبريرها وبثها في أفكار اجتماعية عن طريق أقوال انتقائية عادة ما تطرح على أنها ترتكز على طبيعة Nature مفردة في نفس الوقت الذي تجمع وتستعمل فيه حقائق التنوع والاختلاف.

لا مجال للدهشة حول تعقيد الكلمة خاصة عند العلم بالأهمية الأساسية للعمليات التي تدل عليها. لكن بما أن طبيعة nature تحمل، خلال فترة طويلة جداً، كثيراً من المجالات الرئيسية في الفكر البشري - غالبا ما يكون ضمنياً، مهما كان الاستعمال، لكن له تأثير فعال في طبيعة النقاش - فإنه من الضروري بشكل خاص إدراك صعوبتها.

انظر: **COUNTRY بلد/ريف، CULTURE ثقافة، EVOLUTION نشوء/ تطور، EXPLOITATION استغلال، NATURALISM طبيعية، SCIENCE علم**

عادي ORDINARY

لاستعمال كلمة ordinary في عبارات مثل «ordinary people» ناس عاديون تاريخ ومعنى لافتين. فالكلمة دخلت الإنجليزية من ق 14، (س م) ordinarie، فرنسية قديمة، ordinarius، لاتينية وسطى، (س ب) ordo، لاتينية: نظام ولاحقه arius، لاتينية: يخص، للدلالة على تعيين أو منصب رسمي، كما هو الآن في الكلمتين المقاربتين ordination رسامة الكاهن و ordinance أمر/ قانون بلدي. استعملت بشكل واسع بالنسبة لأشخاص قادرين على التصرف حسب مشيئتهم، في أمور دينية وقانونية، ثم توسعت لتشمل طبقات كاملة من الموظفين المعينين. كذلك استعملت لوصف أنماط معينة في الطقوس والتعليم. ثم توسع المعنى الضمني لشيء أنجز حسب قواعد أو تبعاً لأوامر، بطريقة تخلو من التناقض في البداية على الأقل، ليشمل شيئا أنجز حسب العادة. في أحد مسارات تطور الكلمة، حملت an ordinary معنى مطعم eating-house بوجبات ثابتة الأسعار، وفي هذا المسار وفي مسارات أخرى أكثر عمومية بدأت تتجمع معاني اجتماعية مختلفة حول الصفة.

في ق 18 تظهر أوضح أمثلة للمعنى السلبي الذي يتضمن أفكاراً صريحة عن التفوق أو الدونية الاجتماعية: «عبارات، مثل ... حتى أسوأ الناس في الشارع وأكثرهم اعتيادية ordinariest لا يستعملونها» (ديفو، 1756)؛ «غير ملائم واعتيادي ordinary بشكل مفرط» (تشسترفيلد، 1741). كذلك توجد عبارة «ordinary people ناس عاديون» عند نفس المؤلف: «معظم النساء وكل الناس العاديين بشكل عام يتحدثون في استخفاف واضح بكل القواعد» (1741). هذه هي لحظة الانفصام بين معنى ملائم / صحيح correct أو

STANDARD معياري (ا م) التي كانت تعبر ordinary عنه، ومعنى COMMON عام/ مشترك (ا م) أو مألوف customary. استمر هذا المعنى، كما هو في عبارات مثل «ordinary looking» عاد المظهر أو «very ordinary looking»، لكن استمر بوضوح كذلك المعنى المتطور للمتوقع، المنتظم، والمألوف. لذا يمكن استعمال «ordinary people» للتعبير عن موقف اجتماعي أو تحيز بطرق متعارضة فعلياً. يمكن أن تعنى عبارة «ما يعتقده الناس العاديون»، في سياقات مختلفة، إما ما يعلمه أو يعتقده ناس «غير متعلمين uneducated» (قارن EDUCATED) أو «غير مستنيرين uninstructed»، وهذه تعتبر بوضوح طرقاً قاصرة، أو يمكن أن تعنى ما يعتقده ناس عقلاء، أسوياء ولطفاء في تمييز لذلك عن وجهات نظر طائفة أو آراء المثقفين INTELLECTUALS (ا م).

في الوقت نفسه في العادة تشير «the ordinary people»، سواء استعملت كإطراء أو نبذ، إلى جمع عام للآخرين (قارن MASSES جماهير و people شعب) من منظور نخبة إدارية أو حاكمة. كثيرا ما تثير هذه الاحتجاج مثلها مثل العبارة ذات التنوع في المعنى «ordinary people». من المفيد مقارنة بعض الكلمات الأخرى التي تعبر عن هذا النوع من العلاقات الاجتماعية المتصورة.على سبيل المثال، في العادة تستعمل «rank-and-file» جمهور/ جنود لوصف أعضاء عاديين في حزب سياسي أو تنظيم مشابه، في تمييز لهم عن القيادة «the leadership»، التي أصبح استعمالها منتشراً ضمن نظرية للنخب ELITES (ا م)، وذلك من ترجمة لكتابة Michels في 1915. (استعملت المفردة قيادة leadership لقائد leader حزب أو معارضة في مجلس العموم من أوائل ق 19؛ وكانت leadership كسلطة شائعة من وسط ق 19 و leadership كمقدرة يمكن تدريبها من أوائل ق 20؛ بوضوح تختلف the leadership كمجموعة متحكِّمة على رأس منظمة عن كل الاستعمالات السابقة.) استعملت rank-and-file بمعناها العسكري الصريح من أواخر ق 16 ولعامة COMMON (ا م) الجنود من ق17. بعد تشعبات محدودة، اكتسبت هذا المعنى الحديث في وسط ق19: «مجرد قاعدة rank-and-file الحزب» (مل، 1860). من اللافت أنه منذ وسط ق 20 تم في الغالب اعتماد الوصف بمعنى إيجابي للدلالة على الناشطين الفعليين للحزب أو المنظمة. لكن تحل باضطراد محلها في المعنيين الكلمة الأمريكية grassroots القاعدة/ الأساس. يبدو أن هذه العبارة بدأت في مجال تعدين الذهب بمعنى يكاد يكون حرفياً لمكامن الذهب في سبعينات ق 19، ويبدو أن عبارة «getting down to grassroots الهبوط إلى القاع» كانت عامية في أمريكا من ثمانينات ق 19. لم تسجل إلا من ثلاثينات ق 20 الاستعمالات السياسية مثل «grassroot candidacy الترشح من القاعدة» بما تتضمنه من

إشارة إلى الريف (قارن COUNTRY بلد/ريف و PEASANT فلاح) في أمريكا، لكن لم تصبح الكلمة شائعة إلا من أربعينات ق 20، وفي بريطانيا، عن طريق الصحافة السياسية، من ستينات ق 20. يمكن القول أن لها نبرة ألطف من ordinary أو rank-and-file لكن يظل مجال بحث في بعض الحالات إذا ما كان هذا اللطف مدروساً، حصيفاً أو فعلياً.

أنظر: **COMMON عام/مشترك، EDUCATED متعلم، INTELLECTUAL مثقف، MASSES جماهير، POPULAR شعبي/رائج، STANDARD معيار**

عضـوي ORGANIC

تحمل كلمة organic معنى محدداً في الإنجليزية الحديثة يدل على عمليات ومنتوجات الحياة عند البشر والحيوانات والنباتات. ولها أيضاً معنى استعارى أو مجازي مهم للدلالة على أنواع معينة من العلاقات ومن ثم أنواع معينة من المجتمع. بهذا المعنى الأخير هي كلمة صعبة جداً، وتأريخها على أية حال معقد بشكل استثنائي.

ظهرت organic المرة الأولى في الإنجليزية من ق 13 للدلالة على آلة موسيقية؛ ظهرت آلة تشبه الأورجان organ الحديث بهذا المفهوم من ق 14. كانت سابقتها المباشرة (س م) هى organe، فرنسية قديمة، من organum، لاتينية، (س ب) o'rganon، يونانية: آلة، محرك، أو أداة بمعنيين مشتقين: «الآلة instrument» المجردة: وسيلة وكذلك آلة موسيقية. كان هناك معنى مادى لاحق لـ organon تكرر في الكلمات المشتقة: العين كآلة رؤية seeing instrument والأذن كآلة سمع وغيرهما، ومن ثم organ كجزء من الجسد، التي كانت في الإنجليزية من أوائل ق 15. لكن نطاق المعاني الكامل - آلة موسيقية، محرك، آلة (organ of opinion وسيلة الرأي) وجزء من الجسد - كان موجوداً في الإنجليزية في ق 16. تبعت ذلك organic التي ظهرت في ق 16، في البداية بمعنى محرك أو أداة. كتب نورث في 1569 مترجماً بلوتارك: «يصنع آلات instruments ومحركات Engines (تسمى ميكانيكية أو عضوية organicall)». هذا مفيد في ضوء التضاد التقليدي اللاحق بين عضوي organic وميكانيكي mechanical.

تطورت في النهاية من معنى organ كآلة أو وسيلة الكلمتان organize ينظم و organization منظمة بمفهومهما الحديث، وذلك بشكل رئيسي من أواخر ق 19 (قارن تطور كل من society مجتمع و civilization حضارة). لكن استعملت مبكرا كلتا الكلمتين بدلالة مادية واضحة كما هو الحال كذلك بالنسبة لـ organism كائن حي (متعضي) بدءا من ق 17.

تبعت عضوي organic مساراً مختلفاً وفي الواقع بحلول ق 19 كان من الممكن استعمالها كمقابل لـ organized منظم. مصدر معناها الحديث المحدد الشائع هو التطور العظيم للتاريخ الطبيعي وعلم الأحياء في ق 18 عندما اكتسبت دلالة على أشياء حية ونامية. تم تعريف organic chemistry كيمياء عضوية في أوائل ق 19، مكتسبة لاحقا المعنى الأكثر تحديدا ككيمياء مركبات الكربون من 1860 تقريباً. كان هذا التطور في علم الأحياء و«life sciences علوم الحياة» هو الذي وضع الأساس للتمييز بين الكلمتين اللتين كانتا مترادفتين في السابق: organic عضوي وميكانيكي MECHANICAL (ا م).

تم التمييز في الحركة الرومانسية، في البداية على الأرجح في ألمانيا، عند فلاسفة الطبيعة. ميز كوليردج بين أجسام عضوية organic وغير عضوية inorganic أو systems أنظمة. في الأجسام العضوية «الكل هو كل شيء والأجزاء لا قيمة لها» بينما في اللاعضوية «الكل ما هو إلا مجموعة الأجزاء المستقلة». لهذا صلة واضحة بالمعنى المتطور لمنظَّم organized وorganism متعضي، لكن تأثر التمييز بشكل جوهري بالتضاد مع ميكانيكي وبالمعارضة مع الفلسفة الميكانيكية وبالتأكيد بالأهمية الجديدة للماكينات في الثورة الصناعية. عند استعمال organic في التنظيم الاجتماعي يقترب معناها من معنى natural طبيعي المعاصر: المجتمع العضوي organic هو المجتمع الذي نما بدلاً من كونه صنع. اكتسبت هذه أهمية مبكرة في نقد الطروحات أو المجتمعات الثورية على أنها artificial مصطنعة وضد natural order النظام الطبيعي للأشياء. اكتسبت لاحقاً أهمية بالتضاد بين مجتمعات زراعية بشكل رئيسي وأخرى صناعية INDUSTURAL (ا م). كان لا يزال في ذهن كارلايل المعنى المعقد عندما كتب عن ترويض الثورة الفرنسية «حتى يمكن لهدفها الأصلي أن يتحقق وأن تصبح organic عضوية وتستطيع العيش ضمن organisms المتعضيات والكائنات الأخرى». لكن بيرك استعمل وهو يتحدث عن نفس الموضوع معنى مضاداً: كتب مقارنا الإنجليز في 1688 بالفرنسيين في 1789: " أحدثوا تغييراً في الدول المنظمة العتيقة حسب تنظيمها القديم وليس حسب الخلايا العضوية organic moleculae لشعب ممزق». تذكرنا خلايا moleculae هنا بالمعنى المتطور لـ atomistic متذر للدلالة على أشكال نسبياً منحلَّة أو مشتَّتة للمجتمع والفكر الاجتماعي.

كانت organic تستعمل خلال ق19 وحتى وسط ق20 غالبا في الفكر الاجتماعي، الذي كان بشكل رئيسي من نوع محافظ. عارض ليفس وتومبسون في كتابهما «الثقافة والبيئة» (1932) الدولة الحديثة «المنظمة organized» مع «إنجلترا القديمة ... ذات

المجتمع العضوي organic». وجادل وايت في كتابه «التراث المحافظ» (1954) «أنه من الأفضل أن تكون الدولة شجرة بدل محرك engine» وأن «انتشار السلطة هو ميزة الحياة العضوية تماما كما يميز تركيز السلطة المذهب الميكانيكي mechanism». جادل بيرتراند رسل، في توجه مختلف، في كتابه «توقعات الحضارة الصناعية» (1923) «أن الماكينة في جوهرها عضوية، بمعنى أن لها أجزاء تتضافر لإعطاء نتيجة واحدة مفيدة وأن الأجزاء المستقلة قليلة القيمة بمفردها» (يعيد التمييز الأخير للذاكرة ذلك الذي قام به كوليردج) وأنه بالتالي «عندما يتم حثنا على جعل المجتمع «عضويا» فإنه من الماكينة يجب بالضرورة أن نستمد نماذجنا التخيلية، حيث أننا لا نعرف كيف نجعل المجتمع حيواناً حياً». في بعض المواضيع، خلف الجدل الحديث يبدو أن للاستعارة القديمة للمجتمع كجسد بأعضاء ومن ثم كائنا حيا بمعنى بيولوجي بعض الأثر. ميز دوركهايم بين التضامن العضوي organic والتضامن الميكانيكي حيث تحمل organic معنى الاعتماد المتبادل الوظيفي. لكن يمكن أن تغري العلاقات الحديثة الصعبة، والتداخل الأساسي، بين organic وorganized وorganization وorganism بالقول إن كل المجتمعات عضوية لكن بعضها أكثر عضوية organic ـ أي مخططة بطريقة هادفة instrumentally أو متطورة بشكل طبيعي.

لا يزال هناك تأثير لمعنيين آخرين لعضوي organic. هناك المعنى الحديث المحدد للزراعة والطعام مع توكيد على الطبيعي natural بدلا من المصنع artificial في الأسمدة وطرق التربية والتوليد. يرتبط هذا بالنقد العام للمجتمع الصناعي industrial. هناك أيضاً المعنى الأشمل لوصف نوع من العلاقة بدلاً من، كما هو الحال في التنظير الاجتماعي الصريح، نوع من المجتمعات (قارن ECOLOGY علم البيئة). استعملت organic على نطاق واسع في مناقشات الفن والأدب للدلالة على علاقة مهمة أو علاقات متداخلة بين أجزاء عمل: organic relation صلة عضوية و organic connection علاقة عضوية. هذا الاستعمال الذي يشير إلى صلة أو علاقة بطريقة ذات مغزى أو بطريقة متممة واضح ليس في وصف مجتمعات ككل بقدر ما هو وصف لعلاقات داخلية معينة: «صلة عضوية بالتجمع المحلي». هذا الاستعمال بالمعنى الأكثر تحديداً أسهل لكنه ليس تام السهولة.

أنظر: **ECOLOGY علم البيئة، EVOLUTION نشوء/تطور، INDUSTRY صناعة/جهد، MECHANICAL ميكانيكي، NATURAL طبيعي، SOCIETY مجتمع**

أصالة/ابتكار/طرافة ORIGINALITY

هذه كلمة حديثة نسبياً. استعملت بشكل واسع في الإنجليزية من أواخر ق 18.

بالطبع، تعتمد على معنى original أصيل التي كانت بالإضافة إلى origin (من س م origine، فرنسية، originem، لاتينية: نشوء، بداية، مصدر، من س ب oriri، لاتينية: يبرز) في اللغة الإنجليزية منذ ق14. في كل الاستعمالات الأولى كان لـ origin أصل معنى جامداً للحظة ما في الزمن أو طاقة أو شخص تنشأ عنه أشياء أو ظروف لاحقة. لكن بينما احتفظت origin بهذا المعنى الارتجاعي المتأصل فإن original طورت معاني إضافية بحيث أنه بالإضافة إلى original sin الخطيئة الأولى و original law القانون الأساسي و original text النص الأصلي كانت هناك لاحقا original بمعنى عمل فني أصيل (في تمييز له عن نسخة copy) وبمعنى شخص فريد singular (حيث سيكون مهما التمييز اللاحق بين singularity فرادة و originality أصالة). في حالة الأعمال الفنية كان هناك تحول من المعنى الارتجاعي لـ original (العمل الأول وليس النسخة) إلى ما كان في الواقع معنى مقاربا لـ new جديد (لا يشبه الأعمال الأخرى). حدث هذا بشكل رئيسي في ق17: «بخصوص هذا البحث سأضيف فقط أنه original مبتكر» (درايدن، 1683). كانت «an original» شائعة في ق 18 بمعنى شيء فريد أو نادر وكذلك بمعنى يرتبط بنظرية جديدة في الفن: قارن، «لا أداء يمكن أن ينال التقدير ما لم يكن original أصيلا» (ولستد، رسائل، 1724). كتب ينج في 1759: «الأصيل original. . . . ينشأ تلقائيا من أساس العبقرية الحيوي؛ إنه ينمو ولا يصنع؛ كثيرا ما تكون المحاكاة نوعا من العمل المصنوع يقوم به هؤلاء الميكانيكيون mechanics، مستعملين المهارة art والجهد labour، من مواد موجودة سابقاً وليست موادهم» (كتاب «أراء حول التأليف الأصيل»). هنا تستعمل كلمات أساسية مجتمعة وتتفاعل في فلسفة جديدة للفن art والطبيعة nature والمجتمع. من اللافت أن ما حدث هو توسع مجازي للمعنى القديم لـ original أصيل ومحاكاته (نسخة) إلى معنى جديد لنوع من العمل يتميز بالنبوغ والنمو وليس مصنوعاً وبالتالي ليس ميكانيكياً، يستمد مادته من ذاته وليس من مصادر أخري وليس هو مجرد منتوج من الفن ART (هنا لا زالت بمعنى مهارة، ا م) و labour الشغل (الجهد). ثم أصبحت originality (أصالة/ ابتكار/ طرافة) تعبيراً شائعاً لإطراء الفن والأدب، ولكن ليس دائماً بكل معاني «ينج» وإن شمل عادة معظمها. يعتبر العمل جيداً ليس بمقارنته بأعمال أخرى أو بمعيار ولكن «حسب شروطه الخاصة».

كذلك تبعت an original مساراً آخر في وصف الأشخاص. كتب Wycherley في The Plain Dealer (1676): «أكره المحاكاة، تقليد ما يفعله الآخرون. كل من يعرفني يكرمني بالقول إني فريد an original». هذه ملتبسة الطابع، وفي استعمالها للأشخاص

استمر الالتباس حيث كان المعنى في الغالب eccentric غريب الأطوار أو على الأقل فرد غير معتاد بدلاً من شخص لديه جدة لافته أو، كما في الفن، حقيقي authentic. لكن بحلول أواخر ق 18 كتب هوكنز في كتابه «حياة جونسون»: «يمكن ملاحظة أن الفرادة singularity هي في العموم أصالة originality؛ وبالتالي ليست عيباً». يبدو أن الانتقال من an original فريد إلى original أصالة عزز المعنى الإيجابي وأصبح هذا سائداً فيما بعد منتجا المقابل المحبط لشخص أو كاتب عديم الأصالة no originality.

في الوقت الذي استقرت فيه originality في اللغة الإنجليزية فإنها فقدت تقريباً كل صلة لها بـ origin أصل؛ في الواقع القصد هو أن لا يكون لها origin أصل إلا ذاتها. مع ذلك، احتفظت original بالمعنيين: المعنى الارتجاعي إلى الأصل ووصف شيء بأنه جديد و(عادة) مهم.

أنظر: **ART فن، CREATIVE خلاق، GENIOUS عبقري، MECHANICAL ميكانيكي، ORGANIC عضوي**

فلاح PEASANT

ترجع كلمة peasant إلى (س م) paisant، فرنسية قديمة، س ب pagus، رومانية: منطقة ريفية، ومن ثم في تطور آخر نشأت الكلمة pagan وثني. كانت شائعة الاستعمال في الإنجليزية من ق 15 ويمكن غالباً تمييزها عن rustic (س م rusticus، لاتينية: رجل من الريف، س ب rus: ريف) حيث أن peasant عنت في العادة الشغل في الأرض بالإضافة إلى العيش في الريف. ظهر اسم الجمع peasantry الفلاحين [أو الفلاحة على وزن وبمفهوم مقارب لـ«عمالة» - المترجم] في ق 16. استمرت peasant بمعناها التقليدي في الإنجليزية حتى قرننا الحالي (ق 20)، لكن اقتصر ذلك تدريجياً على الاستعمال الأدبي. خلق التحول الاجتماعي والاقتصادي في الزراعة الإنجليزية من ق 16 إلى ق 19 صعوبة خاصة في استعمال الكلمة. في إنجلترا بحلول أواخر ق 18 انتهى تقريباً وجود طبقة صغار مستأجري وعمال الأراضي في علاقة إقطاعية أو شبه إقطاعية مع أرستقراطية ملاك الأراضي، كما وجد في روسيا وفرنسا قبل الثورة فيهما ويوصف في الغالب بهذه الكلمة الفرنسية، وحلت محلها العلاقات الرأسمالية الجديدة بين مالك الأرض والمستأجر والعامل. لاحظ كوبيت في كتابه «السجل السياسي» (1830): «peasantry اسم جديد أطلق على العمال الريفيين من قبل قبائل المتاجرين بفكرة القصبة borough mongering ومروجي الديون الوقحين». منذ ذلك الحين أصبحت peasant وpeasantry في اللغة

الإنجليزية إما كلمتان أدبيتان في أفول وإما، كما هو الحال في استعمالهما في الوصف الاجتماعي، هما كلمتان أعيدت في الواقع استعارتهما من لغات أخرى أهمهما الفرنسية والروسية. كان هناك أيضاً استعمال خاص تم تبنيه أيضاً من الفرنسية والروسية حيث peasant عبارة إهانة طائشة - في الإنجليزية عادة مقصودة ومضخمة - لأشخاص «غير متعلمين» أو من «العامة». في نفس الوقت، في وصف مجتمعات أخرى خاصة في العالم الثالث (قارن DEVELOPMENT)، لا تزال peasantry تحمل معنى رئيسياً يشير إلى مجموعة اجتماعية واقتصادية واضحة المعالم وأعطيت peasant، في بعض السياقات، معاني إما وصفية أو بطولية ثورية.

أنظر: **COMMON عام/مشترك، COUNTRY بلد/ريف، EDUCATION تربية، MASSES جماهير**

شخصية PERSONALITY

كانت personality شخصية شيئاً ملكناه جميعاً في الماضي. في استعمالاتها الإنجليزية المبكرة كانت تعني صفة كون الإنسان «شخصاً a person» وليس شيئاً واستمر ذلك على الأقل منذ أواخر ق 14 إلى أوائل ق 19: «هذه المقدرات تكوّن الشخصية، فهي تعني ضمنياً فكراً ووعياً» (بيلي، 1802). هذا ليس معناها الحالي، لكن التطور جزء من سلسلة عمليات مهمة. دخلت person الإنجليزية في ق13 من (س م) persone، فرنسية قديمة، personae، لاتينية. كانت persona قد مرت عبر تطور لافت من معناها السابق كقناع يستعمله الممثل ثم كشخصية في مسرحية وبعد ذلك الدور الذي يقوم به المرء وأخيراً كلمة عامة تعني الإنسان. (تم فصل هذه المعاني مرة أخرى في صيغ مختلفة كما في personage شخصية بارزة والاستعمال السيكولوجي لـ persona). لا تزال الاستعارة الضمنية تلازمنا. لكن في الإنجليزية، رغم وجود استعمالات مبكرة لـ person للدلالة على شخصية سواء ممثلة أو مفترضة، فإن معنى فرد individual كان مبكرا أيضا (ق 13) وفيما بين ق 14 وق 16 ضم هذا المعنى، خاصة في personal شخصي، معاني أخرى نميزها الآن كفرد(ي) INDIVIDUAL وخاص PRIVATE (ا م) . كان لـ personalitas، لاتينية، معنيان خاصة في تطور قروسطي: الطبيعة العامة لكون المرء شخصاً وليس شيئاً (تعبير معقد في الجدل السكولائي حول الثالوث، لكنه عنى أيضاً البشرية)، ومعنى الممتلكات أوالمتعلقات الشخصية personal belongings التي استعارتها الإنجليزية كـ personalty ملكية شخصية. (يمكن تتبع معنى مقارب في personnel موظفين التي استعملت في الفرنسية مقابل

matériel مادى، غالباً في الحديث عن الجيش؛ تم تبنيها ككلمة أجنبية في الإنجليزية من أوائل ق 19 ثم عوملت ككلمة إنجليزية بحلول أواخر ق 19. تحتفظ في تعبير personnel management إدارة أفراد بمعناها كإدارة الممتلكات البشرية التي تتكون هنا اسمياً من persons أشخاص دونما تركيز على معاني هذه الكلمة الأخرى؛ أنظر MANAGEMENT إدارة).

إن المهم في شخصية personality هو التطور من صفة عامة إلى أخرى تدل على الخصوصية والفرادة. عندما نقرأ، من 1655، «لفترة يفقد الإحساس بشخصيته ويصبح مجرد أداة مذعنة للآلهة»، فإننا نفهم بشكل يتعذر تجنبه المعنى الحديث المتطور الذي نستعمل له individuality فردية. لكن رغم أن هذا المعنى موحٍ - إنها فترة تحول معنى الكلمة - إلا أنه ليس مؤكدا حيث أن الكلمة البديلة لـ personality قد تكون، في إطار ذلك النوع من التفكير، بشرية HUMANITY (ا م). لم يتم بروز المعنى «الفرداني» بوضوح إلا في ق 18. عرّف جونسون personality على أنها «وجود أو فردية أي إنسان»، وكانت هناك استعمالات عديدة للهوية الشخصية المتميزة. ربما يكون أكثر إثارة للاهتمام هو بروز معنى الهوية الشخصية المفعمة بالحياة، الذي هو أساس لفهم مثال من 1795: «حتى فتاة فرنسية لها من العمر ستة عشر عاماً، لو كان لها شيء من الشخصية personality، فإنها تكون ميكيافيليه». بينما يبدو هذا متناغماً مع الاستعمال المتطور لهوية محددة (مثلاً، «شخصية طاغية»، إمرسون، 1847؛ «شخصية قوية»، «شخصية متحكمة»، «شخصية ضعيفة») فإنه يتيح مجالاً يمكن أن نصف فيه إنساناً، في تمييز تام عن المعنى السابق، بأنه «لا يملك شخصية». لا تزال كل هذه المعاني في حيز الاستعمال، لكن كان هناك تطور متخصص في ق20 - بشكل عام، كما هو الحال غالباً، في مجالي السياسة والترفيه - لاسم جديد من المعنى الأكثر تحديداً. هناك شخصيات قيادية (leading personages personalities) شخصيات بارزة أو، حسب الاستعمال المحدد السابق، persons؛ كما تقول العبارة الحالية Very Important Persons شخصيات هامة) لكن هناك أيضاً، بكل تأكيد، «Personalities». ربما يكون هؤلاء الآن مشهورين أكثر من كونهم مفعمين بالحياة، رغم أن معنى الحيوية لا يتلاشى تماماً. حسب هذا الاستعمال من المفترض أن معظم الناس ليسوا «personalities» شخصيات.

مع ذلك لا تزال لدينا شخصية من نوع ما. يمكن مقارنة هذا التشكيل للكلمة بتطور character شخصية. دخلت هذه الكلمة الأخيرة الإنجليزية من (س م) caractére، فرنسية،

character، لاتينية، من الكلمة اليونانية لآلة الدمغ والنقش أو الحفر: عنى أصلها البعيد (س ب) شحذ/بري، ثلم، نقش أو حفر. استمر هذا المعنى في مجال حروف الأبجدية أو رموز أخرى منقوشة أو محفورة؛ وفي الفترة من ق 14 إلى ق 16 استعملت بشكل واسع لأية علامة محفورة. تطور الاستعمال للناس، مجازياً، من ذلك مع إشارة خاصة للوجه: «عن طريق علامات محفورة characters graven على جبينك» (مارلو، تمبرلين)؛ «ذهن يتلاءم مع مظهرك character الخارجي الجميل» (شكسبير، الليلة الثانية عشر). ساند استعمال أكثر عمومية لوصف الطبيعة NATURE (ام) شيء ما، استعمالاً بالنسبة للأشخاص بلغ تطوره التام، بالرغم من استعمالات أخرى كثيرة في الفترة الوسيطة، بحلول أوائل ق 18. كتب بتلر في 1729 أن «هناك تنوعا كبيرا في جوانب ما نسميه شخصية يفوق قسمات الوجه». التحول في الكلمة اكتمل هنا بوضوح. كانت هناك أيضاً استعمالات أخرى من أوائل ق 18 للدلالة على السمعة (بما في ذلك إصدار (شهادة) أخلاق character رسمية أو كما نسميه الآن شهادة حسن سيرة وسلوك character reference). تتشابك الكلمة مع تطور personality للدلالة على ميزة مدهشة: «معظم النساء لا شخصيات character لهن البتة» (بوب، 1735)؛ «الرجال ذوو الشخصية character» (1737). كانت كتابات characters، وصف وتقويم رسمي للأشخاص، عملاً أدبياً رائجاً في ق 17 وق 18. أصبح ممكناً وصف فرد بأنه character قبل وصفه بأنه personality ومع أنه يصعب تحديد تاريخ ذلك إلا أن وسط ق19 هو الأرجح. في محاكاة لافتة لـ persona، وصف أشخاص الروايات والمسرحيات المتخيلين FICTONAL (ا م) من وسط ق 18 كشخصيات characters. مدهش تكرار الاستعارة من قناع وعلامة حفر، وكذلك التداخل بين عرض مسرحي أو خيالي وحيازة طبيعة خاصة إلى جانب أخرى بارزة. رغم أنها فقدت كثيراً من هذه المعاني المعينة إلا أن الكلمة المقاربة disposition نزعة/مزاج، من التنجيم والفسيولوجيا المبكرة، هي أكثر تحديدا DETERMINED (ا م). لكن personality أو character، اللتين كانتا في السابق علامة خارجية، تم استبطانهما بشكل نهائي، لكن الاستبطان كان كتملك وبالتالي كشيء يمكن عرضه أو تفسيره. حسب أحد المعاني، هذا هو حد أقصى من individualism الفردانية الإقتنائية لكنه في الحقيقة أقرب إلى تسجيل للإدراك المتزايد بالاعتماد الذاتي freestanding وبالتالي وجود قابل للتقويم الذي منحنا، مع كل الصعوبات، الكلمة individual ذاتها.

يمكن بالطبع التمييز بين personality وcharacter في بعض معانيهما. نعرف ما نقصد أو نعتقد ذلك عندما نقول، مميزين الحيوية عن الوثوقية، أن أحداً من الناس «لديه كثير من

الجاذبية المفعمة بالحياة personality لكن ليس لديه character خلق يركن إليه». ينعم النظر بانتظام أيضا في السلوك الخاص private characters لشخصيات مشهورة personalities ابتدعت شخصيات خيالية characters.

أنظر: **DRAMATIC دراماتيكي، HUMANITY إنسانية، INDIVIDUAL فرد، MAN إنسان، PRAIVATE خاص**

فلسـفة PHILOSOPHY

احتفظت فلسفة بمعناها الأصلي العام، من (س م) philosophia، لاتينية، philosophia، يونانية: حب الحكمة الذي يتجسد في دراسة ومعرفة الأشياء ومسبباتها. اكتسبت في أوقات مختلفة معاني ثانوية كما هو في مفهوم الحكمة العملية ما بعد الكلاسيكي الذائع الذي أدى إلى تمييز مثل الذي قام به بن Penn في 1679: «معروفة لعفتها وفلسفتها عندما عنت هذه الأخيرة (الفلسفة) ليس الجدل العقيم ولكن حياة ورع». من هذا القبيل الاستعمال الشائع لفلسفي philosophical في عبارات مثل «يتخذ موقفاً فلسفياً»، وفي الواقع تعادل فلسفة هنا «إذعان» أو «استسلام». في الاستعمال الرسمي، خاصة في الجامعات، قسمت الفلسفة إلى ثلاثة أقسام: ميتا فيزيقية، أخلاقية، وطبيعية؛ حل علم SCIENCE (ا م) محل القسم الأخير. في بعض الأحيان تم التمييز بوضوح بين الفلسفة كمعرفة وتفكير في الدين: «حتى لا يخدعك أحد بالفلسفة والمغالطات التافهة التي تتبع أراء الناس وترتبط بأشياء دنيوية وليس تبعاً لتعاليم المسيح» (ويكلف، 1388)؛ يتضح في تعليق حنا مور (1790) «الفلسفة ... (كما يسر الكفر في الفترة الأخيرة أن يسمى نفسه)». كذلك كانت الفلسفة philosophy اسما شائعا لأي نظام معين للأفكار يحدده وصف دقيق.

يجب ملاحظة استعمالين معاصرين في الإنجليزية. إلى حد كبير انحصرت الفلسفة الأكاديمية في إنجلترا لبعض الوقت على المنطق ونظرية المعرفة وهناك اتجاه إلى قصر الفلسفة philosophy على هذا المعنى واعتبار ارتباطها التقليدي بنظم فكرية وأخلاقية عامة خطأ. هذا تقليد مسيطر لكنه محصور جدا. لكن الأكثر انتشاراً هو الاستعمال المتزايد لفلسفة في الحديث البيروقراطي والإداري حيث يمكن أن تعنى philosophy سياسة عامة لكن كما هو الغالب مجرد تصورات أو حتى إجراءات داخلية لمشروع تجاري أو مؤسسة: من فلسفة البيع عبر فلسفة طرق السيارات إلى فلسفة متاجر المؤن (سوبر ماركت). يمكن إسناد ذلك إلى كتاب Philosophy of Manufactures (1835) فلسفة الصناعات لمؤلفه

Ure، لكن أصبح هذا الاستعمال شائعاً بشكل أكبر في وسط ق20 للدلالة على رفعة ما هو في الواقع مجال نشاط محلي.

أنظر: SCIENCE علم

شعبي/شائع/مشترك POPULAR

كانت popular مصطلحاً سياسياً وقانونياً، من popularis، لاتينية: يخص الناس. كانت action popular (دعوى شعبية، من ق15) قضية قانونية يمكن لأي فرد أن يتقدم بها. دلت popular estate منزلة شعبية وحكومة شعبية popular government، من ق 16، على نظام سياسي أسسه وطبقه كل الناس، لكن كان هناك أيضاً معنى (قارن COMMON) «وضيع» أو «حقير». لافت التحول إلى المعنى الحديث السائد: مفضل من قبل الكثيرين أو محبوب كونه يحتوي على قدر واضح من السعي لكسب الاستحسان، بما يتضمنه ذلك من الإعداد المحسوب الذي لم يختف بعد بل هو واضح في عبارة معززة مثل deliberately popular شعبي بشكل مدروس. اعتبر معظم الذين تركوا سجلات عن استعمال الكلمة الأمر من وجهة النظر هذه: من الأعلى إلى الأدنى. كانت هناك استعمالات حيادية مثل قول نورتون: «أكثر شعبية popular وتواق لرضا واستحسان عامة الناس» (1580) (حيث لم تزل popular تعبير سياسة أكثر منه تعبير حالة)، واستعمالات إزدرائية بشكل واضح مثل قول بيكون: «رجل نبيل من أسرة عريقة، لكنه مضطرب و popular شعبي» (1622). عرَّف كوللير Collier في 1697 popularity الشعبية بأنها «تملق لكسب ود الناس بممارسة غير ملائمة». على الأرجح عززت ذلك استعمالات سلبية: كان هناك المعنى الحيادي في «موضوعات ... شعبية» (1573)، لكن الثقل كان للعبارات: «خطأ شعبي» (1616) و«سقم شعبي» (1603)، أو «مرض شعبي» (ق 17 ـ ق 19) التي تدل على مجرد انتشار شيء مكروه. بحلول أواخر ق 18 أصبح واضحاً المعنى الرئيسي: مفضل من قبل الكثيرين؛ يرجع معنى محبوب «well-liked» على الأرجح إلى ق19. لاحظت مجلة أمريكية من أواخر ق 19: «أصبحوا ... يعتبرون popular بطريقة جادة وواضحة مرادفة لـ «good» حسن، طيب». هنا كان التحول في المنظور واضحاً. بدأت popular ترى من وجهة نظر الناس بدلاً من أولئك الذين يسعون للحصول على ودهم أو لكسب سلطة منهم. لكن المعنى السابق لم يمت. لم يعرّف الشعب people الثقافة الشعبية popular culture ولكن عرّفها آخرون، ولا تزال تحمل معنيين قديمين: أنواع وضيعة من الأعمال (قارن popular

literature أدب شعبي؛ صحافة شعبية في تمييز لها عن صحافة جادة)؛ وأعمال تسعى بطريقة مدروسة لكسب الود (popular journalism كتابة صحفية شعبية في تمييز لها عن ديمقراطية، أو popular entertainment ترفيه شعبي)؛ بالإضافة إلى المعنى الحديث - محبوب من قبل الكثيرين - الذي يتداخل، بالطبع، في حالات كثيرة مع المعنيين السابقين. يختلف عن كل ذلك معنى popular culture كثقافة ينتجها فعلا الشعب لنفسه. بوضوح، يرتبط ذلك بمفهوم هيردر Herder لـ « Kultur des Volkes» ثقافة الشعوب، من أواخر ق 18، لكن يمكن تمييز folk-culture «ثقافة فولكية/شعبية» (قارن FOLK) التي برزت في الإنجليزية عن المعاني الحديثة لثقافة شعبية popular، سواء كانت معاصرة أو تاريخية. يمكن ملاحظة هذه المعاني المختلفة مرة أخرى في popularize (ينشر بين الجمهور، يجعل رائجا) التي كانت حتى ق 19 تعبيراً سياسياً بالمعنى القديم ومن ثم اكتسبت معناها المحدد لتقديم المعرفة بطرق مبسطة. بشكل رئيسي كانت تحمل معاني إيجابية في ق19 واستمر ذلك في ق20 إلا أن هناك أيضا معنى واضحا يدل على «التبسيط»، الذي يسيطر في بعض الدوائر.

في النقاش السياسي، تجسد populism شعبوية، كل هذه التنويعات. في أمريكا كان الشعبويون Populists (من 1892، حزب الشعب) في تحالف راديكيلي مع منظمات العمال، رغم أن العلاقة بين populism وsocialism إشتراكية معقدة. تبقّى معنى تمثيل المصالح والقيم الشعبية popular، لكن كثيرا ما طغى عليه إما (أ) نقد يميني لذلك، كما في demagogy ديماجوجية التي تحولت من «قيادة الشعب» إلي «تهييج مبسط وفج»؛ أو (ب) نقد يساري للحركات اليمينية أو الفاشية التي تستغل «التحيزات الشعبية»، أو نقدها لحركات يسارية تخضع الأفكار الاشتراكية لمفاهيم وتقاليد شعبية popular أو شعبوبة populist.

في وسط ق 20 اختصرت بطريقة دالة popular song أغنية شعبية و popular art فن شعبي إلي pop، وتجمّعت مرة أخرى هنا جملة المعاني المألوفة من الإيجابية إلى السلبية. منح الاختصار الكلمة بساطة لكنه في نفس الوقت عرّضها بشكل سهل لمعنى تفاهة. من الصعب القول بأن هذا المعنى اندمج مع معاني pop القديمة: المعنى الشائع لحركة مفعمة بالحياة والعفوية، كما هو في سياقات كثيرة مألوفة وسارة، بالتأكيد ملائم .

أنظر : **COMMON شائع/مشترك، CULTURE ثقافة، DEMOCRACYديمقراطية، FOLK فولك/شعب، MASSES جماهير**

وضعي POSITIVIST

يكاد يكون من المستحيل الآن فرز معنى شائع لوضعى positivist من النقاش العام حول الإمبيريقية EMPIRRCISM (ا م) والمنهج العلمي SCIENTIFIC (ا م)، رغم أن تاريخ الكلمة الفعلي يتطلب منا أن نكون حذرين من بعض استعمالاتها الأكثر غموضاً. أدرج كونت من 1830 الكلمة بشكل فعال في الفرنسية واستعملت بكثرة في الإنجليزية في منتصف ق 19. كان مصدرها positive يدل في أحد معانيه المتطورة على وجود حقيقي أو فعلي (وفي ذلك تحول من الاستعمال الأسبق الذي دل على «يخطط رسمياً»: (س م) postivus، لاتينية، (س ب) ponere، لاتينية : موضوع laid down؛ بوضوح أسهم معنى «قطعي» و«يقيني» في هذا السياق الرسمي في معنى «الحقيقي real»). جادل كونت أن العقل البشري انتقل من مرحلة التفسير الثيولوجي الأولى عبر مرحلة التفسير المجرد والميتفافيزيقي إلى مرحلة الإدراك الوضعي positive أو العلمي scientific الناضجة حيث الاعتماد يقتصر على الحقائق التي يمكن ملاحظتها والعلاقات القائمة بينها والقوانين التي يمكن استنباطها من تلك الملاحظة، وأن كل أنواع البحث عن الأصل والسبب أو الهدف هي ما قبل علمية. بهذا المفهوم تم تبني positivist بشكل واسع وكانت في الغالب بديلة لعلمي scientific . لكن عند كونت positivism الوضعية لم تكن مجرد نظرية للمعرفة وإنما كانت أيضا خطة للتاريخ وبرنامج إصلاح اجتماعي. بهذا المفهوم الأشمل أصبحت positivism في إنجلترا حركة تفكير حر وراديكالي بالإضافة إلى كونها حركة علمية. في الحقيقة، لأن الوضعية كانت مشغولة بفهم وتغيير المجتمع فإنها اتهمت بكونها ليست علمية بدرجة كافية أو ليست موضوعية objective بمقدار كاف (قارن علم اجتماع SOCIOLOGY، الكلمة الأخرى الرئيسية التي سكّها كونت). علاوة على ذلك، انفصل فرع من الوضعية في محاولة لتأسيس كنيسة وضعية Positivist Church: دين البشرية الحديث. لكن كل هذه التطورات هي جزء من ماضي الكلمة المنتهى. المعنى العام الذي برز أولا هو «ضد الدوغماتية anti-dogmatic: «الوضعية، أي تقديم الحقائق دونما خلط بالتنظير أو الميثولوجيا» (1892)؛ وكذلك برز لاحقا، كجزء من جدل عام وصعب حول الإمبيريقية والمنهج العلمي، معناها الشائع الآن والسلبي في عمومه كموضوعية ساذجة naive objectivity. لافت أنها لا تستعمل الآن، على عكس كل من علمي وإمبيريقي، لوصف وتبرير معيار للمعرفة الموثوقة. بدلاً من ذلك تستعمل الكلمة بشكل رئيسي من قبل معارضي فكرة اعتبار هذا المعيار مطلقاً. ما يجادل هؤلاء ضده ليس ما جادل ضده

الوضعيون، سواء الاعتقاد الديني أو الأفكار القبلية a priori. بدلاً من ذلك، يعتمد نقد positivism على ما اعتبر غموض مفهوم «الحقائق المشاهدة observable facts» أو في قصورها العام على حقائق تخضع لقياس مادي أو قياس مكرر ويمكن التحقق منه. كان الجدل أن هذا لا يهمل فقط وضع المشاهد الذي هو أيضا حقيقة وليس مجرد أداة، وإنما يهمل أيضاً خبرات experiences ومواضيع لا يمكن «قياسها» بهذه الطريقة؛ وبالتالي سيقصر هذا التنظير THEORY (ا م) والمنهج العلمي SCIENIFIC (ا م) على مجالات معينة، ويعرّض مجالات أخرى إلى مجرد التقليد أو اللامبالاة.

هذا طرح هام، لكن نتيجة استعمال positivist كأحد مصطلحاته المركزية، في الوقت الذي أسقطه فعلياً المدافعون عن الموقع المهاجم، فإنه في الغالب إقصاء للمشكلة الحقيقية، أو حتى إعاقة لتوضيحها. تصبح الكلمة شتيمة لكن دونما شتم. لكن النقاش الحقيقي لا يزال قائماً. ببساطة قد يكون أكثر إزعاجاً تركيزه على scientific حيث المواضيع هي في الوقت ذاته أصعب وأوضح.

أنظر: EMPIRICAL امبيريقي، SCIENCE علم، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية

برجماتي/عملي PRAGMATIC

تستعمل pragmatic الآن غالبا في تضاد، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والسياسيين، إما مع dogmatic دوجماتي أو ملتزم بالمبادئ principled، ويكون الاختيار تبعاً لوجهة النظر. صلتها بالبرجماتية pragmatism ملتبسة فمعانيها تمتد من practical عملي مقابل نظري theoretical إلى إشارة غير واضحة تماماً لنظرية فلسفية معينة عرفت منذ أواخر ق 19 بالبرجماتية Pragmatism. لذا هي مثال لافت للتجمع اللغوي المعقد حول مفاهيم نظرية THEORY (ا م) و practice ممارسة.

دخلت pragmatic الإنجليزية في ق 16 (في البداية pragmatic كإسم و pragmatical كصفة) بالمعاني المحددة: (1) مرسوم حكومي و(2) وكيل/وسيط أو رجل أعمال، من (س ب) pragmaticus، لاتينية: بارع في الأعمال، لاحقاً ارتبطت بأمور الدولة، pragmatikos، يونانية: (رجل) بارع في الأعمال، من (س ب) pragma، يونانية: عمل، أمر من أمور الأعمال business. business من (bisig busy مشغول)، إنجليزية قديمة، لها نطاق واسع من المعاني، من قلق وشغف إلى مهنة جادة لكن لم يتبق من ذلك إلا القليل الذي غالبا ما يظهر في عبارات معينة، حيث حصرت هذه الكلمة

الشائعة على التجارة وكان ذلك واضحا من ق 17 وبشكل مألوف بحلول ق19.) استمرت الاستعمالات المبكرة رغم أن معنى (1) أصبح نادراً واقتصر على دلالة تاريخية معينة. في ق 17 توسعت الصفة لتشمل (3) عملي ومفيد: «ليست معرفة غريبة وتافهة ... لكن معرفة عملية pragmatical مليئة بالجهد والعمل «business (1674)؛ و(4) فضولي، متطفل وجازم: «أناس متطفلين متدخلين واثقين pragmatic» (1674). نجم عن (4) معنى فرعي لافت، (5): متشبث برأيه، دوجماتي، استعمل في الغالب من ق 17 إلى ق 19: «أسلوب عنيد قاطع pragmatical للتعبير عن آرائهم» (1704)؛ «في مغايرة صارخة لكوبيت البرجماتي كان هناك ماكينتوش المحبوب، الهادئ، المتأمل» (1872)؛ «دوجماتية عنيدة pragmatic وعديمة الصلة بالموضوع» (1872). كان هناك أيضاً معنى آخر من ق19 (6) استمد من pragmatisch وpragmatismus الألمانيتين لوصف الدراسة المنهجية للتاريخ مع اهتمام خاص بالأسباب والنتائج.

هذه المعاني اللاحقة مدهشة جدا الآن وليس من السهل تتبع التطور في ق 20. كان معنى (3) لا يزال حاضراً في بعض استعمالات ق19 لكن لم يقتصر على مهارة عملية بل شمل كذلك الدهاء وقابلية الاستعمال: «حكمة سياسية وبرجماتية» (1822). في نفس الوقت، من سبعينات ق 17، استعمل الفيلسوف الأمريكي بيرس pragmatism كمنهج في علم المنطق: «منهج للتحقق من معنى الكلمات الصعبة والمفاهيم المجردة»Collected) . Papers Of Charles Sanders Pierce, V 464, 1931 - 5). كان المنهج هو أن «نعتبر الآثار، التي يمكن أن تصور موضوع الفكرة حاصل عليها، والتى نتصور أن لها مركزا عمليا ... إن فكرتنا عن هذه الآثار هو كل فكرتنا عن الموضوع» (نفس المصدر، جـ 7، 2). هذه طريقة للفهم وليست (كما حدث لاحقاً في دعم وليام جيمز للبرجماتية) للتبرير. في تطور نظرية البراجماتية المعقد جدا كان التأكيد السائد على «اتباع دقيق للحقائق» وعلى «ملاحظة سلسلة الخبرات التي تنجم» عن فعل أو فكرة. من المفارقة أن بيرس، الذي أدرج هذا المصطلح في هذا السياق، ركز كثيرا على مصاعب التأكد من الحقائق ومن ثم ركز على المعرفة واللغة كإشكالية. من المؤكد أن الأسئلة التي طرحها بيرس ستضع حدا نهائيا لأي برجماتي pragmatist عادي. لكن هناك معنى ارتبطت فيه الصيغة الشائعة (فلسفة العناية بالحقائق والنتائج والعملية) بصفات الإطراء في معنى (3)، رغم أن الصلة أصبحت زائفة عندما بلغت المعنى المختزل: «فن الممكن»، أي مجرد الحسابات السياسية التي يكون فيها تلاعب ودهاء. لا يزال هذا المعنى الأخير يجد تبريراً بتمييزه عن دوجماتي dogmatic، وعن المعانى المختزلة الشائعة التي تستعمل لنظرية theory أو مبدأ principle

أو حتى ثبات. عند هذا المستوى كل الصلات بالموقف الفلسفي فعليا زائفة. لكن لافت أن الكلمة تستعمل بشكل واسع وأن معنيا (4) و(5) أسقطا. من «كوربت البرجماتي (العنيد)» إلى «سياسي برجماتي (داهية، متلاعب)» مسافة نادراً ما يمكن لكلمة أن تقطعها. لكن الكلمة كانت مفيدة كبديل مقبول لعديم المبادئ unprincipled أو timeserving انتهازي، خاصة في الحركات السياسية التي تعلن مجموعة مبادئ وتقرر تحت ضغوط أن تهملها أو تنبذها أو تخونها، لكنها تظهر بمظهر البراعة والدهاء.

أنظر: **DOCTRINAIRE غير عملي، THEORY نظرية**

خاص PRIVATE

لا تزال private كلمة معقدة، لكن تم انجاز المراجعة التاريخية الاستثنائية لها بشكل عام منذ مدة طويلة. دخلت الإنجليزية من (س م) privatus، لاتينية: منعزل عن الحياة العامة، من (س ب) privare، لاتينية: يسلب أو يحرم (احتفظت الكلمة الإنجليزية deprive بالمعنى المبكر الواضح). استعملت للزوايا الدينية المنعزلة حيث كان النشاط طواعية (ق 14) ومن ق 15 استعملت للأفراد الذين ليس لهم رتبة أو موقع رسمي أو عام، كما هو باق الآن في private soldier جندي عادي و private member عضو خاص (في البرلمان). اكتسبت معنى سري أو خفي في كل من السياسة وفي المعنى الجنسي للعبارة private parts (عورة الإنسان). اكتسبت أيضاً (وهذه كانت إحدى اللحظات الحاسمة في تحول الكلمة) معارضة تقليدية مع عام public، كما هو الحال في private house منزل خاص، private education تعليم خاص، private theatre مسرح خاص، private view عرض خاص، private hotel فندق خاص، private club نادي خاص و private property ممتلكات خاصة. في كل هذه الاستعمالات تقريباً كان المعنى الرئيسي يتعلق بالامتياز privilege؛ اعتبرت المشاركة المحدودة أو صعوبة المنال ليست حرمانا وإنما ميزة (قارن exclusive حصري). تطور هذه المعنى المؤاتي بشكل رئيسي من ق 16 وكان في طور الانتشار السريع في ق 19، في نفس الوقت الذي احتفظت فيه privation فاقة/عوز بمعنى الحرمان القديم واحتفظت privateer (في الأصل رجل حرب خاص private) بمعناها: الاستيلاء على ممتلكات الآخرين. توافقت privilege امتياز مع private خصوصي؛ ترجعان أساساً إلي priviligium، لاتينية: قانون أو حكم لمصلحة أو ضد شخص ما، لكن أصبحت ميزة أو منفعة خاصة.

لكن هذا التوجه العام في private (ارتباطها بالامتياز privilege) يجب وضعه بمحاذاة

توجه آخر حل فيه معنياً استقلال وحميمية محل انسحاب وانعزال. من الصعب تحديد تاريخ لذلك. هناك استعمال إيجابي عند Ridley (1549): «لواعج privitis قلبي وضميري». كان هناك معنى شائعا لحميمية محظية privileged في العلاقة مع شخص نافذ أو هام، وأتاح ذلك تداخلاً مع معنى متطور لرفع الكلفة، كما في private friends أصدقاء خواص. في القرنين 17 و18 خاصة الأخير تم تقدير الانعزال بمعنى حياة هادئة كـ privacy خلوة، وتطور هذا أبعد من معنى التوحد solitude إلى معنى الانسحاب المحترم والنبيل وإلى معنى خصوصية privacy أهلي وأصدقائي، وأبعد من هذين إلى القيم العامة للحياة الخاصة private life. ارتبط هذا التطور ارتباطاً وثيقاً بالتغيرات الموازية في معاني INDIVIDUAL فرد وأسرة FAMILY (ا م).

لا تزال تحتفظ private life حياة خاصة بمعناها القديم، في تمييز خاص لها عن public life حياة عامة («ما يفعله في حياته الخاصة»)، لكن يبدو أن ارتباط الكلمة الدائم بـ personal شخصي، وهما كلمتان محبذتان جداً، هو السائد الآن. لا يزال ممكنا للكلمة أن تكون سلبية: private profit ربح خاص (مخفي) و private advantage ميزة خاصة (تشتمل التمييز)، لكن الصلة بالاستقلال الشخصي هي من القوة بدرجة تسمح بتسمية شركات المحاصة الكبرى private enterprises مشاريع خاصة (حيث التمييز المفضل ليس عن public عامة ولكن عن الدولة state). في المعاني الإيجابية لكلمة private سجل لإيجاد شرعية لوجهة نظر برجوازية: الامتياز العام المطلق، رغم تجريده في التطبيق، للانعزال والوقاية من الآخرين (the public العامة)؛ ولعدم المسئولية أمامهم؛ وللمكتسبات المشابهة في الحميمية والراحة من هذه الأصناف العامة. في هذا الوضع، خاصة في معاني حقوق الفرد individual (في حياته الخاصة private life، أو من منطلق مختلف تماماً، في حرياته المدينة civil liberties) وفى الحميمية المقدرة للأسرة والأصدقاء، تم تبني private بشكل واسع خارج نطاق وجهة النظر البرجوازية الضيقة. هذا هو السبب الحقيقي لتعقيدها الحالي.

أنظر: **COMMON شائع/مشترك، FAMILY أسرة، INDIVIDUAL فرد، PERSONALITY شخصية، SOCIETY مجتمع، UNDERPRIVILEGED محروم**

تقدمي PROGRESSIVE

كتعبير للوصف السياسي كلمة progressive حديثة نسبياً. برزت في الجدل الثيولوجي في وسط ق 19 لكن سبقتها في السياسة صيغة progressist: «إشتراكيون و progressists

تقدميون» (1848)؛ «حزبان طبيعيان ومحتومان ... محافظون و progressists» (1856). كان عندئذ التعبير المعارض conservative محافظ نفسه حديثا في المعنى السياسي، رغم أنه استعمل منذ ق 14 في المفهوم العام للحفظ والوقاية وكان للكلمة conservatory وصاية/حراسة استعمال أقدم. يرجع تاريخ تداول conservative كتعبير سياسي عادة إلى كروكر (1830): «ما يسمى حزب Tory توري هو ما يكمن بدقة أكبر تسميته حزب المحافظين Conservative». كانت عندئذ تستعمل بشكل واسع، رسمي أو غير رسمي، في النقاش السياسي، وتوسعت خلال منتصف ق 19 لتصف توجهات أعم. كانت progressist تقدماني و progressive تقدمي معارضان طبيعيان لها في هذا النقاش. كتب دزرائيلي (1844): «المحافظة conservatism تنبذ الإملاء، تنفر من المبادئ وترفض التقدم Progress». من ثمانينات ق 19 كان التقدميون Progressives مجموعة ليبرالية Liberal في السياسة المحلية في المدن: «هناك تقدميون ليسوا ليبراليين ... لكن ليس هناك ليبراليون غير تقدميين (روزبرى، 1898). في ق20 توسعت progressive بشكل كبير، ليس فقط للدلالة على مواقف عامة أو أحزاب، وإنما كذلك لوصف سياسات واتجاهات معينه. لذا يمكن أن نسمع عن progressive conservatism محافظة تقدمية.

بعيداً تماماً عن تعقيدات بعض المجادلات حول الكلمة، فإن progressive كلمة معقدة لأنها تعتمد على التاريخ المعقد بشكل ملحوظ لـ progress تقدم. كانت هذه الكلمة الأخيرة في الإنجليزية منذ ق 15، من progressus، لاتينية: المضي إلى الأمام، من (س ب) pro إلى الأمام واسم المفعول الماضي لـ gradi: يخطو/يتدرج. كانت استعمالاتها الأولى للسير أو الرحلة أو المشي الفعلي، ثم لسلسلة أحداث متنامية. ليس هناك معنى أيديولوجي بالضرورة في هذا المعنى للحركة إلى الأمام أو سلسلة متنامية، كما لا يزال ممكناً ملاحظته في استعمالات مثل progress of disease تطور المرض. كل ما يعنيه ذلك بالتأكيد هو مراحل متتابعة يمكن اكتشافها. من ناحية أخرى، مجرد ترابط المعنيين - التحرك إلى الأمام والتوالي القابل للاكتشاف - جعل اختيار الكلمة طبيعياً عندما بدأ المعنيان الجديدان لحضارة CIVILIZATION (ا م) وتاريخ HISTORY (ا م) يستقران، خاصة في ق 18. أصاب Bunyan في كتابه Pilnim's the Progress (1678) المعنى الرئيسي لرحلة، منذ ق17، لكنه بالطريقة التي أتم بها عنوانه: «من هذه الدنيا إلى تلك التي ستتبع»، شمل معنى «مصير واضح» و«مستقبل future» (التي اكتسبت، خاصة «the future المستقبل» معرّفة، نفس إيحاءات «المصير الواضح») وسرعان ما تمت علمنة ذلك وإعطائه محتوى جديداً تماماً. بخلاف بعض السياقات، اعتمد التحديد الرئيسي للمعنى على إدراك

أن «الحركة» هي من الأسوأ إلى الأفضل. إن تجريد تلك الحركة كنمط تاريخي قابل للاكتشاف هو الذي أنتج Progress تقدم كفكرة عامة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأفكار الحضارة CIVILIZATION وIMPROVEMENT تطوير/تحسين. أتمت التجريد الفكرة الإضافية بأن هذه حركة تاريخ عامة واضحة أو قابلة للاكتشاف، كما هو بشكل ملحوظ في Universal Histories التواريخ الكلية أوالشاملة من عصر الأنوار. دعمت هذا المعنى أيضاً فكرة التطور في EVOLUTION النشوء والارتقاء (ا م) حيث صار مبدأ التطور الفطرى إلى أنواع أسمى هو المعنى الرئيسي. في 1742 استعمل ينج Young تقدم progress بمعنى التحسين والتطور العام:

تبتهج الطبيعة بالتقدم progress؛ في الترقي

من الأسوأ إلى الأفضل؛ لكن عندما تسمو العقول

يعتمد التقدم progress جزئياً على تلك العقول.

لكن حتى هذا يختلف عن التجريد النهائي: عملية متأصلة للتطوير التاريخي والاجتماعي. رغم أن أساسها كان في ق 18 إلا أن التطور الكامل لفكرة Progress، كقانون للتاريخ («لا تستطيع إيقاف التقدم progress»)، ينتمي إلى ثورات أواخر ق 18 وق 19 السياسية والصناعية. لافت أنه بسبب الطبيعة المتنوعة لهذه التحولات أصبحت Progress موضع تساؤل أو معارضة ليس فقط من قبل المواقف المحافظة أو الميتافيزيقية ولكن أيضاً من قبل الذين لاحظوا حركات متناقضة أو مختلفة في التاريخ مما جعل تجريد Progress كقانون تاريخي أو اجتماعي شامل مجرد مثالية IDEALIST (ا م). في ق20 احتفظت progress بمعناها الرئيسي للتطوير لكن لها معنى هاماً (بالإضافة إلى ما فيه من مفارقة) تظهر فيه على أنها مجرد تغيير: امتداد لتوجه ما في مراحل واضحة، كما كان في المعنى القديم. أي تقدم progress يمكن عندئذ إما استحسانه أو رفضه حسب معايير مختلفة تماماً.

التعبير progressive تقدمي صعب في السياسة لأن له هذا التاريخ الطويل. لا يزال يمكن استعماله ببساطة كمقابل لمحافظ conservative؛ أي شخص يرحب بالتغيير أو يناصره. بمعناه الأكثر عمومية الدال على التحسين والتطوير هو صفة يستعملها الجميع لكل المشاريع تقريباً التي تقدمها كل الأحزاب. هناك تعقيد في كون التعبير، من ناحية، يستعمل بشكل عام لليسار (فرق من اليسار) كما في progressive-minded people أشخاص تقدمي الذهن، لكن، من الناحية الأخرى، يستعمل لتمييز مساندي التغيير المعتدل والمنتظم (كما هو في EVOLUTION مقابل REVOLUTION ثورة (ا م))، حيث يستحضر معنى رحلة

يكون فيها التحرك خطوة خطوة بانتظام في اتجاه ما، كما في «حزب تقدمي progressive لكنه ليس إشتراكيا» أو «المحافظة تقدم منتظم: نحن الحزب التقدمي الحقيقي». من المؤكد والهام أن كل الاتجاهات السياسية تقريباً تحلم الآن بأن توصف بأنها تقدمية، لكن للأسباب السابقة فإن العبارة الآن اقناعية أكثر من كونها وصفية.

انظر: **CIVILIZATION حضارة، DEVELOPMENT تنمية، EVOLUTION نشوء وارتقاء، EXPLOITATION استغلال، HISTORY تاريخ، IMPROVE يحسن/يطور، REACTIONARY رجعي، REFORM إصلاح، REVOLUTION ثورة**

سيكولوجي PSYCHOLOGICAL

سُكّت psychologia ككلمة لاتينية في ألمانيا في ق 16. كانت الكلمة اليونانية psyche - نفس، روح - قد تطورت في اللاتينية كروح، نفس وعقل (قارن anima، لاتينية: هواء، نفس، حياة، روح). كان الاستعمال الألماني الأصل في عبارة psychologia anthropologica, sive animae humanae doctrina، ووجد هذا المعنى العام لعلم العقل أو الروح البشرية طريقه عبر الفرنسية إلى الإنجليزية كـ psychology سيكولوجيا/ علم النفس في أواخر ق17. كان معنى هذه الكلمة المبكر هو معتقد الأرواح (كان هناك في الفرنسية معنى يدل على علم الأشباح). في 1732 عرَّف وولف في الألمانية empiric psychology السيكولوجيا الإمبيريقية بمفهوم أكثر حداثة وتبني ذلك في الإنجليزية هارتلي في 1748، لكن لم تستعمل الكلمة بكثرة قبل ق 19.

سجلت psychological من 1794: «الاتحاد السيكولوجي الذي نسميه العقل». كذلك استعملها دزرائيلي بمفهوم ألماني في 1812. لكن في 1818، مميزا بين «الطريقتين... السيكولوجية ... والشعرية» عند شكسبير، طلب كوليردج «المعذرة من استعمال هذه الكلمة المتعجرفة، لكنها كلمة لغتنا في أمس الحاجة لها. ليس لدينا كلمة واحدة تدل على فلسفة العقل البشري». كل هذه الاستعمالات بعيدة نسبياً عما آل إليه المعنى الأعم للكلمة. لا تزال psychological صفة محددة مشتقة من psychology: «بحث سيكولوجي psychological»، الخ. لكن ربما تحت تأثير من بعض مدارس «السيكولوجيا»، وكذلك في علاقة بالحركة العامة التي منحتنا المعاني الحديثة لشخصية PERSONALITY، PRIVATE خاص و SUBJECTIVE ذاتي (أنظر المواد)، اكتسبت psychological معنيين مختلفين يدلان إما على (1) شعور «داخلي» أو (2) الشخصية والسلوك كما يرى من وجهة النظر هذه. كان معنى ثالث، كما في psychological moment لحظة سيكولوجية، شائعاً

فيما يتعلق بأثر فعل ما على الشعور وخصوصا معنويات الآخرين، وذلك من 1870 تقريباً.

بخلاف استعمالاتها العلمية لاتعبر psychological في العادة، كما هو واضح من المعاني التي بينها كوليردج، عن العقل البشري ككل. إنها تدل على ما يعتبر جزءا من العقل (قارن UNCOSCIOUS اللاوعي) متعلقا بشكل رئيسي بالشعور بدلا من العقل أو الفكر أو المعرفة. تعطي الأسباب السيكولوجية psychological reasons في العادة ليس لأنها مستمدة من السيكولوجيا psychology (سوى بمعناها الذي توسع بطريقة مماثلة والذي يشير إلى فهم شعور أو سلوك الآخرين)، لكن كإلماع إلى هذا الجزء المفترض من العقل. (هناك مقارنة لافتة مع sociological سوسيولوجي التي استعملت على نطاق واسع ليس في الغالب لإيضاح حقائق أو نظريات مستمدة من sociology علم الاجتماع ولكن كصيغة مشتقة من social اجتماعي: «العوامل السوسيولوجية sociological في هذا الإضراب». في الغالب العوامل السوسيولوجية هي social اجتماعية والعوامل السيكولوجية psychological هي شخصية personal ضمن التصنيف التقليدي بين SOCIETY مجتمع و INDIVIDUAL فرد (أنظر المادتين).) مع ذلك، بينما توجد social كبديل بسيط لاستعمال sociological الرائج فإنه لا يوجد بديل سهل لسيكولوجي psychological؛ للكلمتين psychic وpsychicalمعاني مختلفة تماماً، متبقية من استعمالات psychology وpsyche المبكرة. هناك أيضا صيغة مشابهة في technological تكنولوجي التي تستعمل في الغالب بمعنى technical تقني: أمور تتعلق بالتقنية technique (techne)، يونانية: فن أو حرفة؛ technical ترجع إلى ق 17؛ technique (ق 19): منهج في الفن، لاحقا منهج في أي مجال) بدلا من تكنولوجيا technology (ق 17): دراسة الفنون والحرف، علم المصطلحات التقنية، لاحقاً (بشكل رئيسي ق20) المعرفة والطرق التطبيقية في العلوم والصناعة.

مهما كانت التحفظات على psychology وpsychological من وجهات النظر الأكاديمية أو العلمية فإن الدلالة في التعبيرين على أمور «الشعور» و«الشخصية character» سائدة الآن. تنتميان بهذا المعنى إلى مجموعة من الكلمات الأخرى: subjective وindividual وsensibility حساسية وبعض المعاني المتطورة لـ art فن، interest اهتمام، creative خلاق. يتكرر هذا التوتر بين معاني هذا التشكيل الثقافي المهم ومعاني psychology الأدق على مستوى مختلف (حتى ضمن psychology نفسها) التي تشتمل مجالات مثيرة للجدل الشديد تمتد من الدراسات الفيزيائية التجريبية وعبر دراسات تجريبية

في العلاقات بين الأشخاص interpersonal (التي لها تطبيقات متخصصة في السيكولوجيا الاجتماعية والصناعية) إلى مبادئ وممارسات من نوع فلسفي وعلاجي يعتمد معظمها على معاني متطورة للكلمات الرئيسية في التشكيل. بطريقة دالة في الغالب تنكر كل هذه الاتجاهات المختلفة بشكل متبادل المعنى الدقيق لسيكولوجيا psychology.

يمكن ملاحظة أثر مهم للمعنى الأعم في استعمالات معينة لـ psychology: بشكل ملحوظ، psychological realism واقعية سيكولوجية وthe psychological novel الرواية السيكولوجية. لم يكن بالإمكان اختراع هذين التعبيرين ولا يمكن الاستمرار باستعمالهما بطريقة معقولة إلا بناءً على افتراض عالم باطني inner world مستقل أو على الأقل جذرياً متميز تتم فيه عمليات الشعور والعلاقات والنشاط حسب شروطها، وفي الغالب آخذة في الاعتبار أولوية هذه العمليات وتبعية أو عرضية العالم الخارجي outside world: الطبيعة nature أو المجتمع society. الفصل التقليدي الآن بين the psychological السيكولوجي و the socialالاجتماعي هو أحد أهم العلامات البارزة في هذا التشكيل ككل.

أنظر: **BEHAVIOUR سلوك، PERSONALITY شخصية، PRIVATE خاص، SENSIBILITY حساسية، SOCIOLOGY علم اجتماع، SUBJECTIVE ذاتي، TECHNOLOGY تكنولوجيا، UNCONSCIOUS لاوعي**

جنسي/عرقي RACIAL

دخلت كلمة race الإنجليزية في ق 16، من (س م) race، فرنسية و razza، إيطالية. أصولها الأسبق ليست معروفة. في استعمالاتها الأولى لها مجموعة من المعاني: (1) ذرية بمعنى سلسلة نسب - «عرق وسلالة race and stock إبراهيم» (1570) ـ كما في الاستعمالات الأسبق لـ «دم«blood ومرادفتها جذع stock التي استخدمت بهذه الطريقة منذ ق 14 في استعارة مطورة من stoc، إنجليزية قديمة: جذع أو ساق؛ (2) نوع أو فصيلة من النباتات (1596) أو الحيوانات (1605)؛ (3) تصنيف عام كما في «الجنس البشري» (1580)؛ (4) مجموعة من الناس وهذا المعنى هو توسع وتوضيح لمعنى (1) مع تأثر بمعنى (2): «آخر أمير لويلز (ولي العهد) من العرق race البريطاني (1600)».

استمرت مجموعة المعاني هذه لكن الكلمة أصبحت حسب معنى (4) مع تأثير من معنى (1) إشكالية خاصة في تداخلها وتشوشها مع معنيين (2) و(3) البسيطين نسبياً. استعملت race بمحاذاة كل من genus جنس و species نوع في التصنيف البيولوجي، لكن

تنشأ مشاكلها كلها عندما تستعمل للدلالة على مجموعة داخل النوع كما في حالة «أجناس/ أعراق races البشر». من ناحية، يرجع هذا إلى المعاني القديمة لدم أو جذع، لكن توسع بشكل كبير من ذرية محددة يمكن تتبعها إلى مجموعات قومية وثقافية واجتماعية أكثر شمولاً. مع ذلك، من الناحية الأخرى، منذ Blumenbach (1787) كانت الأنثروبولوجيا الفيزيائية الجادة تتعقب مجموعات متمايزة بين البشر؛ ميز تصنيف بلومنباخ، الذي اعتمد بشكل رئيسي على قياس الجماجم، القوقازي والمنغولي والملاوي والأثيوبي والأمريكي (الهندي)، بالإضافة إلى الفروق بناءً على لون البشرة: أبيض، أصفر، أسمر، أسود، أحمر. تلت ذلك نظم أكثر تعقيداً في الأنثروبولوجيا الفيزيائية تتضمن أصناف ما قبل الإنسان وأصناف أنسوية huminid أخرى، لكن منذ بروز «البشر الكاملين» أصبح التعقب هو لفروق ضمن نوع واحد لا ريب في وحدانيته.

أصبح هذا الجهد العلمي الجاد ملتبساً بشكل جذري في ق 19 بأفكار مستمدة من التحيز الفكر السياسي والاجتماعي. إحدى العلامات البارزة هي كتاب Gobineau: Essai sur L'inegalite des races humaines بحث في عدم المساواة بين الأعراق البشرية (1853 ـ 1855) الذي قدم فكرة «الجنس الآري» (التي تطورت من Aryan، سنسكريتية: نبيل، التي استعملت بشكل واسع من أوائل ق 19 لوصف «عائلة» اللغات الهندوأوربية كما عرفتها اللغويات المقارنة أو، بطريقة أكثر دقة، القسم الإيراني ـ هندي من تلك «العائلة»). كان التحول من مجموعة لغوية إلى مجموعة فيزيائية (عرقية racial) مضللاً جداً عندما تم دمجه، كما هو عند جوبينو، مع أفكار «السلالة النقية» وتفوق الأرومة النوردية/الشمال أوربية Nordic ضمن تلك السلالة، ومن ثم الفكرة العامة بعدم المساواة العرقية الخلقية. لم تدخل racial جنسي/عرقي في الاستعمال في الإنجليزية إلا منذ منتصف ق 19. كان هناك تأثير إضافي من الأفكار التي أصبحت تعرف بـ «الداروينية الاجتماعية»، حيث توسع مفهوم النشوء والارتقاء evolution (صراع تنافسي من أجل البقاء وكذلك «بقاء الأفضل») من مصدره البيولوجي، الذي دل فيه على علاقات بين الأنوع المختلفة، إلى نزاعات وعواقب سياسية داخل نوع واحد: البشر. فيما يتعلق بالجنس/العرق race، ظهر أكبر الأثر لهذا التوجه في eugenics اليوجينيا/علم تحسين النسل، وهى كلمة سكّها جالتون Galton في 1883 من جذور يونانية بمعنى «إنتاج النسل النقي». في بعض فروع اليوجينيا تم الترويج بشكل واسع لأفكار التفوق الطبقي class والعرقي racial، وتم خلط، بل تجاهل، الدليل العلمي للوراثة المتفاوتة بناء على مفاهيم ما قبل علمية لـ «النسل العرقي الصافي»، وللوراثة، عن طريق الدم أو العرق، لخصال مكتسبة ثقافيا (رغم أن جالتون نفسه رفض

ذلك). تفاعل مبدأ التفوق العرقي الخلقي في صيغته الفجة مع أفكار الهيمنة السياسية، خاصة الإمبريالية IMPERIALISM (ا م). دال وجود هذا في عبارات مثل «تمييزات شخصية عرقية race-character في حكم (الزنوج)» (1866). تم الترويج بشكل واسع للمهمات والمسؤوليات التاريخية المفترضة للعرقين races» الأنجلو ـ ساكسون» و«الألمان» (الذين سيكونان لاحقا في صراع «قومي national» بينهما).

هكذا أصبحت مجموعة الكلمات التي تحلقت حول racial متميزة بشكل فعلي عن المجموعة الأسبق حول race، رغم أنه واضح استحالة فصل المجموعتين. ظهرت racialism التمييز العرقي في السنوات الأولى من ق 20، وسجلت racialist من 1930. هاتان كلمتان تكاد تكونان دائماً عدائيتان (في السنوات الأخيرة اختزلتا إلى racism وracist وهما كذلك دائما عدائيتان) لوصف آراء وأفعال مناصري التفوق العرقي أو التمييز discrimination (العنصرية). إلى حد ما عرّضت الكلمتان للشك والريبة العمل المستمر في الأنثروبولوجيا وفي علم الجينات GENETICS (ا م) حيث لا يزال البحث العلمي في الوراثة والتنوعات ضمن النوع البشري مهماً ومفيداً.

سجلت race-hatred كراهية عرقية من 1882 رغم أنه يجب ملاحظة قول ما كولي: «لم يحدث في أي بلد أن وجدت العداوة العرقية enmity of race بالقدر الذي كانت عليه في إنجلترا» (1849). واضح أن غموض race في معانيها السياسية والاجتماعية الحديثة هو أحد أسباب تأثيرها الضار والطائش. استخدمت ضد مجموعات مختلفة حسب تصنيفات متباينة مثل اليهود (ثقافياً أوربيون ومن أمريكا الشمالية، في معظم السياقات المعتادة)؛ والأمريكيين السود (أقلية مختلطة ضمن سكان الولايات المتحدة المتباينين)؛ و«الشرقيين» (كما في فكرة «الخطر الأصفر»)؛ و«الهنود الغربيين West Indians» (سكان متنوعون تحددت هويتهم بأصل جغرافي لكن استمر التعبير حتى عندما انتهت تلك الصلة)؛ وبعد ذلك استخدمت، بطرق مختلفة، ضد كل من الأيرلنديين والباكستانيين حيث يبلغ الافتراض الآرى (هندي ـ أوربي) حرفيا إلى حدوده القصوى، لكن بطرق إقصائية. يتم تبني وتصور وتعميم فروق بدنية وثقافية واقتصادية واجتماعية، وخلطها بحيث تستعمل أصناف مختلفة من التنوعات وكأنها ترمز أو توحي ببعضها البعض. التحيز والعنف، الذي غالباً ما ينجم عنه، وتبرير الإثنين بدعوى الخلط والتشويش، ليس هو مجرد شر يقتصر عليهما؛ بشكل عميق تسبب هذا التحيز والعنف الشديد في تعقيد، بل وضع تحت التهديد، اللغة الضرورية للمعرفة (غير المتحيزة) للتنوع البشري وتجمعاته الفعلية.

أنظر : ETHNIC إثني، GENETIC وراثي، IMPERIALISM إمبريالية، NATIONALISM قومية/وطنية، NATIVE محلي

جذري/متطرف/راديكالي RADICAL

استعملت radical كصفة في اللغة الإنجليزية من ق 14 وكإسم من ق 17، من (س م) radicalis، لاتينية حديثة، (س ب) radix، لاتينية: جذر. كانت معظم استعمالاتها الأولى مادية، للتعبير عن ميزة أساسية ومتأصلة ثم توسع ذلك إلى أوصاف أعم، من ق16. ينتمي التوسع المهم إلى الأمور السياسية والذي كان دائماً كامناً في هذا الاستعمال العام، بشكل خاص إلى أواخر ق 18، بالذات في عبارة Radical Reform الإصلاح الجذري. كانت radical كاسم لوصف مناصر الإصلاح شائعة من أوائل ق 19: «radical هي كلمة نتنة الرائحة هنا، لأنها تستعمل الإشارة إلى مجموعة من الأوغاد» (سكوت، 1819)؛ «الحب هو المسوّي العظيم؛ الجذري radical المثالي» (كوبيت، 1822)؛ «استعمل التعبير Radical في الماضي كنعت فيه تأنيب لطيف، ووجد الآن طريقه إلى أماكن راقية وانتشر كاسم لطبقة تزهو بهذا الوصف» (1830)؛ «الغوغاء الراديكاليون» (إميرسون، 1856). تشكلت radicalism راديكالية من هذا الاستعمال في أوائل ق 19 ولحقتها radicalize يجعل جذرياً/راديكالياً؛ فيما بعد كان للكلمتين تاريخ لافت. بحلول النصف الثاني من ق 19 كانت Radical، خاصة بالحرف الأول الكبير محط احترام يكاد يصل مستوى liberal ليبرالي، وتبعتها بشكل عام Radicalism راديكالية. لكن بقيت radical، في بعض الاستعمالات، بمعنى أوائل ق 19 الأدق. بينما نجد في 1852 «راديكالية مبتذلة، اتجاهات تشارتية chartist أو أمارات إشتراكية» كان هناك بحلول أواخر ق 19 تمييز واضح بين الراديكاليين والإشتراكيين، وعبر السنين وجدت الأحزاب الراديكالية (في دول أخرى) بشكل كبير في الطرف الأيمن من الطيف السياسي.

تعقّد في ق 20 استعمال الكلمة. استمرت radical، سواء بحرف استهلالي كبير أو صغير، تستعمل لوصف العناصر النشطة في LIBERALISM الليبرالية (ا م)، وبشكل عام للدلالة على إصلاحات فعالة وبعيدة الأثر. في وضعها هذا تم في الغالب مضادتها بإشتراكية «دوغماتية» أو برامج ثورية. كذلك استعملت بشكل واسع بمعناها العام الأقدم كما هو في «radical re-examination إعادة فحص(مراجعة) جذرية». عقد ذلك استعمالان إضافيان. هناك الآن الاستعمال الشائع كما في عبارة Radical Right يمين متطرف سواء للدلالة على سياسة اليمين المتطرف أو بشكل أدق للدلالة على سياسات التغيير النشطة ذات المسحة

اليمينية في تمييز لها عن CONSERVATISM (ا م) محافظة التي هي أكثر تقليدية. من الناحية الأخرى، أعيد تبني radical، خاصة في أمريكا من أواخر خمسينات ق 20، بمعنى قريب جداً من معنى أوائل ق 19؛ عندئذ هي في الغالب معادلة تقريبا لإشتراكي socialist أو revolutionary ثوري، وتحلقت حولها نفس الدائرة من الردود كما في تلك الفترة السابقة. على الأرجح يمكن نسب اختيار radical، خاصة في الولايات المتحدة رغم أن أوروبا وسواها قاموا بتقليد ذلك، إلى صعوبات منتصف ق 20 في تعريف SOCIALIST (ا م) و COMMUNIST شيوعي (ا م) (قارن "Marxist ماركسي»). بدا أن radical وفرت مخرجاً يتجنب الارتباط الدوغماتي والحزبي في نفس الوقت الذي تؤكد فيه الكلمة على الحاجة إلى تغيير أساسي وفعال. كذلك تجنبت الكلمة بعض الصعوبات في REVOLUTIONARY ثوري وذلك بخلق تمييز ضروري بين ثورة مسلحة ومعارضة مناضلة ضد النظام السياسي. ثم ابتعدت radical كثيراً عن معانيها من وسط ق 20 المقبولة ولم يمكن في النهاية تجنب مشاكل التعريف (بما في ذلك أمور الدوغما dogma والزمرة/ الحزب faction أو المبدأ principle والتنظيم organization) عن طريق إعادة إحياء الكلمة. في توسع مبنى على هذه الحركات، هناك مجموعة تعبيرات مرتبطة بوجهات نظر اجتماعية «بديلة» كما في radical technology تكنولوجيا راديكالية. لافت أن العبارة القديمة radical reform شطرت إلى الكلمتين المتعارضتين radical وreformist إصلاحي وذلك ضمن الحركة الراديكالية، بينما في سياق آخر تؤدي radical دورالمقابل للكمة moderate معتدل (التي في الواقع غالباً ما تكون عبارة ملطفّة لأي شخص ليس راديكاليا وإن كان صاحب مبدأ والتزام).

أنظر: **COMMUNISM شيوعية، LIBERAL ليبرالي، PROGRESSIVE تقدمي، REFROM إصلاح، REVOLUTION ثورة، SOCIALIST اشتراكي**

عقلانـي RATIONAL

إن مجموعة الكلمات المشتقة من ـ والتي تشمل ـ rational معقول/ عقلي و reason عقل معقدة جداً. يبين ذلك مثلا البعد بين reasonableness حصافة/ صواب التفكير وrationalization تسويغ/ تبرير/ ترشيد. التاريخ الفكري والاجتماعي المتضمن في تطور هذه الكلمات عظيم، لكن يمكن التقاط بعض نقاطه الرئيسية.

كان لعقل reason (من (س م) reisun أو raison فرنسية قديمة، rationem، لاتينية، من جذر في اسم المفعول الماضي لـ reri، لاتينية: يفكر) منذ استعمالاتها الأولى في ق

13 في الإنجليزية نوعان من المعاني. كانت الكلمة في نفس الوقت محددة ـ إفادة، سرد أو فهم كما هو حاليا في عبارات مثل «believed with reason اعتقد بناءً على منطق» و«a reason for believing سبب لاعتقاد»، وعامة ـ (عادة محصورة على البشر) مقدرة للفكر والفهم المحكم. ليست هناك ضرورة ماسة لتعارض هذين المعنيين، لكن كان التمييز بل حتى المقابلة الجذرية بينهما معالم في الجدل الطويل والمستمر. هناك فترات كانت فيها Reason، غالباً بادئة بالحرف الكبير في هذا الاستعمال، تميز بشكل قاطع عن إعطاء أي سبب أو أسباب محددة. المثالان الملحوظان هما من استعمال Reason الثيولوجي في أواخر ق 16 وق 17، الذي عادة ما يؤكد على كونه Right Reason الفكر الصحيح، مقابل أنواع جديدة من reasoning التفكير والبرهنة و rationality العقلانية، واستعمالها المثالي Idealist في أواخر ق 18 وأوائل ق 19 كمقدرة سامية لإدراك المبادئ الأولى وذلك في تمييز لها عن عمليات التحقق الإمبيريقي EMPIRICAL (ا م) والتقديرات العقلانية rational. بهذا التعقيد فإنه ليس مدهشا أنه في أكثر الجدل عنفاً ادعى كل حزب أن reason كان في جانبه. كانت reason بمعناها المحدد كسبب لأمر ما بعيدة نسبياً عن الخلاف واستمرت شائعة. كانت reason بالمعنى الأعم كملكة بشرية دائما متوفرة، لكن تفاوت استعمالها لدرجة كبيرة ممتدا من reason مفهومة على أنها «معروفة بفضل الله» مقابل مجرد تفكير علماني، إلى reason مفهومة على أنها مجموعة مبادئ شاملة في تمييز لها عن reason كملكة للنقاش المحكم والمبرهن، مما جعلها بوضوح كلمة لا يمكن الاعتماد عليها مفردة. يمكن ملاحظة بعض آثار هذا النقاش في تأثير reasonable المتغير والمتفاوت، لكن التأثير الأهم كان في معاني rational ومشتقاتها.

للكلمتين rational وreasonable نفس المعنى الرئيسي: موهوب كمخلوق بعقل reason أو يتميز كفعل أو نقاش بدافع/برهان reason. لكن طورت reasonable في وقت مبكر جداً معنى خاصاً بالاعتدال والقصور الذي يشير بوضوح إلى إدراك الحالة البشرية ضمن منظور ثيولوجي قروسطي: «a reasonable prayer صلاة ملائمة» (تشوسر، 1366)، «reasonable request، طلب معتدل / مقبول» (1399)، «ressonable desyris رغبات معقولة» (1561). لافت أن هذا المعنى تطور من ق 17 ليس فقط إلى استعمالات أكثر عمومية للدلالة على الاعتدال (كما هو الآن في «reasonable wage demands مطالبات بأجور عادلة»، حيث يوجد بوضوح توتر كبير بين reasonable عادلة/ معتدلة و demand مطالبة، وحيث تكون المبادئ الأساسية، رغم صلابتها، مضمرة)، وإنما أيضاً إلى استعمال مستمر يدل على الرخص: «عندما يكون الورق أرخص more reasonable» (1667)؛

«بسعر زهيد reasonable». في الواقع لم تتبع rational أبداً هذا التطور رغم أن معنى الاعتدال لم يهجر الاستعمالات الجدلية، مثل «أي شخص منطقى rational» أو «كل سليمى الفكر rational»، حيث يتم في العادة افتراض واثق مقدماً للنتائج التي تنجم عن rationality عقلانية أو reasoning تفكير معين.

استمرت rational بمعناها السائد نسبيا ثابتة. لا تزال تعني امتلاك أو استعمال ملكة التفكير، وعكسها irrational تقابل ذلك المعنى بدقة. لكن الأمر مختلف بالنسبة لـ rationalist وrationalism بل حتى rationality. كان الأطباء العقلاء rational أو العقلانيون rationalist حالة خاصة (قارن EMPIRICAL إمبيريقي). في الواقع برز التعبير في الثيولوجيا وفي المناقشات السياسية والفكرية والاجتماعية المرتبطة بذلك ارتباطا وثيقا في ق 17، حيث تم الاعتراض على Reason رشد مرتبط بالإيمان والأسبقية والقانون القائم من قبل تفكير reasoning جديد ومفاهيم جديدة لـ reasonable وكذلك من قبل (وهذا يحصل ضمن النقاش المعقد) احتكام يتجاوز (مجرد) العقل reason (البشري). (قارن C. Hill: Change and Continuity; 1974;4) هذا مثال من 1670: «مجرد Rationalist عقلاني (أي في لغة إنجليزية بسيطة: زنديق حسب الطبعة الأخيرة)». استمر هذا الاستعمال لكن مع تنويع في التفاصيل: قارن: «يجعل العقلاني the Rationalist كل موضوع الدين والوحي ... أمر إثبات محسوس أو برهان ذهني (مايرز، 1841). سُكّت rationalism عقلانية في ق19 بهذا المعنى بشكل رئيسي. أدى الهجوم المستمر عليها إلى سك التعبير المعارض irrationalism لاعقلانية.

مع ذلك كانت rationale (من ق 17) لا تزال تعني نقاشاً مبرراً أو الدوافع الأساسية. مثير للاهتمام تتبع تطور تعديل آخر لـ rationality يؤثر الآن من حين لآخر حتى علي rationale وبالتأكيد يؤثر على rational وrationalist، لكن التأثير الأوضح هو على rationalize. كان الاستعمال الثيولوجي في السابق بسيط نسبياً: كان الناس يحاولون إيجاد تفسير reason لأمور لم يستطع «العقل دونما مساعدة unaided reason» حسمها؛ كانوا في حاجة إلى مساعدة إما الوحي أو إرشاد موثوق؛ أولئك الذين رفضوا كليهما كانوا مجرد rationalists، سواء أكانوا أم لم يكونوا مصرحين بإيمانهم. سار النقاش حول الوحي في مساره الخاص؛ لكن امتد النقاش حول الإرشاد الموثوق بشكل أوسع. في نفس الوقت عبر قول بوزول «عقلانية rationality جافة إلى حد ما» (1791) عن ردة فعل جديدة؛ سياقها ديني لكن له دلالة على تمييز rationality عن emotion عاطفة أو feeling شعور. قد تكون

هذه عواطف راسخة (شعور بالولاء أو بالواجب، وقد انتقدها المفكرون العقلانيون rationalist thinkers) أو أية عواطف (التي كان يعتقد أن rationalists العقلانيين يبخسوها أو يحتقروها، فالبشر الآن هم مخلوقات عاطفية كما هي عقلانية، والعقلاني rational مجرد «جانب» من الطبيعة البشرية). كان هناك استعمال من ق 17: «مجرد Mental ذهني أو Rational» (1677, Gale) مقابل Real واقعي، لكن عبرت rationalize بطريقة أكثر تحديداً، في أوائل ق 19، أولا عن تفسير مبني على أساس عقلاني ثم عبرت عن اختلاق الأعذار: « rationalize away (يشرح نافياً) كل العجائب» (كنجزلي، 1855). استمر هذا المعنى المهم وسند معاني rationalist وrationalism الانتقاصية. لكن أعطي التمييز بين reason وemotion، جانبي الطبيعة البشرية، الذي أصبح تقليدياً في أواخر ق 18 وق 19، إنعطافاً جديداً في ق 20. في سيكولوجيا فرويد وتلك المرتبطة بها أعطيت feelings ـ نزعات غريزية - الأولوية؛ أي قلب للتعريف القديم لعقل reason وعقلاني rational كمقدرة بشرية مركزية وأساسية. لم تعد rationalization عندئذ تعنى التفسير الاقصائي للمقدس أو العجيب؛ إنما عنت التذرع بدافع زائف أو مجرد واق عن فعل أو شعور له أصول «غريزية» مختلفة تماماً. بانتشار هذا الاستعمال أصبحت rationalization تعني أي سبب زائف أو بديل، حتى للسبب «الفعلي». لم يتضح تماما كيف يؤثر هذا علي reasoning وrationality. يمكن فهم rationalization كتفسير زائف، لكن لا تزال irrational تستبعد لأن التمييز هنا لم يقم (علي الأقل بطريقة منتظمة) على هذا الأساس. رغم وجود كلمات أخرى لاتثير القلق، فإن القناعة الضمنية في العادة هي أن البشر في الأساس وجوهرياً لا عقلانيون irrational؛ ومن ثم فالعقلانية «the rational» هي مجرد خلق الأسباب وإيجاد الدوافع التي ليست هي الأسباب أو الدوافع الأساسية. يعيد هذا الوضع إلى الذهن بعض البنيات السابقة من نوع مثالي أو ثيولوجي، وحيثما تستعمل reason فإنها تحدد حسب كل بنية. يمكن حصر rational في مثل هذه البنية على المحسوس والمترابط؛ وبشكل لافت، تعنى « reasonable معتدل»، متقبل للقيود «الضرورية».

في مجموعة الكلمات هذه حسب استعمالاتها المعاصرة يتركز التوتر الآخر الهام حول irrational بمعنى مختلف تماماً. تُرفض أنواع جديدة مختلفة من النشاط لها أسس منطقية rationales ومدعومة غالباً بتفكير reasoning عميق على اعتبار أنها لاعقلانية irrational اللاعقلانية الجديدة «the new irrationalism»؛ صيغة أخرى لها هي: mindless غير فطين)، لكن السبب الفعلى هو أنها ليست reasonable (معتدلة) بالمعنى المألوف. أن

تكون معتدلا reasonable أو عقلانيا rational يعني أن تكون لديك قناعات بهدف أو نظام أو منهج وتؤمن بها إيمانا عميقاً جداً لدرجة أن اعتراض الآخرين عليها لا يعتبر غير معقول unreasonable فحسب وإنما أيضا «لاعقلانيا irrational» (وعلى الأرجح هذا rationalization تبرير لعاطفة أو دافع آخر مختلف تماماً). قد يكون من المفيد في مواجهة هذا التشوش لو كان ممكناً في أي درجة من الثقة أن نحتكم إلي reason عقل، لكن لاحظنا كم كان ذلك متقلباً. مع ذلك، قد تدوم reasoning المقارعة بالحجة.

أنظر: EMPIRICAL **إمبيريقي**، EXPERIENCE **خبرة**، SUBJECTIVE **ذاتي**، THEORY **نظرية**، UNCONSCIOUS **لا وعي**

رجعي REACTIONARY

تستعمل reactionary الآن بشكل واسع كوصف مواقف وأوضاع يمينية (كانت «يمين» و«يسار» مألوفتان من أوائل ق 19 لكنهما أصبحتا أكثر ذيوعاً في ق 20 للدلالة على مواقف محافظة conservative وتقدمية progressive، ويعود أصل التسمية إلى مناسبة معينة في ترتيب الجلوس في البرلمان الفرنسي). لكن رجعي reactionary كلمة معقدة وإن كان ذلك فقط بسبب تعقيدات progress تقدم وتقدمي PROGRESSIVE (ام). دخلت reaction الإنجليزية في وسط ق 17 بمعنى مادي في الغالب: فعل يقابل أو يقاوم فعلاً آخر (ما نجم عنه أن action وreaction رد فعل أصبحا جزءا من القوانين الفيزيائية) ثم، بشكل أوسع، فعل متأثر بفعل سابق له أو في استجابة له خاصة في الكيمياء والفسيولوجيا، لكن بشكل أعم بمعنى استجابة معلنة أو يمكن ملاحظتها («ردة فعلي reaction على ذلك"، «ردة فعل الجمهور على ذلك"). بدأ الاستعمال السياسي أولاً في الفرنسية في أوائل ق 19 في سياق سياسي محدد نسبياً: استعملت للمواقف والأفعال المعارضة أو المقاومة للثورة بمعنى صريح يدل على الرغبة في إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل قيام الثورة. من هذا السياق الخاص استعيرت الكلمة في الإنجليزية بمعناها المحدد، لكن استعملت منذ وقت مبكر في مجالات واسعة: عنت «إدامة الصراعات الحزبية» (سكوت، 1816) وعنت كذلك «معارضة الإصلاح». بعد ذلك تم تكبير الحرف الأول للكلمة بشكل مشابه لما حدث لـ Progress.

أصبحت reactionary صعبة لأنها يمكن أن تعني (1) معارضة للإصلاح، (2) أو رغبة في العودة إلى وضع سابق، (3) أو، تطبيقياً، مساندة صيغة (يمينية) معينة للمجتمع. الصعوبات قليلة عندما تكون بواعث التغيير (أفعال actions) من اليسار وكل المقاومة

(reactions ردود الفعل) تأتي من اليمين. لكن، كمثال، لو كان حزب رأسمالي في مرحلة تتسم بالتجديد، أو لو اقترح حزب فاشي نظاماً إجتماعياً جديداً، فإن كلا منهما يمكن أن يسمي الآخر رجعياً: (1) لأن الرأسمالية والفاشية يمينيتان فهما بالتالى رجعيتان reactionary؛ (2) ولأن مقاومة أنواع معينة من التغيير، خصوصاً تغييرات وتجديدات في الرأسمالية والفاشية، تعتبر رجعية (راغبة في المحافظة على - أو استعادة - وضع ما). هكذا يمكن أن يطلب منا تحديد اليمين الرجعي reactionary Right (عادة بمعنى اليمين المتطرف في تمييز له عن المحافظين الإصلاحيين reforming أو التقدميين progressive، بالإضافة إلى تمييزه عن الليبراليين Liberals واليسار the Left)، لكن كذلك يمكن غالباً طلب تعريف اليسار الرجعي reactionary Left (معارضي أنواع من التغيير يعتبرونها تغييراً للأسوأ، أو معتمدين على معاني معينة في التراث الإشتراكي أو الديموقراطي يقومون بوضعها مقابل تغييرات حالية من نوع مختلف).

من المرجح أن تحتفظ الكلمة بمعناها السائد كمحافظة متطرفة لكن ستسهل الأمور كثيراً لو أن، بجانب هذا المعنى المحدد، كل الأفعال actions السياسية كانت حسنة وكل ردود الفعل reactions بالتالي سيئة. لافت أن reaction احتفظت بمعناها الحيادي وصفتها الحيادية reactive تفاعلي بالرغم من كل تعيينات Reaction وreactionary.

أنظر: **PROGRESSIVE تقدمي، REFORM إصلاح**

واقعيــة REALISM

كلمة واقعية realism صعبة، ليس فقط بسبب تعقيد الجدل في الفن والفلسفة الذي تشير إليه استعمالاتها السائدة، وإنما أيضاً لأن الكلمتين اللتين يبدو أنها تعتمد عليهما، real حقيقي/ واقعي و reality حقيقة/ واقع، لهما تاريخ لغوي معقد جداً. كان الواقعيون Realists الأوائل في الإنجليزية بعيداً كثيراً عن أي شئ يدل عليه التعبير الآن، لأن المدرسة الفلسفية المعروفة بالواقعية Realist كانت تعارض بشكل رئيسي بالإسمانيين Nominalists الذين قد يصنفون أنفسهم - حسب مصطلحات ما بعد منتصف ق 19 - كواقعيين realists من نوع متطرف. كان مبدأ الواقعية Realism القديم هو الجزم بالوجود المطلق والموضوعي للجوامع universals حسب المفهوم الأفلاطوني. اعتبرت هذه الأشكال Forms أو الأمثلة Ideas الشاملة موجودة في استقلال عن الأشياء التي تم إدراكها فيها، أو أنها موجودة في هذه الأشياء كخصائصها المكونة. كانت «الحمرة» عند الاسمانيين مجرد اسم (مشوش) لعدد من الأشياء الحمر؛ بالنسبة للمفاهميين conceptualists أصبحت

فكرة ذهنية عامة؛ بالنسبة للواقعيين Realists كانت «الحمرة» شكلاً مطلقاً وموضوعياً مستقلاً عن الأشياء الحمراء أو أنها مكون جوهري لهذه الأشياء. من اللافت والمشوش جداً أن هذا المبدأ الواقعي Realist هو ما نسميه الآن مثالية IDEALISM (ام) متطرفة.

يمكن القول إن ذلك الاستعمال قد تلاشى ويمكن القول كذلك إنه من أوائل ق 19 طغت عليه وطمسته معاني مختلفة تماماً لـ realist والكلمة الجديدة realism بمعنى أكثر حداثة. لكن هذه ليست الحقيقة كاملة. جوهرياً يرجع تمييزنا الشائع بين appearance مظهر و reality حقيقة/واقع إلى الاستعمال المبكر - «الحقيقة reality خلف المظاهر appearances» - وقد أثر هذا بشكل حاسم في مناقشات كثيرة حول realism. من البداية كان لـ real هذا المعنى المزدوج المتقلب. سابقتها المباشرة هي real، فرنسية قديمة، realis، لاتينية حديثة، من (س ب) res، لاتينية: شئ. كانت أولي استعمالاتها في الإنجليزية (من ق 15) في مواضيع القانون والملكية للدلالة على شئ موجود فعلياً. هناك استعمال لاحق متصل بهذا المعنى ولا يزال موجوداً يدل على الأملاك غير المنقولة كما تبين العبارة real estate عقار. من أواخر ق 16 تم نقل معنى شئ موجود فعلاً إلى الاستعمال العام في معارضة ظاهرة أو ضمنية لشيء imaginary خيالي: «هل ما أشاهده موجود فعلاً ؟ «Is't reall that I see»؛ (All's Well That Ends Well,V,iii) «ليس خياليا Imaginary وإنما حقيقيا Real» (هوبز، ليفيثيان). لكن في نفس الوقت كان هناك معنى هام لـ real لم يكن في تضاد مع imaginary ولكن مع apparent ظاهر، ليس فقط في المناقشات الثيولوجية حول «الحضور الفعلي reall presence» للمسيح في مكوّنات العشاء الرباني، ولكن أيضاً في مناقشات أوسع حول الميزة الأصيلة أو الجوهرية لوضع أو شيء ما: the real thing الشيء الحقيقي، the reality of something حقيقة شيء ما. لا يزال هذا الاستعمال شائعاً جداً، حتى لو لم تتم في الغالب ملاحظة ذلك، في عبارات مثل «رافضاً مواجهة the real facts الحقائق الفعلية لوضعه»، أو «رافضاً مواجهة reality الواقع». حيث أن الاستعمال الدال على شيء ملموس أو محسوس أو حقيقي استمر كذلك بشكل فعال، فإنه يمكن ملاحظة وجود قدر كبير من الجناس للكلمة. فهم الواقعي Realist، حسب معنى الكلمة قبل ق 18، «real» بالمعنى العام لحقيقة أو ميزة أساسية؛ وفهمها الواقعي Realist، حسب معنى ما بعد أوائل ق 19، بمعنى (غالباً معارضا لذلك) مادي/عيني concrete (التى تضادت من ق 14 مع abstract مجرد).

كانت realism واقعية كلمة جديدة في ق 19. استعملت في الفرنسية من ثلاثينات ق

19 وفي الإنجليزية من خمسينات ق 19. طورت أربعة معاني يمكن تمييزها: (1) كتعبير يصف تاريخياً مبادئ Realists الواقعيين مقابل مبادئ Nominalists الاسمانيين، (2) كتعبير يصف مبادئ جديدة للعالم المادي على أنها مستقلة عن العقل أو الروح، وهي بهذا المعنى معادلة أحياناً لـ NATURALISM طبيعية أو MATERIALISM مادية؛ (3) كوصف لمواجهة الأشياء كما هي على حقيقتها really وليس كما نتخيلها أو نتمناها: «النحل الواقعية realism محل العاطفية ولنتجاسر لاكتشاف تلك القوانين، البسيط منها أو المعقد، التي، سواء شوهدت أم لم تشاهد، تعم وتسيطر (إميرسون، 1860)؛ (4) كتعبير لوصف منهج أو موقف في الفن والأدب ـ في البداية دقة متناهية في التمثيل، ولاحقاً التزام بوصف الأحداث الحقيقية real وإبراز الأشياء كما توجد فعلاً.

ليس مدهشاً نشوء جدل شديد وغالباً مشوش، خاصة حول معنى (4). يمكن الآن في العادة إهمال معنيي (1) و(2): الأول لأن دلالته تاريخية معينة ومعزولة، والثاني لأن كل أغراضه الفعلية حملتها materialism مادية. لا يزال معنى (3) مهماً جداً في الاستعمال اليومي. في مثال إميرسون التلاعب (= الجناس) المألوف لـ real واضح: القوانين يمكن أن تكون مرئية أو مخفية. لكن معنى «مواجهة الحقائق» استمر كما في الصفة الجديدة الدالة، من وسط ق 19: realistic واقعي: «لم يستطع التصالح مع الحياة عن طريق نظرة صادقة للأشياء، عن طريق تقديرات realistic واقعية» (سيلي، 1869). المهم هنا أنه حسب هذا المعنى معظم الناس يعتقد أن نظرتهم لأي موضوع «واقعية». لكن هناك نطاقا واضحا للاستعمال: من المعنى القديم الدال على الاعتماد على فهم حقيقي لوضع ما إلى معنى شائع الآن فيه شيء من التبرم الضمني الذي يحمله أحد معاني practical عملي. غالباً ما تعني «لنكن واقعيين realistic» لنقبل حدود هذا الوضع» (حدود limits بمعنى hard facts حقائق صارمة، غالبا تلك المرتبطة بالسلطة أو المال حسب وضعهما القائم) أكثر مما تعني «النلقي نظرة على حقائق الوضع» (وهذا يأخذ بعين الاعتبار وجود reality واقع قابل للتغير أو أنه فعلاً متغير). هكذا بالرغم من أن واقعي realistic (قارن reasonable معقول/ معتدل) كلمة لها شعبية واسعة عند رجال الأعمال والسياسيين إلا أنها اكتسبت إيحاء لاحقا يدل على «التقديرات المحدودة» ومن ثم تعارضت في الغالب، من كل من وجهتي النظر هاتين، مع idealistic مثالي.

يظل معنى (4) هو الأصعب. لا ينهي وإنما بالتأكيد يبدأ جدلا في الفن والأدب القول بأن الهدف هو «إبراز الأشياء كما هي really فعلياً عليه». هناك معنى متبق من مثالية idealism القديمة، كما في أبيات شيلي عن الشاعر في «بروميثيوس طليقا»:

سيراقب من الفجر حتى الغسق
الشمس المشرقة منعكسة في البحيرة
والنحل المصفر في زهور اللبلاب
لكن لن يرى ولن يكترث لهذه الأشياء كما هي
بل منها يستطيع خلق أشكال Forms
أكثر real صدقا وواقعية من الإنسان الحي،
تلك هي غرسات الخلود.

هنا يجب أن يكون التأكيد ليس فقط على real ولكن أيضا على أشكال forms: إبداع شعري غير مبال، وبالتأكيد ليس مرتبطاً، بالمواضيع تحت المراقبة، لكنه يجعل حقيقة أو واقعاً realize كيانات أو ماهيات خالدة. (بدأ هذا الاستعمال ليحقق realize في ق17 وأصبح شائعاً من وسط ق 18: «صنعة الخيال، تلك التي realize تحقق الحدث مهما كان مختلقاً أو تقربه مهما كان قاصياً (Johnson 1750، Rambler). هذا التعبير محبذ في النقد الحديث ويدل على وسيلة means وأثر effect إعادة الحياة إلى شيء ما بطريقة واضحة.) لكن هذا هو بالضبط الاستعمال الذي تم تمييزه لاحقاً عن realism والذي أتاح في الواقع تضاداً بين realism وكلمات أخرى من نفس الجذر، كما في معارضة سوينبرن بين «prosaic realism واقعية مبتذلة» و«poetic reality حقيقة شعرية» (1880). مرة تلو مرة، من مواقع من هذا النوع، اتهمت realism بتجنبها «الحقيقى/الواقعي the real».

إن الصعوبة الأكثر تعقيداً هي كون الواقعية realism في الفن والأدب منهجاً وموقفاً عاماً. كموقف تم تمييزها عن ROMANTICISM الرومانسية أو مواضيع Imaginary خيالية أو MYTHICAL أسطورية: أشياء ليست جزءاً من العالم الحقيقي the real world. الاستعمال الذي يصف منهجاً في الغالب هو تعبير إطراء: يصف الأشخاص والأشياء والأفعال والمواقف بطريقة واقعية realistically؛ أي أنها نابضة بالحياة في الوصف أو المظهر؛ أي أنها تبرز realism الواقعية. كذلك في الغالب الواقعية realism هي تعبير لوم وقيد حسب المعاني التالية: (أ) ما يتم وصفه أو تمثيله يرى فقط بطريقة سطحية، تبعاً لمظهره الخارجي بدلاً من حقيقته reality الداخلية؛ (ب) في صيغة أحدث لنفس الاعتراض، هناك قوى حقيقية real ـ تشمل الشعور الباطني والحركات التاريخية والإجتماعية الأساسية ـ إما لا تكون متيسرة للملاحظة العادية أو أنها لا تمثَل البتة أو لا تمثَل بطريقة تامة في الكيفية التي تظهر عليها الأشياء، بحيث أن «واقعية السطح realism of

«the surface» قد تغفل realities حقائق هامة تماماً؛ (جـ) في اعتراض مختلف تماما، الوسيلة MEDIUM (ا م) التي يحدث فيها التمثيل REPRESENTATION (ا م)، سواء كانت لغة أو صخرة أو لوحة أو فيلماً، مختلفة جذرياً عن الأشياء الممثلة فيها بحيث أن أثر «تمثيل محاكى للحياة» أو «إعادة إنتاج reality الواقع» هو في أحسن الأوضاع تقليد فني معين، وفي أسوأها تزييف يجعلنا نتقبل أنواع التمثيل على أنها real حقيقية.

قوبل اعتراض (أ) واعتراض (ب) بمعنى محدد لواقعية realism يستخدم الطبيعية NATURALISM (ا م) كصيغة يمكنها بطريقة مناسبة الرد على هذين الاعتراضين، ويحتفظ بكلمة realism ـ أحياناً في صيغ أكثر تحديداً مثل psychological realism واقعية سيكولوجية أو social realism واقعية اجتماعية ـ لتشمل أو تركز على حركات أو قوى خفية أو أساسية لا يمكن للملاحظة الطبيعية naturalistic البسيطة أن تلتقطها، حيث أن هدف الواقعية realism الأساسي هو كشف هذه القوى والحركات والتعبير عنها. يعتمد هذا على الجناس القديم لـ real، لكن الكلمة أصبحت مهمة ليس بالمعنى المثالي، الذي يتجنب الآن في العادة «واقعية» realism كتعبير، ولكن بدرجة أكبر بمعاني مستمدة من سيكولوجيا ديناميكية أو من مادية دياليكتيكية DIALECTIC (ام) التي تتعارض مع MECHANICAL MATERIALISM مادية ميكانيكية (ام). يعتبر reality الواقع هنا ليس مظهراًappearance جامداً وإنما حركة قوى سيكولوجية أو اجتماعية أو فيزيائية؛ الواقعية إذاً التزام مقصود لفهم ووصف تلك القوى. عندئذ قد يشمل وقد لا يشمل هذا «الواقع reality» وصفاً realistic واقعياً أو تمثيلاً لمعالم معينة.

اعتراض (ج) موجه بشكل رئيسي لواقعي realistic بمعنى محاكي للحياة. يعتبر الفن أو الأدب الواقعي realist ببساطة تقليداCONVENTION (ام) ضمن تقاليد أخرى، مجموعة تمثيلات REPRESENTATIONS رسمية في وسيلة MEDIUM (ا م) معينة وهو ما أصبحنا متعودين عليه. ليس الشيء في الواقع really محاكيا للحياة، لكن بسبب التقليد والتكرار أصبح يظهر كذلك. يمكن اعتبار هذا غير ضار أو فائق الضرر. اعتباره ضاراً يعتمد على إحساس (كما في المادية الميكانيكية) بأن صيغة موضوعية زائفة للواقع (صيغة سيتم اكتشاف أنها تعتمد في النهاية على مرحلة معينة من التاريخ أو على مجموعة علاقات معينة بين الناس أو بين الناس والأشياء) تم تمريرها على أنها واقع reality، رغم أنه في هذا المثال على الأقل (وربما بشكل عام) الموجود هو ما تم صنعه عن طريق

ممارسات الكتابة والرسم وصناعة الأفلام. اعتبارها واقعاً reality أو نسخة أمينة للواقع يعني استثناء هذا العنصر الفعال وفي حالات متهورة يعني تمرير الخيال FICTION (ام) أو التقليد CONVENTION (ام) على أنهما العالم الحقيقي the real world.

هذا رد قوي على كثير من مزاعم الواقعيةrealism كتمثيل دقيق، لكن من مصادفة الطريق التي سار عليها النقاش أنه يمكن فهم الواقعية، حسب هذا المعني، تبعاً لأي من الإتجاهين بالنسبة للواقعية كحركة كاملة. وبالتالي يمكن جعله منسجماً مع معني realism الذي تم تمييزه عن naturalism طبيعية، لكن على الأخص مع معنى التزام مقصود لفهم ووصف القوى الحقيقية (التزام يشمل، في أفضل درجاته، فهم عمليات الشعور والتأليف التي تدخل في أية محاولة كهذه). مع ذلك كثيرا ما ارتبط النقاش، في تشكيلات فكرية معينة، بالأساليب المثالية لكل من FORMALISM شكلانية و STRUCTURALISM بنيوية، حيث تتماشى العناية الفائقة بتفاصيل عملية التأليف، خاصة العناية بالأشكال forms والبنيات structures التي يتم داخلها التأليف، تتماشي مع ـ أو يمكن استخدامها لتبرير ـ تجاهل القوي (سوى الفعل الفكري والفني والأدبي) التي كان هدف الواقعية realism الأشمل (وإن كان ذلك بسذاجة أحياناً) أخذها في الإعتبار بشكل جذري. كانت أهمية الواقعية Realism التاريخية أن تجعل reality الحقيقة الفيزيائية والاجتماعية (بمعني مادي عموماً) أساس الأدب والفن والفكر. يمكن توجيه انتقادات هامشية كثيرة ضد المناهج التي ارتبطت تاريخياً بهذا الغرض، ومن موقع مثالي صريح يمكن توجيه انتقادات جذرية ضد الغرض نفسه. لكن في الغالب ما حدث مؤخراً هو أن الانتقادات الهامشية توسعت بشكل فضفاض كما لو كانت انتقادات جذرية، أو أن تسديد الانتقادات الهامشية استحوذ على الانتباه لدرجة أن الانتقادات الجذرية موضع النقاش، من منطلق مادي أو مثالي، تم فعلياً إهمالها.

ربما لا يكون من المطلوب إضافة أن الاهتمام النقدي الذي هو ضروري في معظم حالات استعمال real وrealistic وreality هو على الأقل ضروري بنفس الدرجة في حالة هذا التنوع الاستثنائي الراهن في استعمالات واقعية realism.

أنظر: CONVENTION تقليد، CREATIVE خلاق، FICTION خيال، MATERIALISM مادية، MYTH أسطورة، NATURALISM طبيعية، PRACTICAL عملي، RATIONAL عقلاني، SUBJECTIVE ذاتي

إصلاح/يصلح REFORM

دخلت كلمة reform الإنجليزية كفعل في ق14 من (س م) reformer، فرنسية قديمة، reformare، لاتينية: يعيد تشكيل. في معظم استعمالاتها المبكرة من الصعب التمييز بين معنيين كامنين: (1) يرجع شيئاً إلى شكله الأصلي؛ (2) يجعل منه شكلاً جديداً. هناك أمثلة مبكرة واضحة لكل من المعنيين، لكن في معظم السياقات كانت فكرة تغيير شيء إلى الأفضل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فساداً (قارن amend يصلح، من (س م) emendare، لاتينية: يخلص من الخطأ، التي كانت معادلة لـ reform لكنها حملت دلالة أخف أو أكثر تحديداً؛ قارن أيضاً reaction استجابة/ردة فعل). كان أول اسم مشتق من الفعل هو reformation، من ق15، التي تحمل نفس الالتباس. كان لإصلاح Reformation ق16 الديني العظيم معنى صريحاً بالتطهير والاستعادة حتى عندما تطلب أشكالاً ومؤسسات جديدة لإنجاز ذلك. استمر الجناس في reform واضحاً في الحوار التالي في مسرحية هاملت (فصل 3، مشهد 2):

آمل أن نكون قد أصلحنا/تخلصنا من ذلك reformed بكل نزاهة.

بل أعيدوا تشكيل reform ذلك كلية.

من أواخر ق17 جعلت تهجية بديلة re-form (كما في «Re-form and New-Mold»، 1695) أحد المعنيين أكثر وضوحاً. لكن استمرت reform بمعناها الأعم تحمل إيحاءات إصلاح وضع الأمور الحالي في ضوء مبادئ معروفة أو قائمة، ويمكن أن يقترب هذا المعنى من restoration استعادة بقدر ما يمكن قربه من innovation تجديد/ابتكار. من منتصف ق 17 أصبحت reform الاسم المألوف لكنه كان لا يزال اسم عملية، مثل reformation، حتى أوائل ق 18. أوضح تعريف لبيلي من ق 18 أن «Reform هي إعادة تأسيس أو إحياء مبدأ سابق مهمل؛ كذلك هي تصحيح مساوئ سائدة». كإسم محدد لإجراء تدبير معين كانت reform شائعة من أواخر ق 18. في نفس الفترة تم تكبير الحرف الأول للكلمة وتجريدها لتدل على توجه سياسي، بشكل رئيسي فيما يتعلق بالبرلمان وحق الاقتراع حيث تم اقتراح أشكال forms جديدة لكن على وجه العموم كان المفهوم هو استعادة restoration الحرية.

في النزاع حول التمثيل في البرلمان أصبحت اصلاح Reform تعبيراً راديكالياً (قارن Radical Reform إصلاح جذري، من أواخر ق 18) وكان parliamentary reformists الإصلاحيون البرلمانيون الذين كانوا ماكرين subtle (هذه ليست كلمة لطيفة) في وقت مبكر

- 1641 - في مراسلة مع اليعاقبة (وندهام، 1792)، واعتبرتهم السيدة جرانفل في 1830 اصلاحيين عنيفين violent reformists (بمعني ardent متحمسين). التلاعب في الكلمة واضح. قارن بذلك الإقتباسين: «كان على هذه الإتحادات مناصرة قضية الإصلاح reform وحماية الحياة وصيانة الممتلكات ضد تعديات الغوغاء العديدة لكن غير المنتظمة» (صحيفة تايمز، 1830)؛ «بدا له أن ذلك الإصلاح reform الذي تم بهذه الطريقة هو أفضل وسيلة لدعم الفساد والطغيان». (رايدر، ليدز تايمز، 12أبريل 1834؛ كلا المثالين مقتبس من كتاب تومبسون E.P. Thompson: The Making of the English Working Classes، 1963).

برز من هذا النوع من الجدال، مدعوماً بالتلاعب في الكلمة، معنى خاص بالقرن العشرين لـ reformism وreformist. كانت reformism («إصلاح/ حركة إصلاحية») كلمة جديدة سُكّت في الجدل داخل الحركة الاشتراكية، خاصة بين 1870 و1910. كانت المسألة هي عما إذا كان بالإمكان تغيير المجتمع الرأسمالي أو كان مغيّراً ذاته بطرق متدرجة ومحددة وعلى نطاق محلى، أو عما إذا كانت هذه الإصلاحات reform تافهة أو خادعة، إما بحجبها الحاجة إلى استبدال الرأسمالية بالاشتراكية (قارن REVOLUTION ثورة) أو أن هذه الإصلاحات تستخدم بالفعل لتلافي هذا الاستبدال. حسب استعمال ق20 تحمل اصلاح reformism هذين المعنيين الأخيرين، بينما انحصرت الآن reformist إصلاحى، التي كانت منذ ق 16 معادلة بشكل عام لـreformer مصلح (التي تزامنت معها)، في معنى reformism تاركة reformer بالمعنى القديم العام.

أنظر: **FORM شكل، RADICAL راديكالي/جذري، REVOLUTION ثورة**

إقليمى/جهوى/مناطقى/محلى REGIONAL

دخلت كلمة region الإنجليزية من أوائل ق 14، من (س م) regionem، لاتينية: إدارة/ إشراف، تخم/ حد، منطقة/ مقاطعة، (س ب) regere، لاتينية: يدير، يحكم. أصبحت استعمالات region الأولى كـ «مملكة» أقل أهمية من المعنى الأشمل لبلد أو منطقة شاسعة، كما هو عند كاكستون: «وصل إلى regyon بلد فرنسا». هناك توتر واضح في الكلمة نفسها بين معنيين: منطقة مميزة وجزء محدد. استمر كلاهما لكن المعنى الأخير هو الذي يزخر بتاريخ مهم. حسب هذا الأخير كل شيء يعتمد على تصنيف طبيعة العلاقة: جزء مماذا ؟ هناك استعمالات عامة كثيرة مثل «مناطق regyon جهنمية» أو «مناطق سرمدية» (ملتون، 1667)؛ «منطقة regyon الهواء» (كاكستون، 1477)؛ أو «كل حقل region من

حقول العلم» (جونسون ، 1751) أو «مجال region الميثولوجيا» (جويت ، 1875). لكن الاستعمال الحاسم هو في وصف أجزاء مختلفة من الأرض: «ليبيا منطقة region أو ساحل من بلد إفريقيا» (1542). أتاح هذا التحديد الذي لا يزال بشكل رئيسي مادي المجال للاستعمال السياسي الذي أصبحت فيه region منطقة إدارية وبالتالي جزءا من وحدة سياسية كبيرة كاملة: «أصدر ... الحاكم الروماني تعليمات بأن تقسم مقدونيا إلى أربعة regions أقاليم أو أبرشيات» (هوكر، 1600). في الحكم الإمبراطوري والسلطة الكنسية ولاحقاً في نشوء الدول القومية المركزية لم تعد region (قارن DIALECT) جزءاً فحسب وإنما جزءاً ثانوياً تابعاً لكيان سياسي أكبر.

يمكن ملاحظة أثر ذلك بوضوح تام في regional التي تطورت كصفة من وسط ق 17. تفترض معظم استعمالاتها الهيمنة والتبعية: «ألحقت الكنيسة الإقليمية -Regional Church بكنيسة المدينة» (1654). في ق 19 ظهرت regionalism الإقليمية، في البداية للدلالة بشكل رئيسي على مركزية غير تامة: «تلك «الإقليمية» التعيسة في إيطاليا» (صحيفة مانشستر جارديان، 1881). استمرت الدلالة السياسية الرئيسية لهذا المعنى رغم وجود حركة مناوئة حاولت جعل فضائل الأقاليم المميزة أساساً لأشكال جديدة من الهوية وحدود جديدة من «الحكم الذاتي». لافت أن هذه الحركة المعارضة تقبلت هذا التعبير regional الذي يدل على الخضوع. قارن استعمال devolution (من س ب devolvere، لاتينية: يتدحرج) التي تطورت من استعمالاتها الأولى التي دلت على التعاقب/ التداول والإرث إلى انتقال السلطة، كما هو واضح عند بلاكستون (1765): «هذه الأيلولة devolution للسلطة للشعب ككل تشمل تصفية شكل الحكم الذي أسسه هذا الشعب». عند بلاكستون أو كما هو في النقاش الحديث تعتبر هذه العملية بشكل نمطي انتقالا للسلطة إلى ما هو أدنى: فعل ضمن علاقات الهيمنة والخضوع.

مع ذلك كتعبير ثقافي لإقليمي regional تاريخ أكثر تعقيداً. يمكن استخدامها مثل DIALECT للدلالة على صيغة «أدنى» أو «خاضعة» كما هو في «نطق إقليمي regional accent» التي توحي بأن هناك في مكان ما (وليس فقط ضمن طبقة) «نطقاً قومياً national accent». لكن في العبارة regional novel رواية إقليمية هناك اعتراف بمكان وطريقة حياة متميزين، رغم أن هذا على الأرجح حكم مقيد في الغالب. لافت أن تسمّى في الغالب رواية تجري أحداثها في منطقة البحيرات الإنجليزية أو في كورنول Cornwall في جنوب غرب بريطانيا إقليمية بينما لا تنطبق تلك التسمية على تلك التي تجري أحداثها في لندن أو

نيويورك. يتوافق هذا مع التمييز الثقافي الهام: ميتروبولي ـ إقليمي. تطورت metropolitan من تمييز سياسي بسيط: metropolis (س م)، يونانية: المدينة الأم، وبالتالي المدينة الرئيسية؛ تطورت provincial إقليمي من province، (س م) province، فرنسية قديمة (س ب) provincia، لاتينية: مديرية أو جزء region من أرض (مفتوحة). في منتصف ق 18 ولكن بشكل خاص في ق 19 كانت متروبولي وإقليمي تستعملان بشكل مضطرد للدلالة على تضاد بين ذوق أو سلوك مهذب أو مصقول وبين أفكار ضيقة الأفق وسلوك فج. ظهرت provincialism إقليمية في ق 18 وظهرت metropolitanism متروبولية في وسط ق 19. هكذا provincial وregional هما تعبيران يدلان على منزلة وضيعة بالنسبة للمركز المفترض. حسب هذه الشروط يمكن للمرء أن يتساءل بتعجب عند أي نقطة خارج إطار الميتروبول يمكن الذهاب حتى تنطبق صفة اقليمى regional أو provincial. هناك شيء مثير للاستغراب بالنسبة للمقاطعات الداخلية في إنجلترا Home Counties الأقرب إلى لندن (ميدل سكس، سري، كنت، اسكس؛ وأحيانا تضاف هيرتفوردشاير وسسكس). في العادة لا تسمى رواية تقع أحداثها هناك بأنها جهوية regional. يوسع القانون والإدارة المركزية (على الأرجح اشتقت Home Counties من التعبير القانوني Home Circuit محكمة المناطق الداخلية الطوافة) نطاق مسؤولياتهما الميتروبولية عن طريق المجاورة، لكن يبقى نفس النوع من التمييز الثقافي في كلمة suburban ضحوي (التي كانت بهذا المعنى من أواخر ق 19).

للكلمة regional، دون provincial وsuburban، معنى إيجابي بديل، كما هو في الحركة المعارضة التي توضحها استعمالات حديثة لإقليمية regionalism. تحمل هذه معاني لطريقة حياة متميزة وقيمة خاصة فيما يتعلق بالمعمار والطهي. كذلك لها، مع local محلي، بعض هذه المعاني فيما يتصل بالإذاعة. مع ذلك لا يزال يتم بشكل رئيسي التعبير عن حركة معاصرة ملحوظة للأفكار ضد المركزية centralization أو حدة المركزية وضد الملامح المتروبولية التي وصفت بأنها megalopolitan (ليست المدينة الأم العظيمة، من megas، يونانية: عظيم ولكن من الصلة بـ megalomaniac أو مفهوم أشمل للتشويه عن طريق الحجم بالغ الضخامة) حسب مفهوم الخضوع السابق.

أنظر: **CITY مدينة، COUNTY مقاطعة، DIALECT لهجة، STANDARDS معايير**

ممثل/نائب/نمطي/رمزي REPRESENTATIVE

مجموعة الكلمات التي تعتمد على represent معقدة جداً وكانت كذلك لفترة طويلة.

ظهرت represent في الإنجليزية في ق14 في الوقت الذي كانت فيه present موجودة قبل ذلك كفعل يعني «جعل شيء حاضراً present» (معنى إهداء/تقديم شيء ما ظهر في ق14). بسرعة اكتسبت represent مجموعة من معاني «جعل شيء ما حاضراً»: بالمفهوم المادي لتحضير الذات أو شخصاً آخر، في الغالب عند شخص في موقع مسؤولية؛ لكن كذلك بمعنى جعل شيء ما حاضراً في الذهن «Aulde storys that men redys, Representis to thaim the dedys, Of stalwart folk» القصص القديمة التي يقرؤها الرجال تقدم لهم مآثر الأبطال، (باربور، 1375)، وجعل شيئاً ما ماثلاً للعيان، في الرسم (صوّر ومثّل representid and purtraid»»، 1400 تقريباً) أو في المسرحيات («هذه المسرحية ... مثّلت representyd الآن أمام أنظاركم»، حوالي 1460). لكن حدث كذلك توسع حاسم في ق 14 عندما استعملت represent بمعنى «يرمز إلى» أو «يقوم مقام» («صور تمثّل represent أبهة وروعة العالم»، وكلف، حوالي 1380). واضح أنه كان هناك في هذه المرحلة تداخل كبير بين معنى (1) جعل شيء ماثلا للذهن والحواس ومعنى (2) «القيام مقام شيء ليس حاضراً». في البداية لم يتم على الإطلاق ادراك ما نجم من تباعد بين هذين المعنيين في بعض الاستعمالات. من الصعب جداً تتبع ظهور المعنى المستقل: «القيام مقام الآخرين». لكثير من الاستعمالات الأولى معنى «يرمز إلى» بدلاً من «يقوم مقام». عندما وصف شارلز الأول مجلسي البرلمان على أنهما «الهيئة الممثلة Representative Body للمملكة» (1643) يبدو مؤكداً أن المعنى، خاصة عندما نتذكر موضوع الجدل في ذلك الحين، كان لمملكة يتم جعلها ماثلة، يرمز إليها بدلاً من المعنى اللاحق لأعضاء برلمان يقومون مقام ويناصرون آراء من انتخبوهم. بكلمات أخرى، تم جعل وضع أو حالة مفترضة ماثلة أو مرموز إليها من قبل مؤسسة معينة؛ الطبيعة «التمثيلية representative» هذه نشأت من مظاهر الدولة الخارجية، بدلاً من آراء متنوعة ومشتتة تم جمعها، وبمعنى أكثر حداثة represented ممثلة. لا يزال هذا المعنى واضحاً في عبارات مثل «تمثيل representing بلدك في الخارج». الممثل representative السياسي هو الصورة السياسية.

لكن بدأ في الظهور، بشكل رئيسي في ق 17، معنى النيابة عن آخرين بطرق أكثر تنوعاً. كان قد تطور فعلاً معنى represent للدلالة على النيابة عن شخص آخر محدداً («أرسل قائدنا كابتن جوبسون representing ممثلا له ويتصرف بتفويض منه»، 1595). بالطبع استمر هذا المعنى بشكل ملحوظ في الأمور القانونية. يمكن ملاحظة المعنى السياسي المتطور من منتصف ق 17: في «البرجيسات Burgesses (ممثلي representatives الشعب)» (1658)، حيث لا يزال المعنى السابق حاضراً بشكل جزئي؛ وفي قول

كرومول: «حريص على أمنكم وأمن من تمثلون» (1655)؛ وفي قول كوك: «بالتالي سنستفسر ... إذا كان مجلس العموم، كما هو قائم الآن، في مقدوره أن يكون ممثلهم Representative» (1600). لا يقدم أي من هذه الاستعمالات معادلا قاطعا للكلمة الحديثة represent، وفي بعض الحالات استمر الإبهام ضمن بنية التعبير نفسها. من ناحية نجد ستيل يقدم إضافة ضرورية محدِّدة في «أصبح المنتخَبون ممثلين فعليين للمنتخبين» (1713) وجونيس يستخدم تمييزاً ضرورياً في قوله «يعلن الشعب الإنجليزي أن ممثليه ظلموه ظلماً فادحاً» (1769). لكن من الناحية الأخرى نجد بيرك يميز تمييزا معروفاً بين representative ممثل و delegate مندوب التي اعتمدت جزئياً على المعنى الرمزي لـ representative (ينوب عن آخرين، لكن حسب شروطه الخاصة) بدلاً من المعنى السياسي (يجعل آراء من قاموا بالانتخاب ماثلة، تمثيل representing). لا يزال معظم السياسيين يرددون بشكل تقليدي هذا التمييز ولا تزال representative تحمل بوضوح هذا التعقيد والالتباس. يتضح هذا في المناقشات الحالية عما إذا توجب أن يكون الممثلين representatives مفوضين mandated (أي، منحهم من انتخبوهم تعليمات وبالتالي هم يناصرون/ يجعلون ماثلة represent آراءهم) أو معرَّضين للاستدعاء recall (أي من الممكن إعلان عدم تمثيلهم not representative لآراء المنتخبين). واضح من طبيعة المعارضة لأفكار التفويض والاستدعاء (التي يبدو أنها مجرد تفصيل لأحد معاني represent) أن معنى آخر لممثل representative كرامز أو بشكل عام يدل على آخرين ليسوا حاضرين هو الذي اعتمد عليه بشكل رئيسي. سهل ذلك استعمال شائع لـ representative منذ منتصف ق 17 يدل على عينة أو نموذج نمطي typical.

تصبح هذه المسألة مهمة جداً في المناقشات حول ديمقراطية تمثيلية «representative Democracy» التي يمكن بوضوح أن تعني (1) الانتخابات الدورية لأشخاص نمطيين typical، أو (2) الانتخابات الدورية لأشخاص يحاجون لمصلحة، أو باسم، من انتخبهم، أو (3) الانتخابات الدورية لأشخاص يجعلون ماثلاً باستمرار وجهات نظر الذين انتخبوهم. لا يغير الانتخاب التنافسي لكل من هذه المهمات الثلاث، والذي عادة ما يتم التركيز عليه كجوهر الديمقراطية النيابية representative democracy، الحقيقة التي لا تقل أهمية بأن المهمات نفسها مختلفة جذرياً. من ناحية عملية تستعمل المناقشات حول تفويض mandate واستدعاء recall معنى (3) وتتم مناظرتها بمناقشات تعتمد على معنيي (1) و(2). كانت المناقشات عنيفة لدرجة أنها ولدت التعبير البديل participatory democracy ديمقراطية مشاركة التي تستبعد، في تركيزها على حكم الشعب لنفسه بدلاً من

أن يكون محكوماً من قبل «ممثلين representatives»، معنيي (1) و(2) لكن غالبا لأسباب عملية تحتفظ بمعنى (3).

في الوقت نفسه مرت represent بتطور على نفس الدرجة من التعقيد في الفن والأدب. كانت representation كما سبق تعني رمزاً أو صورة، أو عملية «إحضار» للعين أو الذهن. من ق 18 بدأ معنى representative كنمطي typical يستعمل في وصف أشخاص أو مواقف. من وسط ق 19 صار هذا شائعاً وفي النهاية استعمل بشكل واسع كعنصر مميز للواقعية REALISM أو الطبيعية NATURALISM. لاحقاً أصبح معنى قديم لـ - representation تجسيد بصري لشيء ما - محصوراً على معنى «accurate reproduction إعادة إنتاج دقيقة» وأنتجت بهذا المعنى، على الأرجح ليس أبكر من ق 20، التصنيف المميز representational art فن تصويري. مع ذلك ليس هناك في المعنى العام ليمثل represent أوتمثيل representation ما يجعل هذا الحصر محتوماً. في الواقع يتعارض التركيز على إعادة إنتاج reproduction دقيقة مع التطور الرئيسي للمعنى السياسي. لكن ذلك المعنى راسخ الآن، بل تتم معارضته (بطريقة فيها مفارقة حسب تاريخه) مع symbolic رمزي أو رامز .symbolizing (طورت symbol التباسا مشابها، من المعاني المبكرة لعلامة أو أمارة أو موجزاً لحالة أو مبدأ أو وضع عام، عبر المعنى الوسيط لشيء represents يمثل شيئاً آخر، إلى المعنى الحديث لشيء هام لكن مستقل - ليس تمثيلاً ولكن صورة image، التي تدل إما على شيء لا يمكن بطريقة أخرى تعريفه وإما على شيء لا يعرَّف عن قصد تبعا لشروطه.) هناك بينة على تداخل بين المعاني المستقلة لـrepresentative وrepresentational كتعبيري فن وأدب. هذا معتاد في المناقشات حول الواقعية REALISM (ا م) لكن بوضوح ليس هناك بالضرورة تطابق بين معنى typical نمطي ومعنى معاد إنتاجه reproduced بدقة؛ هذا، بالأحرى، ارتباط تاريخي ضيق.

من الصعب جداً تقدير درجة التداخل المحتمل بين representative وrepresentation في معانيهما السياسية والفنية. بمعنى نمطي typical، التي تقوم عندئذ مقام («يحل محل» أو «كأنه») آخرين أو أشياء أخرى، في أي من السياقين السياسي أو الفني هناك على الأرجح مسلَمات ثقافية عميقة مشتركة. في نفس الوقت، هناك تناقض، ضمن هذه المسلَمات، يبرز في المناقشات حول ديمقراطية تمثيلية/نيابية representative democracy وفي المناقشات في الفن حول العلاقة بين representational تصويري وrepresentative تمثيلى/نمطي.

أنظر: **DEMOCRACY ديمقراطية، IMAGE صورة، REALISM واقعية**

لكلمة revolution الآن معنى سياسي سائد ومحدد، لكن التطور التاريخي لهذا المعنى هام. دخلت الكلمة الإنجليزية من (س م) revolucion، فرنسية قديمة، revolutionem، لاتينية: من (س ب) revolvere، لاتينية: يدور. في كل استعمالاتها المبكرة دلت على حركة دوران في مكان/ فضاء أو زمان: «التي تنهي فيها الكواكب الأخرى، بالإضافة إلى الشمس، دورانها revolving ومسارها وتتبع في ذلك زمنها الفعلي» (1559)؛ «من اليوم المحدد بهذا التاريخ إلى المدة والدورة revolution الكاملة لسبع سنوات تلى ذلك» (1589)؛ «تتقلص مرة أخرى وتعود في حركة دوامية وبالتالي يستمر دورانها revolution إلى الأبد» (1664). يبقى هذا المعنى الرئيسي لحركة فيزيائية متكررة بشكل رئيسي في المعنى التقني المرتبط بالمكان: دورات revolutions في الدقيقة، وعادة ما تختصر إلى revs.

ظهور المعنى السياسي معقد جداً. من الضروري إلقاء نظرة أولاً على الكلمة السابقة التي وفت بمعنى هذا الفعل ضد نظام قائم. بالطبع كانت هناك خيانة treason (بمعناها الأساسي، خداع، غدر ضد سلطة شرعية) لكن الكلمة الأكثر شيوعاً هي rebellion تمرد. كانت هذه سائدة في الإنجليزية من ق 14. تطور هذا المعنى في اللاتينية من المفهوم الحرفي لتجدد الحرب إلى المعنى العام: معارضة أو عصيان مسلح، ومن ثم إلى مقاومة معلنة ضد السلطة. كانت rebellion وrebel (كصفة وفعل واسم: تمردي، يتمرد ومتمرد) الكلمتان المحوريتان لما نسميه الآن في العادة (لكن للأهمية ليس دوماً) revolution ثورة و revolutionary ثوري. من ق16 كان هناك أيضاً تطور هام لـ revolt من (س م) révolter، فرنسية، revolutare، لاتينية: يدور، يتقلب التي استعملت من البداية في الإنجليزية بالمعنى السياسي. لا يمكن أن يكون مصادفة تماما تطور الكلمتين revolter وrevolution من معنى حركة دائرية إلى معنى نهوض أو عصيان سياسي.

تأثرت على الأرجح revolution في تطورها السياسي بقربها من revolt، لكن في الإنجليزية استمر معناها لحركة دائرة على الأقل قرناً أطول. مرجح وجود سببين وراء التحول (في كل من revolt وrevolution) من حركة دائرية إلى نهوض/عصيان. من ناحية كان هناك المعنى المادي البسيط للتوزيع المعتاد للسلطة كما هو الحال في سلطة الأعلى high على الأدنى low. من وجهة نظر أي سلطة قائمة، revolt هي محاولة لقلب أو تحويل رأس على عقب أو عكس نظام سياسي مألوف: يضع الأدنى أنفسهم ضد - وحسب هذا المعنى فوق - من هم أعلى. لا يزال هذا واضحاً عند هوبز في ليفيثان: «هم أولئك

الذي كانوا حسب وضعهم رعايا ينهضون عمداً وينكرون السلطة الحاكمة» (1651). من ناحية أخرى، كانت هناك الصورة المهمة لعجلة الحظ التي تم من خلالها تفسير كثير من تقلبات الحياة خاصة تلك الأكثر ذيوعا، مع أن هذا قاد في النهاية إلى نفس التعريف للكلمة. بالمعنى الأبسط دار الناس أو بتعبير أدق أديروا على عجلة الحظ التي وضعتهم مرة في القمة ومرة في الحضيض. في الواقع، في معظم الاستعمالات كان التركيز على الحركة الهابطة: سقوط. لكن على أية حال كان التقلب بين القمة والحضيض هو الغرض الرئيسي لصورة العجلة: إلى حد كبير ليس حركة العجلة المستمرة والدائبة بقدر ما هو الفصل الواضح لنقطتين: قمة وحضيض اللتين، حسب طبيعة الأمور، لابد وأن تتبادلا المواقع. على الأقل تأثر بذلك جزئياً التغيير الحاسم في revolution. في وقت مبكر (1400) كان هناك المعنى الذي أصبح فيما بعد مألوفاً:

إنه أنا الذي يسقط عبر التغيير والتقلبrevolucioun (4366, Romance of the Rose)

واضح جداً معنى revolution كتبدل أو تغيير من ق 15: «the Elementys of Revolucions,

Chaung of tymes and Complexiouns»(Lydgate، c. 450).

كان الارتباط بالحظ واضحاً حتى وقت متأخر (وسط ق 17): «حيث يمكن ملاحظة المدى العظيم لتقلبات revolutions الزمن والحظ» (1663).

بدأ المعنى السياسي الذي كان قد ترسخ في revolt في الظهور في revolution من أوائل ق17، لكن هناك تشابكا كبيرا مع طرق ملاحظة التغيير السابقة لدرجة تجعل معظم الأمثلة المبكرة ملتبسة. قام كرومول بثورة لكن عندما قال إن «God's revolution» تقلبات القدر» لا تعزي إلى مجرد ابتكار البشر (أبوت، كتابات وأقوال كرومول، ج3) فإنه كان لا يزال على الأرجح يستعمل الكلمة بمعناها السابق (كما هو في Fortune حظ، لكن الكلمة المستعملة الآن هي Providence، عناية الإله) كمحركات خارجية ومحدِّدة DETERMINING (ا م). في الحقيقة، الجانب الأكثر إثارة للدهشة في مجموعة الكلمات هذه في ق17 هو أن الثورة سميت من قبل مناوئيها التمرد العظيم the Great Rebellion، بينما وصفت أحداث 1688 الثانوية نسبياً من قبل مناصريها بأنها عظيمة وفي النهاية سميت the Glorious Revolution الثورة المجيدة. واضح من استعمالات عدة أن Revolution كانت تكتسب خلال ق17 معنى سياسياً لكن لا يزال هناك تشابك، كما قد لوحظ، مع تحولات وتقلبات الحظ أو العناية الإلهية. لكنه من المهم جداً أنه في أواخر ق

17 نال الحدث الصغير اسم Revolution ثورة بينما الحدث الأكبر لا يزال تمرداً Rebellion. أي أن Revolution كانت لا تزال بشكل عام الكلمة المستحسنة، ومن وقت متأخر (1796) يمكن اكتشاف الفرق: «Rebellion التمرد هو تدمير subversion القوانين والثورة revolution هي تدمير الطغاة». (من الملاحظ أن subversion تعتمد على نفس الصورة المادية للانقلاب من أسفل؛ كذلك قارن overthrow يطرح/يطيح.) إن السبب الرئيسي لتفضيل revolution على rebellion هو أن المعنى الدوري في الأولى تضمن استعادة restoration أو تجديداً renovation لسلطة شرعية سابقة في تمييز لها عن تحرك ضد السلطة دونما تبرير مشابه لذلك.

من أواخر ق 17 طغت على معنى ثورة revolution في الإنجليزية الإشارة إلى أحداث 1688. كانت الإشارة المألوفة (ستيل، 1710؛ بيرك، 1790) إلى «the Revolution» الثورة معرّفة، واستعملت revolutioner كأول اسم لمن قام بالثورة أو ناصرها خاصة في سياق تلك الأحداث. مع ذلك بدأ يبزغ ببطء معنى عام جديد ـ وكان هناك سبب جديد للتمييز بين تمرد وثورة حسب وجهة النظر ـ في نهوض وإعلان استقلال الولايات الأمريكية. في تلك الحالة فازت revolution على المستويين المحلي والعام. في جو جديد من التفكير السياسي، حيث كفاية النظام السياسي بدلاً من الولاء لحاكم معين اعتبرت باضطراد المسألة الأساسية، أصبحت revolution مفضلة على rebellion من قبل كل من ساند التغيير المستقل independent. هناك أهمية متبقية من ذلك في عصرنا الحالي. لا تزال rebellion تمرد تستعمل بشكل معتاد من قبل السلطة المهيمنة ورفاقها حتى (أو حتى بعد) توجّب اعترافها بأن ما وقع ـ بمبرراته وولاءاته المستقلة ـ هو ثورة revolution. لكن كان هناك مفهوم إضافي يتعلق بالحجم: «سيدي ... إنها ليست revolt انقلاب، إنها revolution» (كارلايل، الثورة الفرنسية، جـ7، 1837). (جدير بالملاحظة أن revolt وrevolting اكتسبتا من وسط ق 18 معنى للشعور بالإضافة إلى الفعل: شعور بالاشمئزاز/ الغثيان أو الصد revulsion: تغير قوي مفاجئ في الشعور. لافت أن revulsion ترتبط في أصلها بـ revel يمرح بصخب التي ترجع بدورها إلى rebllare، لاتينية: يتمرد. انحصرت revel من خلال معنى المرح الصاخب في أي احتفال مفعم بالحيوية؛ بينما أخذت rebel مساراً منفصلاً غير مستحسن؛ واكتسبت revulsion من معنى الابتعاد الجسدي، من أوائل ق 19، معنى الصد في اشمئزاز.)

كنتيجة لهذا الوضع من التفاعل بين الكلمات جعل التأثير المحدد للثورة الفرنسية

French Revolution المعنى الحديث لـ revolution حاسماً. طغى معنى التجديد الضروري من قبل نظام جديد، مدعوماً بمعنى تقدم PROGRESS (ا م) المتزايد في إيجابيته، على المعنى القديم لاستعادة سلطة شرعية، مع أن هذا يستخدم من حين لآخر كمبرر. بالطبع كان وثيق الصلة بذلك أيضاً معنى إحراز حقوق الإنسان الأصلية/الأساسية ORIGINAL. كان مفهوم خلق نظام إنساني human جديد هذا على نفس الدرجة من الأهمية مثل الإطاحة بالنظام القديم. في النهاية تحقق ذلك في التمييز الحاسم لثورة عن rebellion تمرد أو عن ما تم في آخر الأمر تصنيفه كثورة قصر palace revolution (تغيير القادة دونما تغيير في أشكال المجتمع). مع ذلك، في الجدل السياسي الناجم من التاريخ الفعلي لحركات العصيان أو النزاعات المسلحة اكتسبت revolution معنى متخصصاً يدل على الانقلاب العنيف، وبحلول أواخر ق 19 قوبلت بـ EVOLUTION تطور/ترقي بمعناها كنظام اجتماعي جديد يتحقق بسبل سلمية ودستورية. تعزز بشكل كبير معنى revolution كمحققة لنظام اجتماعي جديد تماماً بالحركة الإشتراكية، وأدى هذا إلى بعض التعقيد في التمييز بين اشتراكية revolutionary ثورية واشتراكية تطورية evolutionary. من ناحية كان التمييز بين إطاحة عنيفة بالنظام القديم وبين التغيير السلمي والدستوري. من ناحية أخرى لا تقل أهمية كان التمييز بين العمل من أجل نظام اجتماعي جديد تماماً (الاشتراكية SOCIALISM مقابل الرأسمالية CAPITALISM) وتعديلات محدودة أو إصلاح REFORM نظام قائم («السعي من أجل المساواة» ضمن «اقتصاد مختلط" أو «مجتمع ما بعد رأسمالي»). النقاش حول السبل والذي استعمل غالباً لتحديد معنى revolution هو أيضاً في العادة نقاش حول الأهداف.

كذلك بالطبع أصبحت تستعمل ثورة revolution وثوري revolutionary ويثوِّر revolutionize خارج المجال السياسي للدلالة على تغييرات جوهرية أو تطورات جديدة جوهرياً في نطاق شاسع من النشاطات. قد يبدو غريباً قراءة «ثورة في عادات التسوق» أو «ثورة في المواصلات»، وبالطبع هناك حالات تكون فيها هذه مجرد لغة إعلان لوصف منتج جديد «ديناميكي». لكن على الأقل هذا ليس أكثر غرابة من ربط revolution بعنف VIOLENCE (ا م) حيث أن أحد معاني ثورة الحاسمة، مبكراً ولاحقاً، استعادة أو تجديد، كان ببساطة التغيير: التغيير الهام والجوهري. وقتما سمّى نظام المصانع والتكنولوجيا الجديدة في أواخر ق 18 وأوائل ق 19 عن طريق القياس بالثورة الفرنسية ثورة صناعية INDUSTRIAL REVOLUTION (ا م) فإنه قد تم وضع أساس لوصف مؤسسات جديدة وتكنولوجيا جديدة بأنها ثورية revolutionary. كان للتفاوتات في تفسير

الثورة الصناعية ـ من نظام اجتماعي جديد إلى مجرد اختراعات جديدة ـ أثر في هذا الاستعمال. قد تبدو عبارة «ثورة الترانزيستور» تافهة وفضفاضة لمن يعطي أهمية قصوى لمعنى social revolution ثورة اجتماعية، وقد تبدو «ثورة تكنولوجية» أو «ثورة صناعية ثانية» مجرد تعابير جدلية أو محيرة. لكن تاريخ الكلمة يقدم الدعم لكل نوع من أنواع استعمالها. المهم في قرن ثورات كبرى هو التمييز الواضح في الاستعمال والنبرة بحيث أن السحب المرعدة التي تحلقت حول المعنى السياسي تصبح رياحاً نقية ومنعشة عندما تهب في أي اتجاه آخر.

أنظر: **EVOLUTION تطور/ارتقاء، ORIGINAL أصلي، REFROM إصلاح، VIOLENCE عنف**

رومانسـي (الرومانسية) ROMANTIC

هذه الكلمة معقدة لأنها تستمد معانيها الحديثة من سياقين مختلفين: فحوى وطبيعة الحكايات الرومانسية romances وفحوى وطبيعة الحركة الرومانسية Romantic Movement. يؤرخ للأخيرة في العادة على أنها حدثت في أواخر ق18 وأوائل ق19؛ في حد ذاتها هذه الحركة معقدة ومتشعبة بشكل استثنائي. لكن كانت romantic تستعمل في الإنجليزية لمدة طويلة قبل كل ذلك وكانت لها معظم الإيحاءات التي لا تزال موجودة في الكلمة الحديثة. تشكلت الصفة في ق17 من romance كما كانت مفهومة عندئذ؛ سجلت الكلمة الإنجليزية romantic من 1650؛ الفرنسية romanesque من 1661 والألمانية romanisch من 1663. (كانت الفرنسية romatique والألمانية romantisch استعارة من الكلمة الإنجليزية). لكن romance رومانس نفسها كانت في طور التغيير. برزت الكلمة في صيغ متنوعة (romanz وromaunz وroman وromant الخ) عن طريق اللغة الفرنسية القديمة والبروفنسالية من romanice، لاتينية وسيطة: تعنى «باللغة الرومانية»؛ أي باللغات المحلية المستمدة من اللاتينية. كانت رومانسيات romances بشكل عام، قصص منظومة فيها مغامرة أو فروسية أو حب، وحتى وقت متأخر لم يزل ملتون يستعمل في الفردوس المفقود Romance رومانس بهذا المعنى: «ما يتردد في خرافة (أخلاقية) Fable أو Romance عن ابن أوثر». لكن التطور الفعال الذي أدى إلى رومانسية romantic كان شعبية أنواع جديدة من قصص الرومانس النثرية المعتمدة بشكل رئيسي على نماذج أسبانية من ق 16. اعتبرت تلك بشكل عام عاطفية ومتهورة، لكنها كذلك تميزت بانطلاق الخيال. حملت الصفة الجديدة كلا المعنيين: «الخطة الرومانسية romantic والخيالية لبناء جسر

على النهر عند بتني». (1671)؛ «بناء على السند الوحيد للكومنولث الرومانسي romantick للسيد هارنجتون» (1660)؛ «تلك الأشياء تكاد تكون رومانسية romatique لكنها حقيقية» (بيبس، 1667)؛ «ذلك الخيال الأكثر جموحاً، مثل الذي نستعمله في الابتكارات الرومانسية 1659) «Romantick Inventions). استمرت مجموعة الاستعمالات هذه وأضيف إليها استعمال شائع كوصف لأماكن معينة: «مقر رومانسي جداً» (إيفلين، يوميات، 1654).

كانت Romantic الرومانسية كاسم جديد لحركة أدبية وفنية وفلسفية في الأساس تطوراً من أوائل ق 19، بشكل رئيسي في ألمانيا وفرنسا (شليجل، Schlegel ودى ستيل، de Stael). تأثر بشكل عميق استعمالها في الإنجليزية بالفكر الألماني (راجع لفجوى Lovejoy وإيخنر Eichner) حيث نشأ التمييز المحدد بين رومانسى Romantic وكلاسيكي Classical (التأثير الأكبر كان لشليجل من 1798). مع ذلك لم تدخل Romantic، كما تستعمل الآن في عبارة the Romantic movement الحركة الرومانسية أو الشعراء الرومانسيين Romantic poets (التي ترجع إلى أواخر ق 18 وأوائل ق19)، الاستعمال العام قبل ثمانينات ق 19. علاوة على ذلك، استمرت Romantic صعبة التمييز عن المعانى العامة السابقة، عدا سياقات معينة تدل فيها الكلمة على فترات أو أساليب معينة. بدون شك تعزز كثيرا المعنى القائم لخيال طليق وحر. تطور بوضوح أيضاً معنى أوسع للتحرر من القواعد والصيغ التقليدية، ليس في الفن والأدب والموسيقى فحسب وإنما كذلك في الشعور والسلوك BEHAVIOUR (ا م). كان مهما أيضاً معنى مقارب للشعور العارم، بالإضافة إلى شعور أصيل/حقيقي authentic ومتميز. تطورت عبارة romantic hero البطل الرومانسي من شخصية متهورة إلى شخصية مثالية، وتطورت تقييمات جديدة للكلمات «لا عقلاني irrational»، «لا شعور unconscious» و«خرافي legendary» أو أسطوري MYTHYCAL (ا م) وذلك بمحاذاة تقديرات جديدة لثقافات فورلكلورية folk-cultures تعالج نفس المواضيع، وكذلك ـ بصورة مختلفة ـ بمحاذاة تقديرات جديدة للذاتية SUBJECTIVITY (ا م) ارتبطت بفكرة الخيال الحر وبالشعور الأصيل ORIGINAL (ا م) العارم. واضح مدى التداخل بين بعض هذه المعاني السابقة؛ أما ما هو جديد ويظل صعب التحديد فإنه الأساس الفلسفي العام لما اعتبر فيما سبق سمات منفصلة ومميزة.

في ق 20 استمرت رومانسية Romantic كوصف لحقبة تاريخية وكذلك ظلت الكلمة موضع نزاع كإسم عام وإن لا تزال ضرورية للحركة الفلسفية والأدبية من أواخر ق 18. مع

ذلك لا تزال المعاني السابقة فعالة مما يسبب التباساً كبيراً. لا يزال «مكان رومانسي» مقبولاً؛ لكن لا تقبل «خطة رومانسية». الكلمات المشتقة في ق 19 romanticism رومانسية ويجعل رومنسيا romanticize غير مؤاتية بشكل كبير خارج نطاق دلالات ثقافية محددة. في نفس الوقت تم بشكل عام حصر romantic feeling شعور رومانسي ورومانس romance ذاتها (بدعم من مواضيع كثيرة من الرومانسيات والقصص الرومانسية romantic stories التي سميت الآن romantic fiction روايات رومانسية) على الحب بين الرجال والنساء. هناك تمييز متفرع من ذلك بين حب رومانسي romantic وحب جنسي sexual، لكن حسب المعنى الشائع لا تزال العلاقة الجنسية هى romance رومانس، وتأثرت بهذا إلى حد كبير «أماكن رومانسية» و«مواقف رومانسية». في الغالب أثر هذا على فهم الرومانسيات Romances السابقة وعلى الأدب الرومانسي Romantic literature الذي يبقى في الواقع مختلفاً تماماً.

أنظر: **CREATIVE خلاق، FICTION خيال/رواية، FOLK فولك/شعب، GENERATION جيل، MYTH أسطورة، NOVEL رواية، ORIGINAL أصلي، SEX جنس، SUBJECTIVE ذاتي**

SCIENCE علـم

قد تبدو science الآن كلمة بسيطة جداً، حتى وإن تذكرنا أنه كانت لها قبل ق 19 معان أخرى. مع ذلك، وبالذات في استقلالها عن تلك المعاني الأخرى، فإن للكلمة تاريخا اجتماعيا هاما لا يزال فعالاً. دخلت science الإنجليزية في ق 14، من (س م) science، فرنسية، scientia، لاتينية: معرفة knowledge. كانت معانيها الأولى عامة جداً. كانت تعبيرا يدل على المعرفة بشكل عام، كما في «رب المعرفة God of sciens هو الإله» (1340)، وكان هذا المعنى لا يزال قائماً لدى شكسبير:

ليس هناك في خفايا الطبيعة معرفة science أكثر

مما أملك في هذا الخاتم(All's Well that Ends Well, V, iii) .

تم في بعض الأحيان تمييز الكلمة عن conscience وذلك لتوضيح الفرق بين معرفة شيء نظرياً (science) ومعرفته عن اقتناع والتزام (conscience) ضمير. لكن أصبحت science تستعمل بشكل واسع، غالباً كمعادلة لفن art، لوصف مجال معين من المعرفة أو المهارة: «علم science الوزن والقافية والايقاع» (جاور، 1390)؛ «ثلاثة علوم Sciences ... الإلهيات، فيزياء وقانون» (1412)؛ «علوم ليبرالية liberal Sciences . . . علوم حرة مثل القواعد، الفن، فيزياء وفلك وعلوم أخرى» (1422).

استمر المعنى العام للكلمة كمعرفة أو تعليم وكذلك المعنى المحدد لفروع أو مجالات من التعليم حتى أوائل ق 19. قارن بين الاقتباسين: «بذور المعرفة science ـ تلك التي تسمى أبجديته» (كوبر، 1781)؛ " لا علم scienceسوى القراءة والكتابة والحساب» (1794). من وسط ق17 بدأت تظهر تحولات معينة. بالتحديد كان هناك التمييز عن art: هذا لاصلة له البتة بالتمييز الحديث (انظر ART) لكنه في حد ذاته مهم. في 1678 وصف «صنع المزوال» بأنه «علم science في الأساس ... لكنه الآن ليس أكثر تعقيداً من ART فن»، مما يدل على تمييز بين مهارة تتطلب معرفة نظرية ومهارة لا تتطلب إلا ممارسة. من 1725 نجد: «تستعمل كلمة science عادة لجملة الملاحظات والفرضيات المنهجية أو المنتظمة ... فيما يتعلق بأي موضوع للتفكير». يمكن بطريقة غير دقيقة فهم ذلك كتعريف حديث لكنه يتعلق بفرضيات بالإضافة إلى ملاحظات ولا يرتبط بأي موضوع معين. هذا يتوافق مع معنى سابق لعلمي scientific (من أواخر ق 16، من (س م) scientificus، لاتينية) يدل في أي طرح إما على برهان نظري وإما، بشكل عام، على برهان بياني. (كذلك استعملت scientific في السابق كمعادلة لليبرالي LIBERAL (ا م) لتمييز الفنون المكتسبة بالتعليم عن الفنون الميكانيكية MECHANICAL (ا م).) كان للمعنى الذي نجم بهذه الطريقة عن جملة المعارف عناصر من المنهج والبرهان البياني؛ كان ذلك على مستوى نظري؛ العلم هو نوع من المعرفة أو الطرح بدلاً من موضوع معين. يظهر أن الأمر كان كذلك حتى في المثال الذي يبدو للوهلة الأولى حديثا، من 1796: في المقولة «بأنه بالرغم من أن علم المناجم لم يكن في الامكان حتى وقت قريب فهمه من قبل الكثيرين كفن art فإنه قد يندر اعتباره علماً science»، يبدو التمييز على الأرجح بين معرفة نظرية وأخرى عملية. ضمنياً عنت نظرية theory بالضرورة برهاناً منهجياً وهو ما قد يحدث في أي موضوع.

في البداية لم يكن التمييز الرئيسي في science ولكن في التمييز الحاسم في ق 18 بين experience خبرة و experiment تجربة (أنظر EMPIRICAL). دعم هذا تمييز بين معرفة عملية practical ومعرفة نظرية theoretical (انظر THEORY) التي عبر عنها فيما بعد التمييز بين art فن وعلم science بمعانيهما العامة من ق17 وق 18. كانت ممارسة ما قد نسميه اليوم علماً تجريبياً experimental science والذي في الواقع يسمى الآن، بطريقة استعادية، الثورة العلمية the scientific revolution في طور النمو بطريقة ملحوظة منذ منتصف ق17. لكن لم تزل science في أواخر ق 18 تعنى بشكل رئيسي البرهان المنهجي والنظري، ولم يتم بطريقة حاسمة حصرها على مواضيع معينة. علاوة على ذلك، كان

التمييز بين experience و experiment علامة على تغيير أكبر. يمكن حصر experience في اتجاهين: نحو معرفة عملية أو مألوفة ونحو معرفة باطنية (ذاتية SUBJECTIVE (ا م)) في تمييز لها عن معرفة خارجية (موضوعية OBJECTIVE). حملت خبرة experience كلا المعنيين لكن أتاح تحديد تجربة - experiment ملاحظة منظمة لحدث ـ تركيزاً معيناً في experience أيضاً. ساعدت تغيرات في الأفكار عن الطبيعة NATURE (ا م) في حصر إضافي لأفكار المنهج والبرهان نحو «العالم الخارجي»، وبهذا استكملت شروط بروز scienceكدراسة نظرية ومنهجية للطبيعة. يمكن لـ «نظرية» و«منهج» اللذين استعملا لأنواع أخرى من الخبرة experience (أحدهما كان ميتافيزيقياً ودينياً، وثانيهما كان اجتماعياً وسياسياً، وثالثهما كان feeling الشعور والحياة الداخلية inner life التي اكتسبت ارتباطاً جديداً محدداً بفن ART) أن يستبعدا الآن على اعتبار أنهما ليسا science علما وإنما شيء سواه.

ترسخ التمييز في أوائل ووسط ق19. رغم استمرار وجود بقايا لمعاني سابقة إلا أنه بالامكان بحلول 1867 العثور على الجملة الواثقة لكن بنفس المقدار الواعية لجدة الاستعمال: «سنستعمل ... الكلمة «science» بالمعنى الذي منحه إياها بطريقة ذائعة الإنجليز دالة على علم مادي وتجريبي ومستبعدة الثيولوجيا والميتافيزيقيا». هذا الإقصاء كان ذروة النقاش الحاسم، لكن استثنى هذا التحديد، تحت هذا الغطاء، مجالات معرفة وتعليم أخرى كثيرة. أصبحت scientific علمي و scientific method منهج علمي و scientific truth حقيقة علمية، محصورة على الطرق الناجعة للعلوم الطبيعية، في المقام الأول الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. قد تكون الدراسات الأخرى نظرية ومنهجية لكن هذه ليست هي نقطة الجدال الآن؛ النقطة الأساسية كانت أن الطبيعة الموضوعية objective تماماً للمادة وكذلك للمنهج، اللذان تلازما في هذه المجالات، هي التي اعتبرت محدِدة.

كتب هيول في 1840 : «نحن في أمس الحاجة إلى اسم يصف من يرعى العلم science بشكل عام. أميل إلى تسميته scientist عالم». هذه علامة هامة للتصنيف العام عن طريق حصر متخصص لمعاني الكلمة. تم البحث بنشاط عن كلمة ملائمة في اجتماعات الرابطة البريطانية في أوائل ثلاثينات ق19 (في الواقع استعملت أحياناً sciencer في ق16 و scientist في أواخر ق 18 بمعاني science القديمة). يمكن ملاحظة تمييز إضافي، من 1840 أيضاً، في «كان ليوناردو ذهنياً باحثاً عن الحقيقة ـ عالم scientist؛ كان كوريجيو منافحاً عن الحقيقة ـ فنان artist». أصبحت تمييزات من هذا النوع تقليدية، لكن حتى وقت متأخر (1836) وبطريقة مقنعة كان كونستابل يقول: «الرسم علم science ويجب

ممارسته كبحث عن قوانيين الطبيعة. لماذا ... لا يمكن اعتبار رسم منظر فرعا من الفلسفة الطبيعية التي تكون الصور فيها مجرد تجارب؟» (المحاضرة الرابعة، المعهد الملكي). لكن كان التوجه السائد في ناحية أخرى. انحصرت «Method منهج» على نوع واحد مثلما انحصرت خبرة experience، من نوع يمكن إثباته بيانياً، على نوع معين من التجربة experiment. كان لهذا لاحقاً عواقبه الداخلية، خاصة في البيولوجيا، لكن أيضاً في الفيزياء. كان لذلك أيضاً نتائج عميقة في مجالات أخرى من المعرفة البشرية حيث أصبح نموذج معين وفائق النجاح (ملاحظ منهجي محايد وموضوع دراسة خارجي) معمماً ليس فقط كعلم science ولكن كحقيقة fact وصدق truth وصواب reason أو RATIONALITY عقلانية. زاد الوضع سوءاً النقد التقليدي لهذا النموذج حسب منهج أسبق هو الآن محصور ومتخصص: تمييز حقائق ووقائع ذاتية subjective و«مجالات» - دينية، فنية، سيكولوجية، أخلاقية (و الكلمة المرتابة الملتبسة: اجتماعية social) ـ يكون فيها هذا المنهج السابق هو الأنسب بدلاً من المنهج العلمي scientific.

ربما يكون تحديد science علم أتم في الإنجليزية عنه في معظم اللغات المشابهة. يسبب هذا مشاكل كثيرة في الترجمة المعاصرة، بشكل ملحوظ من الفرنسية. قارن التناوب بين علم science وstudies دراسات في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، وقارن كذلك الإبهام الذي قد يلف scientific عندما تستعمل بالمعنى القديم كإثبات بيانى في طرح، أو بالمعنى المتطور الدال على «صرامة منهجية» ـ لكن السؤال عندئذ: أين التجارب experiments في كل هذا، أوليست هذه مجرد خبرة experience (ذاتية subjective، أدبية literary، تأملية speculative)؟ فيما تصبح التقسيمات التقليدية المبسطة، خاصة بين science علم وفن art وobjective موضوعي و subjective ذاتي، أكثر وضوحاً فإن التعبير الحاسم scientism علموية استعمل للدلالة على الطبيعة المحدودة لجانب من النقاش. من أواخر ق19، عنت scientism مواقف يتميز بها العلم science لكن في استعمالها الحاسم تدل على التحول (غير الملائم) لمناهج البحث من العلوم «الفيزيائية» إلى العلوم «الإنسانية». ليس هذا التعبير شائعاً بعد (رغم أن تشكيله يمكن أن ينظر إليه في إطار المراجعة الحالية لمفاهيم مثل «أدب literature»، « aesthetic جمالي» و«subjective ذاتي») للدلالة على القصور الواضح في الموقف «الآخر» الذي هو في الواقع متمم.

أنظر: **ART فن، EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE خبرة، MATERIALISM مادية، POSITIVE وضعي، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية**

حساسية SENIBILITY

كانت sensibility كلمة مهمة جداً بين منتصف ق18 ومنتصف ق20، لكن في السنوات الأخيرة تقلصت هذه الأهمية بشكل حاد. هي كلمة صعبة جداً سواء في معانيها وفي صيغها ضمن هذه الفترة التاريخية وكذلك في علاقاتها مع مجموعة معقدة جداً من الكلمات تتحلق حول sense. يجب فقط تذكر أن sensibility ليست اسماً علماً لحالة كون الشيء sensible (محسوس/معقول) لإدراك مدى صعوبة هذه المجموعة. قام بتحليل بعض العلاقات البينية داخل هذه المجموعة وليام إمبسون في كتابه «بنية الكلمات الصعبة»(250 ـ 310)، في عام 1915.

تبعت المعانى الأولى لـ sensibility (س م) sensibilitas، لاتينية، المعانى الأبكر لـ sensible (س م) sensible، فرنسية، sensibilis، لاتينية حديثة: محسوس أو مدرك عن طريق senses الحواس البدنية. كان استعمال sensible هذا، من ق14، هو سند sensibility كشعور بدني أو ادراك حسي من ق 15، لكنها لم تكن منتشرة. كان التطور الهام في sense هو تحورها عن طريق التوسع من اسم لعملية process إلى نوع معين من المنتج: sense إحساس بمعنى وعي سليم أو حكم صائب الذي منه سيستمد معنى sensible الحديث السائد. (تبعت common sense الحس المشترك/العام هذا المسار منتهية كتأكيد فائق لما هو بديهي - ما يعرفه الكل أو يعرفه الجميع على أنه تحصيل حاصل - وذلك في أعقاب مرجعيتها السابقة والفعالة فى sense حس/حكم تنجزه عملية مشتركة بين مختلف الحواس البدنية؛ تنوع صيغ عام/مشترك COMMON (ا م) حاسم في هذا المجال.) لكن قبل أن تنحصر sensible في هذا المعنى المحدود كانت قد تحركت مؤقتاً في اتجاه آخر وذلك نحو شعور «رقيق» أو «لطيف» من ق 16. تبقى آثار بسيطة من هذا في «sensible of شعور بـ" (قارن الاستعمال الخاص لـ touched لامست مشاعره)؛ أما «sense of إحساس بـ" فإن لها عملياً مدى أوسع يشمل الحيادية. من sensible بهذا المعنى المحدد تم اشتقاق sensibility الهام في ق 18. كانت أكثر من sensitivity حساسية التي يمكن أن تصف حالة بدنية أو عاطفية. بشكل أساسي كانت تعميماً اجتماعياً لميزات شخصية معينة أو، بكلمات أخرى، هي استحواذ شخص لميزات اجتماعية معينة. بهذه الطريقة تنتمي الكلمة إلى تشكيل مهم يشمل TASTE (ا م) و cultivation تهذيب و discrimination تمييز و، على مستوى مختلف، نقد CRITICISM(ا م) وثقافة CULTURE (ا م) حسب أحد معانيها المشتقة من cultivatedمهذب و cultivation. تصف كل هذه الكلمات عمليات إنسانية عامة جداً

لكن بطريقة يتم فيها تخصيص وتحديد؛ يمكن التقاط الآثار السلبية للاستبعادات الفعلية التي كثيراً ما تكون متضمنة في discrimination حصافة/تمييز التي بقيت كعملية للحكم الواعي أو الدقيق وأيضاً كعملية معاملة مجموعات معينة بطريقة مجحفة. ليس لـ TASTE وcultivation أي معنى معتبر إلا إذا عارضنا وجودهما بغيابهما بطرق تعتمد على التعميم وغالباً على الإجماع CONSENSUS (ا م). في معانيها من ق 18 شملت sensibility معنى شبيها بذلك الذي تحمله وعي awareness الحديثة (ليس فقط consciousness شعوراً ولكن أيضاً ضميراً conscience) وصيغة صريحة لما يبدو أن الكلمة تعنيه حرفيا، المقدرة على الشعور: «عزيزي الإحساس !Sensibility مصدر ... لا ينفد لكل ما هو عزيز في أفراحنا أو مضن في أحزاننا» (ستيرن، 1768).

في هذه المرحلة أصبحت علاقة الكلمة بـ « sentimental عاطفي مفرط» مهمة. كان لـ sentiment (من (س م) sentimentum، لاتينية وسطى،(س ب) sentire، لاتينية: يشعر) معاني تتفاوت من معنى ق14 للشعور البدني والشعور الذاتي إلى معنى ق17 لكل من الرأي والعاطفة. استعملت sentimental بشكل واسع في منتصف ق 18: «sentimental رائجة إلى حد كبير في المجتمع الراقي ... كل شئ مستحسن أو رشيق تحمله تلك الكلمة ... رجل وجداني ..sentimental. حفلة رائعة .. sentimental. مشية رقيقة sentimental» (ليدي برادشو، 1749). كان الارتباط بـ sensibility عندئذ قريباً: تقبل واع للمشاعر، وكذلك استهلاك مقصود للمشاعر. عرّض هذا الاستعمال الأخير الكلمة sentimental للنقد، ووصل هذا أقصاه بطريقة فجة غالباً في ق19: «تلك الضبابية المتوردة للوجدانية Sentimentalism والإحسان واحتفالات الفضيلة» (كارلايل، 1837)؛ «راديكالية وجدانية Sentimental Radicalism» (بيجهوت عن ديكنز، 1858). صبغ معظم ما كان أخلاقياً أو راديكاليا سواء في القصد أو الفعل، بنفس الفرشاة التي استعملت لرسم عروض وجدان sentiment الواعية لذاتها أو المنغمسة ذاتياً. في مرحلته المحافظة جمع ساوثي الكلمتين: «الطبقات الوجدانية sentimental، أشخاص ذوو sensibility إحساس متقد أو مريض» (1823). هذا التذمر موجه ضد الناس الذين يشعرون « feel إلى حد مفرط» كما هو موجه كذلك ضد من «يطلقون العنان لعواطفهم emotions». دمر هذا التشويش للأبد sentimental (رغم بقاء استعمالات إيجابية محدودة، بشكل واضح في sentimental value قيمة وجدانية) وحدد بطريقة نهائية الكلمة sentimentality وجدانية.

تجنبت sensibility ذلك. احتفظت بمعانيها من ق18 وأصبحت مهمة في مجال واحد

خاص: الإحساس الجمالي AESTHETIC (ا م). (بالطبع سبرت جين أوستن في روايتها Sense and Sensibility المزايا المتفاوتة التي بدا أن التعبيران المتخصصان في عنوان روايتها هذه حدداها. ربما تكون قد التقطت في روايتها Emma اتجاهاً معيناً في «حساسية أكثر حدة للأصوات الرقيقة منها لمشاعري» (1815). كتب رسكن عن «حساسية sensibility للون» (1843). يبدو أن الكلمة استعملت باضطراد لتمييز مجال معين من الاهتمام والاستجابة قد يمكن تمييزه ليس فقط عن RATIONALITY عقلانية أو intellectuality فكر وإنما أيضاً عن morality فضيلة، وذلك بالتعارض مع أحد معانى هذه الكلمة الأخيرة من ق18. بحلول أوائل ق 20 كانت sensibility هي الكلمة الأساسية التي تصف الحيز الإنساني الذي عمل فيه واحتكم إليه الفنانون. في التطور اللاحق لنقد CRITICISM (ا م) المعتمد على تمييز بين reason عقل و emotion عاطفة كانت sensibility هي الكلمة العامة المفضلة للاستجابة والحكم التي لا يمكن اختزالها إلى emotional عاطفي أو emotive انفعالي. ما أسماه ت. إس. اليوت في عشرينات ق 20 «dissociation of sensibility» انفصال الحساسية كان هو الفصل المفترض بين thought فكر و feeling شعور. يبدو أن sensibility أصبحت الكلمة الجامعة، وبشكل عام تحولت من أنواع من الاستجابة إلى معنى يدل على تكوين ذهن معين: نشاط كامل، طريقة مكتملة للإدراك والاستجابة، وبالتالى لا يمكن اختزاله إلى «فكر» أو «شعور». اكتسبت EXPERIENCE خبرة (ا م) بمعناها كشيء فعال وكشيء متكون نفس التعميم. لفترة مهمة كانت sensibility هي ما يصدر عنه الفن وهي كذلك ما يتم عبرها تلقيه. حسب المعنى الأخير، تم بشكل عام إحلال taste ذوق و cultivation تهذيب اللتين كانتا قريبتين في المعنى في التشكيل الأصلي محل discrimination تمييز و criticism نقد. لكن مع كل اهتمام هذه المرحلة الذي ساد حتى 1960 تقريبا لم تزل التعبيرات الرئيسية بشكل طاغ هي تعميمات اجتماعية لمزايا شخصية أو، كما أصبح واضحاً باضطراد، استحواذ شخصي لمزايا اجتماعية. أثبتت sensibility كتعبير يبدو حيادياً في النقاش حول مصادر الفن، دونما الظلال الكثيفة لذهن mind أو حصر المعنى في كل من thought وfeeling، أكثر صموداً منها كتعبير لمناشدة استجابة معينة أو إقرارها. لكن كما في بروزها في ق 18، اعتمد تجريد وتعميم ميزة شخصية فعالة، كما لو كانت حقيقية أو عملية اجتماعية واضحة، على إجماع لتقييمات معينة، وبتحطم هذه التقييمات أو رفضها بدت sensibility وكأنها تأثرت بها أبلغ التأثير مما جعلها متعذرة الاستعمال. توارت الكلمة من النقاش الفعال، لكن هام أنه في نطاق معانيها الفعلي (وهذا هو لب الموضوع) لم يتم العثور على بديل مرض.

أنظر: AESTHETIC جمالي، ART فن، CRITICISM نقد، CULTURE ثقافة، EXPERIENCE خبرة، RATIONAL عقلاني، SUBJECTIVE ذاتي، TASTE ذوق

جنس SEX

لكلمة sex في أحد معانيها المعاصرة السائدة - في الواقع أحيانا المعنى المتداول يومياً - تاريخ مشوق لأنها هنا تدل بشكل رئيسي على «علاقات» جسدية بين الجنسين «the sexes»، بينما في معانيها السابقة كانت تدل على الفصل بينهما. دخلت الإنجليزية من ق 14، (س م) secus وsexus، لاتينية: القسم section المذكر أو المؤنث من البشر. هكذا نجد «الجنس المذكر maal والمؤنث femaal» (1382). لكن لم تكن مستعملة بشكل واسع قبل ق 16. بالطبع حسب هذا المعنى استعملت بانتظام منذ ذلك الحين.

كانت هناك فيما بعد مجموعة تطورات معقدة بخلاف هذا المعنى العام. هكذا نجد حصراً معيناً للكلمة على النساء كما في «الجنس اللطيف the gentle sex» و«الجنس الضعيف» و«الجنس الجميل» (وسط ق 17)؛ إضافة إلى ذلك من ق16 استعملت «the sex» بمفردها غالبا للدلالة على النساء. يمكن العثور على أمثلة من ذلك حتى ق19 وربما بعد ذلك. كان هناك أيضاً استعمال «الجنس الثاني» من أوائل ق19. سجلت sexual جنسي من وسط ق 17 بالمعنى الجسدي الوصفي وكذلك استعملت sexless بنفس الدلالة الوصفية من أواخر ق 17.

ليس من السهل تتبع التحولات اللاحقة في مجال الحديث والكتابة الخاضع بشكل واضح للرقابة والرقابة الذاتية والحرج . هكذا يمكن قراءة قصيدة The Primrose للشاعر «دون» بمعنى يبدو معاصراً:

لو قدر لها أن تكون أكثر من امرأة، فإنها ستعلو
فوق كل فكر للجنس sexe، وستسعى لتحريك
قلبي لتأملها وليس لهيامها.

لكن بناءً على معظم الأدلة فإن المعنى الحديث ليس هو المقصود هنا. بالطبع معنى الاختلاف ثم معنى الحصر واسع الانتشار في أنواع كثيرة من الكتابة، لكن يبدو بعيد الاحتمال شيوع معنى sex كعلاقة أو نشاط جسدي قبل ق 19. في الواقع هذه هي حالة كلمة (كما هو الوضع بالنسبة لكلمات مشابهة للوصف الجنسي الجسدي) علمية أو دراسية استعيرت وعممت في فترة أصبح فيها أكثر تقبلاً الحديث أو الكتابة عن مواضيع كهذه

بشكل مكشوف. سبقت ذلك مجموعة من الكلمات الرسمية نسبياً، مثل «carnal knowledge معرفة جسدية» و«copulation جماع»، ومجموعة أخرى ضخمة من العبارات العامية التي نادراً ما سمح بها في الكتابة. (هناك مجموعة كبيرة لعبارات ذكورية، تتمحور في المقام الأول حول معنى الملكية مجسدة في «have» يملك/يحوز، وسجلت بوفرة من ق19 لكن في حالات كثيرة يمكن إرجاعها إلى ق16.) كانت sexual جنسي شائعة بمعناها الأكثر فعالية، ذلك المرتبط بالممارسات والعلاقات أكثر من مجرد خصال، في الكتابات الطبية من أواخر ق 18: سجلت «sexual intercourse اتصال جنسي» من 1799؛ «sexual passion هيام جنسي»، من 1821؛ «sexual purposes أغراض جنسية» من 1826؛ «sexual instinct غريزة جنسية» من 1861؛ «sexual impulse نزوة جنسية» من 1863. تبدو مألوفة جملة من المجلة الرياضية (1815): «نظراتها، انعطفاتها وكذلك طريقة حديثها كلها جنسية sexual». في نفس الوقت لم يزل المعنى السابق الدال على الخصال شائعاً: كان في مقدور Pater الكتابة عن sexlessness فقدان الرغبة الجنسية على أنه «نوع من العنة» (1873)، لكن بوضوح ليس هذا ما قصدته اليزابيث بينل Pennell في 1893 في «لا جنس sexlessness التحرير الجديد الزائف". في 1887 عنت sex-abolitionists مبطلي التفرقة الجنسية الذين يفضلون إزالة التمييزات الاجتماعية والقانونية ضد النساء (في الوقت الذي كانت فيه الكلمة discrimination نفسها تتحول من ملاحظة الفوارق إلى معنى معاملة غير عادلة، تحيز أو تمييز «ضد»، التي سجلت من أواخر ق 19). سجلت sex-privilege امتياز جنسي بهذا المعنى اللافت من أواخر ق 19 لكن سبقتها استعمالات فيها مفارقة أو نسبياً فيها تفضل لامتياز privilege كشيء خاص بالجنس «the sex» بالمعنى القديم القاصر على النساء. تبين feminism نسوية (أحياناً تكتب femininism) «خصال النساء» خلال معظم ق 19، لكن هناك إشارة إلى مجموعة نسوية «Feminist» في باريس في عام 1894 وإلى مبادئ النسوية «doctrines of Feminism» التي أصبحت حركة عامة في سنة 1895.

عندما نصادف الآن عبارات مثل «جنس sex وعنف في التلفزيون» يبدو معظم تاريخ sex السابق غريباً. تستعمل الكلمة بثقة واضحة على أنها تعني النشاط الجسدي أو التظاهر به. يبدو أن sex بهذا المعنى كانت في الاستعمال العامي بحلول أوائل ق20، غالباً عندئذ كبديل مهذب لعبارات عامية أخرى أقدم. هكذا نجد «gave him sex أعطته جنساً» و«having sex يمارس جنساً». يبدو أنها أصبحت شائعة بل حتى مبتذلة من عشرينات ق20 التي شهدت أيضا ظهور sexy جنسي/مثير للجنس في الصحافة البريطانية متبعة الصحافة

الأمريكية، وبروز sex appeal جاذبية جنسية التي سجلت فيها مسابقة أمريكية من منتصف ق20. من نفس هذه الفترة سجلت sex-life حياة جنسية و sex-repression كبت جنسي وكذلك متدني الرغبة الجنسية undersexed، رغم أن oversexed سجلت في زمن مبكر (1908).

تبعت sexuality جنسانية/نشاط جنسي نفس المسار من التطور. علمياً الكلمة وصفية من أواخر ق 18، وحتى وقت متأخر (1888) كان هناك هذا التمييز في دليل العلم الطبي: «للرجل جنس sex، للحيوانات المنوية الدقيقة جنسانية sexuality». مع ذلك بحلول 1983 هناك اقتباس مألوف: «chuckling sexualities نشاطات جنسية فيها ضحكات خافتة» «تحت تأثير الكحول غير المنتظم». ربما تكون الكلمة قد عادت منذ ذلك الحين إلى المعنى الأعم والمجرد (جنسانية) حيث أنه عند هذا المستوى هناك بدائل مهذبة كثيرة.

سجلت sexualogy كعلم للعلاقات الجنسية من 1885 لكن حلت محلها الأمريكية sexology في أوائل ق20. دخلت sexism تمييز جنسي وsexist مميز جنسياً كوصفين نقديين للمواقف والممارسات الجنسية المتحيزة ضد النساء الاستعمال العام من ستينات ق20، وكان ذلك أولاً في أمريكا. تتبع هذه الصيغة اللفظية racism عنصرية أكثر من اتباعها racialism (قارن RACIAL) الأسبق. تم لاحقاً توسيع التعبير في بعض الاتجاهات كنقد لكل أو معظم الخصائص (سيكولوجية وثقافية واجتماعية) التي تميز بين الجنسين the sexes. لهذا السبب، ولكن على الأرجح بدرجة أكبر بسبب ظلال المعاني التي تجمعت حول sex (قارن رفض وجهات نظر عن النساء أو تقديمهن كلعب جنس sex-objects)، بدأ بعض الكتاب استعمال الكلمة البديلة gender. يرجع أصلها إلى generare، لاتينية: ينجب، لكن اكتسبت مع الكلمتين المقاربتين genre نوع و genus«جنس» معنى محدداً، وفي حالة gender يكاد يكون معناها محصوراً تماماً في النحو. لكن استعمل التعبير أحياناً من قبل خارج نطاق النحو كما في قول جلادستون: «لم يكن عند أثينا شيء من الجنس sex إلا gender الجنوسة، لاشيء من المرأة إلا الشكل» (1878). هذا مثله مثل استعمالات أخرى كثيرة في هذا المجال من المفردات مدعاة لنقاش مستمر وهام جداً، ولهذا آثار فائقة على اللغة.

أنظر: **FAMILY أسرة، INDIVIDUAL فرد، LIBERATION تحرير، PRAIVATE خاص، SUBJECTIVE ذاتي**

اشتراكي SOCIALIST

ظهرت socialist كوصف فلسفي في أوائل ق 19. جذرها اللغوي هو المعنى المتطور لـ social اجتماعي. لكن يمكن فهم ذلك بطريقتين مختلفتين، مما كان له تأثير عميق على استعمال التعبير من قبل اتجاهين مختلفين جذرياً. بمعنى (1) كانت social مجرد تعبير وصفي لمجتمع society بمعنى الكلمة السائد لنظام من الحياة المشتركة؛ ما يسعى إليه social reformer المصلح الإجتماعي هو إصلاح هذا النظام. بمعنى (2) كانت social تعبيراً مؤكداً ومميزاً يتعارض بوضوح مع نظريات للمجتمع تتعلق بالفردى individual، لكن كذلك بشكل خاص بصفة الفردانية individualist. بالطبع كان هناك كثير من التفاعل والتداخل بين هذين المعنيين لكن يمكن ملاحظة أثرهما المتفاوت من البداية في تشكيل التعبير. كانت صيغة رائجة لمعنى (1) هي فعلياً استمرار لليبرارية LIBERALISM (ا م): إصلاح، بما في ذلك إصلاح شامل للنظام الاجتماعي بغرض تطوير ونشر وتأكيد القيم الليبرارية liberal الرئيسية: حرية سياسية، إزالة الامتيازات والظلم الرسمي، عدالة اجتماعية (يتم تصورها كإنصاف بين أفراد ومجموعات مختلفة). تحركت صيغة رائجة لمعنى (2) في اتجاه مختلف تماماً: اعتبر شكل فرداني individualist وتنافسي من أشكال المجتمع ـ بالتحديد الرأسمالية الصناعية ونظام العمل المأجور ـ عدوا لأشكال المجتمع «الاجتماعية» حقا: أي تلك التي اعتمدت على تعاون وتبادل فعلي لا يمكن بدورهما إنجازه ما دامت هناك ملكية خاصة private (فردية individual) لوسائل الإنتاج. لا يمكن تحقيق حرية فعلية ولا يمكن إنهاء التفاوتات الأساسية ولا يمكن توطيد العدالة الاجتماعية (التي تم تصورها الآن كنظام اجتماعي عادل بدلاً من مجرد إنصاف بين أفراد ومجموعات مختلفة يقوم به النظام الاجتماعي القائم) إلا إذا تم استبدال مجتمع يعتمد على الملكية الخاصة PRIVATE (ا م) بآخر ينشأ على السيطرة والملكية الاجتماعيين.

كان الجدل الناجم بين مجموعات واتجاهات كثيرة كلها تسمى نفسها socialist اشتراكية طويلاً ومعقداً ومريراً. كل اتجاه رئيسي وجد تعابير بديلة للآخر وغالباً ما تكون هذه ازدرائية. لكن حتى عام 1850 تقريباً كانت الكلمة من الجدة والعمومية بحيث تعذر استعمالها بشكل سائد. الاستعمال الأبكر الذي عثرت عليه في الإنجليزية كان لدى هازليت في كتابه «أشخاص تمنى المرء رؤيتهم» (1826)، الذي أعيد طبعه في Winterslow (1850) حيث يكتب مستعيداً حديثاً من 1809 تقريباً: «هؤلاء الإشتراكيون socialists المهيبون والدهاة توماس الأكويني ودنز سكوتس». تلى ذلك استعمال معاصر في المجلة

الإنجليزية المرتبطة بالناشط روبرت أوين: المجلة التعاونية، عدد نوفمبر 1827؛ أول استعمال سياسي في الفرنسية كان في 1833، وفي الإنجليزية في 1837 (أوين، عالم أخلاقي جديد، جـ3). (يبدو أنه لا صلة لاستعمال socialismo في الإيطالية في 1803 بالتطور اللاحق؛ كان معناها مختلفاً تماماً.) آخذين في الاعتبار الجو السياسي الملبد في فرنسا وفي إنجلترا في عشرينات وثلاثينات ق19 فإن التواريخ الدقيقة أقل أهمية من الوعي بهذه الفترة كحقبة مميزة. علاوة على ذلك، لم يكن بالإمكان عندئذ معرفة أي كلمة ستصبح حاسمة. كانت هذه فترة تشكيل ونقاش سياسي محموم وحاد، وحتى فترة متأخرة من أربعينات ق19 كانت تعابير أخرى تقف موقف الندية من socialist أو بالفعل كانت أكثر شيوعاً: co-operative تعاوني، mutualist تبادلي، associationist ترابطي، societarian جماعي، phalansterian كتائبي، agrarianist مؤيد لتوزيع عادل للأراضى وradical راديكالي. حتى وقت متأخر (1848) عرّف قاموس ويبستر الأمريكي socialism إشتراكية على أنها «تعبير جديد لـ agrarianism دعم توزيع عادل للأراضي والممتلكات» رغم أن socialism وsocialist كانا عندئذ تعبيرين شائعين في فرنسا وألمانيا وإلى حد أقل في إنجلترا. كان الفعلان الناشطان socialize يدرج/يؤهل اجتماعياً وsocialiser شائعين في الإنجليزية والفرنسية من 1830 تقريباً.

من 1840 بدأ يستعمل تعبير بديل هو شيوعي COMMUNIST (ا م) في فرنسا وبريطانيا. قد يتفاوت معنى هذه الكلمة حسب السياق القومي المستعملة فيه. كان لشيوعي communist في إنجلترا في أربعينات ق 19 ارتباطات دينية قوية وكان هذا لافتاً حيث أن اشتراكي socialist كما استعملها روبرت أوين ارتبطت بمعارضة الدين ولهذا السبب تم تجنبها في بعض الأحيان. كان تطور الكلمة في فرنسا مختلفاً عنه في بريطانيا لدرجة أن إنجلز في مقدمته Preface في 1888 لاحظ مستعيدا النظر في مانيفيستو الشيوعية الذي كان قد ألفه هو وماركس في 1848:

«لم يكن بإمكاننا تسميته مانيفيستو الاشتراكية Socialist. في 1847 كانت الإشتراكية Socialism حركة طبقة وسطى. كانت الإشتراكية محط احترام، على الأقل في القارة الأوربية؛ بينما كانت Communism على العكس من ذلك تماماً».

كان لشيوعية communist في الفرنسية والألمانية معنى حركة نضالية في نفس الوقت الذي كانت فيه محبذة في إنجلترا على إشتراكية socialistلارتباط الأخيرة بالإلحاد.

بدأ المعنى الحديث يستقر من ستينات ق19، وبالرغم من التمييزات والتهجيات

السابقة فإن socialist وsocialism برزتا على أنهما السائدتين. ما برز كذلك في هذه الفترة هو معنى (2) السائد الذي جعلته مألوفا مجموعة من الكلمات القريبة: تعاوني، تبادلي، ارتباطي والكلمة الجديدة (من خمسينات ق 19) COLLECTIVIST تجمعي. بالرغم من أنه لم يزل هناك جدل داخلي كبير ومعقد أصبح socialist وsocialism تعبيران عامان مقبولان منذ هذه الفترة. رغم التمييز الذي حصل للكلمة في أربعينات ق 19 فإن communist استعملت استعمالاً محدوداً، وتبنت الأحزاب في التراث الماركسي بعض الصيغ المختلفة لـ social وsocialist في مسمياتها: عادة Social Democratic ديمقراطي اجتماعي التي عنت التزاماً بالاشتراكية socialism. حتى في الجدل الداخلي المرير والمتكرر في فترة 1880 ـ 1914 تم التمسك بهذه الأسماء. في هذه الفترة، في الغالب استعملت COMMUNISM (ا م) إما كوصف لصيغة مبكرة للمجتمع ـ primitive communism شيوعية بدائية - وإما كوصف لشكل نهائي للمجتمع يمكن تحقيقه بعد المرور بمرحلة الإشتراكية. مع ذلك، في هذه الفترة أيضاً أحيت بقوة حركات تصف نفسها بأنها socialist اشتراكية مثل الفابيون الإنجليز English Fabians جانباً من معنى (1) حيث اعتبرت socialism الاشتراكية ضرورية لإتمام الليبرالية liberalism، بدلاً من كونها نظرية معارضة وبديلة للمجتمع. بالنسبة لبرنارد شو وآخرين كانت socialism الاشتراكية هي «الجانب الاقتصادي للنموذج الديمقراطي» (مقالات فابية، 33)، وتحقيقها كان يتطلب إطالة محتومة للاتجاهات السابقة التي مثلتها الليبرالية. من اللافت أنه في معارضة وجهة النظر هذه وفي تأكيد مقاومة النظام الاقتصادي الرأسمالي لمثل هذا التطور «المحتوم»، استعمل وليام موريس الكلمة communism. تأثرت كذلك «النضالية» النسبية لشيوعي communist بمثال كومون باريس Paris Commune، لكن كان هناك نقاش هام عما إذا كان التعبير الصحيح المشتق هو شيوعى communist أو communard كوموني.

حدث التمييز الحاسم بين socialist اشتراكي و communist شيوعي، كما يستعمل هذان التعبيران عادة الآن، عند تغيير اسم حزب العمل الديمقراطي الاجتماعي الروسي Social-Democratic في 1918 إلى حزب كل روسيا الشيوعي Communist. منذ ذلك الحين أصبح شائعاً بشكل واسع التمييز بين اشتراكى socialist وشيوعى communist، غالباً بتفصيل مساند للكلمة الأولى، مثل ديمقراطي اجتماعي social democrat أو اشتراكي ديمقراطي democratic socialist رغم أنه مهم ملاحظة أن كل الأحزاب الشيوعية communist، تبعاً لاستعمال سابق، استمرت في تسمية نفسها socialist اشتراكية وتكريس نفسها للإشتراكية socialism. يستمر كل اتجاه في إنكار التسمية على معارضيه ومنافسيه،

لكن ما حدث فعلاً هو إعادة بروز المعاني المختلفة في الأصل للتعبير social ومن ثم socialist في تعابير جديدة. من يعتمد معنى (2) لـ social يكون على حق في اعتبار أنواع أخرى من socialist اشتراكية مرحلة جديدة من liberalism ليبرالية (وبالتالي يسمونهم باحتقار في الغالب ليبراليين liberals)، بينما من يعتمد معنى (1) ويلاحظ علاقة طبيعية بين قيم ليبرالية و socialism تكون لديهم دوافع لمعارضة socialists الاشتراكيين الذين هم في رأيهم أعداء التراث الليبرالي (حيث تكمن الصعوبة دائماً في التفسيريين البديلين لليبرالية: (أ) حرية سياسية مدركة على أنها حق فردي individual وتجد التعبير عنها اجتماعياً في أحزاب سياسية متنافسة؛ (ب) فردانية individualism مدركة على أنها قيم وممارسات تنافسية وعدائية للرأسمالية تقوم الحقوق الفردية individual والمنافسة السياسية فقط بالتمهيد والتهيئة لها).

تقدم تعابير أخرى مقاربة تعقيدات إضافية. هناك التطور الهام في وسط ق 18 لفوضى ANARCHY (ا م) ومشتقاتها. استعملت anarchy فتنة في الإنجليزية من ق 16 بمعنى عريض: «هذه الحرية أو الرخصة غير الشرعية تسمى Anarchie» (1539). لكن هذا المعنى السياسي المحدد الذي يفسر غالباً كمعارضة لحاكم فرد ـ « Anarchism أناركية ... كون الشعب دونما أمير أو حاكم» (1656) (حيث المعنى قريب من معنى ديمقراطية democracy المبكر) ـ كان بوجه عام أقل ذيوعاً من المعنى العام: اضطراب وفوضى. مع ذلك عرّف بنثام في 1791 الأناركيّ anarchist بأنه من «ينكر شرعية القانون ... ويحرّض كافة الناس على النهوض كفرد واحد، ويعارض تطبيقه»، وهذا هو أيضاً معنى مقارب للديمقراطية المبكرة. ما كان فعلاً جديداً من وسط ق 19 هو التبني الإيجابي للمصطلح من قبل بعض المجموعات كتعبير عن موقفها السياسي؛ معظم التسميات الأولى كانت من معارضيها. بحلول أواخر ق19 مثلث anarchism وanarchist استمراراً محدداً لمعاني سابقة لكل من democracy ديمقراطية و democrat ديمقراطي، لكن في نفس الوقت اكتسبت كل من ديمقراطية، وبدرجة أقل socialism اشتراكية، معاني إيجابية وعامة جديدة. عارض الأناركيون الفوضويون الاتجاهات الجامدة static لمعظم الحركة الاشتراكية، لكنهم أصروا على التبادلية mutuality والتعاون cooperation كمبدأين للتنظيم الذاتي للمجتمع. عارضت بعض المجموعات الفوضوية anarchist حكومات وحكم الاستبداد بوسائل قتالية militant وعنيفة VIOLENT (ا م)، لكن هذا لم يكن نتيجة ضرورية أو عامة للمبادئ الأناركية، وكان هناك على أية حال تشابك معقد بين مثل هذه السياسات وتعريفات اشتراكية socialist لثورة REVOLUTION (ا م). لكن تم بيسر نسبي الصاق معاني

الفوضى والاضطراب المتبقية (كثيراً ما كان في ذلك ظلم واضح) بالأناركيين: كانت معاني lawlessness المتنوعة ـ من عمل إجرامي مؤثر إلى معارضة قوانين وضعها آخرون - حاسمة في هذا السياق. كانت militant قتالي/نضالي في الوقت نفسه تمر بتطور مقارب: كانت معانيها المبكرة في الإنجليزية أوضح ضمن مفهوم نشاط مكرس أكثر من معنى جذر الكلمة military عسكري، وكان استعمالها السائد حتى أواخر ق 19 في الدين: مناضل كنسي church militant (من أواخر ق 15)؛ «مادمنا في هذه الدنيا فإن حالتنا نضالية militant» (ولكنز، دين طبيعي، 1672)؛ «الكنيسة دائما نضالية militant» (نيومان، 1873). تم تحويل الكلمة بشكل فعال من نشاط ديني إلى اجتماعي خلال ق 19: «نضالي militant في محاولة التفكير تفكيرا صائبا» (كوليردج، صديق، 1809)؛ «حالة عادية من النضال militancy ضد الظلم الاجتماعي» (فرود، 1856). حدث التطور الإضافي من نضال سياسي إلى صناعي في ق20 وتم نسيان معظم تاريخ الكلمة السابق سوى في حالات نادرة. كان هناك أيضاً ارتباط ملحوظ - كما هو الحال مع anarchism ـ بمعاني اضطراب وعنف. دخلت solidarity تضامن، بمعناها كاتحاد في النشاط الصناعي أو السياسي، الإنجليزية في وسط ق 19، من (س م) solidarité، فرنسية، أواخر ق 18. ظهرت EXPLOITATION استثمار/استغلال في الانجليزية في وسط ق19، في الأساس بمعنى عمل مربح لمساحة أرض أو لمادة، ومن وسط ق 19 بمعنى استخدام أشخاص آخرين لتحقيق ربح (أناني)؛ اعتمدت في كلا المعنيين على (س م) exploitation، فرنسية، أواخر ق 18.

سكَّ تيرجنيف nihilist عدمي في روايته «آباء وأبناء» (1862). اختلاطها بأناركي anarchist واسع الانتشار. بدأت populist شعبوى في أمريكا منPeople's Party حزب الشعب في أوائل تسعينات ق 19؛ انتشرت بسرعة وتستعمل الآن في الغالب - في تمييز لها عن socialist ـ للدلالة على الاعتماد على عواطف ومصالح شعبية بدلاً من حركات ونظريات معينة (مبدئية principled). ظهرت syndicalist نقابي في الفرنسية في 1904 وفي الإنجليزية في 1907؛ مرت عبر ائتلافات مع anarchism (في تركيزها على التبادلية) ومع socialism.

عرف التعبير الأكثر شيوعا اليسار «the Left» من ق19 من مصادفة ترتيب الجلوس في البرلمان، لكن لم تكن شائعة كوصف عام قبل ق20 ولا يبدو أن leftist يساري و leftism يسارية استعملتا في الإنجليزية قبل عشرينات ق20. تنتمي الصفة الازدرائية lefty «يسارى»، التي كان لها بعض الانتشار من ثلاثينات ق20، بشكل رئيسي إلى خمسينات ق20 وما بعد ذلك.

أنظر: ANARCHISM **فوضوية**، CAPITALISM **رأسمالية**، COMMUNISM **شيوعية**، DEMOCRACY **ديمقراطية**، INDIVIDUAL **فرد**، LIBERAL **ليبرالي**، SOCIETY **مجتمع**

مجتمع SOCIETY

كلمة society الآن واضحة في معنيين رئيسين: كونها التعبير الأعم لمجموعات المؤسسات والعلاقات التي يعيش ضمنها عدد كبير من الناس؛ كونها التعبير الأكثر تجريداً للحالة التي تتشكل فيها مثل هذه المؤسسات والعلاقات. يكمن الاهتمام بالكلمة جزئياً في العلاقة الصعبة بين المعنيين السابقين: التعميم والتجريد. بشكل رئيسي يكمن الاهتمام في التطور التاريخي الذي يتيح لنا قول «مؤسسات وعلاقات»، وأفضل وسيلة لإدراك ذلك هو عندما نتذكر أن معنى society الرئيسي كان عشرة أو رفقة.

دخلت society الإنجليزية في ق 14 من (س م) société، فرنسية قديمة، societas، لاتينية، (س ب) socius، لاتينية: رفيق. شملت معانيها حتى وسط ق 16 «ترابط حقيقي بين الزملاء» كما في ثورة الفلاحين في عام 1381، ومعنى علاقة عامة - «يحتاج أحدهم إلى مساعدة الآخرين، ومن ثم تنشأ المحبة والألفة societie. . . بين كل الناس» (1581) - ومعنى أبسط يدل على العشرة أو الصحبة: «صحبتك your society» (أواخر ق16). يبين مثال من 1563 - «ألفة أو عشرة society بيننا وبين المسيح» - كيف أن هذه المعاني المتميزة يمكن ببساطة أن تتداخل في الواقع. هكذا يبدو أن الاتجاه نحو المعنى العام أو المجرد كامن في الكلمة، لكن حتى أواخر ق 18 كانت المعاني الأخرى المباشرة والفعلية هي الشائعة. يمكن ملاحظة تلك المعاني في مثالين مقتبسين من شكسبير. في «عربدتي السابقة، في علاقاتي societies الطائشة» (زوجات وندزور المرحات، فصل 3، مشهد 4) كانت society معادلة تقريبا لعلاقة أو لأحد معاني كلمة associations روابط، بينما في «سيندمج شخصنا في Society المجتمع «(ماكبيث، فصل 3، مشهد 4) المعنى ببساطة هو مجموعة من الضيوف مجتمعة. يمكن إيضاح معنى الارتباط المقصود لغرض معين (هنا لتمييز اجتماعي) بمثال «مجتمع societe القديس جورج» (أخوية الرباط، ق 15) وعلى نطاق واسع جداً استمر استعمال الكلمة بهذا المعنى.

يمكن ملاحظة تعزيز المعنى العام من وسط ق16. كان ذلك متوسط الوضوح في «الأرض غير محروثة، المجتمع societie مهمل» (1533) لكنه واضح رغم أنه ليس مستقلا في «يسمى الكومنولث common wealth مجتمعاً society أو جهدا مشتركا لحشد من الرجال الأحرار» (1577). كان واضحاً ومستقلا في «المجتمع societie هو تضافر وتوافق

كثيرين لخلق وحدة» (1599)، وفي ق 17 بدأت استعمالات الكلمة بهذا المعنى تتكاثر وبدلالة أرسخ: «تبجيل واجب ... نحو المجتمع Society الذي نعيش فيه» (1650). لكن مازالت آثار المعاني المبكرة واضحة في «قوانين المجتمع والسلوك Conversation المهذب» (شارلز الأول، 1642؛ هنا تحمل conversation معناها الأسبق كأسلوب معيشة قبل إضافة معنى «حديث» المألوف (من ق 16)؛ كان التطور يجري بالنسبة لهذه الكلمة كما فعل بالنسبة لـ society لكن هنا جرى تخصيص الكلمة في النهاية في الاتجاه المعاكس). كذلك تعزز المعنى المجرد: «صالح المجتمع البشري Human Society» (كدورث، 1678؛ أنظر HUMAN) و«لمصلحة المجتمع society» (1749). من ناحية أصبح التجريد أكثر اكتمالاً بتطور مفهوم «مجتمع a society» بالمعنى العريض. اعتمد هذا على معنى جديد لنسبية relativism (قارن CULTURE) لكن في تحول «a society» من مفهوم قوانين عامة للارتباط association أو الزمالة fellowship إلى مفهوم قوانين محددة تشكل مجتمعاً محدداً تمهيد للمفهوم الحديث الذي لا تكون فيه قوانين المجتمع لغرض الانسجام مع آخرين بقدر ماتكون قوانيناً أكثر تجريداً ولا شخصية وتقوم بتحديد المؤسسات الاجتماعية.

كان التحول معقداً جداً، لكن الطريقة المثلى الآن لملاحظة ذلك هو دراسة society بالمقارنة مع state دولة. طورت state، من معناها الأعم والمستمر لحالة (state of nature حالة الطبيعة، state of siege حالة حصار، من ق13) معنى متخصصاً كان معادلا تقريبا لـ estate طبقة/ منزلة (كل من state وestate من س م estat ،فرنسية قديمة، status، لاتينية: حالة) وفعليا معادلا لـ rank مرتبة: «مرتبة نبيلة» noble stat (1290). ارتبطت الكلمة ارتباطا وثيقا بالملكية والنبالة، أي بتنظيم تراتبي للمجتمع: قارن «مرتبة state الكهنة ومرتبة الفرسان والثالثة طبقة staat العامة» (1300). كانت States أو Estates طبقات تعريفا مؤسساتيا للسلطة من ق14، بينما كانت state كـ «منزلة» الملك عامة في ق16 وأوائل ق17: «state and honour منزلة وشرف (1544)؛ «يتناسب مع منزلة state رفيعة» (1616)؛ «للملك ... ذروتك ومنزلتك State العظمى» (بيكون، 1605). من هذه المعاني مجتمعة طورت state معنى سياسياً مقصوداً: «حاكم الدولة(1538) state»؛ «دولة State البندقية» (1680). لكن لم تزل state في الغالب تستعمل على أنها الربط بين سلطة عليا ونوع معين من الرتبة. كانت statist اسماً شائعاً للسياسي في ق17، لكن عبر الصراعات السياسية في ذلك القرن تبلور الصراع الجوهري في النهاية بطريقة يميزها التعبيران society وstate: الأولى، اتحاد لأفراد أحرار مستندة على معاني فعالة سابقة؛

الأخيرة، تنظيم للسلطة يعتمد على معاني الهرمية والسلطان. كان مفهوم المجتمع المدني civil society (أنظر CIVILIZATION) فكرة بديلة للترتيب الاجتماعي social order، ومن خلال التفكير في المسائل العامة لهذا الترتيب الجديد ترسخت society بمعانيها الأعم وفي النهاية بمعانيها المجردة. عبر تغيرات سياسية كثيرة لاحقة استمر بوضوح هذا النوع من التمييز: المجتمع هو ما ننتمي إليه جميعنا، حتى لو كان الانتماء عاماً ولا شخصياً؛ الدولة state هي جهاز السلطة.

كان التحول الحاسم لـ society نحو معناها الأعم والأكثر تجريداً (مازال حسب التعريف مختلفاً عن state) هو تطور من ق 18. فحصت بعناية مؤلف هيوم " بحث في مبادئ الأخلاق» (1751) للعثور على استعمالات للكلمة معتبراً «صحبة رفاقة» على أنها معنى (1) و«نظام حياة مشتركة» كمعنى (2) فوجدت أن هناك 25 استعمالاً حسب المعنى الأول و110 استعمالاً حسب معنى (2)؛ لكنى وجدت أيضاً في بعض النقاط الهامة من النقاش، حيث يمكن أن يكون معنى society حاسماً، ستة عشر استعمالاً للكلمة بمعنى في جوهره متوسط. يوضح هيوم، بالمصادفة، التمييز الضروري لـ society في وقت بدأت تفقد فيه معناها الأكثر فعالية والمباشر؛ استعمل، كما نفعل، الكلمة البديلة company:

«كما أن الصدمات المتبادلة في المجتمع society وتعارض المصالح والإيثار أجبرت البشر على وضع قوانين للعدالة ... بنفس الطريقة التناقضات الأبدية، في العشرة company، في كبرياء الناس وغرورهم وضعت قواعد السلوك أو الأدب . ...» (بحث، جـ8) في الوقت نفسه استعمل في نفس الكتاب society بدل company بهذا المعنى المباشر بينما نحن نتحدث الآن، عندما نود لسبب من الأسباب إحياء المعنى القديم، عن علاقات « face-to-face وجها لوجه»؛ وفي العادة نضيف: ضمن جماعة COMMUNITY (ا م).

بحلول أواخر ق 18 كانت society كنظام للحياة المشتركة سائدة: «كل مجتمع society يستفيد من أعضائه المعوزين أكثر مما يستفيد من أثريائه»(1770)؛ «نظامان أو برنامجان مختلفان للأخلاق» يسودان في نفس الوقت في «كل مجتمع كان فيه في وقت سابق تمييز حسب المرتبة rank» (آدم سميث، ثروة الأمم، جـ 2، 1776). كان التطور اللاحق للمعنيين العام والمجرد مباشراً.

يمكن ملاحظة تطور مقارب في social التي كانت تعني في ق 17 إما associated معاشر وإما sociable اجتماعي النزعة، رغم أنها استعملت كذلك كمرادف لـ «civil» مدني/ أهلي، كما في «social war» حرب اجتماعية (أي أهلية). بحلول أواخر ق 18 كان المعنى

بشكل رئيسي عاماً ومجرداً: «الإنسان مخلوق اجتماعي social؛ أي لا يستطيع إنسان مفرد أو أسرة البقاء أو البقاء بشكل حسن بعيداً عن المجتمع Society ككل». (مع ذلك يجب ملاحظة أن Society هنا، كما تبينه إضافة «كل» لا تزال مباشرة بدلاً من مجردة.) بحلول ق19 يمكن اعتبار society بوضوح كاف موضوعاً يسمح بتشكيل صيغ مثل «social reformer مصلح اجتماعي» (رغم أن social استعملت أيضاً ولا تزال لوصف الصحبة الشخصية؛ قارن social life حياة اجتماعية و social evening سهرة اجتماعية). في الوقت نفسه، باعتبار المجتمع كموضوع أو كشيء (المجموع الموضوعي لعلاقاتنا) فإنه كان ممكناً تحديد العلاقة بين «الإنسان والمجتمع «society» أو «الفرد والمجتمع» كإشكالية. تدل هذه الصيغ على البعد عن المعنى السابق كزمالة فعلية. كانت المشاكل التي تبرزها هذه الصيغ، في التطور الفعلي للمجتمع، واضحة بشكل ملحوظ في استعمال الكلمة social في أوائل ق19 لمعارضة فكرة society مجتمع كتعاون متبادل مع تجربة مجتمع (النظام الاجتماعي the social system) كتنافس فردي. لم يكن بالإمكان وجود هذين التعريفين البديلين لمجتمع لو لم يكن المعنى الأعم والمجرد قد رسخ بحلول هذه الفترة. من توكيد social اجتماعي هذا بالمعنى الإيجابي بدلاً من الحيادي، وفي تمييز لها عن فردي INDIVIDUAL (ا م)، تطور التعبير السياسي اشتراكي SOCIALIST (ا م). استعملت صفة بديلة societal مجتمعي في الإثنولوجيا من أوائل ق20 ولها الآن دلالة أوسع وأكثر حيادية للتشكيلات والمؤسسات الاجتماعية.

يتطلب استعمال محدود متخصص لـ society ملاحظة إن لم يكن تعليقاً. انحصر معنى سابق لـ good society دل على صحبة جيدة حسب عرف تلك الصحبة على Society مجتمع بصفته الجزء الأكثر تميزاً وأناقة من society بقية المجتمع: الطبقة العليا upper CLASS (ا م). يقدم بايرون (في دون جوان، جـ 13) مثالا جيدا لهذا المعنى المتبقي والذي يرتبط بشكل رئيسي بالقرن19:

المجتمع الآن حشد مصقول

مكون من قبيلتين عظيمتين: المضجرين والضجرين Bores and Boring

من المفارقة أن هذا التعبير الخاص هو المعنى الأخير الواضح لـ society كصحبة فعلية لزملاء من نفس الطبقة. في مجالات أخرى، تحركت مشاعر من هذا القبيل، لأسباب تاريخية واضحة، إلى جماعة COMMUNITY (ا م) وإلى المعاني التي لا تزال مباشرة لـ social.

أنظر: CLASS طبقة، COMMUNITY مجتمع، INDIVIDUAL فرد، SOCIALIST اشتراكي، SOCIOLOGY علم اجتماع

علم اجتماع/سوسيولوجيا SOCIOLOGY

كان أول من استعمل sociology هو Comte كونت في عام 1830 وظهرت في الإنجليزية أول مرة في 1843: مِلْ في كتابه «المنطق»، ج 6 ومجلة بلاكوود (في مقال عن كونت). كتب سبنسر مبادئ السوسيولوجيا في ثلاثة أجزاء بين 1876 و1896. من أعمال دوركهايم بالفرنسية وفيبر بالألمانية عند منقلب القرن توسع الموضوع بشكل ملحوظ. استند التعبير على معاني متطورة لمجتمع SOCIETY (ام) و social اجتماعي. عرّف التعبير ضمن عدة نظم معرفة كعلم SCIENCE (ا م) المجتمع. تحمل sociological معنيين: إشارة إلى أشكال هذا العلم وإشارة أعم (تحل فيها غالباً محل social) إلى اتجاه أو حقيقة اجتماعية (قارن sociological factors عوامل سسيولوجية؛ قارن أيضاً تكنولوجي technological حيث وقع تحول مشابه من الصيغة المجردة). اكتسبت sociologist، التي استعملت في البداية بشكل عام لدارس المجتمع، معنى مهنياً محدداً حين أصبحت سوسيولوجيا مقرراً في الدراسة الجامعية؛ لا تزال تستعمل مع ذلك بطريقة عامة في نفس مجال الاستعمال العام لسوسيولوجي sociological. نتيجة لافتة لهذا التداخل للدلالات المهنية والعامة هي أن sociology نفسها تستعمل في الغالب للإشارة إلى أي اهتمام عام في الممارسات الاجتماعية وذلك في تعارض غالبا مع أنواع أخرى من الاهتمام تزعم أن في وسعها عزل أو استبعاد «the social» الجانب الاجتماعي. في الوقت نفسه غالباً ما تصر السوسيولوجيا sociology المهنية، خاصة في الدول التي تكون فيها ضعيفة، على ابتعادها عن النظرية الاجتماعية social theory أو النقد الاجتماعي social criticism وتعيد تسمية نفسها علم المجتمع science of society حسب المعاني المحددة والخاصة للاستقصاء والقياس الكمي الإمبيريقي. ضمن تراث أعم في السوسيولوجيا sociology لا يزال هناك تركيز على أساليب أخرى من الاستقصاء.

أنظر: ANTHROPOLOGY أنثروبولوجيا، SCIENCE علم، SOCIETY مجتمع

معاييــر STANDARDS

في المفرد standard كلمة معقدة لكنها ليست بالغة الصعوبة. ينطلق هذا القول أيضاً على جمعها العادي. لكن standards حالة من نوع استثنائي من الجمع - ما يمكن تسميته

مفرد جمع ـ حيث تحمل صيغة الجمع دلالة مفردة؛ مثالان آخران مشابهان هما: morals أخلاق و values قيم.

إيتمولوجياً الكلمة standard معقد. تطورها الرئيسي تمثل في إسقاط حرف العلة الأول من الكلمة (س م) estaundart، نورمندية ـ إنجليزية، estendart، فرنسية قديمة، من (س ب) extendere، لاتينية: يمد، يبسط التي أدت بطريقة أكثر مباشرة إلى extend يمد و extension توسيع. حملت صيغتاها الانتقاليتان ـ standardum وstandardus ـ هذا المعنى لأصل الكلمة في اسم العلم الإنجليزي (كما لا يزال في Royal Standard الراية الملكية) الممتد من سارية (من ق 12). لكن اكتسبت من ق13 معنى مختلفاً لشيء مستقيم أو منتصب، وربما كان ذلك من الارتباط بعرض الأعلام لكن الأرجح هو تشويش الكلمة بالاسم من الفعل stand يقف: stander التي تؤسس لعدة استعمالات حديثة بمعنى مادي مختلف: standard lamp مصباح على حامل و standard rose وردة قائمة دونما سند. تطور المعنى الحديث الأكثر مدعاة للاهتمام في مجال يشمل «مصدر سلطة» و«مستوى الإنجاز» في ق15 وكان ذلك على الأرجح من ارتباط بالراية الملكية كعلامة على مركز السلطة. استعملت standard بشكل واسع في مجال الأوزان والمقاييس: the standard foot القدم المعياري. لكن كذلك توسعت لتشمل مواضيع أخرى بالمعنى العام لنموذج موثوق للدقة والصواب. هكذا في ق 15 كانت هناك إشارة إلى standard book كتاب معتمد في الخيمياء. في أوائل ق 18 كتب شافتسبري بطريقة مؤثرة عن الحاجة إلى standard معيار للذوق TASTE (ا م) مجادلاً بأن «هناك فعلا معيار قائم ... في العادات والسلوك الخارجي» (تأملات متنوعة، ج 3).

استمرت كل هذه المعاني لكن في ق 19 حصلت بعض التطورات الهامة. في وسط ق 19 كانت هناك حالة لافتة: Standard English الإنجليزية الفصحى: اعتمد استعمال (أساسه طبقي) مختار للغة على أنه النموذج الموثوق للدقة والصواب واستخدم، مدعوما بشكل كبير من قبل المؤسسات التعليمية، لإدانة معظم الناطقين الأصليين للإنجليزية بأنهم يتحدثون لغتهم «بطريقة خاطئة». كان هناك فرض، في التعليم أيضاً، لمستويات معينة من الجدارة ـ standards معايير ـ في القراءة والكتابة والحساب؛ في إحدى الفترات كانت هذه عوامل في تقدير رواتب المدرسين. سميت الفصول الدراسية التي تهدف إلى الوصول إلى هذه المستويات من الكفاءة في التعليم الابتدائي Standards (فصل 2 إلى 6). تم الإصرار على الكلمة كتعبير للتقويم والتصنيف وارتبطت بشكل عام بمفهوم التقدم المتدرج

ضمن تراتب هرمي (قارن العبارة المعاصرة the educational ladder السلم التعليمي، التي وضعها على الأرجح ت. هكسلي واستخدمت في مدارس الهيئة التي تشرف عليها Educational Board الهيئة التعليمية).

من هذه الفترة شاعت standards سواء كجمع عادي أو جمع مفرد. في مجالات كثيرة يمكن بدقة صياغة المعايير standards التي جمعت بهذه الطرق كما هو الحال في British Standards Institution معهد المعايير والمقاسات البريطانية. كذلك كان من الطبيعي أن يمتد هذا الاستعمال إلى أمور كانت دقة القياس فيها أقل لكن يمكن فيها حسب الطلب وضع نماذج ومواصفات لمستويات محددة من التحصيل أو الكفاءة. هذا هو الجمع العادي. أما الجمع المفرد فإنه مختلف تماما حيث الإشارة في الأساس إجماعية توافقية CONSENSUAL (ا م) («كلنا نعرف المعايير standards الفعلية») أو، بإبهام مقصود، إقناعية («كل من يهتم بالمعايير standards سيوافق»). في الغالب من المستحيل في هذه الاستعمالات معارضة بعض افتراضات standards معايير دون الظهور بمظهر المعارض لفكرة «النوعية» ذاتها؛ إن أعظم تأثير للجمع المفرد يقع في هذا المجال. قد تسهم بعض الحالات المقارنة في فهم ذلك. يمكن أن تعني عبارة «شخص دون أخلاق morals» إما شخصا دونما حس أخلاقي أو شخصا تتعارض أفكاره وأفعاله مع الأعراف المحلية السائدة. يمكن أن تعني «إهتمام بالقيم values» إما اهتماماً بتمييز القيم النسبية أو دعماً لتقديرات (إجماعية) معينة. لو نظرنا في عبارات شائعة مثل Western values قيم غربية أو University Standards معايير جامعية فإنه يمكننا ملاحظة التفاوت بوضوح. يمكن تحديد كل عبارة تحديداً إضافياً في بعض الاستعمالات. لكن حيث أن Western civilization حضارة غربية ليست مجرد تراث TRADITION (ام) وإنما هي عملية اجتماعية معقدة ومتنوعة تاريخياً، تشمل اختلافات ونزاعات جذرية بالإضافة إلى اتفاقات فكرية وعملية، وحيث أن الجامعات، التي لها في كل وقت معايير دقيقة معينة، تغير أيضاً هذه المعايير وتختلف حولها مع الأخذ في الاعتبار تفاوتها بين مجتمعات وفترات مختلفة، فإنه حالما يظهر، عن طريق طبيعة أي تحديد إضافي أو عن طريق نوع الاستجابة إلى طلب بخصوص هذا التحديد، عما إذا كانت values القيم و standards المعايير هي صيغ جمع حقيقية عادية تجمّع عدداً من المواقف والأحكام المحددة أو صيغ مفرد جمع يتم فيها تصوير جوهر الحضارة أو الجامعة على أنه تجميع معين لتقديرات valuations ومعايرات standardization محددة. من الهام جداً أن معنى standards معايير الشائع (إطرائي) يتعارض مع معنى standardization معايرة الشائع (إزدرائي). دخلت standardization

الاستعمال في أواخر ق 19 من العلوم science (قياس أو معايرة شروط التجربة) ومن ثم الصناعة (معايرة القطع parts). لم تكن الكلمة مثار جدل في هذه الاستعمالات لكنها عورضت بشدة في تطبيقها على أمور تخص العقل والخبرة ـ «لا يمكن معايرة standardize الناس»، «يجب ألا يعاير التدريس» ـ من قبل عدد من الناس من ضمنهم أولئك الذين يصرون على «المحافظة على standards المعايير». على الأرجح يعتمد هذا الاستعمال الغريب على استغلال مجموعة المعاني من Royal Standard راية ملكية (محترمة) إلى standard foot قدم معياري (مقبولة في موضعها لكنها هنا غير ملائمة). تستند قوة المفرد الجمع دائماً على كون الكلمة لا تكتشف كمفرد. إذا لم تكتشف فإنه يمكن استعمالها لتجاهل نقاش ضروري أو لاستحواذ عملية التقدير والتحديد ذاتها لأهداف معينة.

تتوجب ملاحظة إضافية عن العبارة standard of living مستوى المعيشة. هي الآن شائعة إلا أنها صعبة أحياناً. كانت صيغتها الأولى، من وسط ق19، standard of life مستوى الحياة وما زالت هذه غالباً ما تستعمل كبديل. مع ذلك، كما ندرك عندما نفكر بخصوص standard، يبدو أن التعبير يعني ضمنياً مستوى محدداً أو مستوى ضرورياً بدلاً من، كما هو الحال الآن في الاستعمال الشائع، وضع اجتماعي عام أو متوسط وضع اجتماعي. استعملت أولاً بالمعنى الصارم لمعيار: عنت standard of life المستوى الضروري من الدخل والأوضاع للبقاء على الحياة بطريقة مرضية. (بالطبع نشأ جدل حول ذلك، ويمكن أن يتفاوت هذا المستوى في مجموعات وأوقات وأماكن مختلفة، لكن كان للتعبير معنى دقيقاً عندما استعمل للمرة الأولى في حملة من أجل وضع حد أدنى للأجور: سيوضع standard معيار ويمكن الحكم على الأجر بالرجوع إليه.) كان هذا مستوى الحياة standard of life بمعنى محدد واستيعادى (مرجعي). لكن العبارة تطورت (بعد تعريفها، مثلاً، في قاموس أكسفورد) نحو معناها الشائع الآن: الدخل الفعلي والأوضاع الفعلية التي نعيشها الآن. في الوقت الذي فقدت فيه العبارة المرجعية القياسية لمعيار standard احتفظت بالرغم من ذلك بمفهوم القياس. كان هناك جدال عما إذا كان بالإمكان فعلاً قياس مستوى المعيشة أو الحياة، بينما في نفس الوقت استعملت إحصاءات الدخل والإستهلاك وسواها لتحديد ذلك. يمكن القول أن «معيار ماضي Standard Past» حل محله «معيار حاضر Standard Present». لكن هناك أيضاً استعمال يستند إلى معنى آخر لمعيار standard: ليس القياس المتفق عليه لكن، بطريقة مجازية، العلم (الراية): المعيار standard الذي نضعه لأنفسنا؛ معايير standards ملائمة للعناية بالصحة؛ مستوى standard ملائم للمعيشة. هذا معيار مستقبل Standard Future: المقاييس القديمة أو

التصنيفات القائمة ليست كافية وسنهدف إلى شئ أفضل. إنه استعمال مثير للإهتمام إلى حد كبير. بدلاً من الرجوع إلى مصدر للسلطة أو تبني وضع حالي قابل للقياس، يتم تصور ووضع معيار standard من أفكار حول أوضاع لم نحققها بعد لكن نعتقد أنه يتوجب تحقيقها. هناك تاريخ اجتماعي فعال في هذا التطور للعبارة.

أنظر: **DIALECTIC دياليكتيكي/جدلي، TASTE ذوق، WESTERN غربي**

منزلـة STATUS

أصبحت status كلمة هامة في ق 20. أستعيرت في الإنجليزية مباشرة من status، لاتينية: حالة/ وضع التي أدت مبكراً إلى stateحالة/ دولة و estate حالة/ منزلة. لا تزال تستعمل في الغالب في صيغ لاتينية مثل «status quo» الوضع الراهن. كانت للكلمة استعمالات قانونية من ق 18 لتحديد «حقوق، واجبات، قدرات أو عدم كفاءة» (1832) واستمرت بهذا المعنى (قارن marital status حالة زوجية). نشأ توسعها إلى معنى اجتماعي أعم من هذا النوع من الاستعمال: «الوضع (القانوني) status كشخص حر أو مستعبد» (1865)؛ «وضع status الزنوج القانوني» (1888)؛ «الوضع المدني civil status للممثلين» (1904). كان هناك بوضوح توسع في قول مِل: «وضع status العامل اليومي» (1848)، وربما كذلك في «وضع status مهني» (1883) حيث الإشارة الضمنية إلى وضع عام بدلاً من وضع قانوني.

أصبحت الكلمة صعبة بسبب استعمالها بمعنى عام جديد في قسم من السوسيولوجيا الحديثة حيث تقدم دائما كتعبير أدق وقابل للقياس وذلك تفضيلاً لها على CLASS طبقة. من المستحيل توضيح ذلك دونما الإشارة إلى المعاني الاجتماعية الرئيسية الثلاث لطبقة class group: مجموعة، rank مرتبة و formation تشكيل. بوضوح ليس لـ status استعمال واضح بمعنى مجموعة أو تشكيل، وأهمية الكلمة الفعلية كونها تعبير جديد ومجدِّد لـ «مرتبة rank» (متجاوزة ارتباطات ذلك التعبير الموروثة والرسمية). بالتالي يمكن أن تحل status محل class فقط بهذا المعنى من معانيها. في معظم الأحيان يعزى هذا الاستعمال إلى ماكس فيبر وبالذات إلى نقده لمفهوم ماركس لـ طبقة class. لكن في هذا خلطا. كانت كلمة فيبر stand التي كثيرا ما تترجم الآن كوضع status، لكن يمكن ترجمتها بطريقة أدق كمنزلة Estate وOrder ترتيب، مع إشارة إلى ـ وتأثر بـ ـ التعريفات القانونية لـ rank. يمكن توسيع هذا المعنى ليشمل مجموعة اجتماعية لها دوافع سوى العوامل الاقتصادية

البحتة لطبقة حسب مفهوم ماركس الرئيسي: دوافع مثل المثل والمعتقدات الاجتماعية الملائمة للمجموعة أو لحالة اجتماعية واضحة المعالم. في سوسيولوجيا أحدث حمل هذه الملاحظة الاجتماعية المهمة المعنى المجرد لتنظيم متسلسل عام: «وضع اجتماعي social status . . . الموقع الذي يحتله شخص أو أسرة أو مجموعة قرابية داخل نظام اجتماعي وذلك بالنسبة إلى آخرين ... للوضع الاجتماعي social status تصنيف هرمي يحتل فيه قلة المواقع العليا ..." (قاموس السوسيولوجيا؛ ميتشل، 1968). أضيف تطوير تقني استثنائي إلى التصور المفصل لهذا النموذج التنافسي والهرمي للمجتمع. الوضع status «دائم التغير» لكن له «تجمعات» قابلة للملاحظة؛ هذه هي ميزات الكلمة كتعبير للقياس مقارنة بـ class أو rank وهى تحتفظ كذلك بمعناها الإضافي كمجموعة group أو تشكيل formation محدد. هذه هي أيضا عيوبها حيث أن التعبير يرث (من إرتباطاته التقليدية) عناصر من الاحترام واحترام الذات التي لابد وأن تشوش العملية الموضوعية ظاهرياً لتحديد الوضع ـ status determination. في الوقت الذي يكون لمرتبة rank ألقابا وأوشحة فإن لوضع status رموزا symbols. لكن المهم في دلالته هو أن هذه الرموز لا تعرض فحسب ولكنها تكتسب: عندئذ تختلط العلامات الموضوعية أو شبه الموضوعية مع الامارات الذاتية أو تلك التي هي مجرد مظهرية. بشكل خاص، من الأهمية بمكان أن كلمة status تقترب بهذا المعنى المحدد ولكن الشائع الآن من class وإن بمعنى مختزل بطريقة متعمدة (rank مرتبة). لهذا ميزة مزدوجة في الظهور بإلغاء class بمعنى تشكيل أو حتى مجموعة عريضة وفي إعطاء نموذج للمجتمع ليس فقط هرمياً وفردي التنافس ولكن محددا جوهرياً بناءً على الاستهلاك وعلى عرض أو إظهار display (أنظر CONSUMER). هكذا اعتمد «ميزان مستمر continuous scale للوضع الاجتماعي» على «أسلوب الحياة كما يتمثل في غرفة المعيشة الرئيسية للمنزل». هذا بالتأكيد موضع اهتمام لكنه اختزل society مجتمع إلى هذه السلسلة من الوحدات موضحة حسب الممتلكات الخاصة. بينما تصنف الوحدات إلى مجموعات حسب الوضع status-group أو حتى status-system نظام وضع، فإن أسلوب «الحياة» الذي يجري قياسه هو الحياة كما عرفها «استطلاع السوق» سواء كسلع وخدمات أو كـ «رأي عام». ما كان في الماضي تعبيراً للوضع القانوني أو الوضع العام (والذي كان في صيغته الأسبق في estate منزلة يدل على تشكيلات اجتماعية فعالة) هو إذا في استعماله الحديث المألوف تعبير إجرائي لاختزال كل المسائل الاجتماعية إلى مصطلحات مجتمع استهلاكي متغير.

أنظر: **CLASS طبقة، CONSUMER مستهلك، SOCIETY مجتمع**

بنائـي STRUCTURAL

كلمة structure هي (مع الكلمات المرتبطة بها) كلمة أساسية في الفكر الحديث وهي معقدة بشكل خاص في كثير من تطوراتها الحديثة. ترجع إلى (س م) structure، فرنسية، structura، لاتينية، (س ب)، struere، لاتينية: يبني، يشيد. في استعمالاتها الأولى، من ق 15، كانت structure بشكل رئيسي اسم عملية: فعل البناء. في معناها تطورت الكلمة، بشكل ملحوظ في ق 17، في اتجاهين رئيسيين: (1) نحو الناتج الكامل للتشييد، كما لا يزال في «a wooden structure بناء خشبي»؛ (2) ونحو طريقة البناء ليس فقط في المباني ولكن كذلك في استعمالات أوسع ومجازية. ترجع معظم التطورات الحديثة إلى (2)، لكن لا يزال يوجد التباس في العلاقة بين هذه التطورات وما هي في الواقع معاني مجازية متطورة لمعنى (1).

إن المعنى الذي أصبح مهما كجزء من (2) هو كون «العلاقة المتبادلة للعناصر أو الأجزاء المكونة لـ (الوحدة الكاملة whole) تحدد طبيعتها». بوضوح هذا توسع لمعنى طريقة بناء، لكن من المميز أن الكلمة تحمل معنى واضحاً لبنية داخلية internal structure حتى في الوقت الذي لا تزال فيه structure مهمة لوصف البناء ككل. كانت استعمالات الكلمة الأولى المتخصصة في التشريح ـ «structure بنية اليد» (أوائل ق17) وظلت مهمة في التطور العام للبيولوجيا، غالباً في تمييز لها عن وظيفة function (من س م functionem، لاتينية، س ب fungi: يؤدي) حيث يمكن تفريق ملاحظة الأداء functioning (الصحيح) لعضو عن ملاحظة بنية structure الكائن الحي. مع ذلك لم يزل هناك في تطورات ق 18 نطاق معاني مفهوم يمتد من البناء الكامل إلى التكوين الداخلي. لم يقتصر استعمال structure على الأجساد بل شمل التماثيل. كذلك استعملت لوصف المعالم الرئيسية لمنطقة. في الاستعمالات البيولوجية عادة ما يكون معنى (2) واضحا: «بنية وتكوين داخلي» (1774). لكن عندما نصادف مثلاً، من 1757، «البنية structure الخاصة للعقل والإحساس عند كل شخص"، فإنه ليس واضحاً أبداً إذا ما كان هذا يدل بشكل رئيسي على علاقات داخلية أو النتيجة الكاملة لعملية (البناء و) التطوير. كان هناك التباس مشابه في استعمالاتها في الكتابة: «بنية structure بيت الشعر عنده» (1746) و«بنية ... الجمل» (1749): كلاهما يحمل معنى عملية البناء لكن العبارة الأولى تشير على الأرجح بشكل رئيسي إلى النتيجة الكاملة بينما تشير الأخرى بشكل رئيسي إلى علاقات داخلية. في الجيولوجيا هناك، من 1813، مثال لا لبس فيه بمعنى تحليلي هو في طور التعزيز: «بنية structure الأجزاء الداخلية».

ظهرت structural بنائي في وسط ق 19. في استعمالاتها الأولى كررت نطاق معاني structure لكن كان هناك تأكيد متزايد على البناء الداخلي كمكوّن. استعملت بطريقة عامة جداً لأمور البناء والهندسة (قارن تعريفاً جديداً للهندسة على أنها «تصمم وتطور بنيات structures، مكائن، أجهزة أو عمليات تصنيع...») حيث تعرَّف مبادئ البناء بأنها structural بنائية، وتدل structure هنا كأمر طبيعي على كل من طريقة وعملية البناء وكذلك على العمل المكتمل. مع ذلك اعتمد على معنى structure كمكوّن للدلالة ليس فقط على بناء constructionأساسي ولكن، بالتأكيد، على بناء داخلي: في الجيولوجيا مثلاً نجد: «بنائي structural حيث يؤثر في الطبيعة الجوهرية للكتلة وليس مجرد شكلها الخارجي». تكررهذا في «الاختلافات بنائية structural تفرق بين الإنسان والغوريلا» (1863). هذا إتمام للمعنى السابق «علاقات متبادلة للأجزاء المكونة للوحدة الكاملة» مع تركيز خاص على تحديد تنظيم العناصر وعلاقتها التبادلية داخل وحدة معقدة. عبرت عن هذا المعنى كل من structural evidences علامات بنائية و structural relations علاقات بنائية من سبعينات ق 19. في مجال التشييد كان هناك بحلول أواخر ق 19 تمييز تقليدي بين structural وزخرفي decorative مما عزز معنى الهيكل الداخلي أو العملية. سميت العلوم التي تستعمل هذا التأكيد أو التركيز بنائية structural: structural botany علم نبات بنائي (1835)؛ جيولوجيا بنائية (1882)؛ كيمياء بنائية (1907)؛ structural engineering هندسة بنائية (1908).

تتوجب علينا معرفة هذا التاريخ إذا أردنا إدراك التطور الهام والصعب لبنائية structural وstructuralist بنيوية كمصطلحين حاسمين في العلوم الإنسانية وبشكل ملحوظ في اللغويات والأنثروبولوجيا. يمثل التأكيد أو التركيز في اللغويات linguistics، التي لم تعط هذا المسمى في البداية، تحولاً من الدراسات المقارنة والتاريخية إلى الدراسات التحليلية، وأصبح هذا ضرورياً بسبب صعوبة فهم لغات كانت خارج نطاق المجموعات التقليدية التي تطورت فيها المناهج السابقة. كان من الضروري، خاصة بالنسبة لحالة لغات الهنود الأمريكيين، أن تطرح جانباً الإفتراضات السابقة والتماثلات المستمدة من دراسات مقارنة وتاريخية للغات الهندوأوربية وبدلا عن ذلك تدرس كل لغة «من الداخل» أو، كما صيغت لاحقاً، بنائياً structurally. في نفس الوقت استعملت مناهج أكثر دقة وموضوعية لدراسة اللغة ككل وبدأت إجراءات هذه الدراسة الأساسية تسمى بالكلمة التي كانت متوفرة فعلاً، من العلوم الفيزيائية، لهذا التأكيد أو التركيز: structures. إلى هذا الحد لم تكن هناك أية صعوبة محددة لكن صعوبة التسمية أصبحت حاسمة وأدت إلى مشاكل واضحة.

فضلت structure على process عملية لأنها ركزت على نظام علاقات معقدة ومحددة والذي غالباً ما يكون على مستويات عميقة جداً. لكن بالرغم من ذلك كان موضوع الدراسة عمليات حية بينما عبرت structure بطريقة دالة، بناء على استعمالاتها في البناء والهندسة وفي علم التشريح والفسيولوجيا وعلم النبات، عن شئ ثابت ودائم نسبياً، بل صلب. عزز التطور الكبير لمفاهيم structure في الفيزياء، رغم أنها (المفاهيم) ذاتها توضح الفرق بين بنيات structures ثابتة static وأخرى متحركة أو ديناميكية، عزز معنى علاقات داخلية عميقة لا يتم اكتشافها إلا بأساليب معينة من الملاحظة والتحليل. لم تؤد بالضرورة الخطوة الأولى، التي سعت لنبذ بعض أساليب الدراسة التقليدية لأنها شملت إفتراضات مسبقة مستمدة من مواد مختلفة تماما، إلى كل المعاني اللاحقة لبنائية structural أو، كما تسمى الآن، structuralist بنيوية. كانت اللغويات البنائية structural أسلوب تحليل للظاهرة العامة للغة بناء على النظام الجوهري لإجراءاتها الأساسية. من المفارقة أن تتم الآن في الغالب معارضة المدرستين الوظيفية functionalist بالبنيوية structuralist في الأنثروبولوجيا، ويلقى ذلك دعما من التمييز التقليدي في البيولوجيا بين وظيفة (أداء) وبنية (نظام) الذي يجد بدوره تأييدا في السوسيولوجيا حسب سبنسر، لكن اللغويات البنيوية والأنثروبولوجيا الوظيفية المبكرتين اشتركتا في التركيز على دراسة نظام معين، لغة أو ثقافة، حسب شروط كل منهما، طارحين جانباً أية إفتراضات مسبقة عامة أو تقليدية مستمدة من لغات وثقافات أخرى أو من تعميمات عن اللغات والثقافات بصفتها كيانات متكاملة. انتهى الآن هذا التداخل لكنه يذكّر بتعقيد التمييز. يمكن مقارنة تعقيدات form شكل و FORMALISM (ا م) المشابهة، حيث يمكن أن تعني formal إما مظهرا (غالباً سطحياً) وإما ميزات وتفاصيل formation تشكيل التي توضح هيئة معينة. كذلك مشابهة صعوبات الكلمة systematic. ترجع system إلى (س م) systema، يونانية: وحدة كاملة منظمة واستعملت من ق 17 لتسمية نظامين معينين: إما مجموعة set أو نظم مثل النظام الشمسي solar system أو النظام العصبي nervous system. يعزى سبب هذه التسمية إلى اكتشاف تنظيم وعلاقات متبادلة لوحدة كاملة معقدة: وهذا معنى يتداخل مع أحد معاني structural ولا يزال قريباً منه حتى في الاهتمام بالتفاصيل الإجرائية في أمور مثل systems analysis تحليل نظم. لكن استمرت system أيضاً بمعناها كنظام كامل؛ مجموعة مبادئ؛ بحث منظم؛ نظرية THEORY (ا م) (كان هناك تمييز من وسط ق 18 بين system نظام وممارسة practice)؛ ونظام اجتماعي كامل («النظام الاجتماعي»، «النظام»). يمكن إذاً أن تعني systematic إما بحثاً أو عرضاً كاملاً ومرتّباً أو تلك الميزة البنائية structural التي

تخص الطبيعة الجوهرية «المكوّنة» لتنظيم. بوضوح ظلال المعاني صعبة التمييز. ليس بالسهولة، كما قد يبدو غالباً، تمييز نوع من الإجراءات أو نوع من التعريف عن آخر عن طريق استعمال مصطلحات على هذه الدرجة من التعقيد والتقلب.

هذه هي الحالة بشكل خاص في نشر البنيوية structuralist. في أمريكا ولأسباب تاريخية كان اللغويون دائما وثيقو الصلة بالأنثروبولوجيا، ولا يمكن فهم انتشار البنيوية structuralist المؤثر إلا عندما يؤخذ ذلك في الحسبان. هناك تنويعات كثيرة ومساحات التباس كبيرة، لكن التوكيد الرئيسي يقع على بنيات دائمة عميقة تكون فيها التنوعات الملحوظة في اللغات والثقافات أشكال forms. كان هناك رفض جذري للفرضيات «التاريخية historicism» (تاريخانية) والنشوئية EVOLUTIONARY (ا م)، وتستعمل الطرق المقارنة بشكل حصري على structures البنيات التي فقدت تماماً (بل رفضت) في هذا الاستعمال المعنى البديل لإنشاءات ناجزة، ولا تدل إلا على علاقات داخلية «شكلانية formal». في ما يمكن تسميته بأرثودوكسية بنيوية structuralism اعتبرت هذه البنيات، التي تشمل نطاقاً من المعانى يمتد من القرابة إلى الأسطورة والنحو، تشكيلات formations بشرية مكوِنة دائمة: المعالم المحددة للشعور البشري وربما للمخ البشري الفعلي. حسب هذه البنيات تفسر التنوعات الملحوظة أو القابلة للملاحظة. في هذا ارتباط واضح بتعميمات التحليل النفسي عن الطبيعة البشرية وبتعميمات عقلانية سابقة عن خصائص العقل، ولا داعي للإشارة هنا إلى التداخل الفعلي في بعض الحالات مع صيغ للمثالية IDEALISM (ا م). هناك اتجاه بديل، يسمى بنيوية تكوينية GENETIC structuralism (ا م)، يؤكد أيضاً على التشكيلات المكوِنة العميقة، من نوع بنائي structural، لكنه يرى أن هذه التشكيلات تتعرض للبناء وللتحطم في مراحل مختلفة في التاريخ، وذلك في معارضة كونها دائمة ومكوّنة بشرياً. (يستحق الزعم بأن هيجل وماركس كانا بنيويين تكوينيين، في هذه الحالة، بعض التحرى.) النزاع بين هذين الاتجاهين مهم، لكن من الضروري تحليل معاني structure إذا كان لأي نقاش كامل أن يتطور. غالبا ما يشترك كل من البنيويين التقليديين (الأرثودوكسيين) والتكوينيين في القناعة بأن البنيات تحدِّد DETERMINE (ا م) الحياة البشرية سواء بطريقة مطلقة أو تأريخيا. يرى اتجاه فكرى مؤثر أن البشر لا يعيشون في البنيات structures أو بواسطتها ولكن البنيات توجد في البشر أو بواسطتهم. (هذا هو أساس المعنى الإزدرائي الحديث للإنسوية humanism: اختزال الأمور البنائية إلى نزعات أو دوافع بشرية ـ فردية أو أخلاقية.) واضح أنه في حالات كثيرة كانت فرضية وجود بنية structure متبوعة بتحليلها المفصل مثمرة جدا في الإستقصاء حيث

يمكن أن يحث ذلك على توضيح علاقات جوهرية كثيراً ما تكون من نوع تحجبه إفتراضات مسبقة أو ضغوط العادة. أعطى هذا تعزيزاً كبيراً لبنيوية structuralism كتأكيد، لكن التحول المتمثل في جانب من الانتقال من structural بنائي إلى structuralism بنيوية ـ ليس مفهوم إجراء أو مجموعة إجراءات لكن مفهوم نظام system شارح ـ كان له أثار مختلفة تماماً. كان هناك بوضوح اتجاه لاعتبار تصانيف الفكر والتحليل كما لو كانت مكونات أساسية. هنا على وجه الخصوص ارتبطت structuralism بنيوية باتجاهات معينة في السيكولوجيا (حيث تكون Id هذا و Ego أنا والأنا العليا Superego وليبدو Libido ورغبة الموت Death-Wish أدوار رئيسية يؤديها بشر حقيقيين بطرق مبنية structured فعلا)، وفي الماركسية (حيث طبقات CLASSES (ا م) أو وسائل الإنتاج هي الأساس ويتمثل البشر في حياتهم خصائصها المتأصلة). إنها مسألة حاسمة في وصف أي نظام system أو بنية structure عما إذا كان التأكيد أو التركيز يقع على العلاقات relations بين الناس وبين الناس والأشياء أو يقع على الصلات relationships التي تشمل العلاقات relations والناس والأشياء التي تربطها تلك العلاقات. واضح من تاريخ structure بنية و structural بنائي أنه يمكن استعمال الكلمتين بأي من التأكيدين: ليشمل التشييد الفعلي مع إشارة خاصة إلى أسلوب البناء؛ أو ليعزل أسلوب البناء بطريقة تستبعد طرفي العملية ـ المنتجين (الذين لهم مقاصد مرتبطة بالأسلوب المختار بالإضافة إلى خبرة مستمدة من المادة المراد إنتاجها) والمنتج، بمعناه الجوهري، الذي هو أكبر من مجموع علاقاته المكوّنة الشكلانية، وبوضوح أكبر من تجريد لها. في البنيوية التقليدية كان الفرز الفعلي لكل من المنتجين والمنتجات الجوهرية ـ إختزالها بالتحليل إلى علاقات عمومية محدّدة ـ مقبولاً بشكل خاص عند من هم متعودون على إجراءات مشابهة في التكنولوجيا الصناعية وفي صيغ إدارية MANAGERIAL (ا م) للمجتمع. يُخضع الناس الفعليين والمنتجات الفعلية نظريا للعلاقات المجردة الحاسمة. إن البنيوية التكوينية، بتأكيدها على بناء structuration (تشييد) وتفكيك البنيات مهيأة أكثر لتشمل المنتجين والمنتجات (التي تحوي في هذا التأكيد أكثر من مجرد بنيات دائمة) لكنها ليست بالفعل قادرة على ضمهم وضمها بطرق جوهرية، بينما التأكيد البنائي structural لا يزال يركز على علاقات داخلية عميقة بدلا من ما يمكن وصفه بطريقة نابذة «محتوى content». فى هذا الصدد مشاكل الشكلانية formalism والمضامين المعقدة لكل من form شكل و formation تشكيل مشابهة جداً. معظم التحليل البنيوي شكلاني formalist بمعنى أنه يفرز الشكل form والمحتوى content ويعطي الأولوية للشكل، بالإضافة إلى كون التحليل البنيوى شكلاني formalist بالمعنى الأوسع

والأكثر قبولاً الذي يدل على تحليل مفصل لتشكيل معين. لا يتطلب هذا فرز المحتوى لكن يمكن أن يهتم بالتحديد بأشكال المحتوى forms of content ومحتوى الأشكال content of forms كعمليات تكاملية. كذلك يمكن أن يكون هذا اهتمام بالبنيات structures بالمعنى الواسع الذي يشمل عملية البناء والشيء المبني بالإضافة إلى أساليب البناء. لكن هذا مختلف جداً عن الاهتمام ببنيات structures بمعنى علاقات داخلية مكونة ومجردة.

القضايا التي تتضمنها هذه المجموعة الصعبة من الكلمات مهمة جداً. في الواقع ضروري بشكل خاص اجراء تحليل بنائي لهذه المجموعة نفسها حيث أن أحد نتائج التأكيد المجرد لبنية structure هو إفتراض أن البنيوي structuralist مراقب «موضوعي objective» مستقل، متحرر من كل من العادات والفاهيم المرتبطة بأنواع من الملاحظة أكثر سطحية أو إمبيريقية EMPIRICAL (ا م). قد تساعد في التوضيح بعض الكلمات القريبة. كان هناك استعمال لافت لشفرة code لوصف نظم إشارة sign-systems في اللغة ومجالات أخرى للسلوك BEHAVIOUR (ا م). كانت code (س م codex، لاتينية، لها إشارة مادية رئيسية إلى كتلة خشبية يمكن فلقها إلى مصاريع وألواح؛ قارن الكلمة المفتاح القريبة: text نص، س م textus، لاتينية من س ب texere: ينسج) مجموعة منظومة من القوانين والتشريعات (من ق 14) ولاحقاً، بعد توسعها إلى أية مجموعة منظومة من القوانين بمعنى أقل رسمية، نظام إشارات حسب الاستعمال العسكري (أوائل ق 19) والتلغرافي (وسط ق 19)؛ ومن ثم المعنى السائد الآن: نظام كامد يتم توصيل المعاني عن طريقه ولكن ليس به. من الهام جداً، كنوع من الدعم المجازي لافتراض علاقات داخلية خفية من صنف حاسم، أن code الآن تستعمل كما لو أنها معادلة لأي نظام إشارات، وهذا بالتالي جعل كل عنصر من عناصر الاتصال جوهريا مجردا، خاصة القائمين بالاتصال. قد تحتفظ code بمعنى نظام قوانين مؤسسة، لكن عنصر الإعتباط الذي يوضحه تطورها الحديث تكرر في استعمالات هامة لكلمات مثل model نموذج و paradigm نموذج/ مثال. كانت model (من ق 16) تمثيلاً لمنشأة مقترح بناؤها. ومن ثم توسعت واستعملت مجازياً للتعبيرعن نمط أو طراز. مازالت تستعمل كذلك، لكن بشكل لافت تستعمل في الغالب للتعبير ليس فقط عن هيئة مجردة لعملية وإنما تعبر كذلك عن المفهوم بأن الهيئة المجردة المختارة حاسمة وفى نفس الوقت وبمعنى أساسي إعتباطية: كان في الإمكان اختيار نموذج model آخر معطيا بشكل جوهرى نتائج مختلفة. بالمثل استعملت paradigm، نمط أو مثال، عموماً من ق 15 وفي النحو من أواخر ق 16 وأصبحت مؤخراً في متناول الجمهور بمعنى فرضية ذهنية دالة (غالباً اعتباطية). بوضوح كل هذه الكلمات، مثلها مثل structure بنية في تطورها الحاسم،

هي طرق مهمة للتفكير بعيداً عن العادة والافتراض المسبق. اعترافها بصيغ متفاوتة هام جداً. لكن يمكن، كما هو الحال بالنسبة لبنية structure، أن يتحول صنف ضروري من الفرضية أو التحليل، أحياناً بشكل لاشعوري، إلى تحديد لجوهر. في إحدى صيغ الفكر المعاصر هناك فقط structures بنيات، شفرات codes، نماذج models وأمثلة paradigms: علاقات relations بدلاً من صلات relationships. إن الأهمية التحليلية للتصنيفات يحدده اختزال ضمني أو علني لكل العمليات إلى علاقات بين الأصناف. يمكن (كما في نظرية اللعب game theory) أن يختزل هذا، في بعض الأحيان ضد ما يقصده المستعملون، علاقات جوهرية إلى علاقات مجردة وشكلانية (علاقات بنائية structural بالمعنى الضيق)، ليس فقط في التحليل وإنما أيضاً في الممارسة الفعلية. إذا كان للتحليل أن ينجز فإنه يتوجب علينا أن نكون على وعي بهذه الصفة البنائية للتعابير وأن نقدر كل نتائجها داخل التحليل وخارجه.

أنظر: FORMALIST **شكلاني،** THEORY **نظرية**

ذاتـــي SUBJECTIVE

هذه كلمة على درجة عالية جداً من الصعوبة خاصة في تضادها التقليدي مع objective موضوعي. هذا التضاد صعب تاريخيا بشكل خاص حيث أنه وجد في الفكر القروسطي وإن بطريقة مختلفة جداً بل تكاد تكون مناقضة. استمر ذلك حتى ق 17 عندما بدأ كل من التعبيرين يستعمل بطرق جديدة. رغم أن التضاد الحديث له سوابق في ق 17 وق 18 فإنه لم يتطور بشكل تام في الإنجليزية إلا في أوائل ق 19 ولا يزال عند التحري متقلباً بشكل كبير.الافتراضات الفلسفية التي يبديها استعمال الكلمة المقصود أو تلك التي يخفيها استعمالها التقليدي جوهرية في كلا المرحلتين. علاوة على ذلك، حتى لو قررنا إهمال التضاد السابق والمختلف جداً على اعتبار أنه الآن مهم تاريخياً فقط، فإنه لا تزال تتبقى لدينا معاني لـ subject، مستمدة من تلك الفترة السابقة، تجعل العلاقة بين subject وsubjective صعبة بشكل خاص.

ترجع subject ـ في الإنجليزية الوسطى soget، suget وأ sugiet ـ إلى (س م) subjet، soget، subjet، فرنسية قديمة، subjectus وsubjectum، لاتينية، من (س ب) sub تحت، jacere: يقذف/يلقي. كان معنى الجذر اللاتيني واضحاً في المعاني الإنجليزية المبكرة: (1) شخص تحت سلطة مولى أو سيد؛ (2) مادة؛ (3) أمر مجال بحث وصياغة. لا يزال معنيا (1) و(3) سائدان في الإنجليزية: (1) متبقيا، في نوع من أنواع التفكير

السياسي، في عبارات مثل British subject أحد الرعايا البريطانيين و liberties of the subject حريات الرعية حيث قد تمنح معاني لاحقة لـ subject مسحة إيجابية لكن حيث المعنى يظل لشخص تحت سيطرة أو سلطة، وحيث حريات LIBERTIES (ا م) ليست بالمعنى الحديث الإيجابي وإنما بالمعنى الأسبق لحقوق معينة متاحة ضمن سلطة مطلقة؛ (3) بشكل شائع، بمعنى مجال أو موضوع أو ثيمة للدراسة أو الكتابة أو الحديث أو لغرض الصياغة أو الرسم: أمر subject يجري بشأنه بحث أو صياغة. معنى (1) مستمر من ق 14 ولا يزال شائعاً بشكل خاص في subjection إخضاع. معنى (3) شائع من أوائل ق 16.

ترجع object إلى (س م) objectum، لاتينية من (س ب) ob نحو، ضد، في سبيل، jacere: يقذف/يلقي. كان معناها المبكر في الإنجليزية: «موقف معارض في النقاش" - كما لا يزال في الفعل object يعترض وفي objection اعتراض؛ و obstacle عقبة. تم تبني معنى حاسم ومنفصل من objectum، لاتينية وسيطة: شيء «مطروح أمام» الذهن، ومن ثم شيء مرئي أو ملحوظ وبالتالي، بمعنى أعم نشأ في ق 16، «شيء». من معنى «مطروح أمام» الذهن تطور معنى إضافي: غرض، كما هو موجود في the object of this operation غرض هذه العملية، وفي الاسم objective هدف.

واضحة الآن تعقيدات وصعوبات هذه المعاني المتطورة. يمكن تخيل جملة كابوسية: «the object of this subject is to subject certain objects to particular study» غرض هذا الموضوع هو إخضاع أشياء معينة لدراسة محددة. لو أضفنا إحدى الكلمتين حسب معانيهما الحديثة: objective أو subjective لوصف هذا النوع من الدراسة فقد نشعر أننا لن نفيق أبداً.

مع ذلك كل تطور يمكن تفهمه. كان التمييز السكولائي المعتاد بين subjective وobjective: الأولى عنت الأشياء كما هي عليه في ذاتها (معتمدة على معني subject كمادة؛ الثانية عنت الأشياء كما تقدم للشعور («مطروحة أمام» الذهن). مع ذلك كانت هذه الاستعمالات المعقولة تماما جزءاً من نظرة للعالم مختلفة جذرياً عن تلك التي تفترض، متطورة من أواخر ق 17 وخاصة عند ديكارت، الذات المفكرة كمجال المعرفة الجوهري - the subject الشخص - الذي يتوجب استنتاج الوجود المستقل من عملياته لكل الأشياء الأخرى: الأشياء objects مطروحة أمام هذا الشعور. لم يتم أبداً توضيح المصطلحات بسرعة وبهذه الطريقة؛ كل تمييز مثل هذا حدث في وقت متأخر جداً. هناك تعقيدات وسيطة كثيرة كما في التعبير subject-matter موضوع بحث. لكن ساعد اتجاهان للمعنى في هذا

التحول: بوضوح تام في object، خاصة مع وجود المعنى المتطور: شيء؛ بطريقة أقل وضوحا في subject وعلى الأرجح ليس بشكل رئيسي عبر معنى مادة ولكن من معنى subject فاعل المتطور في النحو من ق 17. تأخر استعمال object مفعول به في النحو حتى ق 18.

في قرني التحول الأساسي كانت هناك تداخلات وتنافرات. في النسخة المعتمدة للإنجيل استعملت subject دائماً بمعنى سيطرة؛ الاستعمال الوحيد لـ object كان في صيغة الفعل: يعارض. يمكن العثور على شكل معين للتمييز القروسطي عند جيرمي تيلور (1647) حيث اعتبرت «شهادة بطرس» كـ «أساس objective موضوعي للإيمان، والمسيح وحوارييه الأساس الذاتي subjective، المسيح بشكل رئيسي والقديس بطرس بشكل مساعد». مثال آخر، «نور داخلهم ونور خارجهم، نور ذاتي subjective ونور موضوعي objective»، يمكن قراءته بأي من الطريقتين: بالمعنى الحديث الذي يصادف أنه ملائم هنا أو بالمعنى القديم حيث التمييز، كما هو عند تيلور، بين جوهري وأساسي من ناحية ومساعد وإجرائي من الناحية الأخرى. صعب جداً الآن إدراك التحولات العميقة التي تجري لهذه المعاني. في 1725 كان هناك استعمال انتقالي لافت عندما تم تمييز «objective certainty يقين موضوعي ... حيث القول دون أدنى شك صحيح في حد ذاته» عن «subjective certainty يقين ذاتي عندما نكون واثقين من صحة القول».

كان التطور التالي الحاسم للتعبيرين في الفلسفة الكلاسيكية الألمانية التي نشأت فيها، بالرغم من صعوبات كثيرة، معظم استعمالات التمييز الحديث. حدث التمييز بين subject وobject والمحاولات الكثيرة لإثبات اتحادهما النهائي أو تماثلهما ضمن المعاني الرئيسية: subject: العقل النشط أو الفاعل المفكر (في تضاد فيه مفارقة مع الرعية المذعنة للسيطرة السياسية)؛ object: ذلك الذي هو غير العقل النشط أو الفاعل المفكر (في تطوير النقاش صنّف هذا إلى أصناف عدة). لا تزال هذه التطورات المحددة، مع تعقيداتها الاستثنائية، مؤثرة جداً، وفي ترجمات واستعارات كثيرة، خاصة من الألمانية والفرنسية، لا يمكن فهم subject وobject وsubjective وobjective إلا بالرجوع بدقة إلى مصطلحات تلك التطورات. كنتيجة محددة للصيغة الحديثة الطاغية للفكر المثالي وكنتيجة لصيغة مؤثرة من نقد موقفها من وجهة نظر بديلة لكنها تستعمل غالباً نفس المصطلحات، تنتمي المعاني والتمييزات ـ مثل التضاد بين IDEALISM مثالية و MATERIALISM مادية الذي يرتبطان به في صيغته الشائعة ارتباطاً وثيقاً ـ إلى تراث محدد جداً ومغلق على ذاته. من

المهم إدراك ذلك حتى لو كنا مقدرين جداً لهذا التراث حيث أن تطور المعاني في الإنجليزية له كذلك بعد آخر، رغم تأثره بالطبع بهذا التراث بل في بعض السياقات يتحدد حسبه.

هذا مهم بشكل حاسم بالنسبة لمعظم معاني subjective وobjective الإنجليزية الحديثة الأكثر شيوعا. كتب كوليردج في 1817: «الكلمتان objective وsubjective اللتان تتكرران باستمرار في مدارس الزمن الماضي ـ تجرأت على إعادة إدراجهما». كانت إشارته سكولاتية لكن استعماله مستمد من الفكر المثالي الألماني. لاحظ دي كوينسي لاحقاً عن objective أن «هذه الكلمة ... التي يصعب الاستغناء عنها للتفكير الدقيق وللفكر العام أصبحت منذ 1821 شائعة جداً لدرجة أن استعمالها لا يتطلب تبريراً». علينا تصديق قوله وقول كوليردج؛ على الأرجح الأمثلة من ق 17 وق 18 نادرة. لكن كان هناك استعمال هام جداً في 1801: «objective أي مستمدة من object شيء خارجي ... أو subjective، أي توجد فقط في عقل من يصدر حكماً». هناك نبرة في هذا التعريف لـ subjective تلقي بظلالها على المستقبل. في الاستعمالات الفلسفية تم بشكل رئيسي اتباع التمييز الألماني: «subjective ذاتي ... الذات المفكرة objective thinking subject ما يتعلق بموضوع object الفكر» (هاملتون، 1853). لكن في وسط ق 19 وفي صلة بالتحولات التي يمكن ملاحظتها في فن ART (ا م) و artistic فني كان هناك حديث عن subjective style أسلوب ذاتي في الرسم والأدب، ويمكن هنا ملاحظة شكل لثنائية واضحة بدأ يتكون. يقع بالتأكيد ضمن روح الفلسفة المثالية الألمانية وتوابعها الهامة الحديث عن الطبيعة الذاتية subjective ـ أي المشكّلة بطريقة فعالة ـ للفن. لكن التمييز بين أنواع subjective ذاتية وموضوعية objective من الفن أو أنواع مماثلة من الفكر هو في النهاية أمر مختلف جداً، إن لم يكن إلا لأنه يفترض إمكانية وجود نوع من الفن أو الفكر لا توجد فيه الذات الفعالة. لكن هذا هو الاستعمال الذي وجد طريقه إلى الانتشار الواسع. من الصعب تحديد تاريخ لذلك بدقة. بوضوح لم يكن هذا التمييز راسخاً بالنسبة لبرايس عندما كتب في 1888: «إتمام مسح لوضع السياسة الحزبية بطريقة إيجابية positive تماما، أو كما يقول الألمان بطريقة «objective» موضوعية، لما يفكر فيه الأمريكيون بالنسبة ... لنظامهم»، حيث قد تستعمل الآن بنفس السهولة subjective«ذاتية». محير كذلك وجود POSITIVE (ا م). ما توجب البحث عنه في الواقع هو تعزيز معنى objective كحقيقي ومنصف (حيادي) ومن ثم موثوق، في تمييز لها عن معنى subjective المعتمد على انطباعات بدلاً من حقائق ومن ثم متأثر بميول شخصية ونسبياً غير موثوق. لا ريب في مصدر هذه المعاني. إنها من إجراءات

POSITIVIST SCIENCE (ا م) العلم الوضعي ومن المعاني الإدارية والسياسية والاجتماعية المرتبطة بذلك لحكم «نزيه» و«حيادي». هكذا تضرب جذور الكلمتين في العمق، لكن ربما كان فقط من أواخر ق 19 وبثقة متزايدة في ق 20 أن استقر التضاد التقليدي. تعايش هذه المصطلحات الوضعية positivitist مع مصطلحات التراث المثالي ونقده مدعاة إذا للتشويش بشكل إستثنائي. في قضايا وتقارير يتطلب منا بشكل صريح positively أن نكون objective موضوعيين: النظر فقط إلى الحقائق متجردين من اهتمامنا وخيارنا الشخصي. في هذا السياق يرتبط إحساس بشيء مخز أو على الأقل سخيف بذاتي subjective، رغم أن الكل يعترف بوجود عوامل ذاتية subjective factors يتوجب في العادة منحها أهمية ملائمة. في الوقت نفسه الإطار الفلسفي الضروري لتقويم هذا النوع من التعريف موجود فعلا في المعاني البديلة لكل من subject وobject التي تم تحديدها، ومن ثم موجود في علم معرفة (ابستمولوجيا) متقدم. لكن على المستوى العادي الشائع يتوجب إعادة إدراج subjective والكلمتين المستقلتين حديثا subjectivism ذاتية وخاصة subjectivity في نقد مختلف لـ objectivism موضوعية على اعتبار أنها منهج خاطئ للإهتمام بالعالم الخارجي external مهملا العالم الداخلي inner أو الشخصي personal.

هذه هي المعاني التي لدينا الآن. من السهل القول أن هذا subject (مجال) أو object (موضوع) الاهتمام، لكن المشكلة الفعلية تكمن في الثنايا التاريخية ضمن كل كلمة وفي الأهمية الفائقة للآثار المتبقية والمختلفة جداً من تطورات عدة والتي تشكّل المعاني البديلة. تقدم عادة معانى مثيرة جدا ولكنها ضرورية للكلمات، خاصة subject وobject، بيقين وأحيانا بعفوية وسطحية لا تتسبب الا في نشر التشويش. يمكن القول أنه يتوجب التفكير في ذاتى subjective وموضوعى objective ملياً ـ في اللغة وليس ضمن أية مدرسة معينة ـ كل مرة نرغب في استعمالهما بطريقة جادة.

أنظر: **EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثالية، INDIVIDUAL فرد، MATERIALISM مادية، POSITIVISM وضعية، SCIENCE علم**

ذوق TASTE

كانت كلمة taste بالمعنى الحسي موجودة في الإنجليزية منذ ق 13 رغم أن معناها الأسبق كان أشمل من التذوق tasting بالفم وأقرب إلى الكلمتين الحديثتين feel يحس وtouch يمس. ترجع إلى (س م) taster، فرنسية قديمة، tastare، إيطالية: يحس، يجس ويلمس. كان الارتباط السائد بالفم واضحا من ق 14، لكن تبقى المعنى الأعم كما هو

لمدة إلا أن الغالب كان توسعه المجازي. سجلت «Good taast» بمعنى فهم جيد من 1425 و«no spiritual tast» لا إدراك روحي من 1502. هناك استعمال للكلمة فيه توسع أكبر في قول ملتون «أناشيد سايون، لكل الأذواق tasts السليمة المتفوقة (الفردوس المستعاد، جـ4). أصبحت الكلمة هامة وصعبة من أواخر ق 17 وبشكل خاص في ق 18 عندما كتبت بحرف استهلالي كبير كخصلة عامة: «تصحيح ذوقهم Taste، للاستمتاع بأمور الحياة» (شافستبري، تأملات متنوعة، جـ 3، 1714)؛ «القواعد ... كيفية امكاننا اكتساب ذائقة Taste الكتابة الراقية التي يكثر الحديث عنها في المجتمع المتحضر» (أديسون، 1712). أصبحت taste معادلة لتمييز :discrimination «تعني كلمة .. Taste تلك الملكة أو المقدرة سريعة الفطنة للذهن التي عن طريقها نميز بدقة الطيب والخبيث والوسط» (باري، 1784). تطورت tasteful حسن الذوق وعديمه tasteless بنفس المرجعية في نفس الوقت الفترة.

من الهام إلقاء نظرة على دلالات مهاجمة وردزورث لـ taste (في مقدمة قصائد غنائية ، 1800). كان ضد الذين «يتحدثون إلينا برزانة عن ذائقة taste للشعر، حسب تسميتهم، كما لو كانت شيئا يتسم باللامبالاة مثل الولع taste برقصة الحبل أو التلذذ بفرونترياك أو شيري (نوعان من المشروب)». كانت taste : «استعارة مستمدة من معنى منفعل passive للجسد البشري وتحولت إلى أشياء في جوهرها ليست منفعلة ـ إلى أفعال acts وإجراءات فكرية operations. ليس عمق الشعور ولا روعته ولا سمو الفكر والخيال وشمولهما، ليس أي منها عندما نتحدث بدقة مواضيع لملكة يمكن، دونما الغوص في روح الأمم، تسميتها بالاستعارة Taste. . . لا يمكن دون إعمال قوة الذهن المتعاونة عند القارئ أن يكون هناك تعاطف ملائم مع أي من هذين الانفعالين emotions: بلا هذا الحافز المساند لا يمكن أن يوجد شعور عميق أو سام». يمكن أن تطرح جانبا مسألة عما إذا كان التذوق الحسي فعلاً إحساس «منفعل». ما قام به وردزورث هو إحياء taste كاستعارة بهدف نبذها (بالمصادفة أمثلته لا تقتصر على النبيذ بل تشمل رقص الحبل الذي كانت الإستعارة له فعلاً تقليدية). يبدو أنه لم يكن على علم بالمدة الطويلة للتحول المجازي ـ أربعة قرون تقريباً قبل كتابته ـ وإلا كانت الإشارة إلى «الغوص في روح الأمم» عديمة المعنى. مع ذلك لايزال ما ذكره مهماً بدرجة قصوى لأنه لم يكن يهاجم taste بقدر ما كان يهاجم Taste. ما حدده بدقة هو تجريد ملكة بشرية إلى خصلة مهذبة عامة، مؤكدة بالحرف الاستهلالي الكبير ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً، كما في مثال أديسون، بفكرة القواعد Rules وعند سواه بسلوك Manners (التي هي نفسها تقليص من وصف عام للتصرفات إلى ارتباط أضيق بالإتيكيت

etiquette). حل محل المعنى المباشر والصريح لـ taste المعنى الضعيف تحت تأثير صفات Taste المعتادة. علينا فقط أن نفكر في كلمات الحس المقاربة، مثل touch يمس أو feel يحس، بمعانيها المجازية والموسعة التي لم تجرد وكذلك لم تستهل بحرف كبير أوتضبط بطرق مشابهة، لندرك الفرق الجوهري. انعزلت Taste ذوق و Good Taste ذوق سليم عن الحواس البشرية المباشرة وأصبحت عملية اكتساب قواعد وعادات معينة لدرجة أن هجوم وردزورث لايزال ملائما، رغم تضمن هذا الهجوم مفارقة مع تاريخ الكلمة الفعلي. من اللافت أن tasteful عدّلت بطريقة مقاربة وأصبح لها فقط معنى امتثال (غالباً مبتذل أو معتاد) لعادة خارجية، لكن على العموم إنفصلت tasteless عن Taste وتحمل ولو بطريقة ضعيفة نسبيا المعنى الأقدم والأشمل لـ feel وtouch وإدراك، غالباً في سياق أخلاقي بدلاً من جمالي.

جدير بالملاحظة، أخيراً، أنه لايمكن عزل فكرة taste عن فكرة CONSUMER (ا م) مستهلك. في صيغتيهما الحديثتين، تطورت الفكرتان معاً، وتأثرت بشكل عميق الاستجابات لفن ART وأدب LITERATURE (حتى على مستوى التنظير العالي التطور، قارن CRITICISM) بافتراض أن المشاهد أو المتفرج أو القارئ هو مستهلك consumer يمارس وفيما بعد يبدي تذوقه taste. (باستمرار تسند هذا الافتراض مفردات «انتقاد»، شعبية ومرتبطة ارتباطاً مباشراً بالطعام ـ feast وليمة، on the menu على القائمة، goodies طيبات، الخ.)

أنظر: AESTHETIC **جمالي**، CONSUMER **مستهلك**، CRITICISM **نقد**، SENSIBILITY **حساسية**

تكنولوجيا TECHNOLOGY

استعملت تكنولوجيا technology من ق 17 لوصف دراسة الفنون (قارن ART) المنهجية أو مصطلحات فن معين. ترجع إلى (س م) tekhnologia، يونانية و technologia، لاتينية حديثة: معالجة منهجية. الجذر هو tekhne، يونانية: فن أو حرفة. في أوائل ق 18 كان تعريف تكنولوجيا المألوف هو: «وصف للفنون، خاصة الميكانيكية» (1706؛ قارن MECHANICAL). بشكل رئيسي في وسط ق 19 صارت تكنولوجيا محصورة تماماً على الفنون العملية «practical arts»؛ هذه هي أيضاً نفس الفترة التي ظهرت فيها technologist تكنولوجي. مهد المعنى المحدد حديثاً لـ SCIENCE علم و scientist عالم الطريق إلى التمييز الحديث المألوف بين معرفة (science علم) وتطبيقها

العملي (technology تكنولوجيا) ضمن أي مجال. يؤدي هذا إلى بعض الارتباك كما هو الحال بين technical تقني ـ أمور لها صبغة عملية ـ و technological تكنولوجي التي غالبا ما تستعمل بنفس المعنى لكن يضاف إليه معنى متبق (في logy علم) لمعالجة منهجية. في الواقع لا يزال هناك حيز للتمييز بين الكلمتين تكون فيه technique تقنية تركيب أو طريقة معينة وتكنولوجيا نظام لمثل هذه الوسائل والطرق؛ عندئذ تدل technology على النظم systems الهامة في كل إنتاج وذلك في تمييز لها عن «التطبيقات» المحددة.

إن technocrat تكنوقراطي شائعة الآن رغم أن technocracy تكنوقراطيا كانت، من 1920 تقريباً، مبدأ للحكم government من قبل أشخاص متمكنين تقنياً؛ كان هذا غالباً ضد الرأسمالية في أمريكا في عشرينات وثلاثينات ق20. أما الآن فتكنوقراطي محصورة في الإدارة الصناعية والاقتصادية وقد تداخلت مع جزء من معنى بيروقراطي bureaucrat (قارن BUREAUCRACY).

أنظر: **ART فن، MECHANICAL ميكانيكي، SCIENCE علم**

نظرية/تنظير THEORY

لكلمة theory نظرية تطور ونطاق من المعاني لافت وتمييز هام عن (لاحقاً تعارض مع) practice ممارسة. كانت الصيغة الإنجليزية الأبكر هي theorique (ق14)، تبعتها theory (ق16)، من (س م) theoria لاتينية متأخرة، theoria، يونانية: تأمل، مشهد، تصور ذهني (من theoros، يونانية: مشاهد، س ب thea، يونانية: نظر؛ قارن theatre مسرح/ مشهد). في ق17 كان للكلمة نطاق واسع: (1) مشهد: «theory or sight نظرية أو نظر» (1605)؛ (2) نظرة فيها تأمل: «نظرية theory الموت الحقيقية هي عندما أتأمل جمجمة» (براون، 1643)؛ «لا تمثل كل نظرياتهم theory وتأملاتهم (التي يعدوها علماً) إلا أحلام يقظة وأوهام مرض" (هارفي، 1653)؛ (3) مخطط (أفكار): «ينفذ مخططهم Theroie في الكنيسة» (هوكر، 1597)؛ (4) خطة تفسيرية: «أترك مثل هذه الخطط theories للذين يدرسون الشهب» (1638). بشكل واسع نشأ تمييز بين theory وpractice ممارسة في ق17، كما هو عند بيكون (1626)؛ «الفلسفة ... تنقسم إلى جزأين: تأملي speculative وعملي practical» (1657)؛ «مرضٍ فقط على المستوى النظري Theory ولكن ليس في الممارسة Practice» (1664)؛ «النظرية Theorie دون ممارسة Practice لا تكفي» (1692). استعملت theoretical نظري من وسط ق 17 للدلالة على اهتمام بـ theory حسب هذه المعاني رغم أن استعمالها المستقر بمعنى «hypothetical فرضي/

افتراضي»، الذي عادة ما كان له معنى نابذ أو عازل، لا يبدو أنه وجد قبل أوائل ق 19.

من اللافت أن theory نظرية و speculation تأمل، theoretical نظري و speculative تأملي كانت بدائل متوفرة لها معاني جذرية واحدة. في وقتنا الحاضر يتميز تمييزاً قاطعاً أحد معاني theory عن speculation، وحتى بشكل أوضح معنى لنظري theoretical عن المعنى المقارب لتأملي speculative (يرجع المعنى التجاري لـ speculative تضاربي إلى ق 18). يعتمد هذا على تطور مهم لمعنى theory، بشكل أساسي من معنى (4) الذي هو فعلياً «خطة أفكار تشرح الممارسة». لا يزال هناك تحفظ على «scheme خطة»؛ قارن «لو لم تكن أية نظرية theory عرضة للاعتراض عليها فإنها تكف عن كونها نظرية وتصبح قانوناً» (1850). لكن theory بهذا المعنى الهام هي دائماً في علاقة فعالة مع practice ممارسة: «تفاعل بين أشياء منجزة وأشياء مشاهدة والشرح (المنهجي systematic) لذلك. يتيح هذا تمييزاً ضرورياً بين نظرية وممارسة، لكن لا يتطلب تعارضهما. في نفس الوقت يتضح أن بعضاً من معنيي (2) و(3) تبقى بشكل فعال وتتأثر به بطريقة جذرية علاقة practice/theory نظرية/ممارسة التي هي إما حيادية أو إيجابية حسب معنى (4)، ويكون هذا التأثير أحياناً مشوشاً. بمعنى (2) الكلمة الأوضح الآن هي speculation تأمل: فكرة متصورة دونما إشارة إلى practice ممارسة. بمعنى (3) الكلمة الملائمة هي doctrine مبدأ أو إيديولوجيا IDEOLOGY (ا م)، بشكل رئيسي فكرة مبرمجة للكيفية التي يجب أن تكون عليها الأمور. بالطبع تتداخل هذه المعاني: قد يقود معنى (2) إلى (3) وخصوصاً إلى (4)؛ في مجالات معينة من العلوم الإنسانية، في تمييز لها عن العلوم الطبيعية، لا يمكن في الغالب فصل معنى (3) عن معنى (4) لأن practice ممارسة نفسها معقدة. هناك practice بمعنى شيء معين منجز (ومشاهد) الذي يمكن إلحاقه مباشرة بمعنى نظرية (4). هناك أيضا practice بمعنى فعل معتاد أو متكرر (قارن practice يزاول كفعل) التي تكون فيها علاقة theory/practice في الغالب تضاد بين طريقة لعمل شيء وطريقة أخرى، كون الطريقة النظرية theoretical هي المقترحة والطريقة العملية practical هي تلك التي تزاول الآن في العادة. بشكل خاص مهم تمييز هذه العلاقة ليس فقط عن العلاقة بمعنى (4)، التي غالبا ما تشوشها، وإنما أيضاً عن المعاني الضعيفة للعلاقة في معنى (2)، حيث يمكن تضاد «أحلام اليقظة وأوهام المرض» مع practice بمعنى فعل أي شيء (رغم أن اهمال الدلالات الأوضح لمعني (2) المتداخلة مع معنى (3) سيكون مضراً؛ قارن IDEALISM مثالية). كذلك يجب ملاحظة أن صراحة معنى theory (4)، التفسير (المنهجي) للممارسة practice التي هي معها في علاقة فعالة ومنتظمة، يمكن جعله مجحفاً. يمكن تتبع practice

مزاولة التي أصبحت تقليدية CONVENTIONAL (ا م) أو معتادة إلى (أو يمكن جعلها واعية بـ) أساسها في theory نظرية (معنى (3) أو (4)) وتستعمل theory نظرية عندئذ بطريقة إزدرائية لمجرد أنها تفسر وتعارض (بشكل علني أو خفي) نشاطاً مألوفاً.

تستعمل الآن بشكل متزايد الكلمة praxis، في سياقات متخصصة، للدلالة على معنى له صلة بنظرية theory حسب معنى (4) لكن في علاقة جديدة مع practice ممارسة. بالنسبة للعلوم الطبيعية معنى (4) لنظرية بسيط: علاقة تبادلية فعالة بين الشرح والأشياء التي تجري أو يعمل على حدوثها في ظروف مضبوطة controlled conditions. استعملت praxis (س م praxis، يونانية: ممارسة، نشاط) في الإنجليزية منذ أواخر ق 16 للدلالة على ممارسة فن أو تطبيق فكرة، أو مجموعة أمثلة للإتباع في الممارسة، أو ممارسة مقبولة. لا تختلف في أي من هذه المعاني عن practice ممارسة رغم أن فكرة «خطة للممارسة scheme for practice» يميزها بوضوح عن تضادات praxis: theory/practice براكسس هو أداء منهجي في مهارة معروفة ومنظمة. لكن هذا لم يكن المعنى السائد في تطور الكلمة في الإنجليزية. حتى وقت متأخر (1800) استعمل كوليردج المعنى الأشمل: «زائف في النظرية theory وضار في الممارسة praxis». ينشأ المعنى الحديث المتخصص من تطور في الألمانية، 1840 تقريبا، في الأصل هيجلي متأخر لكنه الآن ماركسي بشكل خاص، حيث براكسس praxis هي ممارسة practice مبنية على معرفة تزودها theory نظرية، وكذلك، رغم أن هذا يحصل على تأكيد أقل، theory نظرية مبنية على ممارسة في تمييز عن كل من ممارسة غير مبنية على نظرية أو غير مهتمة بها، وعن نظرية تبقى نظرية ولا توضع تحت تجربة الممارسة. في الواقع هي كلمة قصد بها توحيد معنيي نظرية (3) و(4) مع المعنى الأوضح لنشاط practical عملي (لكن ليس تقليدياً أو معتاداً): الممارسة practice كنشاط action. عندئذ تستعمل براكسس praxis كذلك، بطريقة ثانوية، لوصف صيغة كاملة من النشاط يمكن فيه، عن طريق التحليل وليس سوى التحليل، تمييز عناصر theoretical نظرية وعملية practical، لكنه يبقى دائماً نشاط تام وعلى هذا الأساس يجب الحكم عليه. يمكن عندئذ تجاوز التمييز أو التعارض بين theory نظرية و practice ممارسة. لهذه النظرة صيغ صريحة وأخرى واهنة في نطاق يمتد من ممارسة مبنية على معرفة وواعيه إلى ممارسة نظرية theoretical practice الحديثة التي هي في معظم أمثلتها نظرية theoretical بشكل فائق أو كما يسميها نقادها الآن theoreticist نظروية.

أنظر: **DOCTRINAIRE لا عملي، EMPIRICAL إمبيريقي، IDEOLOGY إيديولوجيا، RATIONAL عقلاني، STRUCTURAL بنائي**

تــراث/تقاليد TRADITION

حسب معناها العام الحديث tradition كلمة صعبة بشكل واضح. دخلت الإنجليزية في ق 14 من (س م) tradicion، فرنسية قديمة، traditionem، لاتينية، من (س ب) tradere، لاتينية: يناول أو يسلم. كان للاسم اللاتيني معاني (1) تسليم، (2) نقل معرفة، (3) نقل مبدأ، (4) استسلام أو خيانة. كان معنى (1) العام في الإنجليزية في وسط ق 16 ومعنى (4)، خصوصاً كخيانة، من أواخر ق 15 إلى وسط ق 17. لكن التطور الرئيسي كان في معنى (2) ومعنى (3). كتب ويكلف في عام 1380 تقريباً: «قانون وضعي أو tradycion تراث قاموا هم أنفسهم بوضعه». هنا للكلمة معنى فعال، بينما هناك معنى أقل فعالية، كما في العبارة الدالة من ق 15: «the trewe tredicion التراث الصحيح». هذه هي مجموعة المعاني التي تظل مهمة. من ناحية يمكن القول «تسلموا أغاني قديمة عن طريق التراث tradition من آبائهم» (1591): أي انتقال مباشر وشفوي؛ أو مرة أخرى «تقديم أو نقل معرفتنا إلى آخرين ... سأعطي ذلك التسمية العامة تراث أو تسليم Tradition or Deliverie» (بيكون، 1605). لكن من ناحية أخرى، برز معنى آخر أكثر صراحة: «هل ستهزأ من تراث Tradition عريق نشأ على احترام وتقدير» (شكسبير، هنري الخامس، فصل5، مشهد1)؛ أو انبذ بعيداً الاحترام والتراث Tradition والرسميات والواجبات الاحتفالية ... (ريتشارد الثاني، فصل3، مشهد2)

من السهل ملاحظة كيف أن كلمة عامة لأمور تنتقل من أب إلى ابن يمكن أن تصبح محصورة، ضمن نوع من التفكير، على فكرة الواجب والاحترام الضروريين. تبقى tradition في الإنجليزية كوصف لعملية النقل العامة، لكن هناك معنى صريح وفي الغالب سائد لهذا الواجب والاحترام الملازمين. عندما نلقي نظرة على العمليات المفصلة لأي من هذه التقاليد «traditions»، في الواقع عندما ندرك أن هناك تقاليدا traditions (جمع صحيح في تمييز له عن المفرد الجمع الموجود كذلك في values قيم و standards معايير) وأن بعضها أو أجزاء منها فقط اختيرت لتكون موضع احترامنا وتبجيلنا فإنه يمكننا في الواقع تقدير مدى صعوبة Tradition تراث بمعناها المجرد أو المناصر، أو، كما هو الأمر في الغالب، الملزم.

في بعض الأحيان لاحظ دارسو traditions تقاليد معينة أنه يتطلب فقط جيلين لجعل أي شيء traditionl تراثيا: هذا متوقع حيث أن هذا هو معنى tradition كعملية فعالة. لكن الكلمة تنحي إلى التحرك في اتجاه «age-old عتيق/معمر» وفي اتجاه الاحترام والتبجيل

والتمسك بالشكليات. آخذين في الاعتبار فقط مقدار ما نقل إلينا ومدى تنوعه في الواقع، فإن هذا يعتبر في حد ذاته خيانة واستسلاما.

من ناحية أخرى، خاصة ضمن صيغ من «نظرية التحديث» (أنظر MODERN) في الغالب تستعمل الآن tradition تراث/تقليد و traditional تراثي/تقليدى بطريقة نابذة ودونما تحديد. في الواقع يبدو أن traditionalism تراثوية في طورها أن تصبح محصورة على وصف العادات والمعتقدات غير الملائمة تقريباً لأي تجديد؛ وتكاد تكون traditionalist تراثوي دائما كلمة نابذة.

أنظر: **LITERATURE أدب، MODERN حديث، STANDARDS معايير**

لاوعـي UNCONSCIOUS

دخلت conscious وعي، الإنجليزية في أوائل ق17، من (س م) conscius، لاتينية، (س ب) con، لاتينية: معاً، scire، لاتينية: يعرف. معنياها المبكران ليسا مألوفان الآن: (1) معنى صعب التحديد يرتبط بنوع من الأرواحية توصف فيه الأشياء الجامدة بأنها واعية بالنشاط البشري: «من ثم إلى الأجمات وإلى الغياض الواعية conscious groves» (دنهام، 1643)؛ «بالنسبة لهذه الصخور الواعية conscious stones كنا نحن الحاجّين في نطاق معرفتها وعلى قرب منها» (إميرسون عن ستون هنج، 1856)؛ (2) معنى مماثل لمعنى كلمات الجذر، أي معرفة شيء بالمشاركة مع آخر أو آخرين (قارن conscience ضمير، رغم أن هذه تحركت بقوة نحو PRIVATE خاص (ا م): «عندما يكون رجلان أو أكثر على علم بنفس الحقيقة فإنهم يعتبرون واعين Conscious بها وعيا مشتركا» (هوبز، 1651). لكن الكلمة اكتسبت معنى عاماً لشعور awareness بأربع تحديدات شائعة: (3) واع بذاته: «كوني مدرك conscious في ذاتي بضعفي العظيم» (أشر، 1620)؛ (4) متأمل وواع بطريقة فاعلة: «أن تكون سعيداً أو بائساً دون أن تكون واعياً conscious بذلك يبدو لي مستحيلاً ومتناقضاً تماماً» (لوك، 1690)؛ (5) ذاتي الوعي self-conscious المتضمنة معنى الزهو والتكلف: «واعين لدرجة قصوى too conscious بملامحهم» (بوب، 1714)؛ «الإبتسامة المتكلفة conscious» (بوب، 1728)؛ (6) نشط ويقظ: «عندما كان في النهاية واعياً conscious» (ليتون، 1841). ميز معنى عام إضافي (7) طبقة من الناس كما في مفكرين أو عقلانيين: «أناس مفكرين أو واعين thinking or conscious» (واتس، 1725). استعملت conscious شعور/وعي من وسط ق 17 حسب معاني (2) و(3) و(4) ومن وسط ق 19 حسب (6). تطور كذلك معنى جديد له صلة غير مباشرة بمعنى (2) من وسط ق

19: consciousness تعبير يدل على الشعور الذاتي المتبادل لمجموعة: «national consciousness وعي قومي»، «class consciousness وعي طبقي».

من الضروري فهم مجموعة معاني conscious وعي قبل تمكننا من فهم unconscious لاوعي الشائعة الآن. سجلت الكلمة من أوائل ق 18. في قول بلاكمور: unconscious لاواعين، لم نسمع تلك الحركات» كان المعنى بوضوح هو نقيض معنى (4)، وعلى الأرجح هذا ينطبق كذلك مع بعض التوسع في المعنى على قول جونسون: «ربما قدم نوع من الإحترام بلاوعي unconscious» (1779). بيتا الشعر من تأليف بلاكمور (1712) أكثر صعوبة كثيراً:

الدوافع اللاواعية unconscious تمنح بهدوء

مهارتها القصوى، تمارس قصارى سلطتها

يبدو أن المعنى المضمر هو «not known غير معلوم»، تقريباً بالمعنى اللاحق «not knowable غير قابل للمعرفة» بدلا من مجرد «ليس واعيا not aware». تبين استعمالات عند كوليردج بعض الصعوبة. مفترض أن يكون لـ « With forced unconscious sympathy مع تعاطف لا واع قسري» (كريستابل) المعنى العام لـ «unaware غير دار»، نقيض معنى (4)، لكن يبدو أن إلحاق «قسري» يضيف، عن طريق إدراج لاشعور إكراهي، بعدا فيه عناصر من معنى لاحق. عندئذ يبدو أن عبارة «الوعي conscious مطبوع في اللاوعي the unconscious لدرجة أنه يتضح فيه» (1817) - على الأرجح هذا هو أول استعمال لعبارة اللاوعي the unconscious ـ تفيد وجود صنفين معتادين، وعي conscious ولاوعي unconscious، لكن مع أسبقية مهمة للأولى التي هي المصدر في هذا المثال. كانت المعاني الجسدية لكل من conscious وunconscious تطورات من ق 19. في استعمالات محدودة ـ «سقط مغشيا عليه unconscious» ـ المعنى ليس صعباً، بينما كان في تطور السيكولوجيا في ق 19 اهتمام متزايد بحالات عديدة غامضة حيث يصعب وضع حد فاصل بين حالات جسدية وأخرى سيكولوجية. قارن «نوم، إغماء، غيبوبة، صرع وحالات أخرى لاواعية unconscious» (وليام جيمز، 1890). وضع آخر حاسم كان الحالة تحت التنويم المغناطيسي. إستخلصت تفسيرات مختلفة جداً وخلافية لهذه الحالة وأصبحت conscious وunconscious كلمتان أساسيتان متقلبتان. علاوة على ذلك عرفت أنشطة جسدية كثيرة، ضمن الوعي consciousness المعتاد، على أنها لاواعية unconscious بمعنى جديد ـ كونها لا تتطلب مبادرة أو تحكماً واعياً أو على أنه ليس في مقدورها فعليا القيام سواء بالمبادرة

أو التحكم، كما في عمليات جسدية أساسية معينة. لم يكن من العسير إلحاق هذا المعنى المحدد بمعنى (4) ونقيضه.

ظهر المعنى الأصعب والمتطور عندئذ في مؤلفات فرويد. هنا للاوعي unconscious ثلاثة عناصر: بالنسبة للعلميات (أ) مكبوتة repressed ديناميكيا من قبل الإدراك (الواعي conscious)؛ (ب) إمكانية جعلها واعية conscious (تقديمها للشعور والتأمل) فقط عن طريق تقنيات خاصة: تنويم مغناطيسي وتحليل نفسي؛ (ج) عدم خضوعها للتحكم الإرادى، كما في المعنى الجسدي الجديد السابق ذكره، لكن دون القصور على الدوافع الجسدية. الجدل الذي تلى هذه التعريفات واسع وصعب جداً، لكن بالنسبة لتأثيره في الكلمتين يمكن ملاحظة أن التعريفات الأصلية توحى بأن ما أصبح unconscious لاواعياً كان في وقت سابق conscious واعياً (لكن بطريقة مؤلمة جداً) وتدل على أن معنى unconscious كـ «غير قابل للمعرفة» يقتصر على الفرد المقصود؛ يمكن جعل لاوعي unconscious وعياً conscious باستعمال مهارات معينة. بوضوح تصبح هذه المعاني الدقيقة نسبياً صعبة عندما تنتقل من تعميماتها كعمليات إلى حالات عامة: the unconscious اللاوعي وخصوصا العقل اللاواعي the unconscious mind. في الغالب يتم استبدال المعنى الديناميكي لشيء يُجعل لا واعياً، في هذه التعبيرات العامة، بافتراض وجود كائن أو عقل لا واعي unconscious رئيسي ومستقل. ينطبق هذا بشكل خاص على فرضية " ينج» للاوعي الجمعي the collective unconscious التي بصفتها خصلة بشرية عامة تسبق (في الوقت والأهمية) تطور consciousness وعي المعتاد. لكنه ينطبق أيضا على استعمالات أعم يعتبر فيها the unconscious اللاوعي (ليس بالمعنى الجسدي لعمليات بدنية أساسية و«قسرية» ولكن بمعنى توليد أفكار وأحاسيس أساسية) ليس أقوى من النشاط العاطفي والعقلي الواعي conscious فحسب وإنما بصفته مصدرها الحقيقي (وإن كان ذلك في العادة خفيا). هذه كانت صيغة مؤثرة من صيغ المثالية IDEALISM (ا م).

الآن التداخل والتشويش بين المعاني المختلفة المتأثرة بنظريات مختلفة عظيم. يدعم المعنى الأعم دعماً قوياً شعور (وعي consciousness) متزايد بالدوافع والاختيارات التي لم يكن المرء مسبقا واعيا (conscious معنى 4) بها أو أنه لايزال لا واعياً (unconscious نقيض بسيط لمعنى 4) بها. ليس واضحاً إن أشار هذا إلى فرضية اللاوعي the unconscious أو العقل اللاواعي the unconscious mind، لكن في الواقع يصعب جداً، ضمن التشكيل اللغوي، التمييز بين: (1) تعميم مثل هذه الخبرات التي هي في العادة

مرحلة انتقال من unconscious لاوعي إلى وعي conscious، لكن في هذا إشارة إلى بعض الفشل في الانتقال؛ (2) تجريد مثل هذه التحولات بحيث يمكن تصنيف حالتين: وعي ولاوعي؛ (3) تشييء مثل هذه التصنيفات بحيث يعتبر (العقل) الواعي the conscious و(العقل) اللاواعي the unconscious موجودان في كيانات جسدية أو كأشكال متميزة في بنية عصبية أو حتى في نظام اجتماعي. في بعض الأحيان تصبح الخطوتان (1) و(2) سلماً متحركاً يهبط إلى (3)، لكن مع ذلك هما بوضوح مستقلتان. كان هناك أيضا لبس في العلاقة بين unconscious لاوعي ودون الوعي subconscious التي دخلت الإنجليزية (على الأرجح أولا عند دي كوينسي) في وسط ق19. تشمل sub كبادئة معنيي تحت under وأسفل below مما يجعل الكلمة تتوافق مع كثير من معاني unconscious لاواعي اللاحقة. لكن لها أيضا معنى «بطريقة ناقصة» أو «بطريقة ليست تامة» مما يجعلها تتوافق مع معاني كثيرة للاوعي unconscious تسمح بانتقال معتاد بين لاشعور unawareness وشعور awareness. في نشر فرويد لهذه التعابير في ق 20 وبالتالي في الاستعمال الشائع كانت unconscious لاوعي ودون الوعي subconscious مترادفتان. لكن قاومت ذلك مدرسة اعتمدت معنى «بطريقة ناقصة» أو «بطريقة غير تامة» إذ اعترضت على مفهوم الانتقال «المعتاد» وأصرت على حيز لاوعي unconscious مكتمل يكون الانتقال منه مستحيلاً إلا بطرق خاصة؛ عندها عوملت دون الوعي subconscious على أنها سوء فهم شائع. مع ذلك تبقى الكلمة في الاستعمال العام بناء على المعنى الآخر، ما هو «أسفل» الوعي، وكذلك لأن الكثير ممن يقبلون، بناء على خبرة، معنى (1) للاوعي unconscious يجدون أن دون الوعي subconscious (حتى أو خصوصا لتضمنها على تحولات «معتادة» قليلة كانت أو كثيرة) تعبر عن هذا بطريقة وافية. («لم أكن على علم (معنى وعي conscious 4) بدافعي لفعل ذلك، لكن منذ ذلك الحين أصبحت واعيا (معنى conscious 4) لدافعي الحقيقي».) لكن ليس واضحا عندئذ إذا ما كانت إضافة «على الأرجح كان ذلك دون الوعي subconscious» تعني فقط كما هو بداهة «لم أكن عندئذ على علم به»؛ أو إذا كانت تشير إلى حيز لم يكن ممكنا معرفته (وهذا ما قد يتطلب في نظريات كثيرة الكلمة الأوضح unconscious لاوعي) في تمييز لها عن غير معروف أو مدرك عندئذ لسبب قابل للاكتشاف (في تعارض مع فرضية اللاوعي the unconscious حيث تكمن طبيعيا مثل هذه الأسباب). يبدو أن اللبس بين unconscious لاوعي ودون الوعي يكرر إلى حد كبير الجدل حول unconscious لاوعي ذاته.

أدت المعاني المتخصصة في ق 20 للاوعي unconscious إلى تفضيل النفي البديل

not conscious (ليس واعياً) للمعاني المتبقية: معنى (3) حسب الاستعمال العام ومعنى (7) و، في بعض المجالات، معنى (6).

انظر: PSYCHOLOGICAL **سيكولوجي**

غير ميسور/مضطهد UNDERPRIVILEGED

يبدو أن underprivileged كلمة حديثة جداً، لكنها شائعة في الكتابات السياسية والاجتماعية. هي لافتة بشكل خاص بسبب المعنى الحديث الذي تطور في كلمة privilege (قارن PRIVATE خاص) كميزة أو حق خاص. صحيح أن المعنى المبكر كان لشرط قانوني يخص الفرد ومن ثم لحق معنى معين أو خاص private. يمكن عندئذ القول إن شخصاً ما غير ميسور underprivileged لحرمانه من مثل هذا الحق أو مثل تلك الحقوق. لكن كان معنى privileged (ذو إمتياز) السياسي والاجتماعي الحديث صريحاً بحيث أنه من المؤكد أن هذه ليست الطريقة التي تطورت فعلا بها underprivileged فاقد الإمتياز. يمكن إعتبارها، كما تستعمل أحيانا، كلمة مهذبة لفقير poor أو مضطهد oppressed. لكن ربما يكون قد حدث شيء أكثر تعقيداً ضمن معنى مشوش ـ أحيانا متساهل وأحيانا أخرى مضلل ـ لامتياز privilege كحالة معتادة. قارن الغرابة اللفظية في الزعم بأننا «كلنا (أو كلنا تقريباً) من الطبقة الوسطى middle الآن». إذاً underprivileged هي حالة خاصة تدل على الذين يقعون تحت مستوى معتاد مفترض للحياة الاجتماعية. عندئذ تبرز المشكلة في فرضية ما هو المعتاد، آخذين في الاعتبار الاستمرار اللفظي لـ privilege التي يمكن أن يكون لـ underprivileged أثر في إبهام أو إلغاء معناها المحدد والتام الدال على ميزات اجتماعية.

كذلك قد يكون لاستمرار صيغ « under دون» أثر كبير في ذلك. قارن «underdevelopment تحت النمو/نامية» حيث الافتراض بنمو DEVELOPMENT معتاد دليل على اعتقاد إيديولوجي مشابه. هناك أيضا ضحية ظلم أو إضطهاد underdog، في العبارة اللافتة «تعاطف مع المضطهد underdog» كدلالة على العواطف الإنسانية بل حتى الإشتراكية، وهي صيغة مشابهة رغم تميزها في استعمالها الشائع منذ أواخر ق19. تكاد تمسك تماما بالجمع بين العطف على ضحايا نظام اجتماعي والإيمان أو الإفتراض غير المعلن بأن مثل هذا النظام سيستمر أو يجب أن يستمر في البقاء.

انظر: CLASS **طبقة**، DEVELOPMENT **تطور**، PRAIVATE **خاص**

بطالـة UNEMPLOYMENT

كـان هـنـاك جـدل حـول تـاريـخ كـلـمـة unemployment مـنـذ قـال يـنـج إن «unemployment كانت أبعد من مجال أي تفكير يخطر على بال المصلحين الفكتوريين الأوائل وذلك يرجع إلى حد كبير لعدم وجود كلمة لها ... لم ألحظها قبل الستينات» (إنجلترا الفكتورية، 1963). اعترض إي.ب. تومبسون على ذلك: «unemployed عاطل، the unemployed العاطلين و(إلى حد أقل) unemployment كلها وجدت في كتابات نقابات العمال والراديكاليين أو إتباع أوين في عشرينات وثلاثينات ق 19 : يجب تفسير كبت وتحفظ «المصلحين الفكتوريين الأوائل» بطريقة أخرى (تكوين الطبقة العاملة الإنجليزية، هامش ص 776، 1963).

بالتأكيد تومبسون على صواب لكن التاريخ معقد. عاطل unemployed أكثر قدماً. استخدمت أولاً، من ق 16، لشيء لا يوضع موضع الاستعمال، لكن استخدمت للناس من ق 17 كما في عبارة ملتون «rove idle unimploid عاطلون كسالى متسكعون» (1667)، حيث المعنى هو عدم القيام بعمل شيء بدلاً من كون الشخص دون عمل، وهي واضحة بمعنى حديث في مثال من 1677: «في إنجلترا وويلز مائة ألف فقير عاطل unemployed». المعنى المتطور مهم لأنه يمثل حصر الجهد الإنتاجي على العمل المأجور في كلمة أخرى (قارن WORK عمل، job مهمة، LABOUR شغل) وهذا كان جزءاً مهما من تاريخ الإنتاج الرأسمالي والعمل المأجور. يمكن تتبع هذا التطور في كلمات عدة قريبة. من ناحية تطورت INDUSTRY (ا م) من معنى خصلة عامة للجهد البشري الكاد إلى معناها الحديث لمؤسسة إنتاجية. من ناحية أخرى في ذلك الوقت طورت unemployed وidle، اللتان كانتا تعبيرين عامين لعدم الانشغال بأي شيء (رغم أن idle كان لها معنى أصلياً اشمل، من الإنجليزية القديمة، لتافه وعديم الجدوى)، معانيهما الحديثة: «دون عمل مأجور» أو «في وظيفة ولكن لا يعمل». تطورت employ نفسها من معنى عام ـ «employed in affaires ينهمك في أمور» (1584) إلى معنى عمل مأجور منتظم: «public employ وظيفة عامة» (1709)؛ «in their employ في خدمتهم» (1832). كانت هناك عبارة «سكرتارية ورجال موظَّفون Employed Men» عند بيكون (1625)، ومن ق 18 كان لـ employer صاحب عمل/موظِّف (في الأصل عادة تكتب implopyer) معناها الحديث؛ تبعت في ق 19 employé موظف والأمريكية employee موظف. سجلت employ خدمة كاسم حالة من ق 17 ويمكن العثور على employ كتعبير اجتماعي مجرد من ق 18. يمكن

العثور على كل من employ وunemploy كاسمي حالة مكتسبين معنى اجتماعياً عاماً ومجرداً من أواخر ق 18 وأوائل ق 19؛ التعبيران سبقا معادليهما الحديثين: employment توظيف/عمل و unemployment بطالة. هكذا كانت كل الكلمات الضرورية متوفرة بحلول أواخر ق 18 على الأقل وأصبحت شائعة من أوائل ق 19 في دراسة حجم المشكلة الجديد وكذلك في الطريقة التي اعتبرت فيها المشكلة حالة اجتماعية.

ترجع employ إلى (س م) employer، فرنسية، من الصيغة المنفعلة implicari، لاتينية: «منهمك في» أو «مرتبط بـ»، (س ب) implicare، لاتينية: يلف/ينطوي على ويتضمن (التي أعطتنا أيضاً كلمة imply يلمّح). كان معناها المبكر استعمال شيء (ق 15) أو استخدام شخص (ق 16) لغرض ما؛ كلا المعنيين لا يزالان فعالين. كما لاحظنا، في تاريخ العمل المأجور wage-labour تحول هذا إلى العمل بمقابل paid work. التفاعل مع idle لافت بشكل خاص. يمكن إيضاح المعنى العام في استعماله بالنسبة للناس من عام 1450 تقريباً:

دوماً للعبادة والتأمل

كان توجهها، ولم تكن أبدا ydel عاطلة (مهملة، متوانية).

لكن في قرار 1530 ـ 1531 نجد العبارة الدالة: «للقبض على المتسكعين والأشخاص العاطلين ydell المذكورين». استمر هذا الاستعمال لفترة، لكن لاحظ بيرن في 1764: «هم عاطلون idle بسبب عدم توفر عمل يستطيعون القيام به» ـ أي مفهوم unemployment بطالة بالمعنى الحديث. بوضوح يعتمد معنى unemployment الحديث (من أواخر ق 18) على فصله عن بعض معاني idle؛ تصف وضعا اجتماعيا بدلا من حالة شخصية (idleness عطل). كانت هناك مقاومة إيديولوجية قوية لهذا التمييز الضروري؛ هذا هو مغزى نقد تومبسون ليس فقط لتاريخ ينج ولكن لينج نفسه. لا تزال المقاومة نشطة، وبالنسبة للكلمات تتضح بشكل خاص في استعمال idle في تقارير الأخبار لوصف عمال فصلوا أو أغلقت أبواب عملهم أمامهم أو هم في اضراب. بتضميناتها الأخلاقية الصريحة لابد وأن يكون لعاطل idle في هذا السياق مقاصد ونتائج إيديولوجية. ترسخ في العقل عبارة «ألوف العاطلين idle».

يرجع تاريخ التعبير المهم unemployable غير قابل للتوظيف ـ ليس ملائما للعمل employment بالمعنى الحديث ـ إلى أواخر ق 19.

يمكن إضافة ملاحظة عن « dole عون» الاسم الشائع لإعانة البطالة unemployment benefit أو تعويض عنها. كانت dole من ق 10 نصيباً أو جزءاً (من dal، إنجليزية قديمة)

ومن ق 14 عطية طعام أو مال كصدقة. ليست هذه هي الطريقة التي قصد بها إعانة العاطلين لكن يبدو أنها فهمت بهذا الشكل.

انظر: CAPITALISM **رأسمالية**، LABOUR **عمل**، WORK **عمل**

منفعي/نفعي UTILITARIAN

للكلمة utilitarian تعقيد واحد: كونها وصف لنظام فلسفي معين تم تبنيه في الواقع بشكل واسع وإن دون الإشارة عادة إلى المسمى الرسمي. كذلك هي وصف لمجموعة محدودة من الميزات أو المصالح، عملية كانت أم مادية. قد يقول كثيرون إن لهذا المعنى المزدوج جذر واحد؛ وإن هذه نتيجة محتومة لنوع معين من الفلسفة المادية MATERIALIST (ا م). لكن utilitarian تشبه إلى حد كبير materialist كونها محملة بالتشهير من قبل مناوئيها بنفس مقدار كونها محملة بتبعات الافتراضات التي طرحتها. استعيرت الكلمة من utility منفعة/ نفع/ فائدة (من س م utilitas، لاتينية، س ب uti، لاتينية: استعمال) التي كانت في الإنجليزية منذ ق14 بالمعنى العام لنفعية usefulness. بشكل رئيسي ينتمي فرز Utility منفعة كمقياس أساسي لقيمة كل شيء إلى الفكر الإنجليزي والفرنسي من ق 18. كانت أداة حادة تستخدم ضد تعريفات لغاية المجتمع تستثني مصالح معظم الناس، أو حسب أحد المعاني كل الناس، مثل تعريفات للقيمة بناءً على نظام اجتماعي قائم أو حسب آلهة. كان مقياس القيمة هو عما إذا كان شيء ما مفيدا للناس، وكما تطورت الفكرة بشكل خاص عما إذا كان مفيداً للغالبية، «العدد الأعظم the greatest number». استعملت utilitarian كوصف مقصود للمرة الأولى من قبل جيرمي بينثام: للتعبير عن اهتمام خاص في 1781 ولتسمية، بالحرف الاستهلالي الكبير، «أساتذة (مبشرى) دين جديد» (1802). كان الفعل «متوائماً مع مبدأ المنفعة utility. . . عندما يكون الاتجاه فيه لزيادة سعادة الجماعة أعظم من أي اتجاه لتقليصها». في الواقع كانت السعادة هي كلمة المفتاح في هذا التنظيم، كما هي كذلك عند جون ستيورات مل (النفعية، 1861): «السعادة ... هي الشيء الوحيد الذي يمكن إعلانه غاية». لكنها في الغالب تناوبت مع pleasure بهجة/ متعة مما جلب الاعتراضات المألوفة ضد «المتعة»، خاصة متعة الآخرين، ونظرا لذلك ولتقلبها اعتبرها الجادون تافهة مما جعلها كلمة صعبة في النقاشات المعقدة حول القيمة. علاوة على ذلك، ضمن التنظيم المنفعي utilitarian، أصبحت تطغى تعريفات محدودة بشكل دال للمنفعة usefulness سواءً في حصرها على الفرد أو على الطريقة العملية النشطة لكن المحدودة التي اعتبرها «مل» كافية فقط «لتنظيم مجرد جزء

العمل business في الترتيب الاجتماعي» - وتقلص من مفهومي كل من pleasure متعة وسعادة happiness. من المفارقة، أصبحت هذه هي الفلسفة المساندة للمجتمع الصناعي الرأسمالي INDUSTRIAL CAPITALIST SOCIETY والبيروقراطي.

لا صلة مباشرة للمعنى الآخر بذلك رغم أنه في النهاية تأثر بالتطور الفلسفي. كتبت كولمان في 1859: «تحول من النظرة الرومانسية والرائعة إلى النظرة المنفعية utilitarian لهذه الشجرة»، والكلمات المستعملة في كل من جانبي التمييز هامة على حد سواء. كان يكتب بطريقة معقولة جداً عن استعمالات uses شجرة معينة، لكن بحلول هذه الفترة كانت use فائدة/استعمال قد انحصرت بشكل كبير على إنتاج أشياء وسلع بحيث أن استعمالات أخرى للشجرة تطلبت الكلمتين المتخصصتين romantic رومانسي ورائع picturesque (كلاهما للأهمية مصطلح فني). يمكن القول إن الناس يستعملون use الأشجار للظل أو الوقاية أو للمشاهدة، بالإضافة إلى استعمالها use كأخشاب، لكن use، بمعناها الموجود المتعزز: يستهلك ـ ليست سهلة في هذه المجموعة. ما تؤكده utilitarian منفعية بهذا المعنى الموضح هو انفصال بعض أنواع من النشاط عن أنواع أخرى. انحصرت ART فن، تلك الكلمة العملية بشكل بارز، كجزء من نفس الحركة على نوع مختلف من النشاط ونوع آخر من السعادة أو المتعة: تأملية أو جمالية AESTHETIC (ا م). لذا الممارسة الطويلة لاستعمال using أشياء من أجل صنع/خلق أشياء أخرى حددها الغرض في النوعين: أحدهما فن art والآخر نفع utility.

هذا هو التقسيم الذي يقوم عليه الإنتاج الرأسمالي حيث تتحول الأشياء إلى سلع. إنه التحول الذي حدث، مثلاً، في «عصر جامعي الأموال النفعي utilitarian هذا» (1839)، وحسب أحد المعاني هو تحول حقيقي. لكن كما هو الوضع بالنسبة لمادي materialist تجمعت واختلطت أنواع مختلفة من الاعتراض. استعمل كثير من معارضي utilitariamism نفعية و materialism مادية صعوبات هاتين الطريقتين في النظرة إلى العالم، اللتين وجدتا في الواقع قبولاً كبيراً، لمناصرة قيم متبقية لهما لها، حسب الترتيب الاجتماعي التقليدي أو إتباعاً لآلهة، أفضلية على «السعادة العظمى لأكبر عدد». وساندهم في ذلك بطريقة مدهشة حصر utility النظري والعملي على مجال الإنتاج الرأسمالي وعلى وجه الخصوص ساعدهم تحويل «السعادة العظمى لأكبر عدد» إلى مجال السوق market (بمعنى الكلمة المتزايد التجريد في ق 19) المنظم الذي اعتبر مطية لتحقيق هذا الغرض النهائي. في هذا السياق أصبحت utility، التي كانت في الماضي مفهوما هاما، كلمة فيهل توافق كما هي كلمة

«تحط من القدر»، وكان لابد من العثور على مصطلحات أخرى تدعم مبدأ سعادة معظم الناس.

انظر: **CONSUMER مستهلك، WELFARE رفاهية**

عنــف VIOLENCE

تعتبر violence الآن كلمة صعبة لأن معناها الأساسي: اعتداء جسدي كما في «سرقة بعنف violence»، لكنها تستعمل بشكل أعم بمعان ليس من السهل تحديدها. لو اعتبرنا «اعتداء جسدي» على أنه معنى (1) فإنه بإمكاننا اعتبار معنى (2) العام الصريح على أنه استعمال القوة المادية بما في ذلك الاستخدام عن بعد للأسلحة والقنابل، لكن يجب عندئذ إضافة أن «العنف» محصور هنا على الأعمال «غير المخولة»: عنف « violence الإرهابي» لكن ليس عنف الجيش (إلا من قبل المعارضين) حيث يفضل استعمال «قوة force» وحيث توصف معظم العمليات الحربية والاستعداد لها بأنها «دفاع defence»؛ أو المعاني المشابهة المحازبة التي تشمل «وضع تحت القيد» أو «استعادة النظام» و«عنف violence البوليس». كذلك يمكن ملاحظة معنى بسيط نسبياً (3) لا يمكن دائماً فرزه بدقة عن معنيي (1) و(2) كما في «العنف في التلفزيون» التي يمكن أن تشمل تقارير أخبار أحداث العنف الجسدي بينما تدل العبارة بشكل رئيسي على العروض الدرامية لمثل هذه الأحداث. تظهر الصعوبة عندما نحاول تمييز معنى (4) عنف violence كتهديد ومعنى (5) عنف violence كسلوك طائش. معنى (4) واضح عندما يكون التهديد بعنف جسدي، لكن تستعمل الكلمة في الغالب عندما يكون التهديد الفعلي أو الممارسة الفعلية مجرد سلوك طائش. شملت الظاهرة المعروفة بعنف طلابي student violence حالات من معنيي (1) و(2)، لكن بوضوح شملت كذلك حالات من معنيي (4) و(5). عندئذ يمكن للسلطة العاطفية للكلمة أن تكون مشوشة جداً.

هذا تعقيد مزمن. ترجع violence إلى (س م) violence، فرنسية قديمة، violentia، لاتينية: شدة/ هيجان/ ، تهور/ طيش، وترجع في النهاية إلى (س ب) vis لاتينية: قوة. كان لـ violence معنى قوة جسدية في الإنجليزية من أواخر ق 13 واستعملت في الحديث عن ضرب قسيس في 1303. من نفس الفترة نسمع، فيما يبدو نبرة مألوفة، أن العالم في حالة

من الدنس والفساد

من العنف violence والاضطهاد.

لكن هذا الاستعمال مثير للاهتمام لأنه يذكر بأن العنف يمكن ممارسته من جانبين، كما

ألح ملتون في حديثه عن شارلز الأول: «حرب مضجرة على رعيته حيث تفوق إلى الآن على عنفه violence وقت السلم» (1649). كان هناك تداخل واضح بين violence عنف و violation انتهاك لبعض الأعراف أو تعد على منزلة عالية. هذا طرف من التعقيد. كذلك استعملت violenceفي الإنجليزية، كما في اللاتينية، للشدة والهيجان: «صف لي بأي حدة violence أحببت أول مرة المغربي» (عطيل، فصل2، مشهد1)؛ «شدة violence حيوية الحزب» (كوليردج، 1818). كانت هناك ملحوظة لافتة في 1696: «عنف .. violence. تستعمل مجازيا بالنسبة للأهواء والأغراض عندما تكون جامحة ولا يمكن التحكم فيها». إن تداخل هذا المعنى مع معنى القوة المادية هو الذي يسبب الصعوبات الحقيقية لمعنيي (4) و(5)؛ لم يسأ أبداً في الواقع فهم هذا المعنى، كما يتضح في «وقع في الحب violently باندفاع». لكن لو قيل إن الدولة تستعمل القوة ليس فقط بمعنيي (1) و(2) ولكن بشكل حاسم بمعنى (4) ـ التهديد المضمر كنتيجة لأي انتهاك للقانون والنظام law and order كما يعرفان في أي وقت معين أو في أي مكان معين ـ فإنه يمكن الاعتراض بناء على أن violence عنف هي الكلمة الخطأ ليس فقط لأنها «مخولة» وإنما أيضا لأنها ليست «جامحة». في نفس الوقت يمكن تهميش أسئلة عما ذا يكون «جامحا وطائشا» أو «لا يمكن التحكم فيه». إنه ضمن مفهوم «جامح» وليس، رغم التحول في الكلمة، مفهوم القوة المادية أن النقد اللفظي المسرف والشديد (أو حتى المتطرف والملح) يسمى بشكل عام عنيفاً violence، والخطوتان التاليتان ـ تهديد تنظيم قائم وتهديد بقوة فعلية ـ تصبحان أحياناً سلماً متحركاً نحو معنيي violence عنف الصريحين (1) و(2).

إنها إذا بوضوح كلمة تتطلب تعريفاً محدداً من البداية إذا كان لها أن تتفادى (كما في معنى إضافي لها (7): التعدي على do violence to) انتزاعها من معناها أو دلالتها (من أواخر 16).

غني/ثروة/وفرة WEALTH

ربما صيغت كلمة wealth قياساً على health صحة، وترجع إلى الكلمتين القريبتين: well ظرف من (س م) wel أو well، إنجليزية قديمة و weal خير/رخاء، اسم من (س م) wela، إنجليزية قديمة. دلت على السعادة والرخاء لكن عند طلب الدقة يمكن أن تنحصر على إحداهما. المعنى الحديث واضح بقدر كاف:

تتوفر هنا ثروة welth كافية للكسب

لجعلنا أغنياء للأبد. (1352)

لكن المعنى الأشمل واضح من الحاجة إلى تحديد معنى «ثروة welthe دنيوية» (1340)، فقد ترجمت «ليس هناك امرؤ أسعد more happy» في 1398 بعبارة «ليس هناك شخص أغنى more welth». في 1450 تقريباً كانت هناك عبارة «بدونك لا أجد بهجة joy ولا سعادة welthe»، وعند وايات (1544) كان معنى السعادة واضحاً: «حيث أن كل wo انسان عنده شيء من السعادة». ترجع commonwealth إلى common weal وcommonweal وcommon wealth وكان لها معنى خير أو رفاهية well-being الجماعة قبل أن تتطور إلى معنى خاص لكن قريب يدل على نوع من الترتيب الاجتماعي. ومع ذلك كان لا يزال ممكناً قول «من أجل إسعاد welth روحي» (1463).

استعملت wealthy ثرى بالمعنى العام (من ق 14) حتى وسط ق 15 ويبدو أن حصرها على ثراء البلد سبق حصرها على غنى الفرد. من أواخر ق 16 استعملت wealth بمعنى سابق للدلالة على الوفرة: «وفرة wealth من سمك السلمون»؛ «وفرة wealth من الأسئلة». اكتسبت الكلمة في ق 17 وق 18 ليس فقط ارتباطاً أكثر وثوقا بالمال والممتلكات ولكن أيضاً معنى ثانوياً صريحاً بالانتقاص. سعى الاقتصاديون السياسيون بدءا بآدم سميث (الذي استعمل كعنوان لأشهر مؤلفاته العبارة المعروفة جيداً في ق 17: ثروة الأمم) للتمييز بين ثروة الفرد وثروة المجتمع. للأولى ارتباط واضح وكثيراً ما يكون wealth ازدرائياً بالممتلكات مما يتطلب تمييز الأخيرة كإنتاج: قارن «رجل ثري wealth عبارة توحي بكمية ... مصدر ثروة wealth لا تشير إلى كمية لكن إلى ... منتجات products» (1821). لكن بشكل عام برزت wealth وwealthy بمعاني فردانية individualist وتملكية possessive مع إشارة طاغية إلى المال. استعملت كلمات أخرى مثل resources موارد للمعنى الاقتصادي الآخر. تم فقدان أو نسيان معنى سعادة وخير بحيث أن رسكن (Unto this Last، جـ4) أجبر على سك كلمة للتعبيرعن التعاسة والإهدار الذي نجم عن بعض أنواع من الإنتاج. أدى ذلك الإنتاج إلى معنى wealth المحدد بينما كانت هناك حاجة إلى تعبير مقابل: illth فقر وتعاسة. يستعيد هذا إلى الأذهان الصيغة الأصلية مهما تبدو غريبة الآن، وكانت هناك سابقة في illfare ضراء (أنظر WELFARE) التي استعملت من حين لآخر بين ق14 وق17 وأحييت لفترة قصيرة في ق19 وق20.

انظر: **COMMON عام/مشترك، WELFARE رفاهية**

رخاء/رفاهية WELFARE

كانت welfare في الأصل عبارة wel fare، إنجليزية قديمة، من well بمعناها الذي لا

يزال مألوفاً و fare بشكل رئيسي رحلة أو وصول لكن لاحقاً زاد ومؤونة طعام. استعملت welfare بشكل عام من ق14 للدلالة على سعادة أو رخاء (قارن WEALTH ثروة): «سعادة أو رخاء welfare جيرانك» (1303)؛ «سعادة أو بؤس welfare or ilfare المملكة ككل» (1955). كان هناك معنى ثانوي، في العادة ازدرائي في الأمثلة المسجلة، للهو الصاخب: «كثير من الشغب واللهو welfare والطيش» (1470)؛ «خمر ولهو كثير» (1577). برز معنى welfare الموسع كهدف للرعاية والتدبير المنظم في أوائل ق20؛ اكتسبت معظم الكلمات الأقدم التي لها هذا المعنى (أنظر على الخصوص CHARITY إحسان) ارتباطات غير مقبولة. هكذا تظهر عبارات: welfare-manager (1904) مدير نظام الرفاهية؛ welfare policy (1905) سياسة رفاهية؛ welfare work (1916) عمل رفاهي؛ welfare centres (1917) مراكز رفاهية. سميت دولة الرفاهية Welfare State أول مرة في 1939 في تمييز لها عن دولة الحرب Warfare State.

انظر: **CHARITY إحسان، UTILITARIAN منفعي، WEALTH ثروة**

غربي WESTERN

هناك الآن معاني لافتة لغربي Western والغرب the West في التوصيف السياسي الدولي. في بعض الحالات فقد التعبير معناه الجغرافي لدرجة أنه يتيح وصف اليابان مثلا كمجتمع غربي أو غربي النمط. علاوة على ذلك، يتعرض the West الغرب (الذي يجب الدفاع عنه) إلى دلالات اجتماعية وجغرافية متقلبة. في نفس الوقت، لاحظت إشارة إلى ماركسي ألماني على أن له إيديولوجيا شرقية Eastern.

التضاد West-East شرق ـ غرب، من الجغرافي إلى الاجتماعي، قديم جداً. ترجع صيغته الأوربية الأولى إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية من وسط ق3 إلى West-East شرق وغرب. هناك تضاد ثقافي واضح جداً متبق من تقسيم الكنيسة المسيحية في ق11 إلى Western غربية و Eastern شرقية. تبع هذه التقسيمات الداخلية التي جرت ضمن عالم معروف ومحدود نسبياً تعريف للغرب West كمسيحي أو يوناني ـ روماني (ليس الاثنان دائماً متطابقين) في تضاد مع East شرق معرف على أنه الإسلام أو بطريقة أشمل الأراضي الممتدة من البحر المتوسط إلى الهند والصين. هكذا تم من ق 16 وق 17 تحديد عالمين غربي Western وشرقي Eastern (أو Oriental مشرقي). بعد ذلك حدد تطور الجغرافيا المنهجية في أوروبا شرقاً أدنى East Near (من البحر المتوسط إلى بلاد الرافدين)

ومتوسطا Middle (فارس إلى سيلان) وأقصى (الهند إلى الصين)، وذلك بوضوح طبقاً لوجهة نظر أوربية. أبطل تحديد عسكري بريطاني قبل الحرب العالمية الثانية ذلك وجعل الشرق الأدنى متوسطاً Middle East كما هو شائع الآن. في نفس الوقت كانت هناك في أوروبا محاولات تقسيمها إلى شرق وغرب تكون فيها الشعوب السلافية شرقية Eastern. كان هناك استعمال مختلف، لكن له بعض الصلة بالمعنى، في الحرب العالمية الأولى عندما كانت بريطانيا وفرنسا القوتان الغربيتان Western ضد ألمانيا وكانت روسيا على الجبهة الشرقية Eastern. في الحرب العالمية الثانية كان الحلفاء الغربيونWestern، بما فيهم الولايات المتحدة هذه المرة، مرتبطين بحليفهم الشرقي Eastern: الاتحاد السوفيتي. في الواقع لم تكتسب شرق East وغرب West الوضع السياسي المعاصر حتى تقسيم أوربا بعد الحرب والحرب الباردة التي تلت ذلك بين هؤلاء الحلفاء السابقين، معتمداً بالطبع على بعض العوامل الجغرافية الواضحة وعلى بعض التصنيفات الثقافية السابقة (لكن المختلفة). ثم أتاحت طبيعة هذا التحديد توسع غرب West والغرب West the لتشمل مجتمعات نظام اقتصادي حر أو رأسمالية وبشكل خاص التوسع إلى تحالفات هذه المجتمعات السياسية والعسكرية (التي عقدت أحياناً الجغرافيا)، وأتاحت أيضاً توسع Eastern شرقي، وإن كان هذا إلى درجة أقل، إلى مجتمعات اشتراكية socialist أو شيوعية communist. (من ثم الوصف الغريب للماركسية، التي نشأت في ماهي حسب أي تعريف أوروبا الغربية Western، بأنها إيديولوجية شرقية Eastern.) يتم أحياناً الإقرار بالصعوبات الجغرافية الواضحة التي تنجم عن هذه التعريفات السياسية بشكل متزايد بعبارات مثل Western-style غربية الأسلوب أو غربية النمط Western-type.

بعد هذا التاريخ المعقد فإن مشكلة تعريف Western Civilization الحضارة الغربية، التي هي مفهوم رئيسي من ق 18 وبشكل خاص من ق 19، أصعب في الغالب بكثير مما هي عليه في الظاهر. من اللافت أن تحويل استعمالها الثقافي (روماني- يوناني أو مسيحي) إلى استعمال سياسي معاصر (the West الغرب) عقده إحلال North-South شمال ـ جنوب (مجتمعات واقتصادات غنية ـ فقيرة، صناعية ـ غير صناعية، متقدمة ـ نامية) محل West-East شرق ـ غرب، وهذا حسب بعض الآراء تقسيم أهم للعالم. لكن بالطبع لشمال ـ جنوب North-South، التي تطورت من صيغة اقتصادية وسياسية للتضاد West-East شرق ـ غرب تعقيداتها الجغرافية.

انظر: **CIVILIZATION حضارة، DEVELOPMENT نمو**

عمل/شغل WORK

كلمة work هي الصيغة الإنجليزية الحديثة للإسم weorc، إنجليزية قديمة والفعل wyrcan، إنجليزية قديمة. بصفتها الكلمة الأعم للدلالة على فعل شيء ولشيء أنجز عمله فإن نطاق استعمالها بالطبع عظيم. ما هو لافت للغاية الآن هو حصرها السائد على شغل مأجور. هذا ليس حصراً تاماً فنحن ما زلنا نتحدث بشكل عادي عن working العمل في الحديقة المنزلية. لكن لنأخذ مثالاً هاماً: امرأة نشطة تدبر منزلاً وتربي أطفالاً يتم تمييزها عن امرأة works تعمل - أي لديها وظيفة مأجورة. مثال آخر: «بالمعنى الدقيق لم يعمل work أبداً الإنسان الأول ... ظهر العمل work الفعلي، العمل المنتظم، الشغل من أجل كسب المعيشة عندما اخترعت الزراعة» (1962). بهذه الطريقة تم تعديل المعنى الأساسي للكمة الذي دل على نشاط أو مجهود أو إنجاز (رغم أن هذا التعديل اتسم بالتفاوت وعدم الاكتمال) بتحديد شروط العمل المفروضة مثل «الانتظام» وزمن العمل أو العمل مقابل أجر أو راتب: باختصار : مستخدم/أجير أو موظف.

هناك علاقة لافتة بين عمل work وشغل LABOUR (ا م). لشغل labour معنى قروسطياً صريحاً يدل على الألم والكدح. اشتقت toil كدح من (س ب) لاتينية تدل على التعكير/التحريك والسحق/التحطيم وبرزت أولا كمرادفة لبلاء trouble وشغب turmoil قبل أن تكتسب معناها كشغل شاق في ق 14. لا تزال labour وtoil كلمتان أصعب من work، لكن تم اطلاق التسمية العامة labourers شغيلة من ق13 على العمال اليدويين، و labour شغل على مثل هذا العمل من ق 17. كانت work لاتزال تستعمل لمعنى النشاط الأعم: «تباً لهذه الحياة الرتيبة، أتطلب worke عملا» (هنري الرابع، جـ 1، فصل 2، مشهد 4). لكن الشغيل labourer كان من ق14 أيضاً worker عاملا. برزت workman عامل من الإنجليزية القديمة ولحقت بها من ق 17 workingman رجل عمل. كان هناك حديث عن طبقة فعلية من قوم عامل workfolk من ق 15 على الأقل وعن طبقة من شعب عامل workpeople من ق 18: غالباً، حسب السجلات التي تحت أيدينا، بنبرة مألوفة: «لا يمكنك تصور كم هم من عصابة وحوش محتالين هؤلاء الناس العاملون work people هنا» (1708). اعتمد حصر أحد معاني working على working class طبقة عاملة من أوائل ق 19 (أنظر CLASS) على تعريفات «طبقة» الفعالة السابقة هذه.

إن حصر work على الخدمة المأجورة employment (انظر UNEMPLOYMENT بطالة) هو نتيجة لتطورعلاقات الإنتاج الرأسمالية. أن تكون في عمل «in work» أو دون

عمل «out of work» عنى أن تكون في علاقة محددة مع طرف آخر له سيطرة على وسائل الجهد الإنتاجي. عندئذ تحول جزئياً عمل work من الجهد الإنتاجي ذاته إلى العلاقة الاجتماعية الطاغية. فقط بهذا المعنى يمكن القول بأن المرأة التي تدبر منزلاً وتربي أطفالاً لا تعمل «not working». في نفس الوقت يمكن القول، لأنه مازالت هناك ضرورة لمعنى الكلمة العام، بأن شخصاً يقوم بعمله work الفعلي منفرداً وأحياناً بمعزل تماماً عن وظيفته job (مهمة). الوقت الذي تقضيه خارج وظيفتك المأجورة يسمى بطريقة دالة: «your own time وقتك الخاص» و«وقت حر free» و«holiday إجازة» (الكلمة القديمة ليوم احتفال ديني) و«وقت فراغ leisure». (ترجع leisure إلى الكلمة اللاتينية ليسمح licere وعنت من ق14 فرصة أو وقت حر؛ من اللافت بالنسبة لحصر work أن لدينا الآن عبارة «نشاطات وقت الفراغ» التي غالبا ما تتطلب مجهوداً كبيراً لكنها لاتسمى work عملا لأن هذا الأخير مرتبط بوقتنا المأجور paid time.)

ربما يكون تطور job (مهمة) أكثر أهمية. أصولها غامضة؛ كانت دائماً كلمة عامية بشكل طاغ. هناك معاني مثل «كتلة lump» أو «piece قطعة» من ق 14 و«cartload حمل كارة» من ق 16. لدينا من سنة 1557 عبارة «certen Jobbes of woorke أجزاء معينة من العمل». برز معنى جزء محدود من العمل بوضوح في ق17، وأصبحت jobbing سمسرة/ شغل أعمال متقطعة و jobber سمسار/ شغال بالقطعة بمعاني لا تزال في اللغة تعني القيام من حين لآخر «بقطع عمل jobs of work صغيرة». نطاق استعمال الكلمة لاحقاً لافت جداً. سجلت في لهجة اللصوص من أواخر ق 18 ولا تزال فعالة بهذا المعنى. سجلت من وسط ق 17 في سياق المعاملة التفضيلية التي تنزع إلى الفساد والاحتيال؛ أما الآن فهذا المعنى قاصر على الكلمة jobbery. تمت سمسرة jobbed الأسهم من ق17 من قبل وسطاء وتجار لا يملكونها لكنهم كونوا ثروتهم منها. بالرغم من كل هذه المعاني برزت الآن job أيضاً كتعبير رئيسي وشبه شامل للوظيفة المعتادة. بحلول وسط ق20 تمت فعلياً عملية الإحلال محل تعبيرات أقدم ليس في العمل اليدوي أو في تعامل الأسهم فحسب وإنما أيضاً في عمل سمي سابقاً situation موقع، position مكان، post منصب، appointment وظيفة ... الخ. لا يزال بالإمكان استعمال هذه الكلمات رسمياً لكن في الواقع يكاد كل فرد تسميتها jobs (من job وظيفة في الحكومة أو وزارة الخارجية - حيث يكون للناس careers مهن - إلى job شغل في حافلات أو في جامعة أو في موقع مبنى). ما حدث إذا هو أن كلمة اقتصر معناها على العمل المحدود والعرضي (كما هي متبقية بهذا المعنى في the price of the job ثمن المهمة؛ في ضوء تاريخ الكلمة قد يكون لافتا تسمية

المقاولة من الباطن the lump الكتلة/القطعة) أصبحت الكلمة الشائعة للوظيفة المنتظمة والمعتادة. بالتأكيد نقول regular job عملا منتظما، لكن نميز أيضا a proper job عمل تقليدي ملائم عن jobbing: التنقل للقيام بأعمال متناثرة. مشكلة الأعمال jobs problem هي مشكلة وظيفة مأجورة منتظمة.

هناك صعوبة كبيرة في تعقب هذا التاريخ. هناك دليل على أن job طورت أولاً هذا المعنى الحديث في الولايات المتحدة. لكن الكلمة كانت دائماً وصفاً لقدر معين من العمل من وجهة نظر الشخص الذي يقوم به. حتى معاني الإجرام والفساد تحتوي على هذا العنصر الأساسي قبل أن يلتقط آخرون الكلمة ويستعملونها، غالباً بطريقة إزدرائية. لا تزال work مهمة بطريقة أساسية وتعني في معظم الاستعمال اليومي إما labour شغل أو job مهمة. لكن ممارسة كل أنواع العمل حددت بعض معانيها الإيجابية. لا تزال works أعمال في الجمع حيادية، لكن «a work» نسبياً محترمة. أصبحت labour، التي كان معناها العام عمل شاق أو صعب أو مؤلم، تعبيراً لسلعة وطبقة. بصفتها طبقة تم تبينها كتعبير مقصود لحركة سياسية أكدت، ضمن أشياء أخرى، على dignity of labour شرف العمل. تفاعلت كل هذه التطورات وكثير منها لا يزال مهماً. لكن تظل تمضي في أساس هذه التفاعلات هذه الكلمة الشعبية والعامية القصيرة: job بما لها من نطاق معاني عملي هام: قطعة عمل، نشاط مأجور، شيء يجب تصيده أو تعهيده أو القيام به بالإضافة إلى ممارسة العمل المعتادة.

المراجع
وببليوغرافيا مختارة

A New English Dictionary on Historical Principles. Ed. J. A. H. Murray, H. Bradley, W. A. Craige, C. T. Onions. Oxford 1884-1928. Corrected re-issue, with Introduction, Supplement and Bibliography, 13 volumes. Oxford, 1933.

The Oxford Dictionary of English Etymology. Ed. C. T. Onions, with G. W. S. Friedrichsen and R. W. Burchfield. Oxford, 1966.

A Dictionary of the English Language. By Samuel Johnson. 2 volumes. London, 1755.

Webster's Dictionary. Ed. W. A. Neilson. Springfield, 1934.

A Dictionary of Modern English Usage. By H. W. Fowler. Oxford, 1937.

The Cambridge Bibliography of English Literature. Ed. F. W. Bateson. «Language»: Vol. I, 24-48. Supplement, ed. G. Watson, 8-36. Cambridge, 1940; 1957.

A Dictionary of American English. Ed. Craigie and Hulbert. 4 volumes. Chicago, 1938.

Dictionnaire de la Langue Francaise. Ed. E. Littre. 7 volumes. Paris, 1956.

A Dictionary of New English. Ed. C. L. Barnhart, S. Steinmetz, R. K. Barnhart. London, 1971.

Harper Dictionary of Contempoary Usage. Ed. Morris. New York, 1975.

Dictionary of the History of Ideas. Ed. P. P. Wiener. 4 volumes. New York, 1968-73.

Barfield, O. ***History in English Words.*** 2nd edition. London, 1954.

Breal, M. ***Semantics: Studies in the Science of Meaning.*** London, 1900.

Empson, W. ***The Structure of Complex Words,*** London, 1951.

Ohman, S. ***Theories of the Linguistic Field in Words, IX (123-34),*** 1953.

Spitzer, L. ***Essays in Historical Semantics.*** New York, 1948.

Stern, G. ***Meaning and Change of Meaning with Special Reference to the English Language.*** Goteberg, 1931.

Trier,J. ***Der Deutsche Wortschatz in Sinnbezirk des Verstandes.*** Heidelberg, 1931.

Ulman, S. ***Principle of Semantics.*** Glasgaw, 1957.

Volosinov, V. N. ***Marxism and the Philosophy of Language.*** New York, 1973.

Anderson, P. «The Antinomies of Antonio Gramsci» in ***New Left Review,*** 100, 1976-7.

Bell, D. «Sociodicy» in ***American Scholar, XXXV, 4,*** 1966.

Bestor, A. E. «The Evolution of the Socialist Vocabulary» in ***Journal of the History of Ideas,*** Vol.IX, 3 (259-302), 1948.

Bezanson, A. «Early Use of the Term Industrial Revolution» in ***Quarterly Journal of Economics, Vol. XXXVI*** (343-9), 1922.

Briggs, A. «The Language of 'Class' in Early Ninteenth-Century England» in ***Essays in Labour History,*** ed, Briggs. A. and Saville, J. London, 1960.

Briggs, A. «The Language of 'Mass' and 'Masses' in Nineteenth-Century England» in ***Idealogy and the Labour Movement,*** ed. Martin and Rubinstein. London, 1979.

Bury, J. B. ***The Idea of Progress.*** London, 1920.

Clark, G. ***N. The Idea of the Industrial Revolution.*** Glasgaw, 1953.

Collingwood, R. G. ***The Idea of Nature.*** Oxford, 1945.

Danby, J. F. ***Shakespeare's Doctrine of Nature.*** London, 1949.

Debray, R. ***Le Pouvoir Intellectuel en France.*** Paris, 1979.

Eichner, H. ***«Romantic» and its Cognates: the European History of a Word.*** Toronto, 1972.

Erametsa, E. ***A Study of the Word "Sentimental» and of Other Linguistic Characteristics of the Eighteenth-century Sentimentalism in England.*** Helsinki, 1951.

Febvre, L. «Capitalism et Capitaliste» in ***Annales d'Histoire Sociale.*** Paris, 1939.

Ferrara, F. ***The Origin of the Decline of the Concept of «Literature».*** Annali, Istituto Universitario Orientale. Napoli, 1973.

Frankfurt Institute for Social Research. ***Aspects of Sociology.*** London, 1973.

Goldmann, L. ***Towards a Sociology of the Novel.*** London, 1975.

Hill, C. ***Change and Continuity in Seventeenth-Century England.*** London, 1974.

Kroeber, A. L. and Kluckhohn, ***Culture: a Critical Review of Concepts and Definitions.*** Papers of the Peabody Museum of American Archaeology and Ethnology, vol. 47. Harvard, 1952.

Lovejoy, A. O. ***Essays in the History of Ideas.*** Baltimore, 1948.

Lukes, S. ***Individualism.*** Oxford, 1973.

Meckeon, M. ***Review of Keywords in Studies in Romanticism,*** Vol. XVI, 1977.

Naess, A., with Christophersen, J. and Kvalo, K. ***Democracy, Idealogy and Objectivity.*** Oslo, 1956.

Nelson, B. «Sciences and Civilizations, 'East' and 'West'» in Boston ***Studies in the Philosophy of Science,*** XI, 1974.

Panofsky, E. «Artist, Scientist, Genius» in ***The Renaissance: Six Essays.*** New York, 1962.

Panofsky, E. «The History of Art as a Humanistic Discipline» in ***The Meaning of the Humanities.*** Princeton, 1938.

Popper, K. R. ***The Povert of Historicism.*** London, 1957.

Schacht, R. ***Alienation.*** London, 1971.

Seeman, M. «On the Meaning of Alienation» in ***American Sociological Review,*** Vol. XXIV (6), 1959.

Skinner, Q. «Language and Social Change» in The ***State of the Language,*** ed. Michaels and Ricks. Berkeley-Los Angeles, 1980.

Suvin, D. «Utopiaan» and «Scientific» in ***Minnesota Review,*** NS6, 1976.

Wellek, R. ***The Rise of English Literary History.*** Chapel Hill, 1941.

Wellek. R. ***Concepts of Criticism.*** New Haven, 1963.

Willey, B. ***The Eighteenth Century Background.*** London, 1940.

Williams, R. «Keywords» in ***Politics and Letters.*** London, 1979.

ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح

لم يكتب الناقد الثقافي ريموند وليمز كتابه «الكلمات المفاتيح» على أنه كتاب موسوعي تقليدي يسعى إلى تحديد معاني الكلمات الثابت وإنما كمثقف عام ملتزم على وعي بأن المعاني الثقافية لهذه الكلمات هي مجال نزاع وأن التحول يحدث في العادة، حسب قوله، «داخل اللغة». ما رَمت إليه كلماته المفاتيح ليس «تراثاً يُلَقّن» وإنما مفردات للإستعمال وللتعبير عمّا يجول بخواطرنا، وكذلك لتغييرها متى ما وجدنا ذلك ضرورياً ضمن مسارنا في صنع لغتنا وتاريخنا.

لا تزال نظرة وليمز للأهمية السياسية والاجتماعية الكامنة في الكلمات والعبارات البسيطة صحيحة اليوم، مثلما كانت قبل ثلاثين عاماً. يتجلى ذلك في المعارك التي اندلعت حول عبارات مثل «ليبرالي» و «تعذيب» والتصميم الذكي (معارضة داروين ونظرية النشوء والترقي). واليوم، مثلما كان الوضع في عصر وليمز، يقف المثقف العام على الخطوط الأمامية في هذه المناوشات، فهو يسترجع أو يعارض أو يتبنى معاني الكلمات التي تحدد رؤيتنا للعالم.

بالنسبة للمثقف العام لا تحتدم هذه المناوشات في أبراج عاجية، وكأنها جدل بين الأكاديميين حول المعاني، وإنما يتم خوض تلك المعارك بين عامة الجمهور من أجل السعي إلى تحقيق إدراك أشمل.

ستيفن جونسون

نيويورك تايمز، ٢٩-١٠-٢٠٠٦



العربي

ص ب ١١٣/٥١٥٨ بيروت- لبنان

ص .ب 4006 – الدار البيضاء – المغرب

www.ccaedition.com

ISBN 9953-68-194-5



9789953681948

لوحة الغلاف: حسن بدوي